رسائل آية الله المعظم

الميرزا محمد باقر الحائري الأسكوئي

بسم الله الرحمن الرحيم

رسائل الميرزا محمد باقر الحائري الأسكوئي

مجموعة رسائل وأجوبة مسائل

تأليف

آية الله المعظم المولى الميرزا

محمد باقر بن الميرزا محمد سليم الحائري الأسكوئي

أعلى الله مقامه

من مخطوطات مكتبة العلامة الحائري بكربلاء المقدسة

إعداد

الشيخ رياض طاهر البستاني

تحقيق

حيدر عبد الرضا الحرز

معلومات الكتاب:

الاسم: رسائل الميرزا محمد باقر الحائري الأسكوئي.

تأليف: آية الله المعظم الميرزا محمد باقر بن محمد سليم الحائري الأسكوئي.

إعداد : الشيخ رياض طاهر البستاني.

تحقيق: حيدر عبد الرضا الحرز.

حقوق الطبع محفوظة للمحقق

الطبعة: الأولى.

سنة الطباعة: ١٤٣٨هـ.

مكان الطباعة: لبنان   بيروت.

تقديم:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين، صلوات الله عليهم أجمعين.

قد لا أستطيع أن أصف ذلك الشعور الذي انتابني عندما وقعت على الرسائل المفقودة الخطية لآية الله المولى الميرزا محمد باقر الأسكوئي أعلى الله مقامه، فقد كان يتملكني الحزن عندما أطالع سيرته وأرى كمية الرسائل والكتب التي كتبها في مختلف المجالات العلمية والتي لم يطبع منها إلا القليل بطبعات قديمة جداً، فلم أظن أني سأقع على رسائله المخطوطة مع شدة البحث والسؤال، إلى أن وقعت على رسالة في أجوبة مسائل الشيخ أحمد آل طعان القطيفي البحراني أعلى الله مقامه بخط الميرزا زودني بها الأستاذ الشيخ الميرزا صالح السليمي رحمه الله، حيث كانت هذه الرسالة هي بداية الخير في حصولي على بقية الرسائل المفقودة، والتي كتب بعضها بخط مولانا الأسكوئي، وأخرى بخط تلميذه السيد زين العابدين الأسكوئي، وبعضها

بخط الحاج محمد بن عباس التركي التبريزي، و منها ما كتب بخط الشيخ رياض طاهر البستاني أمين مكتبة العلامة الحائري بكربلاء المقدسة، وبعضها لم يكتب اسم الناسخ(١).

وبعد أن تهيأ عندي مجموعة لا بأس بها من رسائل هذا العالم الجليل، بدأت بالتحقيق منذ ما يقارب الخمس سنوات، إحياءً لتراث محمد وآله الطاهرين، وخدمة لعلمائنا الأفذاذ الذين أوصلوا لنا أمانة الولاية بجدهم وجهادهم، وقد زودني -مشكوراً- الشيخ رياض طاهر البستاني بنسخ مصورة من أغلب الرسائل الخطية والتي كانت موجودة في حوزة الإمام المصلح آية الله الميرزا حسن الإحقاقي قدس سره، وكذلك زودني بنسخ مصفوفة من أغلب الرسائل فأتممت البقية، وبين يديك أخي القارئ الكريم القسم الأول من الرسائل وهي الرسائل الحكمية والتفسيرية(٢)، وأشير هنا إلى الرسائل والنسخ

---

١) علماً أن البحث جاري عن بقية الرسائل لهذا العالم الجليل، ونرجو من الباحثين الأعزاء أن يتفضلوا علينا إن وجد عندهم بعض الرسائل وأجرهم على موالينا الكرام عليهم السلام.

٢) تم تقسيم الرسائل إلى قسمين رئيسيين: الأول الرسائل الحكمية والتفسيرية أو التي يغلب عليها هذا الطابع وهي التي بين يديك أخي القارئ العزيز، والقسم الثاني الفقهية أو التي يغلب عليها الطابع الفقهي، ونسأل من الله تعالى أن يوفقنا لطباعة المجموعة الفقهية قريباً.

المعتمدة في تحقيق كل رسالة، وقد رتبتها حسب تاريخ الانتهاء إن وجد، وقدمت كتاب البوارق عليها لابتداء المولى بكتابته مستقلاً وليس عبارة عن أجوبة مسائل .

١- **البوارق:** وهو عبارة عن مسائل متفرقة في الحكمة، كتبت بشكل مختصر، و لم يتم. اعتمدت على مخطوطتين:

نسخة (أ): مخطوطة لم يكتب فيها اسم الناسخ.

نسخة (ب): مخطوطة كتبها الحاج الشيخ محمد التركي التبريزي.

٢- **رسالة في الجمع والتوفيق بين بعض الآيات**: هكذا عنونت في فهرس آية الله المولى الميرزا موسى الإحقاقي الذي كتبه في إجازته لولده آية الله المولى الميرزا علي الإحقاقي.

اعتمدت على نسخة خطية واحدة بخط الشيخ محمد التركي التبريزي، فرغ منها في ١٨ ربيع الثاني ١٢٧١هـ.

٣- **رسالة في جواب السيد محمد بن ماجد الاحسائي**: حول شرح حديث (العبودية جوهرة كنهها الربوبية). فرغ منها في ١٦ شعبان المعظم١٢٧٤هـ. وقد حصلت على نسختين خطيتين:

الأولى: بخط السيد زين العابدين الأسكوئي: (أ) .

الثانية: بخط الشيخ محمد بن عباس التركي: (ب).

٤- **رسالة في أجوبة مسائل الشيخ علي آل قرين:** حول شرح العقول الثلاثة الوارد في كلام الشيخ الأوحد أحمد بن زين الدين الأحسائي، فرغ منها في ١٤ ذو القعدة ١٢٧٤ هـ. حصلت على نسخة واحدة بخط الشيخ رياض طاهر.

٥- **رسالة في جواب مسائل السيد أحمد بن السيد محمد الحلي**: فرغ منها سنة ١٢٧٨ هـ، حصلت على نسخة واحدة بخط الشيخ رياض طاهر.

٦- **رسالة في الحقيقة المحمدية:** فرغ منها في شوال ١٢٨٠هـ، حصلت على نسخة واحدة بخط الشيخ محمد بن عباس التركي التبريزي.

٧- **أجوبة مسائل السيد خليل البحراني**: فرغ منها في ٢ ربيع ١٢٩٣هـ، حصلت على نسختين خطيتين:

الأولى: بخط السيد زين العابدين الأسكوئي (أ).

الثانية: بخط الشيخ محمد بن عباس التركي التبريزي (ب).

٨- **رسالة في جواب السيد محمد بن السيد ناصر**[١]: حول شرح الدعاء الصادر من الناحية المقدسة: (وبمقاماتك وعلاماتك التي لا تعطيل لها في كل مكان)، فرغ منها سنة ١٢٩٣هـ، حصلت على نسختين خطيتين:

الأولى: بخط السيد زين العابدين الأسكوئي (أ).

الثانية: بخط الشيخ محمد بن عباس التركي ولكنها ناقصة (ب).

٩- **رسالة في جواب مسائل الشيخ محمد العيثان:** حول معنى جف القلم[٢]، فرغ منها سنة ١٢٩٥هـ، حصلت على نسختين خطيتين:

الأولى: هي النسخة الأصلية ولكنها ناقصة، زودني بها أحفاد الشيخ محمد العيثان في الأحساء (أ).

الثانية: بخط الشيخ محمد بن عباس التركي التبريزي (ب).

---

(١) ذكرها الميرزا موسى بعنوان: (رسالة في سؤال السيد ناصر) [الإجازة بين الاجتهاد والسيرة، ص٧١]، ولكن جميع النسخ المخطوطة ذكرت اسم السائل (السيد محمد بن السيد ناصر).

(٢) وصفها آية الله المولى الميرزا علي الحائري الإحقاقي بأنها رسالة حسنة مفصلة. المصباح المنير، ص٧

١٠- **أجوبة مسائل أهالي قره باغ**[١]: باللغة الفارسية، ترجمها الشيخ محمد علي داعي الحق الكربلائي، حصلت على نسخة واحدة بخط الشيخ محمد بن عباس التركي التبريزي.

١١- **رسالة في جواب السيد زين العابدين الأسكوئي**: حصلت على نسختين:

الأولى: بخط نفس السائل .

الثانية: النسخة المطبوعة في الكويت بعنوان عرض الأعمال على محمد والآل.

١٢- **أجوبة مسائل الشيخ جعفر الحرز**: حصلت على نسخة خطية واحدة، بخط الشيخ محمد عباس التركي التبريزي.

---

١) وهنا أشير إلى ملاحظة وهي: أنه في النسخة المطبوعة من إجازة الميرزا موسى لولده الميرزا علي والمعنونة بـ(الإجازة بين الاجتهاد والسيرة) كتب اسم الرسالة (القره داغية)، وبعد مراجعة النسخة المخطوطة تبين أن هناك خطأً مطبعياً قد حصل إذا عنونت بـ(السؤالات القرباغية) راجع مخطوطة إجازة الميرزا موسى الإحقاقي لولد الميرزا علي الإحقاقي بخط الشيخ أحمد البوعلي الأحسائي أعلى الله مقامهم، ص١٣.

١٣- **أجوبة مسائل الشيخ علي بن خليفة:** حصلت على نسخة واحدة بخط الحاج محمد بن عباس التركي التبريزي.

منهج التحقيق:

١- تخريج الآيات الكريمة.

٢- تخريج الأحاديث والأدعية الشريفة.

٣- تخريج الأقوال حسب المصادر المتوفرة.

٤- وضع الكلمات المضافة للنص بين عضادتين [ ].

٥- التعليق على ما يحتاج إلى زيادة إيضاح.

٦- ملاحظة مهمة: حيث أن الرسائل حققت في الأصل كل واحدة بشكل مستقل، فقد تكررت بعض الهوامش، فقد يتكرر تخريج الرواية أو المصطلح وما هو إلا لهذه العلة، فلاحظ.

في الختام أقدم خالص شكري وتقديري لكل من بذل جهداً في سبيل إخراج هذه المجموعة، ونسأل الله العلي القدير أن ينفعنا بها يوم لا ينفع مال ولا بنون، كما أرجو من إخواني القراء الكرام أن لا يبخلوا عليَّ بملاحظاتهم.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

ليلة الجمعة، ١٥ شعبان المعظم ١٤٣٨هـ

ذكرى ميلاد إمامنا صاحب العصر والزمان

عجل الله تعالى فرجه الشريف.

مختصر سيرة

آية الله المعظم الميرزا محمد باقر الحائري الأسكوئي[١]

(١٢٣٠هـ ١٣٠١هـ)

اسمه ونسبه:

آية الله المعظم المولى الميرزا محمد باقر بن الميرزا محمد سليم الحائري الأسكوئي أعلى الله مقامه.

ولادته:

ولد أعلى الله مقامه في عام ١٢٣٠هـ في قصبة أسكو من توابع مدينة تبريز في إيران.

---

١) بحوله تعالى فقد كتبنا سيرة وثائقية للمولى الأسكوئي، نسأله تبارك وتعالى التوفيق للإتمام. للاستزادة انظر:

١- الإجازة بين الاجتهاد والسيرة، ص٦٥-٧٣.
٢- مقدمة كتاب المصباح المنير، ص٣.
٣- قرنان من الاجتهاد والمرجعية، الفصل الثاني.
٤- طبقات أعلام الشيعة، ج١٠ ص١٨٣.

حياته ودراسته:

درس أعلى الله مقامه مقدمات العلوم والمعارف الأدبية على يد والده الماجد في أسكو، ثم انتقل إلى مدينة تبريز ليدرس السطوح في الفقه والأصول على خاليه الفاضلين السيد سلمان والسيد محمد الأعرجي الحسيني، وفي العام ١٢٥٥هـ هاجر للنجف الأشرف[1] وهناك التحق بالحوزة العلمية لأستاذ المجتهدين الأعلام الشيخ مرتضى الأنصاري قدس سره الشريف فنهل من معينه وكتب كثيراً من دروسه في الفقه والأصول، وبعد حصوله على الإجازات المفصلة في الرواية والدراية والاجتهاد توجه نحو مدينة كربلاء المقدسة وحضر درس العالم الرباني الميرزا حسن الشهير بـ(كوهر) أعلى الله مقامه طلباً للعلوم العقلية والحكمة الإلهية ومعارف أهل البيت عليهم الصلاة والسلام.

مرجعيته:

بعد وفاة أستاذه الجليل الميرزا حسن كوهر، أصبح مرجعاً للشيعة العرب والعجم فقلده قسم كبير من أهالي مدينة كربلاء وضواحيها، وأهالي الكويت والبحرين وأذربيجان والقفقاز وخراسان وتركستان، وقد أقام قدس

[1]) الكلمات المحكمات، ص١٠.

سره حوزة علمية في مدينة كربلاء المقدسة. و ألف رسالة عملية فقهية في العبادات والمعاملات طبعت وانتشرت بين مقلديه[1].

من تلامذته:

١- آية الله الميرزا إسماعيل حجة الإسلام ابن العلامة ميرزا محمد حجة الإسلام .

٢- آية الله السيد ميرزا علي آقا الطباطبائي التبريزي.

٣- آية الله الميرزا علي آقا ثقة الإسلام التبريزي.

٤- آية الله الشيخ محمد بن الشيخ عبد الله آل عيثان الأحسائي.

٥- آية الله السيد هاشم بن السيد أحمد السلمان الأحسائي.

٦- ابنه آية الله الميرزا موسى الحائري الإحقاقي.

من أقوال العلماء فيه:

١- آية الله الشيخ أحمد بن صالح آل طعان البحراني القطيفي:

---

[1]) توجد نسخة خطية منها في مكتبة كاشف الغطاء العامة في النجف الأشرف، وقد تم تحقيقها ضمن المجموعة الفقهية للمولى الأسكوئي.

ذكره في أحد رسائله: (العالم الماهر الميرزا محمد باقر بن محمد سليم التبريزي القراجه داغي المجاور بكربلاء المعلى)[١]، وفي مسائله التي وجهها له: (وحيد العصر، وفريد الدهر)[٢]، وفي عبارة أخرى في نفس الرسالة يقول: (فمنوا على قنكم بتمييز الشراب، وتوسيع دائرة الجواب، بما يكشف النقاب عن غرة الصواب)[٣].

٢- آية الله المعظم الشيخ حسين القديحي[٤]:

يقول في إجازته للشيخ فرج آل عمران القطيفي: (العيلم العلم البحر الخضم الأوحد الفاخر الأميرزا محمد باقر الأسكوئي الكربلائي)[٥].

---

١) الرسائل الأحمدية ج٢ ص١٣٠.

٢) أجوبة مسائل الشيخ أحمد بن الشيخ صالح البحراني، مخطوط، ص٢

٣) المصدر السابق، ص٢٢.

٤) هو الشيخ حسين بن الشيخ علي صاحب كتاب (أنوار البدرين) بن الشيخ حسن الأحسائي البلادي البحراني ثم القديحي القطيفي ولد في النجف سنة ١٣٠٢هـ وتوفي سنة ١٣٨٧ هـ درس على يد والده وتوجه للعراق حيث اخذ عن علمائها وأجيز من عدة من كبار العلماء منهم السيد حسن الصدر والميرزا علي الحائري الإحقاقي والسيد أبو تراب الخونساري [راجع ترجمته في منتظم الدرين ج١ ص٤٦٢، مطلع البدرين ج٢ ص ٦١٣].

٥) إجازة الشيخ حسين القديحي للشيخ فرج آل عمران القطيفي، إخراج السيد معين الحيدري، ص٢٢.

٣- آية الله المعظم الشيخ محمد العيثان الأحسائي:

قال في رسالته التي وجهها لأستاذه: (إلى جناب مولانا وأستاذنا وشيخنا وعمادنا الميرزا محمد باقر سلمه الله تعالى وأعلى رتبته ورفع في الدارين درجته بمحمد وعترته)[١].

٤- آية الله المقدس الشيخ عبد الله آل معتوق القطيفي[٢]:

يقول في إجازته للميرزا موسى الحائري الإحقاقي: (العالم الباهر، والحكيم العارف الماهر، وحيد زمانه، وعديم أقرانه في أوانه، البحر الزاخر، الميرزا محمد باقر بن محمد سليم التبريزي أصلاً، والحائري مسكناً ومدفناً)[٣].

---

[١] راجع الرسالة (٩) من هذه المجموعة.

(٢) آية الله المقدس المولى الشيخ عبد الله بن معتوق البحراني القطيفي، ولد سنة ١٢٧٤هـ ودرس العلم في بلاده وأكمل دراسته في النجف الأشرف، ومن أبرزا أساتذته الشيخ أحمد بن الشيخ صالح آل طعان البحراني قدس سره، حصل على العديد من الإجازات من عدة من العلماء ومنهم السيد علي أصغر الغروي والسيد أبو تراب الخوانساري والشيخ محمد تقي آل الشيخ أسد الله، وله العديد من المؤلفات منها منية المشتاق في تحقيق الاشتقاق، و سفينة المساكين لنجاة الشاكين، وله ديوان شعر أيضاً، توفي سنة ١٣٦٢هـ [راجع تفصيل ترجمته في كتاب شذرات من حياة وشعر العلامة ابن معتوق القطيفي] .

[٣] إجازة الشيخ عبد الله آل معتوق القطيفي، مخطوط، ص١٢و١٤، وكذلك طبعت الإجازة ضمن كتاب (شذرات من حياة وشعر العلامة ابن معتوق)، ص ٣٠.

من مؤلفاته:

له أكثر من سبعين مصنف بين مطول ومختصر، ومنها:

١- الرسالة التطهيرية، في تفسير قوله تعالى: **﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾**، طبعت عدة مرات، وترجمها المولى المعظم الميرزا حسن الإحقاقي إلى اللغة الفارسية.

٢- الرسالة الحنكية.

٣- كتاب المصباح المنير، وحق اليقين في شرح كتاب الفصول في الحكمة للحاج كريم خان رداً عليه. طبعا في مطبعة أهل البيت عليهم السلام بكربلاء المقدسة.

٤- الرسالة البدائية في شرح الفقرة الواردة في زيارة الجوادين عليهما السلام: (يا من بدا الله في شأنه)، طبعت مؤخراً بتحقيق الشيخ عبد المنعم العمران الأحسائي.

٥- مناسك الحج (فارسي) .

٦- رسالة فتوائية في الفقه.

٧- أجوبة المسائل المختلفة من القطيف وإيران والعراق.

وفاته:

توفي أعلى الله مقامه بمدينة كربلاء المقدسة في العاشر من شهر صفر المظفر من عام ١٣٠١هـ ، عن عمرٍ ناهز السبعين عاماً، ودُفِن بناءاً على وصيته في حجرة مفرزة من دار سكناه الواقعة قرب طاق الزعفران في مدينة كربلاء المقدسة ومادة تأريخ وفاته: (غاب عنا إمام الدين = ١٣٠١هـ).

نموذج من النسخ المخطوطة بخط المصنف الميرزا الأسكوئي، وهي أجوبة مسائل آية الله الشيخ أحمد آل طعان البحراني

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين والصلوة على سيد الأنبياء محمد وآله الطاهرين أما بعد فيقول
العبد الأثيم الفقير محمد باقر بن محمد سليم التبريزي الأسكوئي القرجه داغي أنه قد وردت إلى مسائل
من السيد الأجل العارف النبيل ذي الشأن الجليل جناب الحاج سيد خليل بن
علوي آل عبد الرؤوف البحراني عامله الله بلطفه الجميل أن أذكر جوابها فامتثلت وسارعت
إليه على ما أنا عليه من تشتت البال واختلال الأحوال أتيت بالميسور إذ كان لا
يسقط بالمعسور وإلى الله عاقبة الأمور قال سلمه الله ما يقول شيخنا في الإجماع
السكوتي والإجماع اللازم وما الفرق بينهما أقول الإجماع هو الاتفاق من المؤمنين
على أمر الكاشف عن دخول الإمام عليه السلام قولاً أو فعلاً أو تقريراً بحيث لا يشك في
دخوله فلذلك هو الحجة لا مطلق الاتفاق كما يقوله العامة والذي لا يقول بحجيته من الخاصة
كبعض من أهل الأخبار ليس مخالفته للآخرين إلا في عدم تحقق موضوعه والعلم به وهو
الاتفاق على أمر الكاشف عن الدخول فيقول كيف يمكن استعلام حالهم وفاقاً أم
خلافاً ومنهم من لا يعرف شخصاً أو مكاناً ومنهم من لا يعرف له قول ولا كتاب ومنهم
من لا يمكن الوصول إليه وإلى كتابه لبعده فكيف يعرف الاتفاق حتى يتبين دخوله عليه السلام
وهذه شبهة واهية عند التحقيق لا يشك في وقوعه من له ممارسة في أخذ الأحكام
من أدلتها بضرس قاطع إذ يرى أن أكثرها لا تتم إلا بالإجماع ولو في بعض الشروط
والأسباب والأركان والطاعن فيه يرى أحياناً أنه يضطر إليه ولا يجد مفراً إلا إليه
فالإجماع أنواع نوعان لا خلاف في حجيته والتدين به ضرورة الأسلاف وضرورة

نموذج من النسخ المخطوطة بخط السيد زين العابدين الأسكوئي، وهي أجوبة مسائل السيد خليل البحراني

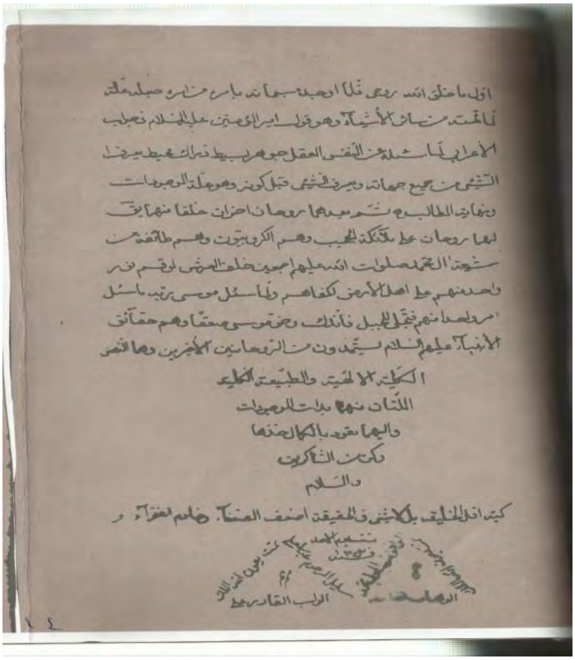

اول ما خلق الله روحي فلما اوجده سبحانه بارع من امره صيره علة
لما تحته من سائر الاشياء وهو قول امير المؤمنين عليه السلام في جواب
الاعرابي لما سأله عن النفس العقل جوهر بسيط دراك محيط بمعرفة
الشيء من جميع جهاته ويعرف الشيء قبل كونه وهو علة الموجودات
ونهاية المطالب ثم بعدهما روحان اخران خلقا منها بقى
لهما روحان على ملائكة الحجب وهم الكروبيون وهم طائفة من
شيعة آل محمد صلوات الله عليهم اجمعين خلف العرش لو قسم نور
واحد منهم على اهل الارض لكفاهم ولما سأل موسى ربه ما سأل
امر واحدا منهم فتجلى للجبل فاندك وخر موسى صعقا وهم حقائق
الانبياء عليهم السلام يستمدون من الروحانيين الآخرين وهما النفس
الكلية الالهية والطبيعة الكلية
اللتان منهما مبدأ الموجودات
واليهما تعود بالكمال حذوها
وكن من الشاكرين
والسلام
كتبه اقل الخليقة بل لا شيء في الحقيقة اضعف الضعفاء خادم الفقراء و

نموذج من النسخ المخطوطة بخط الحاج محمد عباس التركي التبريزي، وهي أجوبة مسائل الشيخ جعفر الحرز

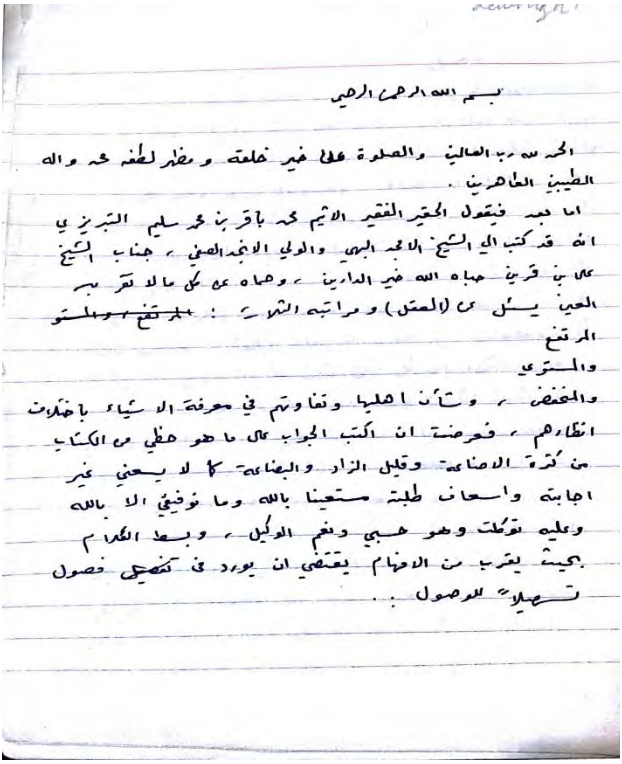

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلوة على خير خلقه ومظهر لطفه محمد وآله الطيبين الطاهرين.

اما بعد فيقول الحقير الفقير الاثيم محمد باقر بن محمد سليم التبريزي انه قد كتب الى الشيخ الامجد البهي والولي الانجد الصفي، جناب الشيخ علي بن قرين حباه الله خير الدارين، وحماه عن كل ما لا تقر به العين يسئل عن (العقل) ومراتبه الثلاث: ~~المرتفع والمستو~~
المرتفع
والمستوي
والمنخفض، وشأن اهلها وتفاوتهم في معرفة الاشياء باختلاف انظارهم، فعرضت ان اكتب الجواب على ما هو حظي من الكتاب من كثرة الاضاعة وقليل الزاد والبضاعة كما لا يسعني غير اجابته واسعاف طلبته مستعينا بالله وما توفيقي الا بالله وعليه توكلت وهو حسبي ونعم الوكيل، وبسط الكلام بحيث يقرب من الافهام يقتضي ان يورد في تفصيل فصول تسهيلاً للوصول..

نموذج من النسخة المخطوطة بخط الشيخ رياض طاهر البستاني، وهي أجوبة مسائل الشيخ علي بن قرين

(١)

الرسالة الأولى

البـــــوارق

بارقة [١- (في أن الأصل في الاشتقاق الفعل لا المصدر)]

مسألة: اختلف البصرية والكوفية في أن الأصل في الاشتقاق هو الفعل أو المصدر؟

فذهب الأول منهم إلى الثاني؛ لكونه لعدم اشتماله على الزمان بل أبسط، فكونه الأصل هو الأقسط.

والثاني إلى الأول؛ ضرورة امتناع كون الأصل تابعاً والفرع متبوعاً، وقد التزمه الأول في قولك: (ضربت ضرباً) حيث جعل الفعل الذي هو (ضربت) مؤكداً ومتبوعاً مع أنه هو الفرع، و (ضرباً) تأكيداً وتابعاً مع أنه الأصل، وهذا خلاف الحس والبداهة، بخلاف قولنا الخالي عما ذكر.

أما ما ذكر من البساطة فَمُسلم؛ لكن كونها مطلقاً أشرف من التركيب مطلقاً فلا، ألا ترى أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: **(أن سلمان أشرف من جبرائيل)**[1] مع كونه إنساناً مركباً، وكون هذا بسيطاً ملكاً، نعم لو فرض

[1] نقل الرواية الشيخ الأوحد أحمد بن زين الدين الأحسائي أعلى الله مقامه في معرض أحد أجوبته فقال: (ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله أن سلمان أفضل من جبرائيل عليه السلام) [جوامع الكلم، ج٩ ص٦٤١ الرسالة الطاهرية]، وكذلك سأل السيد حسين بن عبد القاهر البحراني الشيخ الأوحد عن معنى هذه الرواية في رسالة فقال في سؤاله: (ما معنى ما ورد أن المؤمن أفضل من الملائكة؟ أو ما ورد أن

[أن] البساطة والتركيب في رتبة واحدة فلا يبعد أن يقال بشرافتها، وهنا ليس كذلك لما عرفت من أصالة الفعل وفرعية المصدر.

والحق هو الثاني؛ لأنهم أخذوا هذا العلم من أمير المؤمنين عليه السلام، وإن كانوا أصل كل خير هم عليهم السلام[1] إلا أن في هذا العلم خصوصية بالنسبة إليه عليه السلام كما هو المشهور بين الناس.

سلمان أفضل من جبرائيل عليه السلام...؟) [جوامع الكلم، ج٩ ص٨٨٩]، ويقول السيد كاظم الرشتي قدس سره: (وقد نص رسول الله صلى الله عليه وآله أن سلمان أفضل من جبرائيل في الحديث المشهور) [شرح الخطبة الطتنجية، ج٣ ص ٣٢٣، شرح فقرة: (نحن الآخرة والأولى)]. فقد تكون من الروايات التي وردت في بعض الكتب المفقودة حالياً، ولعل هناك في الروايات الشريفة إشارة إلى هذه المسألة بشكل كلي، ومنها ما روي عن مولانا الإمام الحسن العسكري عليه السلام عند ذكره احتجاج رسول الله صلى الله عليه وآله على المنافقين في طريق تبوك، قال: (ثم قالوا له: يا رسول الله أخبرنا عن علي عليه السلام أهو أفضل أم ملائكة الله المقربون؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: وهل شرفت الملائكة إلا بحبها لمحمد وعلي وقبولها لولايتهما، وإنه لا أحد من محبي علي قد نظف قلبه من قذر الغش والدغل ونجاسات الذنوب إلا كان أطهر وأفضل من الملائكة) [الاحتجاج، ج١ ص٥٢، فصل في ذكر طرف مما جاء عن النبي صلى الله عليه وآله...] ويقيناً أن سلمان سلام الله عليه قد انطبقت عليه الرواية الشريفة.

[1]) ورد في الزيارة الجامعة الكبيرة عن مولانا الإمام الهادي عليه السلام: (إن ذكر الخير كنتم أوله وأصله وفرعه ومعدنه ومأواه ومنتهاه) مستدرك الوسائل، ج١٠ ص٤٢٠.

[كيفية الاشتقاق]

ولا يخفى عليك أنهم ما بينوا كيفية الاشتقاق بأي نحو هو، فلابد من البسط في الكلام لتنقيح المرام:

اعلم أن الاقتطاع و الاشتقاق مرة يكون في رتبة واحدة فيكون حينئذ نسبة المبدأ إلى المشتقات هي بعينها نسبة الكلي الطبيعي[1] إلى أفراده؛ مثلاً الفعل هي[2] الحركة الكلية المتطورة تارة بطور الماضوية ومرة بطور المضارعية وهكذا في جميع الأفعال السبعة؛ منهما ومن الأمر والنهي والنفي والجحد والاستفهام، وذلك إنما هو باعتبار، وكذلك باعتبار اللفظ، إذ اللفظ مرآة المعنى والظاهر عنوان الباطن، فصورة الحركة المطلقة ولفظها هو (ض، ر، ب) مثلاً مجرداً عن الحدود جميعها وعارياً عن القيود كلها، وأول تقيدها واقترانها بالحدود إنما هو بالحدود الماضوية وهو (ضرب) لكونه رتبة النبي صلى الله عليه وآله؛ لمضيه وسبقه لا من جهة العلية بل من باب أنه أول أفراد الكلي المشكك[3] وأوليها،

---

[1] الكلي في المنطق هو: (المفهوم الذي لا يمتنع صدقه على أكثر من واحد) و أحد أقسامه الكلي الطبيعي (ويقصد به طبيعة الشيء بما هي) المقرر في شرح منطق المظفر، ص٨٩ و١٤٨.

[2] هكذا في المخطوطتين ويحتمل أن تكون: هو .

[3] الكلي المشكك هو: (مثل مفهوم البياض والعدد تجد تفاوتاً بين الأفراد في صدق المفهوم عليها بالاشتداد أو الكثرة أو الأولوية أو التقدم، فنرى بياض الثلج أشد بياضاً من بياض القرطاس وكل منهما بياض، وعدد الألف أكثر من عدد المائة، وكل منهما عدد وهذا الكلي المتفاوتة أفراده في صدق مفهومه

وثاني تخصصها إنما هو بخصوصيات المضارع بواسطة الماضي وهو عبارة عن أمير المؤمنين عليه السلام وقد ضارع النبي وشابهه وهو مثله كما قال عليه السلام: **(أنا من محمد كالضوء من الضوء)**[١]، وفي رواية: **(كالسراج من السراج)**، ثم تعينت بصورة النهي بواسطتهما بالمعنى المذكور وهو الحسن عليه السلام[٢]، ثم بصورة الأمر بواسطتهم هكذا وهو الحسين عليه السلام لكونه مأموراً بالقتال والشهادة، ثم بهيئة الاستفهام كذلك وهو صاحب الأمر عجل الله فرجه وروحي له الفداء، ثم النفي كذلك وهم الأئمة الثمانية عليهم

عليها يسمى الكلي المشكك، والتفاوت يسمى تشكيكاً) المقرر في توضيح منطق المظفر، ص٩٤-٩٥ بتصرف.

١) قال أمير المؤمنين عليه السلام: (أنا من أحمد كالضوء من الضوء) بحار الأنوار، ج٢١ ص٢٦.

٢) ورد في الرواية عن أبي جعفر عليه السلام قال: (والله للذي صنعه الحسن بن علي عليهما السلام كان خيراً لهذه الأمة مما طلعت عليه الشمس، فو الله لقد نزلت هذه الآية ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ إنما هي طاعة الإمام، وطلبوا القتال ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ﴾ مع الحسين عليه السلام ﴿قَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ ﴿نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعْ الرُّسُلَ﴾ أرادوا تأخير ذلك إلى القائم عليه السلام). وعن أبي عبدالله عليه السلام في قوله: ﴿كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ﴾ قال: (نزلت في الحسن بن علي، أمره الله تعالى بالكف)، ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ﴾ قال: (نزلت في الحسين بن علي، كتب الله عليه وعلى الأرض أن يقاتلوا معه) تفسير البرهان، ج٣ ص١٠٢-١٠٣ تفسير سورة النساء عن الكافي الشريف ج٨ ص٣٣٠.

السلام، ثم الجحد كذلك وهي الفاطمة عليها السلام وقد جحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً[١].

وقد يطلق الاشتقاق بملاحظة السببية والمسببية؛ كاشتقاق المصدر من الفعل، فإطلاق المبدأ على الفعل والمشتق على المصدر والاشتقاق على الصدور إنما هو من باب المجاز تشبيهاً لقيام المشتق بالمبدأ قياماً ركنياً[٢] بقيام الأثر بالمؤثر قياماً صدورياً[٣] في مجرد الاحتياج وعدم الاستقلال، فنسبة المصدر إلى الفعل هي نسبة الأثر إلى المؤثر، والصورة المرآتية إلى المقابل، وهو جزء من سبعين جزء من الفعل[٤]، وكل حروف لفظ المصدر (الضرب) من حروف لفظ الفعل

---

[١]) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً﴾ النمل، ١٤.

[٢]) يقول الشيخ الأوحد قدس سره: (قيام التحقق كقيام الانكسار بالكسر؛ بمعنى أنه لا يتحقق لا في الخارج و لا في الذهن إلا مسبوقاً بالكسر لأنه انفعال الكسر لفعل الفاعِل، إذ لا تعقل الصفة قبل الموصوف، و قد نطلق على هذا أعني القيامَ الثالث القِيام الركني بمعنى أن الانكسار في الحقيقة مادته من نفس الكسر من حَيْثُ هُوَ هو لا من حيث فعل الكاسر، و ذلك كقيام السرير بالخشب قياماً ركنيّاً لأن الخشب هو ركنه الأعظم الذي تقوم به، و الركن الثاني الأسفل الأيسر هو الصورة فلَكَ أن تقول أنه تَقوم بالخشب التقومَ الركني و أن تقول أنه تقوّم بالخشب تَقَوّمَ التحقق) شرح العرشية، ج١ ص٣١٤.

[٣]) يقول الشيخ الأوحد قدس سره: (قيام الصدور: كقيام نور الشمس بالشمس، و معناه قيام الشيء بإيجاد موجدِه بحيث لا يتحقق في مدة أكثر من مدة إيجاده، و ذلك كنور الشمس و كالصورة في المرآة) شرح العرشية، ج١ ص٣١٣.

[٤]) لزيادة إيضاح هذه النقطة ننقل ما كتبه المولى الجليل الشيخ الأوحد قدس سره في بيانها حيث يقول أعلى الله مقامه: (فاعلم أن أول فرد من الأعداد هو الثلاثة، وهو عدد كل فرد من معدن ونبات وحيوان،

وذلك عدد الكيان، إذ كل فرد فله عقل ونفس وجسد، واعلم أيضاً أن أول زوجٍ الأربعة، وكل فرد مما ذكر فهو مربع الكيفية: حرارة ورطوبة وبرودة ويبوسة، فكل فرد فهو ذو سبعة مثلث الكيان مربع الكيفية، فكانت السبعـة هي العدد الكامل، فجرى في الأصول لقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، يجري صنعه بأمرٍ محكم وقضاء مبرم وعلم متقن، فلذلك كانت السماوات سبعاً، والأرضون سبعاً، والأيام سبعة، والأنبياء أولو الشرائع سبعة إلى غير ذلك، والسبعة في مرتبة الأصول والعلل، ثم لما كانت المعلولات في الوجود الثاني بالنسبة إلى عللها فكانت الفاعلية في المرتبة الأولى وهي مرتبة الآحاد وكانت المفعولية في مرتبة العشرات، فكان اعتبار السبعة في الأولى سبعين في الثانية، فكانت العلة في الشدة سبعين والمعلول في الضعف واحداً . فإن قيل: فإذا كانت السبعة في المرتبة الثانية سبعين وهي نسبة رتبة المعلول من العلة ينبغي أن يكون واحداً من عشرة لا واحداً من سبعين، قلنا: لما كان المعلول لا يتكون من سنخ العلة وإنما يتكون من فعلها في رتبته لا في رتبة العلة؛ لأن رتبة الفعل في رتبة المفعول، فإذا قلت: زيد ضرب ضرباً كان ضرب في رتبة ضرباً لأن الفعل إنما قام بزيد قيام صدور لا قيام عروض ولا يستند إلى زيد، وإنما يستند إلى جهة ظهور زيد بالضرب، وذلك هو حقيقة ضرب وهو نفسه، ففي الحقيقة كان ضرب يدور على تلك الجهة على خلاف التوالي وتلك تدور على ضرب على التوالي، فالفعل ظاهره وحقيقته لا يحل بزيد ولا يستند إليه، وإنما أحدثه زيد بنفسه وهو في رُتبة مفعوله الذي هو ضرباً من الوجود وإن كان ضرب متقدماً عليه بالعلية، فلما كان ما تقوم به النور من المنير إنما هو تلك الجهة وهي ظهوره بالنور للنور، لم يكن عشير السبعين وإلا لكان من سنخه فيكون فيه من كل واحد من السبعة الثلاث الكيان والأربع الكيفيات عشرُهُ ولو كان كذلك لكان من ذاته، غاية الأمر أنه أقل منه كمّاً وليس كذلك بل هو واحد من السبعين لأن السبعة لما ظهرت في المرتبة الثانية كانت سبعين وهي مراتب ظهورات السبعة مرتبة أعلاها الأصول وأسفلها جهة الظهور وهو نفس نور الشمس مثلاً بالنسبة إلى نور الكرسي، ونور الكرسي بالنسبة إلى نور العرش، فلهذا كان النور الذي هو نفس ظهور المنير واحداً من سبعين من ضياء المنير لا من ذات المنير، فافهم وفقك الله تعالى) جوامع الكلم، ج٢ ص٥٧٤، رسالة في جواب بعض الإخوان من أصفهان (مطبعة الغدير)، رسائل الشيخ ص١٢٨ (الكويت).

(ض، ر، ب) إذ اللفظ لابد من مطابقته للمعنى لكونه روحه كما قال عليه السلام: **(المعنى في اللفظ كالروح في الجسد)**[1]، فيتفرقان.

والقوم قد خلطوا اشتقاق المقامين وما ذكروا ما في البين، ثم إنك إذا لاحظت ما ذكرت لك خبراً و أحطت به علماً لم يخفَ عليك أن اشتقاق اسم الفاعل والمفعول والصفة المشبه واسمي الزمان والمكان وغيرها من المصدر إنما هو من قبيل الأول لكونها معه في عرض واحد.

[تحقيق في كون المشتق حقيقة في خصوص ما تلبس بالمبدأ أم أنه أعم]

فلما انجر البحث إلى هنا فلا بأس أن نذكر مجملاً من مفصل حقيقة الأمر فيما تنازع فيه الأشاعرة والمعتزلة وجل من الشيعة من أن قيام المبدأ بالمشتق هل هو شرط في صدق المشتق أم لا؟

واختار الأشاعرة الأول، والمعتزلة الثاني، وفصل آخرون بأن المبدأ إن كان من أسماء الأعيان فالمختار هو الثاني كالتمار واللبان والحداد وغير ذلك، وإن كان من أسماء المعاني فالأول كالضارب ونحو ذلك، واستدل المعتزلة

[1] نقل عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: (الروح في الجسد كالمعنى في اللفظ) مستدرك سفينة البحار، ج٤ ص٢١٧.

بصدق إطلاق المتكلم على الله سبحانه مع قيام الكلام بالشجرة، والأشاعرة إذ لم يهتدوا إلى الدليل وضلوا عن سواء السبيل فسلك بهم الشيطان مسلك النيران [اختاروا] القول بأن الكلام كلامان؛ كلام نفسي وهو قائم بذاته تعالى فلهذا يصح إطلاق اسم المتكلم عليه - وقيام المتكلم وغيره من الصفات الثبوتية به تعالى ليست بمعنى أنها عين ذاته تعالى بل هي قديمة كعين ذاته تعالى تابعة لها؛ ولأجل هذا استشهدوا بقوله عليه السلام: **(القرآن ليس بخالق ولا مخلوق وإنما هو كلامه)**[١] نقلته بالمعنى-، وكلام لفظي وهو الذي يظهر في الشجرة أو في لسان جبرائيل أو ملك آخر.

والشيعة لما رأوا فساد الطرفين ولم يجدوا ملجأ من المحذورين تحيروا ووقفوا في البين، وكل ذلك إنما نشأت عن الاعتماد على عقولهم الجزئية الضعيفة زعماً منهم باستقلالها في إدراك هذه المراتب معرضاً عن أخبار الأئمة الأطهار عليهم سلام الملك الجبار، توهماً منهم أنها بين مشكوك ومظنون وأن الظن لا يغني من الحق شيئاً، معاذ الله أن نقول ذلك، نسأله أن يسلك بنا خير المسالك.

ولو قلدوا الموصى إليهم أمورهم   لزمت بمأمون عن العثرات

---

١) عن الحسين بن خالد قال: قلت للرضا علي بن موسى عليهما السلام: يا بن رسول الله أخبرني عن القرآن أخالق أو مخلوق؟ فقال: (ليس بخالق ولا مخلوق، ولكنه كلام الله عز وجل) التوحيد، ص٢٢٣.

أخي خاتم الرسل المصفى عن القذى ومفترس الأبطال في الغمرات[١]

ليت شعري أما قرعت سمعهم القاعدة المحكمة المتقنة المتخذة من كلمات أهل بيت العصمة عليهم السلام وهي: أن كلما تعاور عليه النفي والإثبات، وصح أن تتعلق عليه المشيئة والإرادة، وكلما يذكر ويوجد له ضد فهي من صفات الفعل لا من صفات الذات، وإلا للزم كون الذات منفياً تارة ومثبتاً أخرى، وموجوداً بتعلق المشيئة ومعدوماً بانتفائها، لأن صفات الذات هي عين الذات، ولا شك أن ذلك من صفات الحادثات والخلق والرزق من جملتها؛ لصحة قولك: خلق ولم يخلق، ورزق ولم يرزق، وإن شاء خلق ورزق، وإن لم يشأ لم يخلق ولم يرزق، وكذلك التكلم لأنه إذا أراد أن يكلم موسى على نبينا وآله وعليه السلام ناداه من جانب الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى **﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾**[٢] الآية، ولم يكلم قبل إذ لم يرد، فاتصافه سبحانه بمثل تلك الصفات كالمتكلم والخالق والرازق وغيرها إنما هو بإيجاده وفعله في رتبة فعله لا قبله، دائر مداره نفياً

[١]) من قصيدة للشاعر دعبل الخزاعي، بحار الأنوار ج٤٩ ص٢٤٦.

[٢]) طه، ١٢.

كقول الرضا عليه السلام: **(إن الله تعالى لم يخلق شيئاً فرداً قائماً بذاته)**[١] الحديث، فيصح أن يقال أنه تعالى ليس بخالق لهذا الشيء، وإثباتاً كقوله تعالى: ﴿**وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ**﴾[٢] فيقال خالق وكذلك أمثاله، وأنت إذا تفكرت في نفسك وأنصفت بينك وبينها وبين ربك رأيت تلك القاعدة جارية فيك وفي أمثالك، مميزة ومبينة صفات ذاتك من صفات أفعالك، وعرفت أن اتصافك بأنك تمار أو لبان أو حداد إنما هو بمباشرتك بالتمر واللبن من جهة البيع والشراء والحديد من جهة الصنعة التي هي فعلك، وتلك المباشرة هي التي صارت مبدأً لاشتقاق وصف التمار واللبان والحداد، وتلك الأوصاف قائمة بها قيام تحقق وركن، ثابتة بثبوتها ومنتفية بانتفائها، وأما التمر واللبن والحديد من دون المباشرة أمر براني لا دخل لك في اتصافك حتى يلزم ما ذكرت وإلا فيلزم أن يكون جميع الناس متصفيها وهو كما ترى، وأما إطلاق التمار وغيره على من انتفت عنه المباشرة إنما هو من باب المجاز باعتبار ما كان لصحة قولك أنه ليس بتمار بل كان تماراً، وعلمت أن كلام الفرق الثلاثة خال عن التحقيق كأقوال الباحثين أن بقاء المبدأ شرط في صدق المشتق وقد تفرقوا لست أو سبع

---

١) قال الإمام الرضا عليه السلام: (ولم يخلق شيئاً فرداً قائماً بنفسه دون غيره للذي أراد من الدلالة على نفسه وإثبات وجوده) التوحيد، ص٣٤٥ ب٦٥.

٢) القصص، ٦٨.

فرق بتعدد المذاهب والطرق، إذ كيف لا يكون [كذلك] وهو ركنه وجزؤه الأعظم ومادته. تبصر واغتنم ما تلوت عليك لأنه باب يفتح منه ألف باب.

إلى هنا خرج من قلمه الشريف [المنيف أعلى الله مقامه ورفع في الخلد أعلامه، وكان ذلك بتمام يوم السبت عاشر جمادى الثاني من شهور سنة ١٣٢٣ هجرية][١].

١) لا توجد في نسخة (أ).

بارقة [٢- (في أن الجسم مركب من هيولى وصورة)]

الجسم من حيث ذاته مركب من هيولى وصورة عند الحكماء، لأن الإمكان مساوق للتركيب لا محالة.

والمتكلمون أعرضوا عنه وقالوا ببساطته زعماً منهم أن كل واحد من هيولى وصورة إما بسيط فهو المطلوب، أو مركب فننقل الكلام في جزأيهما كذلك، فإما أن يرجع فهو الدور، أو يترقى لما لا نهاية له فيلزمه التسلسل، أو ينتهي بما ليس بممكن فيلزم تعدد القدماء وكلاهما في البطلان بمكان.

فضاقت عليهم العرصة فقالوا فيه بالبساطة ووقعوا في إثباتها في حيرة على حيرة، حيث قالوا بانتهائه إلى جزء لا يتجزأ وهو المسمى بالجوهر الفرد الغير[1] المنقسم لا طولاً ولا عرضاً ولا عمقاً[2].

ورد أولاً: بأن عدم انقسامه في واحد من الجهات الثلاثة حساً لا يستلزم عدم التركب منهما؛ أي هيولى وصورة عقلاً الذي هو الشائع، ومن ثم ذهب بعض المتكلمين بتركيبه العقلي وإن لم يقل بالحسي.

وثانياً: إن التركيب من الجزء الذي لا يتجزأ مما لا يتعقل؛ لأنك إذا وضعت ثلاث نقاط مثلاً هكذا (...) فالواسطة منها إما أن تكون لها نسبة

---

[1] لا توجد في (ب).

[2] راجع نهاية المرام في علم الكلام، ج٢ ص٤١٧.

بطرفيها فأين البساطة؟ أو لا، بل نسبتها بأحد الطرفين هي عين ما بالطرف الآخر فكيف يمكن التركيب؟ فيلزم أن تكون الأجسام التي ترى بهذا الهيكل العظيم معدومة وهذا كما لا يخفى.

والذي قال بتركيبه من هيولى وصورة وهم المشائيون من الحكماء، فهم بين القائل بتعدد القدماء الخمسة؛ الرب تعالى، والعقول، والنفوس، والهيولى، والصورة، حذراً من الدور والتسلسل، كالأشاعرة حيث قالوا افتخاراً إن النصارى اعتقدوا على قدماء ثلاثة وإنه تعالى ثالث ثلاثة فكفروا ونحن قائلون بالقدماء التسعة ولسنا بكافرين وهي؛ العلم، والقدرة، والحياة، والإرادة، والإكراه، والسمع، والبصر، والكلام، التي هي من صفاته الذاتية سبحانه وتعالى، وبين مقر بقصوره وأنه لا يدري مستريحاً من المحذورين.

ولو قيل بتركيبه من مادة وصورة جوهرين بسيطين اخترعهما خالقهما اختراعاً لا من شيء -إذ لا يزال مخترعاً في صنعه[1]- وألف بينهما مؤالفة تامة، وجعل إحديهما متبوعة والأخرى تابعة، وهاتان هما الجهتان اللتان لا بد للممكن منهما؛ الجهة إلى ربه والجهة إلى نفسه المعبرتان بـ(الوجود والماهية) لم

[1]) عن الإمام الرضا عليه السلام: (الحمد لله فاطر الأشياء إنشاء، ومبتدعها ابتداعاً بقدرته وحكمته، لا من شيء فيبطل الاختراع، ولا لعلة فلا يصح الابتداع) الكافي، ج١ ص١٠٥ باب النهي عن الجسم والصورة.

يلزم شيء مما مضى من الدور والتسلسل وتعدد القدماء، ولكان في سعة ما بين الأرض والسماء؛ لأنه مذهب الأئمة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

ومنه يظهر فساد القول بأن الجسم جوهر بسيط لا تركيب فيه لا حساً ولا عقلاً كما قاله الإشراقيون من الحكماء، إذ قد عرفت أن كل ممكن زوج تركيبي[1]، وقال الرضا عليه السلام: **(إن الله تعالى لم يخلق شيئاً فرداً قائماً بنفسه لما أراد منه من الدلالة عليه)**[2] والسلام.

---

[1]) الأسفار للملا صدرا ج٢ ص١٨٦ الفصل العاشر. شرح العرشية للشيخ الأوحد ج١ ص ٥٩.

[2]) سبق تخريجه.

بارقة [٣- (في الخلاف بين أصالة المادة وأصالة الماهية)]

زعم قوم أصلية الصورة وتبعية المادة لها[١]، اعتماداً على أن الصورة هي ما به الشيء بالفعل والمادة ما به الشيء بالقوة، ولا ريب أن ما بالفعل أشرف مما بالقوة، وقول أمير المؤمنين عليه السلام في جواب السائل عن العالم العلوي: **(صور عالية عن المواد، خالية عن القوة والاستعداد، تجلى لها خالقها فأشرقت، وطالعها فتلألأت، فألقى في هويتها مثاله وأظهر عنها أفعاله)**[٢]، حيث وصفها بالخلو عن القوة والاستعداد اللذين هما من خواص المواد، وأفصح عن شرافتها بعلو رتبتها وسمو خلقها عنها.

وقال آخرون: بأن المادة أصل والصورة فرع تابع لها، فإن المادة جهة التأثير والصورة جهة التأثر، وبعبارة أخرى المادة المعبر عنها بالوجود وجه من ربه، والصورة التي هي الماهية وجه من نفسه، وبعبارة ثالثة المادة ربط الفاعل بالقابل الذي وجود القابل وتحققه منوط عليه إذ المقبول لا بد منه في وجود القابل، والصورة ربط القابل بالفاعل المتوقف ظهور الفاعل عليه، ولا شك

---

١) ذكر الشيخ الأوحد أعلى الله مقامه في كتابه شرح المشاعر جميع الأقوال المتعلقة بالوجود والماهية وناقش الملا صدرا أعلى الله مقامه فراجع تغتنم. شرح المشاعر، ج١ ص١٥٧، شرح المشعر الثالث في حقيقة الوجود.

٢) غرر الحكم، ص٢٣١.

أن ما به التأثير والفعل وما هو جهة من ربه أشرف رتبة وأعلى منزلة مما هو بخلاف ذلك، وقول الصادق عليه السلام أدل دليل و أوثق كفيل لبيان هذا حيث قال: **(إن الله خلق المؤمنين من نوره، وصبغهم في رحمته، فالمؤمن أخ المؤمن لأبيه وأمه؛ أبوه النور، وأمه الرحمة)**، واستشهد بقوله صلى الله عليه وآله: **(اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله؛ أي بنوره الذي خلق منه)**[1].

حيث عبّرَ روحي فداه وعليه السلام في جانب المادة المدلول عليها بلفظة (من) التي لا تدخل في هذه المقامات إلا بالمواد بـ(الخلق) وهو إيجاد كون الشيء ووجوده، وفي جانب الصورة بـ(الصبغ) وهو اللون الطاري للنور الغير المتحقق بدونه، ثم فسرهما بالأب والأم المعلوم تفاوت مراتبهما شرافة ودناءة، ثم عينهما ثالثاً بقوله: **(أبوه النور، وأمه الرحمة)** لئلا يتوهم أحد أن الرحمة هي الأب والنور هي الأم كما توهموا وجعلوا الأصل هي الصورة، ثم بين رابعاً بقوله عليه السلام: **(اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله؛ أي بنوره الذي خلق منه)** أن فراسته ومعرفته[2] وإدراكه التي بها شرافة الإنسان إنما هي بنوره الذي هو مادته وما خُلق منه، بأبي هم وأمي كيف بينوا سبل الهدى وأوضحوا الرشد من الردى، فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تُصرفون.

---

[1]) بصائر الدرجات، ص ٩٩ ب١١.

[2]) في نسخة (ب): في معرفته.

والجواب عن قولهم أن ما بالفعل أشرف مما بالقوة؛ أن القوة والفعل إنما يلاحظان قبل التركيب لا في حال التركيب ولا بعده، كالخشب مثلاً في قوته أن يكون سريراً أو ضريحاً قبل اتصاله بالصورة السريرية والضريحية، أما حين اتصاله بهما فكل منهما أي الخشب والصورة السريرية أو الضريحية ركن لتحقق السرير والضريح ووجودهما بالفعل، بل توقفهما بالخشب أشد وأقوى من توقفهما بالصورة إذ هما لا يوجدان بدون الخشب؛ لأنه مادتهما، وبدون الصورة لكونها ركناً لهما مع أنها لا توجد إلا بالخشب، على أن الأشرفية والأخسية إنما تصدقان إذا لوحظتا في شيء واحد باعتبار حالتيه كالخشب الذي صار سريراً أشرف مما بقي في الخشبية لأن الشيء كماله بظهوره.

وعن الحديث الشريف أن مراده عليه السلام أن العالم العلوي صور عالية رتبة عن المواد العنصرية التي شأنها القوة والاستعداد وإن كانت لها أيضاً مواد، لكن مادة كل مرتبة من جنسها، ففي النفس نفسانية، وفي الروح روحانية، وفي العقل عقلانية، وهكذا. فإذن لا دلالة له في شيء على أن صور المواد العنصرية بل مطلق الصورة المحتاجة في تحققها إليها أشرف وأعلى منزلة منها كما لا يخفى، انتهى.

بارقة [٤-(في تحقيق مسألة المعاد)]:

اعلم أنه لما كانت مسألة المعاد من أهم المسائل اعتقاداً، وأصعبها مسلكاً، وأدقها مدركاً، وأكثرها تشاجراً ونزاعاً، فالناس بين منكره رأساً[1]، ومتوقف فيه معترف بعجزه ومقر بعيِّه، وقابل به، وذلك القائل[2] بين مقر بعود الأرواح فقط دون الأجسام مقيماً على استحالة عودها البرهان، أو توقف في عودها ومعتقد بعودهما معاً وإن لم يفِ عليه الدليل عقلاً، أو يفي بعود الأرواح دون الأجسام إلا أن الشرائع الإلهية والكتب المنزّلة من عهد آدم إلى الخاتم صلى الله عليه وآله وعليهم وسلم مشحونة من ذكر عودها، حاكمة بالاعتقاد عليه والإذعان له وموعدة على من أنكر وجحد وشك فيه فلا بد أن يتلقى بالقبول تعبداً وتسليماً، وموقن لحشرهما ونشرهما وما يجري عليهما من الميزان والحساب والثواب والعقاب؛ لما علّمه الله سبحانه بتعليم أوليائه، ووفقه بالتأسي لأنبيائه وأصفيائه بالرجوع إليهم، والأخذ منهم، فأقام بعين الله البرهان، ودفع الإشكال بأتم البيان، منتهياً به إلى الحس والعيان، وليست قرية وراء عبادان، فلا بد من تنقيح أصل المطلب وإثبات ما هو المذهب من تقديم

---

[1]) راجع في الأقوال المذكورة كتاب (مناهج اليقين في أصول الدين) للعلامة الحلي قدس سره، المنهج التاسع في المعاد، ص٤١٧

[2]) هكذا جاء في كلا المخطوطتين، والظاهر أنها: القابل.

مقدمة لا يصح الكلام فيه بدونها، ولا يتضح المرام عند تركها، وهي في ذكر نبذة من إطلاقات الجسم والجسد ومعانيهما لغةً واصطلاحاً وفي ألسنة القوم وخطابات أهل بيت العصمة والطهارة، فنقول:

[معنى الجسم والجسد لغة و اصطلاحاً]

قال في القاموس: (الجسد، محركة: جسم الإنسان والجن والملائكة، والزعفران ... وعجل بني إسرائيل، والدم اليابس)[1]، وفي مجمع البحرين: (قوله تعالى: **﴿عِجْلاً جَسَداً﴾** أي ذا جسد، أي صورة لا حراك[2] فيها، إنما هو جسد فقط، أو جسداً بدناً ذا لحم ودم)، ثم قال: (والجسد من الإنسان بدنه وجثته، والجمع أجساد)[3]، وفي كتاب الخليل: (لا يقال لغير الإنسان من خلق الأرض جسد وكل خلق لا يأكل ولا يشرب نحو الملائكة والجن فهو جسد)[4]، وفي البارع مثل ذلك[1]، وقال في القاموس: (الجسم جماعة البدن أو

---

[1]) القاموس المحيط، ج١ ص ٢٨٣.

[2]) في النسخة المطبوعة من مجمع البحرين: لا روح.

[3]) مجمع البحرين، ج١ ص٣٧٤.

[4]) هكذا النص في المخطوطة، وفي كتاب العين المطبوع جاء النص هكذا: (لا يقال لغير الإنسان جسد من خلق الأرض، وكل خلق لا يأكل ولا يشرب من نحو الملائكة والجن مما يعقل فهو جسد) كتاب العين، ج٦ ص٤٧.

الأعضاء ومن الناس و سائر الأنواع العظيمة الخلق، كالجسمان بالضم جمع أجسام وجسوم)[٢]، وفي مجمع البحرين: (في الحديث تكرر ذكر الجسم قيل هو كل شخص مدرك ... وعن أبي زيد الجسم جسد)[٣].

والمشهور من كلام العلماء المفسرين أن الجسد هو جسم الحيوان الظاهر المُشاهد، وعند أهل الصناعة يُطلقون الجسد في محاوراتهم على المعدن كالمعادن السبعة الذهب والفضة والرصاصين والنحاسين والزئبق، وفي اصطلاح أرباب المعقول الجسم بقول مطلق هو المتحيز الذي يقبل القسمة في الجهات الثلاث، وهو إما مطلق بسيط لا تركيب فيه كما قيل وهذا يسمى جسماً من حيث هو[٤] جوهر وذاته، ويسمى هيولى من حيث قبوله الصورة النوعية، وإما تعليمي والمراد منه الصورة والمقدار خاصة سموه بذلك لأنهم يعلمون فيه أولادهم الهندسة التي هي الحدود والخطوط لا غير، وإما طبيعي لتعلق البحث فيه من حيث الطبيعة.

---

[١]) قال في البارع: (لا يقال الجسد إلا للحيوان العاقل، وهو الإنسان والملائكة والجن، ولا يقال لغيره جسد إلا للزعفران والدم إذا يبس) البارع، ص٧١٤.

[٢]) القاموس، ج٤ ص ٩٠.

[٣]) مجمع البحرين، ج١ ص٣٥٧.

[٤]) لا توجد في نسخة (أ).

وفي التخاطب الواقع بينهم[1] عليهم السلام يطلقون الأجساد[2] والأشباح بمعنى واحد وهي الصورة، وقد تطلق على الأجسام وبالعكس، وقد يطلق الروح على الجسم وبالعكس، وقد يفترقان بإطلاق كل منهما على معنى غير الآخر، وبالجملة من تدبر زياراتهم لا يخفى عليه أنهما إذا اجتمعا فيها افترقا، وإذا افترقا اجتمعا وكذلك الجسم والجسد.

[معنى المعاد]

ثم اعلم أن المعاد الذي اختلف فيه الآراء وتبلد فيه أذهان الأذكياء إن كان المراد منه المصير إلى الله والرجوع إلى أمره فهذا مما لا يكاد أن يوجد فيه شاك فضلاً عن منكر، وأن المعاد اسم مكان من العود أو مصدر ميمي بمعناه، ومعنى العود لا يصدق ولا يتحقق إلا بالرجوع إلى ما مر به وسافر منه، وإن كان نوعاً فالمعاد هو المكان الذي منه بدأ الشيء وسافر إليه، يكون مصيره ومرجعه في كل شيء بحسبه، وهذا هو الشارع وهو الذي بعث جميع الأنبياء والأولياء لتبليغه على رعاياهم وأممهم، وأمروا بالاعتقاد عليه، وهذا الأمر وإن كان جارياً في جميع الأشياء لكن لما كان الإنسان أشرفها وعمدتها وإنها لأجله خلقت كما في الحديث القدسي: **(يا بن آدم خلقت الأشياء لأجلك وخلقتك**

---

[1] في (ب): منهم.

[2] في (ب): الأجسام.

لأجلي، لا تضيع ما خلقته [لأجلي فيما خلقته لأجلك](١)، وكان المعاد من مقتضى التكليف ومسبباته، والإنسان كونه مكلفاً مُسلَّمٌ عند الكل فلهذا جعلوه مطرحاً للأنظار ومسرحاً للأفكار.

[الرأي الأول: المنكرون للمعاد وأدلتهم]

فبعضهم أنكر معاده مطلقاً وتمسك بأمور:

الأول: إن الأشياء شؤوناته تعالى لا ثبات لها ولا دوام أصلاً بل متجددة في كل حين بغيرها، لأنه تعالى كل يوم في شأن، فلا يتعقل ولا يتحقق معنى المعاد فيها؛ لما تبين أن العائد هو الشيء الواحد السائر في مراتبه نزولاً وصعوداً حتى وصل إلى ما منه بدأ، والحال إن الشؤونات كل واحد منها غير الآخر.

والثاني: إن الأشياء متغيرة الحالات ومتجددة الإضافات والتعلقات، وعودها إما بجميع الحالات أو ببعضها؛ فالأول خلاف الضرورة والبداهة لمعلومية اضمحلالها وانعدامها وفنائها آناً فآن، والثاني منافٍ لما هو المراد من المعاد كما مر .

---

(١) ما بين المعكوفتين لا يوجد في (ب). لم أجد الرواية كاملة وإنما صدر الحديث فقط وهو: (عبدي خلقت الأشياء لأجلك، وخلقتك لأجلي) الجواهر السنية، ص٣٦١.

والثالث: إن المعاد عند قائليه إما الجنة أو النار، والجنة كما يقولون أكبر وأعظم من السماوات والأرضين بمراتب لا تتناهى، وتلك الجنة الموعودة[١] إن كانت موجودة الآن فأين مكانها، إذ العرش وما فيه لا يسعه كما قلتم؛ لأن أقل شيء أعطاه الله عز وجل لعبده المؤمن إنما أعطاه جنة عرضها السماوات والأرض، فضلاً عن طوله، فضلاً عن عطاياه العظيمة ونعمه الجسيمة، وغير العرش قد أثبتنا بالبراهين العقلية القطعية والضرورة أن ليس في الكون جسم سوى العرش وما فيه حتى يتخيل كون الجنة فيه، وإن كانت سيوجد بعد هذا في النشأة الأخرى فما معنى المعاد إذ لم يبدأ منه حتى يعود إليه؟

---

١) في (ب): الموجودة.

[الرأي الثاني: القائلون بالمعاد الروحاني وأدلتهم]

وطائفة منهم أقر بالمعاد له روحاً، واستند بالأدلة العقلية و النقلية كما سيجيئ في استدلال مثبتيه مطلقاً، لكن أنكر معاده جسماً لوجوه:

الأول: الشبهة المعروفة بشبهة الآكل والمأكول، حيث قال أنّا نفرض أن إنساناً أكل جميع أفراد الإنسان وصار جزء بدن له، فإذن العائد إما الآكل فلا يتصور عود المأكولين لكونهم جزء له ومقوماً إياه، وإما المأكول فكل الأكل لا يمكن عوده لكونه المركب منه المنتفي بانتفاء الجزء وهو المأكول، فإذن المعاد يلزم من فرض وجوده عدمه وهو المحال.

والثاني: إن الإنسان ما لم يتنزل في هذا العالم الجسماني ليست له حالة منتظرة وكان له كمال الفعلية وكل مراداته ومطالبه حاصلة له يفعل ما يشاء، ثم لما تنزل وسافر من مقامه الأصلي حصل في كل مرتبة حجاب عن مرتبته التي فوقها، حتى وصل إلى هذا العالم فصار محجوباً عن موطنه الأصلي ومنزله الحقيقي رأساً وانقلبت فعليته إلى القوة، وقدرته إلى العجز، وكماله إلى النقصان التي هي من لوازم عالم الأجسام، لأنه هيولانيه محضة وقوة صرفة فإذا أراد الرجوع من سفره والعود إلى مبدئه والترقي إلى مقامه فلا بد أن يضع الجسم في محله ويترقى بروحه وإلا فيمتنع ترقيه ولا يفيده عوده.

والثالث: ثالث أدلة المنكرين مطلقاً.

[الرأي الثالث: القول بأن المعاد الجسماني ثابت شرعاً لا عقلاً]

وجماعة أنصفوا وأقرّوا بعجزهم عن إقامة الدليل عقلاً على إثبات المعاد الجسماني، بل يدل الدليل على عدمه وامتناعه، لكن لما ثبت من الشرع أن المعاد لابد من وقوعه وأنه يكون بالجسم فوجب علينا الاعتقاد عليه والتدين به تعبداً وإن لم نعرف برهانه، ونحن نقيم إن شاء الله ولا قوة إلا بالله على وجوده البرهان عقلاً ونقلاً إجمالاً وتفصيلاً .

[الدليل العقلي الإجمالي على المعاد الجسماني]

أما الدليل العقلي الإجمالي؛ إن الأشياء كلها مكلفة لقوله تعالى[١] لاختلافها بالحسن والقبح، والشرافة والدناءة، وذلك الاختلاف إما من الله تعالى حيث جعل بعضها حسناً وبعضها قبيحاً وهكذا فيلزمه الظلم والجبر والترجيح بلا مرجح تعالى الله عما يقولون **﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾**[٢] **﴿وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾**[٣]، وإما من نفس الأشياء واختيارها وقد خلقها الله على ما هي عليه وأعطاها ما سألوه عنه بلسان استعدادهم، وذلك الاختيار مساوق

---

١) قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ الإسراء، ٤٤

٢) فصلت، ٤٦.

٣) الكهف، ٤٩.

للتكليف حيث عرّفهم وهداهم النجدين؛ نجد الخير والسعادة والحسن، ونجد الشر والشقاوة والقبح، وخيرهم بينهما وكلفهم بأخذ النجد الأيمن وترك الأيسر، وهداهم السبيل إما شاكراً وإما كفوراً، ولا شك أن الدار دار تكليف، والتكليف لا بد له من جزاء لئلا يلزم اللغو والعبث المنافيان للحكمة؛ الموجبان للنقص في فعل الكامل على الإطلاق من جميع الوجوه، فلا بد من دار غير تلك الدار ليعودوا إليها، وتجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم والله سريع الحساب.

[إلى هنا خرج من قلمه الشريف المنيف قدس الله نفسه القدسية، وطيّب الله روحه الزكيّة، ونور الله مضجعه بحرمة خير البرية، وكان إتمام النسخة الشريفة يوم الإثنين، اثنا عشر جمادى الثاني من شهور سنة ١٣٢٣ هجرية][1].

---

(1) لا توجد في (أ).

بارقة [٥- (في تقسيم الأشياء إلى خمسة أقسام وإبطاله)]

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين[١]

اعلم أن القوم قسّموا الأشياء على خمسة أقسام:

[١،٢] الواجب لذاته ولغيره؛ كالباري تعالى، وكوجود الشيء عند وجود علته التامة.

[٣،٤] الممتنع لذاته كشريك الباري، ولغيره كامتناع الشيء عند عدم علته التامة.

[٥] والممكن لذاته كالموجودات.

وهذا القول مردود بوجوه:

الأول: بأن القسمة لا بد فيها من وجود المقسم المشترك بين الأقسام المنتزع منها، فيلزم أن يكون بين الواجب وغيره جهة خاصة متميزة بالوجوب والامتناع والإمكان، وهذا مما لا خفاء في بطلانه لاستلزامه التركيب والفقر الممتنع من الأزل، الممتنع من الحدوث.

---

(١) لا توجد في المخطوطة (ب).

والثاني: أن القسمة فرع انتزاع المقسم المسبوق للإدراك؛ المستلزم للمناسبة بين المُدرِك والمُدرَك وإلا يلزم إدراك كل شيء كل شيء وذلك بديهي البطلان. ألا ترى أن المبصرات مدركة بالبصر، والأصوات بالسمع دون العكس، وليت شعري أي نسبة بين الممكن والواجب والممتنع! والممكن حقيقته الفقر والاحتياج والحدوث، والواجب هو الغني الأزلي **﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾**[1]، والممتنع هو العدم الذي لا ذكر له بوجه من الوجوه[2] فكيف يمكن تصوره وتعقله، و(**إنما تحد الأدوات أنفسها، وتشير الآلات إلى نظائرها**)[3].

والثالث: أن قولهم الممكن لذاته إن أرادوا أن إمكانه من نفسه لا بإيجاد الغير كما هو الظاهر وذلك هو الواجب لا الممكن لأنه معناه هو الفقير، وإن أرادوا أنه موجود ممكن بإيجاد الغير فما معنى قولهم لذاته!

والرابع: إن الشيء بوجود علته وعدمه لا يخرج عن الإمكان، فتسميته واجباً أو ممتنعاً إن كان من باب الاصطلاح فلا مشاحة فيه، وإن كان بحسب الواقع فهو بمعزل عن التحقيق وعن البطلان بمكان؛ لأن الممكنات

---

[1] محمد صلى الله عليه وآله، ٣٨.

[2] في (أ): الوجود.

[3] الاحتجاج، ج١ ص٣٠٥.

كلها قبل وجودها ممتنعة لعدم علته التامة، وبعد وجودها واجبة لوجودها، وذلك مستلزم أن لا يكون في الوجود شيء ممكن والضرورة قاضية ببطلانه.

ثم قسموا الإمكان العام الذي هو سلب الضرورة عن الطرف المقابل أنه إن كان مقيداً بطرف الوجود فعدمه ليس بضروري ووجوده إن كان ضرورياً فهو الواجب الدائر مدار الضرورة إن كانت بذاتها فلذاته، وإلا فالوجوب لغيره كالأشياء الموجودة بوجود علتها التامة، وإن لم يكن ضرورياً فالإمكان الخاص وإن كان مقيداً بطرف العدم فالطرف المخالف وهو الوجود ليس بضروري، أما الطرف الموافق فهو إما ضروري بقسميه فهو الممتنع بقسميه لذاته ولغيره، أو ليس بضروري فالإمكان الخاص.

ولا يخفى على الناظر إليه بعين الإنصاف معرضاً عن الجور والاعتساف أنه من السخافة والخرافة بمكان غني عن البيان من جعل الإمكان قدراً جامعاً وجهةً مشتركةً بين الواجب تعالى الذي ليس له حد ولا رسم ولا اسم، والذي ليس بكل ولا كلي، ولا جزء ولا جزئي، لا في شيء، ولا فيه شيء، والممكن المحتاج الثابت له كل ما ذكر وغيره من النقائص،

والفقر الممتنع في الواجب كما قال عليه السلام: **(ما يجب في الخلق يمتنع في الحق، وما وجب في الحق يمتنع في الخلق)**[١] وذلك معنى الرواية.

ومما يجب في الممكن التركيب من جهة عامة مشتركة ومن جهة بها الامتياز المستلزم [لـ]جميع النقائص من كونه محدوداً متناهياً ومحتاجاً إلى جهتي الامتياز والاشتراك وغير ذلك، فكيف يمكن ذلك في الواجب، تعالى عن ذلك علواً كبيراً .

وأيضاً إن المصادر كلها عندهم من الأمور الاعتبارية، حيث قالوا بأن الشيء إما خارجي فمعلوم، أو ذهني وهو عين الخارجي مع قطع النظر عن المشخصات الخارجية أو ظله -على الخلاف- أو النفس الأمري وهو الأمر المنتزع الصادق عليهما غير موجود فيهما كالأربعة فإنها شيء موجود في الخارج خارجي وفي الذهن ذهني لكن الزوجية فهي منتزعة منها وليس وجودها إلا باعتبار المعتبر وغير ذلك من كلامهم الصريح في أن المصادر أمر اعتباري، وأن الإمكان ليس بشيء وإنما الشيء هو الممكن.

وفيه مع أن المشتق لا وجود له ولا تحقق إلا بالمبدأ، والمبدأ إذا لم يكن شيئاً متحققاً فالمشتق بطريق أولى، إذ الواجب الذي هو فرد من الإمكان القائم

---

[١] ورد في الرواية عن الإمام الرضا عليه السلام: (فكل ما في الخلق لا يوجد في خالقه، وكل ما يمكن فيه يمتنع من صانعه) التوحيد، ص٤٠.

باعتبار المعتبر على قولهم يلزم أن يكون أمراً اعتبارياً كلما اعتبره فهو شيء مؤثر في الأشياء وموجدها، وإذا لم يعتبر ففي زاوية خمول العدم مستريح، نعوذ بالله من العمى بعد الهدى.

فلما انجر الكلام إلى هنا فلا بأس أن نحقق المسألة لرفع الشبهة المختلجة في النفوس الضعيفة:

فاعلم أن المشتق فرع المشتق منه، لا وجود ولا تحقق له إلا به كالضارب المشتق من الضرب المتحمل حروفه من (الضاء، والراء، والباء) التي لا تحقق للضارب إلا بها، وكذلك في المعنى، لأن معنى الضارب الذات الظاهرة بالضرب، والقائم الذات الظاهرة بالقيام، فالضرب والقيام مقومان لهما قوام ركن وتحقق فكيف يتصور كون الركن الذي لا يوجد الشيء بدونه أمراً اعتبارياً موقوفاً باعتبار المعتبر وجوداً وعدماً، والحال أن المركب منه شيء خارجي متأصل بحيث لا تأثير فيه للاعتبار أصلاً، أولا ترى قول الصادق عليه السلام الصريح في المقصود: **(العبودية جوهرة كنهها الربوبية)**[1] حيث عبّر عليه السلام عن العبودية وهي مصدر بأنها جوهرة، ولا شك أن الجوهر أمر أصيل كما عرّفوه بأنه موجود لا في الموضوع، ووجود في نفسه لنفسه، وقول أمير المؤمنين عليه السلام حين سأله كميل بن زياد عن الحقيقة: **(كشف**

---

[1]) تفسير الصافي، ج٤ ص٣٦٥، سورة فصلت.

سبحات الجلال من غير إشارة)، ثم قال: **(محو الموهوم مع صحو المعلوم)**، ثم **(جذب الأحدية لصفة التوحيد)**، ثم **(هتك الستر لغلبة السر)**[1]، حيث أجاب عليه السلام وروحي فداه عن الحقيقة التي هي الأصل والمتبوع وسائر الأشياء تابعة وفروع لها لا توجد بدونها بالمعنى المصدري في الفقرات كلها تنبيهاً على أن المصدر هو الأصل الأصيل والمشتقات به تأصلت وتحققت ودفعاً للأوهام السخيفة.

---

(١) نور البراهين، ج١ص٢٢١ .

بارقة [٦- (في رد شبهة ابن كمونة)]

في رد الشبهة المشهورة بشبهة ابن كمونة[1] التي اعترف الفحول وأقر أرباب العقول على عجزهم دونها، وبقائها وعدم رد أحد عليها وإيضاحه ما يرد عليها.

وهي أنه لِمَ لا يجوز أن يكون في الأزل هويتان بسيطتان مجهولتا الكنه مختلفتان بتمام الحقيقة، يكون كل منهما واجب الوجود لذاته ويكون مفهوم الوجود منتزعاً منهما محمولاً عليهما حملاً عرضياً أي لا ذاتياً حتى يلزم التركيب مما به الاشتراك وما به الامتياز المستلزم للحدوث بالضرورة عند العقل وبالاتفاق من الكل.

ومبنى هذه الشبهة أن القوم تمسكوا في إثبات التوحيد بأنه لا شك أن كل مركب حادث، وأن كل ممكن زوج تركيبي من وجود وماهية، فلا بد أن ينتهي إلى بسيط بحت لم يكن فيه شائبة التركيب سلامةً من الدور والتسلسل الباطلين بمشاهدة الحس والعيان.

---

[1]) هو سعد الدين بن منصور بن سعد بن الحسن بن هبة الله بن كمونة ، له عدة كتب في المنطق والحكمة والكيمياء، توفي سنة ٦٩٠ هـ [الذريعة، ج٢ ص٩٧]. إلا أن الملا صدرا يقول أن هذه الشبهة أوردها السهروردي في كتاب المطارحات تصريحاً وفي التلويحات تلميحاً ثم ذكرها ابن كمونة واشتهرت باسمه، راجع الأسفار المتعالية ج٦ ص٦٣.

وهذا الدليل لا يثبت وحدته، وإنما الثابت منه أنه لا بد من وجود بسيط، وتعدده إذا كان بحيث لا يكون الوجود ذاتياً لهما بل أمراً منتزعاً منهما ومفهوماً عرضياً لهما كالماشي بالنسبة إلى الإنسان والفرس وسائر أنواع الحيوان فإنه مفهوم خارج عن ذاتها ومقول عليها قولاً عرضياً لا ينافي البساطة.

وأجاب عنهما الآخوند ملا صدرا[1] في كتابه الكبير الأسفار: (أن الشيئين المتباينين من جميع الجهات، المتمايزين من كل الحيثيات لا يمكن انتزاع مفهوم واحد منهما، كما لا يمكن انتزاع مفاهيم كثيرة من شيء بسيط من جميع الوجوه)[2].

وهذا الجواب متين غاية المتانة دافع للشبهة بتمامها وقامع أسها إلا أنه مخالف لما ذهب إليه في الكتاب في موضع آخر في بيان إثبات صفاته تعالى الذاتية: (إن السمع، والبصر، والحياة، والعلم، والقدرة، وغيرها مفاهيم منتزعة من ذات بحت واحد بسيط لا كثرة فيه ولا تعدد لا فرضاً ولا وهماً ولا

[1]) محمد بن إبراهيم بن يحيى الشيرازي الشهير بملا صدرا وبصدر الدين، ولد في شيراز، وتتلمذ على يد الشيخ البهائي، والمير السيد محمد باقر الداماد، له العديد من المؤلفات منها المشاعر والعرشية و الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة. [راجع فلاسفة الشيعة ص٣٨٦. الكنى والألقاب، ج٢ ص٤١٠].

[2]) راجع جواب الملا صدرا في الأسفار، ج٦ ص٥٨ ٦٢.

اعتباراً ولا جهةً، فهذه الصفات متعددة مفهوماً، ومن حيث المصداق كلها واحد كمال الوحدة الحقة ونهاية البساطة الصرفة)[١].

إن كان قوله هذا تاماً -وليس بتام كما سيأتي بيانه إن شاء الله- فالشبهة المذكورة باقية غير مندفعة، وإن كان الحق قوله السابق -وهو هكذا- فالشبهة مدفوعة.

والجواب الحق الحقيق بالتصديق:

أما أولاً: أن ذلك الوجود المفهوم المنتزع منهما إما مطابق بالمصداق وموافق له فيكون الوجود ذاتياً لهما مشتركاً بينهما فلا بد مما به الامتياز فيكون مركباً فيكون حادثاً فيلزمنا إثبات وجود [ليس بمركب ولا حادث][٢] بل يكون بسيطاً قديماً غنياً، أو ليس مطابقاً له فليس بمفهوم له؛ لأن المفهوم والمنتزع لابد أن يكون موافقاً للمصداق والمنتزع منه، وإلا فلغو وباطل لا دخل له بالمصداق الخارجي .

وثانياً: أن قوله مقولاً عليهما قولاً عرضياً يثبت بطلان قوله وخلاف مقصوده، لأن العارض لا يوجد ولا يتحقق بدون المعروض، وذلك المعروض

---

١) يقول الملا صدرا رحمه الله: (فهذه الأسماء والصفات وإن كانت متحدة مع ذاته تعالى بحسب الوجود والهوية، فهي متغايرة بحسب المعنى والمفهوم) الأسفار، ج٦ ص١٤٨ .

٢) في (ب) : ليس بمركب حادث.

إما موجود فيلزم ما ذكر من التركيب والحدوث، أو معدوم فيلزم وجود العارض ولا معروض، مع أنه صرح بخلافه حيث قال: (يكون كل واحد منهما واجب الوجود لذاته أو يقال ليس بموجود ولا معدوم) فذلك أقبح وأفضح.

ومن هذا يعلم بطلان القول بأن اشتراك الوجود بين الحق والخلق باعتبار المفهوم [إن طابق](1) لا بمعنى أن مفهوم الوجود المتخذ منهما مشترك بينهما لا الوجود الذاتي لهما حتى يلزم ما ذكر بأن المفهوم إن طابق المصداق فحكمه حكم الاشتراك المصداقي، وإن خالفه فليس مفهوماً له ومنتزعاً منه، بل أمر براني خارجي لا حكم له، والسلام خير ختام.

---

(1) لا توجد في (أ).

بارقة [٧- (في رد قول الفخر الرازي في أن التكليف بما لا يطاق جائز)]

قال الإمام الرازي[١] في إثبات جواز التكليف بما لا يطاق بل إثبات وقوعه: (إن الله سبحانه عالم بجميع الأشياء وشؤوناتها وحركاتها قبل أن يخلقها، وعالم بأن أبا لهب لا يؤمن أبداً وقد كلفه بالتوحيد والإيمان، ونهاه عن الشرك والعصيان، فأبو لهب إن أمكنه أن يؤمن به ويوحده فيلزم كونه سبحانه جاهلاً، وإلا فثبت المطلوب)[٢]، ثم قال: (يا أرباب الاعتزال لو جهدتم جهدكم وبالغتم غاية سعيكم لما وجدتم لأنفسكم المجال للتفصي عن هذا الإشكال والقول بأحد المحذورين؛ جواز التكليف بما لا يطاق، وبالمحال،

---

[١]) أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسين الرازي، المعروف بالفخر الرازي، ولد سنة (٥٤٤ ه) وقيل (٥٤٣ هـ)، و توفي في عيد الفطر سنة (٦٠٦هـ)، له العديد من المصنفات من أهمها التفسير الكبير المعروف بمفاتيح الغيب، والمحصل، والمطالب العلية. [الكنى والألقاب ج٣ ص١٣].

[٢]) نص عبارة الفخر الرازي: (أن من صور النزاع قبح تكليف ما لا يطاق، فنقول: لو كان قبيحاً لما فعله الله تعالى، وقد فعله بدليل أنه كلف الكافر بالإيمان مع علمه أنه لا يؤمن، وعلمه بأنه متى كان كذلك كان الإيمان منه محالاً، ولأنه كلف أبا لهب بالإيمان ومن الإيمان تصديق الله تعالى في كل ما أخبر عنه، ومما أخبر عنه أنه لا يؤمن، فقد كلفه أن يؤمن بأنه لا يؤمن وهو تكليف الجمع بين الضدين) المحصل، ص٢٠٢.

والقول بما ذهب إليه هشام بن الحكم إن الله تعالى لم يعلم قبل أن يخلق الأشياء من العدم)[١].

ثم حاولوا الأصحاب الجواب عن هذه الشبهة، والخروج عن تلك الحيرة فما وصلوا في حلها المنهج، وضاق في نقضها عليهم المخرج، وأجاب عنها المحقق الطوسي[٢] رحمه الله بأن الأشياء ليست بمعلولة لعلمه تعالى حتى لا يمكن للعلم التخلف عنه فيلزم ما ذكر[٣].

وأنت إذا دققت النظر وأمعنت الفكر رأيت كلامه في غاية المتانة وكلام المجيب في نهاية الركاكة لا تعلق له على كلام الباحث بل هو باقٍ على ما كان عليه من عدم الانحلال كما قال؛ لأن علمه تعالى إما المراد منه علمه الحادث والمجيب لا يعتقده ولا يسلّمه، أو القديم وهو عين ذاته تعالى وعلة الأشياء عنده هو الذات فإذن لا يمكنها التخلف والشذوذ عن العلة فيلزمه الإشكال كما تراه، فالباحث على دعواه.

---

١) يقول الفخر الرازي: (و لو اجتمع جملة العقلاء لم يقدروا على أن يوردوا على هذا الوجه حرفاً إلا بالتزام مذهب هشام وهو أنه تعالى لا يعلم الأشياء قبل وقوعها) شرح المواقف، ج٨ ص١٥٥.

٢) العلامة نصير الدين أبو عبدالله محمد بن محمد الطوسي، ولد بطوس سنة (٩٠٧ هـ)، له العديد من المؤلفات منها: شرح الإشارات، والتجريد في المنطق، توفي في ذي الحجة سنة (٧٠٢ هـ). مقدمة كتاب المحصل، تحقيق: طه عبد الرؤوف

٣) راجع المحصل، ص ٢٠٢.

[إلى هنا خرج من قلمه الشريف المنيف أعلى الله مقامه، ورفع في الخلد أعلامه، ونور الله المرقد، وكان ذلك يوم الإثنين سنة ١٣٢٣][1]

[1] لا توجد في (أ).

بارقة [٨- (في أن ذات الله ليست مادة للأشياء)]

اعلم أن الله سبحانه ليست ذاته مادة للأشياء؛ ضرورة استلزامه التجزي والتغير[1] المستلزمين للحدوث الممتنع من الأزل الممتنع من الحدث، وأنه ليس شيء آخر غيره في الأزل ليوجد منه الأشياء؛ لما يلزمه من تعدد القدماء الذي اتفق العقلاء على امتناعه؛ لاستلزامه التركيب لله تعالى مما به الاشتراك وهو القديمية، ومما به الامتياز المستلزم للحدث الممتنع من الأزل الممتنع من الحدث. بل إنما خلقها بنفسها لا من شيء لأنه المخترع، والاختراع هو الإيجاد لا من شيء كما فسّره عليه السلام به[2].

ولما كان هذا المعنى بعيداً عن الأذهان عسير الإدراك على الإنسان بيَّنه الملك المنان مرة بمقال البيان بلسان حججه وأوليائه عليهم الصلاة والسلام ما كرَّ الأعوام والأيام حيث قال الرضا عليه السلام ليونس: **(أو تدري ما المشيئة ؟ قال: لا. قال: هي الذكر الأول)**[3] الحديث. وقال عليه السلام: **(إرادته**

---

[1]) لا توجد في (ب).

[2]) عن الإمام الرضا عليه السلام: (الحمد لله فاطر الأشياء إنشاء، ومبتدعها ابتداعاً بقدرته وحكمته، لا من شيء فيبطل الاختراع، ولا لعلة فلا يصح الابتداع) الكافي، ج١ ص١٠٥ باب النهي عن الجسم والصورة.

[3]) راجع نص الرواية كاملة في كتاب الكافي، ج١ ص١٥٨.

إحداثه لأنه تعالى لا يفكر و لا يهم ولا يروي، فإذا أراد شيئاً إنما يقول له كن فيكون)[1] نقل بالمعنى.

وتارة ببيان الحال في إيجاد الإنسان الأفعال بنيته في جميع الأحوال، [و] لو تخلى الإنسان في نفسه عن جميع ما سوى الله ونظر بعين فراسته وهو وجوده الذي أعطاه الله رأى الأمر أوضح من الشمس وأبين من الأمس، رأى أن جميع ما في قبضته وحيطته من الحركات والسكنات والشؤونات والأوضاع والإضافات والأسباب والمسببات وجميع أنحاء التعلقات إنما هي موجودة و محدثة بعزمه ونيته، ويرى أن تلك النية ليست خارجة عن ذاته وإلا لتعددت ذاته، إذ هو لم يزل ولا يزال ناوياً عازماً لكونه منشئاً وفاعلاً دائماً، ولا عن شيء آخر غير الذات، بل إنما أحدثها بنفسها لا من شيء، وأن لها هيمنة وسلطنة على جميع ما تحت تصرفها وفي قبضتها وإيجادها وإعدامها ومنها بدأت وإليها تعود.

ويرى أيضاً أن الذات من حيث أنه غني عنها لا ذكر ولا وجود لها في رتبة الذات أصلاً **(كان الله ولم يكن معه شيء)**[2] [و] الآن على ما عليه كان؛ وإنما ذكرها ووجودها في مرتبتها، وأن موصوفية الذات بكونها ناوياً وشائياً ومريداً وفاعلاً ومحدثاً وغيرها من الصفات الفعلية كلها في مرتبة الفعل،

---

[1]) راجع نص الرواية في الكافي، ج١ ص١٠٩.

[2]) الفصول المهمة في معرفة الأئمة، ج١ ص١٥٤ ب١٢ ح٢٨.

ضرورة اشتقاقها من مبادئها التي هي النية والمشيئة والإرادة والفعل والإحداث.

وضرورة أن المشتق يدور حيثما دار المبدأ وجوداً وعدماً، فقبل العزم لا اسم لها ولا رسم ولا صفة وليست بموصوف ولا مسمى، وإلا يلزم وجود أحد المتضايفين بدون الآخر.

وتلك القبلية وكذلك البعدية إنما وجدتا بالنية لأنهما من حدود المقيد ومشخصات المتناهي، فأول التقيد والتناهي هي النية لا غير، وقبلها الذي هو نفس النية لا تقيد ولا تناهي ولا كم ولا كيف ولا أين، إذ كيّف الكيف وأيّن الأين وعيّن الحدود والقيود والتشخصات والتعينات، فقبليتها وبعديتها والقبلية والبعدية منها عين نفسها كما أن قبليتها عين بعديتها وبعديتها عين قبليتها.

وبالجملة فالذات هو الذات البحت البات لا ربط له بالأشياء ولا نسبة ولا اسم ولا صفة كما قال عليه السلام: **(إن الله خلو من خلقه، وخلقه خلو منه)**[1]، **(غني في الأول والآخر، مستغن في الظاهر والباطن)**[2].

---

[1]) التوحيد، ص ١٠٥.

[2]) مفاتيح الجنان، ص١٢٨ دعاء العديلة.

ثم خلق أولاً العزم والإرادة بنفسها[1]، وخلق الأشياء بها كما في الخطبة: **(وأقام الأشياء بأظلتها)**[2] أي بوجودها، وماهيتها على أحد المعاني، وفي الدعاء: **(كل شيء سواك قام بأمرك)**[3]**،** وهذا هو غاية الكمال أن يقيم ويحدث الأشياء كلها في أزمنتها وأمكنتها من غير ربط ونسبة بينها وبينه تعالى أصلاً بوجه من الوجوه ومن دون استغنائها عنه تعالى بوجه من الوجوه كما قال عليه السلام: **(إن الله ليس خلو عن الملك قبل إنشاء الملك)**[4]. نعم ما قال في الشعر الفارسي:

با این همه چون وچند بیجو سنت

لو تتفكر في نفسك تهتدي إلى أسرار الخلقة وتحل مكنون الأمر في التنزيه والتوصيف خالياً عن التعطيل والتشبيه.

---

[1] في الكافي، ج١ ص١١٠، باب الإرادة وأنها من صفات الفعل، قال الإمام الصادق عليه السلام: (خلق الله المشيئة بنفسها، ثم خلق الأشياء بالمشيئة).

[2] عن حماد بن عمرو النصيبي قال سألت جعفر بن محمد عليهما السلام عن التوحيد فقال: (واحد، صمد، أزلي، صمدي، لا ظله يمسكه، وهو يمسك الأشياء بأظلتها) بحار الأنوار، ج٤ ص٢٨٦.

[3] بحار الأنوار، ج٨٧ ص١٤٨ ، دعاء آخر ليوم السبت.

[4] ورد في الرواية عن أبي جعفر عليه السلام: (لا كان خلواً من الملك قبل إنشاء الملك، ولا يكون منه خلواً بعد ذهابه) أصول الكافي، ج١ ص ٨٨، باب الكون والمكان.

دواؤك فيك وما تشعر وداؤك منك وما تبصـــر
وأنت الكتاب المـــبين الذي بأحرفه يظهر المضمر[١]

كما قال تعالى: **﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾**[٢]، قال عليه السلام: **(أي موجود في غيبتك وحضرتك)**[٣]، وقال تعالى: **﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾**[٤]، فتبصر بصرك الله تعالى .

---

١) أبيات منسوبة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، راجع التفسير الصافي ج١ ص٩٢.

٢) فصلت، ٥٣.

٣) تفسير الصافي، ج٤ ص٣٦٥، سورة فصلت.

٤) الذاريات، ٢١.

بارقــة: [٩- (في قاعدة أن الواحد لا يصدر عنه إلا الواحد)].

اتفق الحكماء على أن الواحد لا يصدر عنه إلا الواحد؛ باعتبار استلزام تعدد الصادر تعدد المصدر بلحاظ كونه مصدراً لهذا ومصدراً لذاك فينافي الواحدية، وبتلك القاعدة يثبتون العقول العشرة، بأن الصادر عن الله تعالى هو العقل الأول فحسب، وذلك العقل وإن كان بسيطاً لا تركيب له ولا تعدد في الواقع إلا أنّه قد حصل له التعدد اعتباراً؛ اعتبار إلى الرب تعالى واعتبار نفسه واعتبار الربط والجمع بينهما.

فمن الاعتبار الأول خلق وصدر العقل الثاني وهو عقل الفلك الأطلس، ومن الثاني نفسه، ومن الثالث جسمه، وهكذا الفلك الثامن بالنسبة إلى التاسع، عقله من عقله، ونفسه من نفسه، وجسمه من جسمه، وهكذا تنازلاً إلى الفلك الأول فلك القمر، ويقال لعقله: العقل الفعال.

ويرد عليه:

أولاً: أن كلمة (لا يصدر) فعل مستقبل منفي يقتضي استمرار النفي وثباته ودوامه، وذلك يستلزم سلب القدرة عنه تعالى إذ لا يقدر على إصدار المتعدد، وقد قال سبحانه أنه على كل شيء قدير وأنه يفعل كيف يشاء.

وثانياً: أن المصدر إما فعله تعالى فلزوم تعدده من تعدد الصادر لا يلزم منه محذور أصلاً لإمكان فعله وحدوثه، وإما ذاته سبحانه فحينئذ جهة كونه مصدراً إما جهة كونه ذاتاً فيلزم أن يكون ذاته تعالى هو المصدرية وهذا من البطلان بمكان، وإما غيره فيلزم المحذور بمجرد الصدور وإن كان الصادر واحداً، وما قاعدتهم هذه إلا كالضريع لا يسمن ولا يغني من جوع.

ولو قيل أنه تعالى كامل من جميع الوجوه لا يتطرق عليه شيء من النقائص لا ذاتاً ولا فعلاً، وأن الوحدة والبساطة أشرف وأقدم من الكثرة بالبديهة؛ فوجب في الحكمة أن يكون فعله تعالى واحداً وأبسط ما في الإمكان وفي الشرافة والحسن غاية ما كان ولا يقدر أحد أن يقول لو كان كذا لكان أحسن مما كان، كيف لا يجب وقد زجر وهدد خلقه بتركهم الأولى بقوله الحق: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾[1].

ولو قيل أن الواحد لم يصدر عنه إلا الواحد لكان أسلم عما يرد على قولهم من المحذورات من نفي القدرة عنه ولزوم الإلجاء والإيجاب في فعله وثبوت الكثرة بل التجزئة له، تعالى ربنا عن ذلك علواً كبيراً.

---

[1]) البقرة، ٤٤.

ومن هنا يظهر الجواب من استدلال بعضهم على وحدة الوجود[1] حيث قال أن الصادر عنه سبحانه إما بعضه فيلزم التجزئة والنقصان، وإما

[1]) من العقائد الفاسدة الاعتقاد بوحدة الوجود ووحدة الموجود، يقول الملا صدرا رحمه الله: (فكل ما ندركه فهو وجود الحق في أعيان الممكنات، فمن حيث هوية الحق هو وجوده، ومن حيث اختلاف المعاني والأحوال المفهومة منها المنتزعة عنها بحسب العقل الفكري والقوة الحسية فهو أعيان الممكنات الباطلة الذوات، فكما لا يزول عنه باختلاف الصور والمعاني اسم الظل كذلك لا يزول عنه اسم العالم وما سوى الحق وإذا كان الأمر على ما ذكرته لك فالعالم متوهم ماله وجود حقيقي فهذا حكاية ما ذهبت إليه العرفاء الإلهيون والأولياء المحققون) [الأسفار، ج٧ ص٢٩٤]، ويقول الملا محسن الفيض الكاشاني رحمه الله: (فالأعيان الثابتة هي الصور الأسمائية المتعينة في الحضرة العلمية وتلك الصور فائضة من الذات الإلهية بالفيض الأقدس) [الكلمات المكنونة، ص٣٧]. وغيرها من الأقوال الباطلة المأخوذة من الصوفية والتي تخالف منهج محمد وآله الطيبين الطاهرين عليهم أفضل صلوات المصلين. وقد تصدى علمائنا لهذه الكلمات المزخرفة والعقائد الباطلة، ومن كلماتهم في إبطال هذه المزخرفات، نذكر منها:

١-العلامة الحلي: (الضرورة قاضية ببطلان الاتحاد؛ فإنه لا يعقل صيرورة الشيئين شيئاً واحداً، وخالف في ذلك جماعة من الصوفية من الجمهور: فحكموا بأنه تعالى يتحد بأبدان العارفين، حتى تمادى بعضهم وقال: إنه تعالى نفس الوجود؛ وكل موجود فهو الله تعالى، وهذا عين الكفر والإلحاد، الحمد لله الذي فضلنا باتباع أهل البيت عليهم السلام دون الأهواء المضلة) كشف الحق ونهج الصدق، ص٥٧.

٢-الشيخ الحر العاملي: (إن بطلان هذا الاعتقاد [أي وحدة الوجود] من ضروريات مذهب الشيعة الإمامية؛ [فـ]لم يذهب إليه أحد منهم، بل صرحوا بإنكاره، وأجمعوا على فساده، وشنعوا على من قال به؛ فكل من قال به خرج عن مذهب الشيعة فلا تصح دعوى التشيع من القائل به، وهو كاف لنا في هذا المقام، كما لا يخفى على ذوي الأفهام) الاثنا عشرية في الرد على الصوفية، ص٥٩.

٣-الشيخ جعفر كاشف الغطاء: (الكافر قسمان، أولهما: الكافر بالذات، وهو: كافر بالله تعالى أو نبيه... القسم الثاني: ما يترتب عليه الكفر بطريق الاستلزام: كإنكار بعض الضروريات الإسلامية والمتواترات

غيره فيلزم كونه محلاً للإمكان ومدخلاً ومخرجاً لكل ما كان، فلا بد من القول بأن الصادر نفسه المتنزل الساري في مراتب الأكوان، غافلاً عن لزوم ما هو أفسد وأشنع من اللازم لهما؛ من لزوم الانتقال من مكان إلى مكان وهو أنه تعالى عن كونه مصدراً للأشياء، بل هو سبحانه أوجدها بكمال عزته واستطالة قدرته، أوجدها وأحدثها لا من شيء ولا لشيء في أزمنة وجودها وأمكنة حدودها، وأقامها بنفسها و أظلتها قيام ركن وتحقق كما قال عليه السلام: **(يا من أقام الأشياء بأظلتها)**[1]، وبفعله قيام صدور.

فتفطن ولا تغفل وإياك والخطل.

[إلى هنا خرج من قلمه الشريف المنيف أعلى الله مقامه، ورفع في الخلد أعلامه، ونور الله ضريحه، وكان ذلك إتمام هذه النسخة الشريفة المنيفة للعالم الرباني والفرد الصمداني العالم العيلم ومن أراد منه شيء والله هو كريم محمد باقر بن محمد سليم عاملهما الله بلطفه العميم يوم الثلاثاء جمادى الثاني في الثالث عشر، من شهور سنة ١٣٢٣ هجرية][2].

عن سيد البرية: كالقول بالجبر والتفويض والإرجاء والوعيد، وقدم العالم وقدم المجردات، والتجسيم والتشبيه بالحقيقة، والحلول والاتحاد ووحدة الوجود أو الموجود أو الاتحاد) كشف الغطاء، ج١ ص١٧٣.

[1]) سبق تخريجه.

[2]) لا توجد في (أ).

[بارقة١٠ – (في مسألة الوجود)]

القول في مسألة الوجود؛ التي اضطربت فيها الآراء، واختلفت الحكماء، و لابد في تحقيقه من بيان الأقوال وما فيها، وتمييز غثها من سمينها، لاستخراج الحق من بينها.

[إطلاقات الوجود]

فاعـــــلم أولاً بأن له إطلاقان:

مرة يطلق ويراد منه المعنى المصدري.

ومرة يطلق ويراد منه الشيء البسيط المتأصل المعبّر عنه بالفارسية بـ(هست).

أما الأول: فهو إما رابطي؛ وهو الأمر المنتزع الذي بإزائه مستقل؛ كالفوقية المنتزعة من الفوق الحاصل في الذهن المنتزع من الفوق الخارجي، وكالكلية المنتزعة من الإنسان المتعقل في الذهن الحاصل من الإنسان الكلي الخارجي الواقعي، على القول بأن الكلي الطبيعي موجود في الخارج غير وجود أفراده.

وإما نسبي؛ وهذا أعم من الرابطي لإطلاقه على ما ليس بإزائه شيء مستقل كالكلية المذكورة، على القول بأن الكلي الطبيعي وجوده وجود

أشخاصه، وكالامتناع المنتزع من الممتنع الموهوم الذي لا ذكر له بنحو من أنحائه، وذلك المعنى المصدري يسمونه بالأمر[١] الاعتباري الذي لا وجود له متأصل ولا تحقق محصل، بل هو أمر تابع باعتبار المعتبر إن اعتبره ثبت وإلا فلا، وسخافته مما لا يخفى لكل من يرى وسنشير إليه في موضعه إن شاء الله تعالى.

وأما الثاني؛ وهو الأمر البسيط المتحقق، فقسموه على ثلاثة أقسام بأن الوجود إما أن يكون لذاته بذاته في ذاته فهو الوجود الواجب، أو يكون لذاته في ذاته بغيره فهو الجواهر؛ كما قيل في تعريفه بأن الجوهر موجود لا في الموضوع، أو يكون لذاته في غيره بغيره فهو الأعراض، ومن هنا عرفوه بأن العرض موجود في الموضوع، أما القسم الرابع منه وهو كونه لغيره في غيره بغيره المسمى بالروابط فهو القسم الأول للمعنى المصدري، والأمر الإعتباري وهو النفس الأمر في اصطلاح القوم.

---

١) لا توجد في (ب).

[التنازع في مسألة الوجود ومنشأه]

ثم اختلفوا في أن الوجود والماهية أيهما أصل والآخر تابع، فذهب قوم بأن الوجود أصل والماهية تابعة موجودة بوجوده، وهم الإشراقيون، والآخرون بالعكس وهم المشائيون.

ومن جملة ما تنازعوا فيه أن الوجود هل يمكن تعريفه أو يمتنع؟ ذهب إلى كل فريق، فالقائل بامتناعه تمسك على أن تعريف الشيء إما بالحد بقسميه أو بالرسم كذلك، وكلها موجودة في تعريف الوجود، بها يلزم الدور، وبأن المعرِّف لا بد أن يكون أجلى من المعرَّف ولا شيء أجلى من الوجود حتى يعرف به.

والقائلون بالإمكان بين مدعٍ لبداهته، وذاهب إلى نظريته، أو مدعي البداهة، فبعضهم ذهب إلى بداهة كونه بديهياً مستدلاً بأن كل من له أدنى تمييز يعرف بأن الأشياء موجودة ليست بمعدومة، وهذا أمر بديهي لا ينبغي أن ينكر.

والبعض الآخر إلى كونه نظرية بديهياً وتمسك بأنه لا يعرف الوجود إلا بعد مقابلته بالعدم، ومعرفة أنها ليست معدومة ثم يحكم بأنها موجودة.

ولا يخفى ما في هذا الاستدلال من أن المقابلة أمر إضافي، والإضافة لابد فيها من وجود المتضائفين المستلزم كون العدم شيئاً محدوداً بالمقابلة، ولا

ريب أن كل محدود موجود فيلزم أن ينقلب العدم ويصير موجوداً وهذا مما لا خفاء في بطلانه.

ومن ذهب إلى نظريته محتجاً بأن الاختلاف والنزاع لا يكون إلا فيما يحتاج إلى الفكر وترتيب المقدمات، والأمر البديهي لبداهته مانع عن التشاجر والاختلاف .

اختلفوا أيضاً في أن نظريته بديهية أم نظرية؟ ولكل قائل.

ولا يخفى عليك أن منشأ هذا التشاجر والتنازع ليس إلا بأن القول[1] الوجود قدر جامع بين الواجب والممكن، وكل منهما فرد له، وإلا فبعد القول بأن الواجب لا جهة جامعة ولا قدر مشترك بينه وبين الممكن فلا يبقى للنزاع مجال.

فتعريف الواجب للممكن بحقيقته، وآثاره، وحدوده، ورسومه، بإيجاده بديهي غاية البداهة، وتعريف الممكن للواجب تعالى مما لا شبهة في امتناعه لأنه لا سبيل له إليه **(الطريق مسدود، والطلب مردود)**[2].

نعم ينبغي أن يوصف الواجب تعالى كما وصف به نفسه بالوصف المقالي بلسان أنبيائه وأوليائه، وبالوصف الحالي في صحائف الوجود من أنه لا

---

[1]) هكذا جاء في النسخ المخطوطة، والظاهر أن العبارة هكذا: ليس القول إلا بأن الوجود.

[2]) جزء من خطبة الدرة اليتيمة، راجع كتاب ملحق نهج البلاغة لأحمد بن يحيى بن ناقة الكوفي، ص٣٥.

حد له ولا رسم، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: **(وبتجهيره الجواهر عرف أنه ليس بجوهر، وبتشعيره المشاعر عرف أنه لا مشعر له، وبمضادته بين الأشياء عرف أن لا ضد له، وبمقارنته بينها عرف أن لا قرين له)**[١].

وبقي هنا شيء لا بد في تحقيقه من بيان قاعدة وهي:

أن اللفظ إذا استعمل في معنى واحد فقط فلا شك في أنه حقيقة، وإلا لزم كونه مجازاً بلا حقيقة، والإجماع من الكل على خلافه، وإذا استعمل في معان متعددة فلا يصار إلى كونه في بعضها مجازاً إلا مع فقدان علائم الحقيقة، ووجود المناسبة، وإلا فإما أن تكون بينها جهة جامعة ملحوظة في الوضع وذلك إذا كانت المعاني في مرتبة واحدة فهو المشترك المعنوي، أو لا بل كل واحد منهما وضع اللفظ بإزائه بوضع على حدة فيكون بينها كمال المباينة لمكان الخصوصية المستلزم لها وهو المشترك اللفظي، وأما إذا لم تكن جهة جامعة، ولا المباينة مع وجود علائم الحقيقة من التبادر، وعدم صحة السلب، والاطراد، وغيرها، فهو حقيقة بعد حقيقة.

---

١) نص الرواية: (بتشعيره المشاعر عرف أن لا مشعر له، وبتجهيره الجواهر عرف أنه لا جوهر له، وبمضادته بين الأشياء عرف أن لا ضد له، وبمقارنته بين الأشياء عرف أن لا قرين له ضاد النور بالظلمة، والجسو بالبلل، والصرد بالحرور، مؤلف بين متعادياتها، مفرق بين متدانياتها، دالة بتفريقها على مفرقها، وبتأليفها على مؤلفها، وذلك قوله عز وجل: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾) التوحيد، ص٣٠٨.

ففيما نحن فيه إن لفظ الوجود يطلق تارة على الواجب تعالى، وأخرى على الممكن، وليس بينهما قدر جامع ليكون مشتركاً معنوياً كما قاله البعض -العياذ بالله-، ولا مباينة تامة لكون أحدهما مؤثراً والآخر أثراً حتى يكون مشتركاً لفظياً كما قاله الآخر، والعلائم المذكورة كلها موجودة فإطلاقه على الممكن حقيقة بعد حقيقة.

وكذلك القول في كل عالٍ وسافلٍ أطلق عليهما لفظ واحد، والوضع فيه من قبيل الوضع الخاص والموضوع له العام الذي ذهب القوم كلهم إلى امتناعه زعماً منهم أن الوضع لا بد فيه من تصور المعنى الموضوع له إما بنفسه - وذلك إذا كان آلة اللحاظ والمعنى شيئاً واحداً كلياً فكلاهما كليان كالأنواع والأجناس أو جزئيا فجزئيان كأعلام الأشخاص على قولهم- أو بغيره إجمالاً وذلك الغير لا يكون إلا أمراً كلياً منتزعاً من الأمور الكثيرة الجزئية المتصورة بواسطة هذا الأمر الكلي المنتزع منها المشترك بينها، وأما الجزئي المبائن لسائر الجزئيات بسبب الشخصية وقيد الخصوصية فلا يمكن من تصوره تصورها حتى يصح أن يكون الوضع خاصاً والموضوع له عاماً، بخلاف العكس فإنه يمكن تصور الأفراد في ضمن الكلي إجمالاً فيصح أن يكون الوضع عاماً والموضوع خاصاً كالمبهمات عند بعضهم، وهنا كلام طويل ليس لذكره مجال فليطلب في محله .

[الأدلة في القول بأن الوجود أمر كلي مشترك بين الحق والخلق]

والذي ذهب إلى أن الوجود أمر كلي مشترك بين الحق والخلق استدل بوجوه؛

الأول: أن البينونة إما بينونة عزلة وهي أن يكون بين المتباينين مباينة تامة وكمال الضدية بحيث لا يكون بينهما جهة جامعة، أو بينونة صفة وهي أن يكونا متحدين ذاتاً والمغايرة لا تكون إلا في الصفة وحدها، وأن البينونة التي بين الحق والخلق هي الثانية لا غير لقول الرضا عليه السلام: **(توحيده تمييزه [عن خلقه]، وحكم التمييز بينونة صفة لا بينونة عزلة)**[1].

والثاني: أنه لا شك أن الله سبحانه عالم بالأشياء قبل إيجادها، وأن العلم لا يتصور بدون المعلوم، فالأشياء لا بد أن يكون لها نحو وجود، ففي غير الذات لا يمكن للزوم تعدد القدماء الذي تبطله أدلة التوحيد فلا بد أن يكون في الذات بنحو أشرف.

والثالث: أن خطاب لفظة (كن) مع عدم وجود المخاطب لا يجوز لقبح الخطاب بالمعدوم، ولا يمكن أن يكون في الإمكان حتى يلزم تحصيل الحاصل، ولا في شيء غير الواجب والإمكان كما قاله المعتزلة ليلزم تعدد

---

(١) بحار الأنوار،ج٤ ص٢٥٣ ب٤ ح٧.

القدماء، بل كان موجوداً في الواجب، فبعد تعلق الخطاب ظهر في عرصة الإمكان.

والرابع: أن معطي الشيء لا يكون فاقده، والأشياء كلها عطية منه تعالى فلا بد أن يكون موجوداً فيه حتى يعطيه ويؤيده قوله عليه السلام: **(إن الله ليس خلواً عن الملك قبل إنشاء الملك)**[١].

والخامس: أن التنزيه بلا تشبيه يستلزم التحديد، والعكس يستلزم التجسيم، والجمع هو التوحيد، كما قال قائلهم:

فإن قلت بالتشبيه كنت محدداً وإن قلت بالتشبيه كنت مجسماً

وإن قلت بالأمرين كنت موحداً وكنت إماماً في العالمين وسيداً[٢]

مستشهداً بقوله تعالى: **﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾**[١]، وقول الصادق عليه السلام: **(الجمع بلا تفرقة زندقة، والتفرقة بلا جمع تعطيل، والجمع بينهما توحيد).**

---

١) سبق تخريجه.

٢) الأبيات لشيخ الصوفية محي الدين بن عربي وقد جاءت بالشكل التالي:

فإن قلت بالتنزيه كنت مقيداً وإن قلت بالتشبيه كنت محدداً

وإن قلت بالأمرين كنت مسدداً وكنت إماماً في المعارف سيداً

راجع شرح فصوص الحكم للقيصري، ج١ ص٤٢٤ فص حكمة سبوحية في كلمة نوحية.

والسادس: ما قاله صاحب الأسفار وفيه من أن لفظ الوجود إذا أطلق لا يفهم منه أهل العرف إلا معنى واحداً، ولذا إذا كرر في شعر عد مستهجناً دون سائر الألفاظ المشتركة في الإطلاق على المعاني الكثيرة المختلفة من حيث المعنى.

[الميزان في معرفة الحق من الباطل]

ولا يخفى عليك أن منشأ هذه التخيلات والتمويهات عدم الاعتناء بالآيات والروايات مع صراحتها في إبطال هذه الموهومات، استدلالاً بأن الكتاب والسنة والأخبار كلها من حيث الدلالة ظنية وإن كان بعضها من حيث الصدور قطعياً، والأصول والعقائد لا بد فيها من القطع وهو لا يحصل إلا بالعقل، ومن هنا إذا كان دليل العقل مخالفاً ومعارضاً للنقل فلا يعتمدونه من حيث أن الظني لا يعارض القطعي ولا يقاومه، وفي صورة الموافقة لا يذكرونه إلا من باب التأييد والتقوية للعقل، غفلة عما لو كان كلما يدرك بغير طريق اللفظ قطعياً عقلياً لما وقع الاختلاف في الآراء في محل واحد من حيث أن بعضاً منهم يثبت قدم العالم، وآخر حدوثه، وثالث يجمع بينهما، ورابع

---

(١) الشورى، ١١.

ينفي، ولا ريب أن الواقع الحق أحد الأقوال إن كان لامتناع اجتماع الضدين وإن كان يمكن أن يكون الحق غيرها .

فإذن لا بد من ميزان ليعرف به الحق من الباطل والمدرك بالعقل من المدرك بالشيطنة، أوما قرع سمعك قول الصادق عليه السلام حين سئل عن العقل فقال: **(العقل ما عبد به الرحمن واكتسب به الجنان)**، وقال الراوي يا سيدي فالذي في معاوية ؟ قال عليه السلام: **(تلك الشيطنة، تلك النكراء)**[1].

وذلك الميزان إما الاتفاق أو ما يؤول إليه، كما روى يحيى بن أكثم عن الكاظم عليه السلام: **(أمور الأديان اثنان؛ أمر لا اختلاف فيه، وأمر فيه اختلاف، فما ثبت لمنتحليه من كتاب مستجمع على تأويله أو سنة عن النبي صلى الله عليه وآله لا اختلاف فيها، أو قياس تعرف العقول عدله، ضاق لمنتحليه الإنكار له والرد عليه، وما لم يثبت لمنتحليه من كتاب مستجمع على تأويله أو سنة النبي صلى الله عليه وآله لا اختلاف فيها، أو قياس تعرف العقول عدله وسع خاص الأمة وعامها الرد عليه والإنكار له فما ثبت لك**

---

[1]) أحمد بن إدريس عن محمد بن عبد الجبار، عن بعض أصحابنا رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: (ما العقل؟ قال: ما عبد به الرحمن واكتسب به الجنان، قال: قلت: فالذي كان في معاوية ؟ فقال: تلك النكراء ! تلك الشيطنة، وهي شبيهة بالعقل، وليست بالعقل) الكافي، ج١ ص١١.

برهانه اصطفيته، وما خفي عليك بيانه نفيته، وهذا من العرش إلى أرش الخدش)[١] .

فكلما خالف ضرورة المذهب، وبداهة العقل والكتاب المستجمع على حجيته، والسنة المتفق عليها، فهو باطل، وعن درجة الاعتبار عاطل، فالمتبع ليس إلا المتفق عليه من الكتاب والسنة، وضرورة المذهب، أو ما يرجع إليه مما يدركه العقل.

[الجواب الإجمالي على القائلين بالاشتراك المعنوي بين الحق والخلق]

والجواب عن قولهم بالاشتراك المعنوي أما إجمالاً؛

أولاً: بأن الاشتراك المعنوي واللفظي وغيرهما كلها فرع الوضع قطعاً، والوضع لا يكون إلا للإفادة والاستفادة اللذين هما فرع الإدراك، والواضع إن كان هو الله سبحانه فوضع اللفظ لنفسه لإفادة نفسه واستفادتها مما لا معنى له، ولإفادة الغير واستفادته يستلزم كونه سبحانه مُدْرَكا للغير، وهذا مما يبطله العقل والنقل.

وإن كان الواضع غيره فكيف يوضع اللفظ لذاته تعالى وشرطه تصور الموضوع له، وإدراك الشيء ما وراء مبدئه محال .

١) راجع نص الرواية في الاختصاص للشيخ المفيد ص٥٨. بحار الأنوار ج٢ ص٢٤٠.

فثبت أنه تعالى لا يمكن أن يكون موضوعاً له فلا يجري عليه ما هو من أحكام الوضع ولوازمه من الاشتراك المعنوي كما ذهب إليه القوم، واللفظي كما قاله الآخر، والحقيقة والمجاز كما مال إليه شيخنا البهائي[1].

وثانياً: أنه لو كان الوجود مشتركاً صادقاً على الحق تعالى وغيره للزم كونه مركباً مما به الاشتراك وما به الامتياز والكل متفق على أن كل مركب حادث ومحتاج إلى أجزائه لا يقوم بدونها والله هو الغني وأنتم الفقراء.

والقول بأن ما به الاشتراك فيه سبحانه عين ما به الامتياز سخيف غايتها فإن الامتياز إن كان بنفس الذات وجهة امتيازه نفس ذاته لا غير فلا اشتراك، وإن كان عرضياً فيلزم التركيب المستلزم لجميع المفاسد.

وأيضاً يلزم أن يكون الخلق قسيماً وضداً للحق لكونهما قسمين للوجود، ولا شك أن صدور الضد عن الضد مما لا خفاء في بطلانه، مع أن المضادة أمر نسبي قائم بالمتضادين ومربوط بهما، والحق سبحانه لا مرابطة ولا مناسبة بينه وبين خلقه، لأن النسبة لا بد فيها من الاتحاد في الرتبة حتى تتحقق إحدى النسب الأربع من التباين، والتساوي، والعموم مطلقاً، ومن وجه،

---

١) الشيخ محمد بن الشيخ حسين بن الشيخ عبد الصمد الحارثي العاملي، المعروف بالشيخ البهائي، ولد سنة (٩٥٣هـ)، له العديد من المؤلفات منها مفتاح الفلاح في الأدعية، الحبل المتين، وغيرها، توفي في أصفهان سنة ١٠٣١ هـ ونقل إلى طوس ودفن بها [الكنى والألقاب، ج٢ ص١٠٠].

تعالى ربنا عن ذلك علواً كبيراً، وصريح في ذلك قول الرضا عليه السلام: **(ضاد النور بالظلمة، والجف بالبلل، والبهم بالجلاءة، والبرد بالحرور، وبمضادته بين الأشياء عرف أن لا ضد له، وبمقارنته بين الأمور عرف أن لا قرين له، مؤلف بين متعادياتها، مفرق بين متدانياتها، ومن هنا قوله تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾)**(١).

وثالثاً: أن الوضع يستلزم الاقتران بين الاسم والمسمى الذي هو أحد الأكوان الأربعة؛ من الحركة، والسكون، والاقتران، والافتراق، المجمع على حدوثها، وذلك يستلزم إما حدوث الأزل لأن مقارن الحادث حادث، أو قدم الحادث والضرورة قاضية ببطلانهما.

ولا يخفى عليك بعد الإحاطة بما سبق خبراً بطلان القولين الآخرين الاشتراك اللفظي، والحقيقة والمجاز، من أنه لا يمكن وجود المناسبة بينه وبين خلقه؛ لاستلزامها السنخية، وكون الحادث قديماً، أو عكسه، وهذا كما ترى، والمجاز لا بد فيه من المناسبة، والعلاقة بينه وبين المعنى الحقيقي، المشهورة بينهم المعدودة .

والمشترك اللفظي لا بد فيه من البينونة والضدية بين المعنيين والحق سبحانه لا ضد له، ولا مرابطة بينه وبين خلقه، مع استلزام الاشتراك أن يحيط

---

١) تقدم تخريج الرواية

أخس الأشياء مرتبة وأدناها منزلة بذاته سبحانه و الله سبحانه **(لا تحيط به العقول، كما لا تحيط به الأوهام، بل تجلى لها بها، وبها امتنع منها وإليها حاكمها)**[١].

[الجواب التفصيلي على القائلين باشتراك الوجود بين الحق والخلق]

وأما الجواب عن أدلتهم وعلى الترتيب تفصيلاً:

[فالأول:] إن استدلالهم بالحديث الشريف عن أمير المؤمنين عليه السلام: **(توحيده تمييزه عن غيره وحكم التمييز بينونة صفة لا بينونة عزلة)**[٢]، من حيث أن البينونة بين الشيئين إن كانت بحسب ذاتهما ومقتضاهما فهي بينونة عزلة لانعزال كل منهما عن الآخر كما في المشترك اللفظي وتلك محال فيه تعالى، لا شبهة فيها وإن لم تكن ناشئة من ذاتهما بل من جهة الصفة والخصوصية فهي بينونة الصفة، وما المراد من الاشتراك معنى إلا هذا؛ مردود بأن تفسير العزلة واختصاصه بما ذكر مما يشهد العرف على بطلانه وعمومه لاستعماله فيما كانت البينونة من حيث الصفة على معنى ذكرتموه كما يقال في الثوبين المتحدين جنساً ونوعاً، المختلفين نفاسة ودناءة أن هذا معزول عن ذلك أي من حيث الصفة.

---

[١]) الاحتجاج، ج١ ص٣٠٥. نهج البلاغة، ج٢ ص١١٥خ١٨٥.

[٢]) سبق تخريجه.

والحق الحقيق عند التحقيق هو أن المراد بالبينونة عزلة الضدية مطلقاً ذاتاً كما في المشترك لفظاً أو صفةً كما في المشترك معناً فبنفيهما نفيا معاً.

ويكون المراد من البينونة صفة في قوله عليه السلام كون الغير صفةً وأثراً له سبحانه والأثر والصفة ليست بينهما وبين الموصوف والمؤثر ضدية مطلقاً حتى يلزم الاشتراك لفظاً أو معنى.

فقوله عليه السلام: **(حكم التمييز بينونة)** إشارة إلى أن لا تساوي ولا اتحاد بينه وبين الغير ولا عموماً وخصوصاً مطلقاً أو من وجه لاستلزامهما الاجتماع والاتحاد ولو في بعض المقامات المنافي للبينونة، وذكر الصفة إشارة إلى نفي الضدية والمبائنة الكلية فظهر عدم المناسبة بينهما مطلقاً.

والثاني: أن الخطاب على المعدوم قبيح فلا بد من وجود المخاطب وقت الخطاب إما في الإمكان فيلزم تحصيل الحاصل، أو في شيء سوى الإمكان والأزل فيلزم تعدد القدماء، فلابد أن تكون الأشياء في ذاته سبحانه بنحو أشرف كوجود النار في الحجر أو الثمرة في الشجر أو الأعداد في الواحد فإذا تعلق بها الخطاب من رب الأرباب خرجت من زاوية الخمول في الأزل إلى ساحة الإمكان.

وجوابه بعد الإغماض عما يرد عليه والإعراض عما يستلزمه لما سيأتي إن شاء الله مفصلاً فيما بعد أن الواجب إنما هو وجود المخاطب حين الخطاب

لا قبله حتى يلزم عليه المفاسد العظيمة ويحتاج إلى التفوه بالمزخرفات الباطلة، بل لا يمكن فرض وجوده قبل الخطاب؛ لأن المخاطبية -بالفتح صفة لا تتحقق إلا بالخطاب دائرة مداره وجوداً وعدماً فوجود المخاطب مساوق لوجوده، فوا عجباً ألم يروا إلى قوله عز وجل: **﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾**[1]، فقوله: **﴿أَمْرُهُ﴾** مبتدأ، و **﴿أَنْ يَقُولَ﴾** خبره مؤول بالمصدر، فيكون معناه: أمره قوله للشيء كن فيكون، وفاعل كن هو بعينه فاعل يكون، وهو الشيء المساوق لصدور كلمة كن الذي لا وجود له قبلها لا ذكراً ولا عيناً.

والثالث: قولهم أن فاقد الشيء لا يكون معطيه، فإنك إذا أردت أن تعطي أحداً ألف دينار فلا يمكن إلا أن يكون موجوداً عندك.

وهذا الكلام له وجهان؛ وجه صحة وهو أن يكون المراد أن فاقد الشيء في ملكه أي إذا لم يكن مالكاً لشيء كيف يعطيه، والإعطاء للشيء فرع أن يكون ملكه، وهذا وجه وجيه لا شبهة فيه ومثالهم أيضاً مطابق عليه؛ لأن الله سبحانه كل الأشياء في ملكه وتحت سلطنته خلقها لا من شيء كما قال أمير المؤمنين عليه السلام حين سئل مم خلق الله الأشياء؟ قال: **(خلق الله الأشياء**

---

[1] يس، ٨٢.

لا من شيء)[1]؛ لامتناع أن يكون العدم مادة للوجود ومجتمعاً معه، ولا من شيء لئلا يتوهم كونه سبحانه مادة للأشياء، بل أوجدها بنفسها، وتجلى لها بها، وخلقها على ما هي عليه، وأعطى كل ذي حق حقه وساق إلى كل مخلوق رزقه.

والوجه الآخر أن فاقد الشيء في ذاته لا يكون معطيه، وذلك المعنى هو مرادهم كما يفهم من قولهم: ما جعل الله المشمش مشمشاً بل أوجده، وأن الله تعالى أبدأ الأشياء لا ابتداها، وأن الأشياء كانت كامنة في ذاته تعالى بنحو أشرف بحيث لا يلزم بها فيها تعدد ولا تكثر.

وأجيب عنه أنه يلزم بعد عطائه أن يكون فاقده؛ لأن معنى إبدائها أنه سبحانه أظهرها في عالم الإمكان بعد ما كانت مستجنة في الأزل في ذاته سبحانه.

وبعبارة أخرى إن خلقها هو إظهارها، فقبل إظهارها كان واجداً لها في ذاته، وبعده صار فاقداً لها، وما أورد عليه أنه لا يلزم من إظهارها كونه فاقداً لها كما إذا أعطيت علمك الذي فيك على أحد متعلم منك لا يلزم منه أن تكون خالياً من علمك وصرت جاهلاً، مردود بأن الذي أعطاه ليس هو علمه بعينه

---

[1] قال أمير المؤمنين عليه السلام: (الحمد لله الواحد الأحد الصمد المتفرد الذي لا من شيء كان ولا من شيء خلق ما كان) أصول الكافي، ج١ ص ١٣٤، باب جوامع التوحيد.

بل أثره وشبحه المنفصل منه المنطبع في مرآة اللفظ ثم في مرآة ذهن السامع، ولهذا اختلفت باختلاف الألفاظ والأذهان فبعضها يحكي حقيقة ما في البال وبعضها يوجد فيه الاختلال كالمرايا المتعددة المقابلة للشاخص فمنها ما يحكيه كما هو هو لصفائها واستقامتها ومنها ما تحكيه معوجاً لاعوجاجها أو مصفراً لصفرتها أو أحمراً لحمرتها أو غيرها والشاخص بريء عن هذه كلها.

وكذلك العلم لو كان الظاهر هو ما في قلبه بعينه لما اختلف لأنه واحد لا اختلاف فيه وإنما الاختلاف من مرايا الألفاظ والأذهان في الصور والأشباح، بخلاف ما نحن فيه فإن مرادهم أن الظاهر هو عين الكامن المستجن فيه لأن الشيء الموجود لديه هو المعطى بالفتح- كما صريح مثالهم فلابد من فقده، إذا أعطاه فيكون متغير الأحوال حادثاً ومتأثراً من أثره، وفساده أوضح من الشمس وأبين من الأمس.

وأيضاً يلزم أن يكون ذاته تعالى محيط للأشياء لاستجنانها وكمونها فيه، فلا يكون صمداً لأن معناه كما روي عنهم عليهم السلام: **(الذي لا مدخل له و لا مخرج)**، وقد سئل الصادق عليه السلام عن معناه قال: **(أنه سبحانه فسره**

بأنه ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[١]، فالأشياء قبل ظهورها داخلة فيه و مكافئة له في رتبته وبعده خارجة عنه متولدة منه ومؤثرة فيه لتغير

[١] عن أبي البختري وهب بن وهب القرشي [قال:] وحدثني الصادق جعفر بن محمد ، عن أبيه الباقر ، عن أبيه عليهم السلام أن أهل البصرة كتبوا إلى الحسين بن علي عليهما السلام يسألونه عن (الصمد) ؟ فكتب إليهم: (بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فلا تخوضوا في القرآن، ولا تجادلوا فيه ولا تتكلموا فيه بغير علم، فقد سمعت جدي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار، وإن الله سبحانه قد فسر الصمد فقال: ﴿اللهُ أَحَدٌ ۝ اللهُ الصَّمَدُ﴾ ، ثم فسره فقال:﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾

﴿لَمْ يَلِدْ﴾ لم يخرج منه شيء كثيف كالولد وسائر الأشياء الكثيفة التي تخرج من المخلوقين، ولا شيء لطيف كالنفس ولا يتشعب منه البدوات كالسنة والنوم، والخطرة والهم والحزن والبهجة، والضحك والبكاء والخوف والرجاء، والرغبة والسأمة، والجوع والشبع، تعالى أن يخرج منه شيء ، وأن يتولد منه شيء كثيف ، أو لطيف.

﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ لم يتولد من شيء، ولم يخرج من شيء كما تخرج الأشياء الكثيفة من عناصرها، كالشيء من الشيء، والدابة من الدابة، والنبات من الأرض، والماء من الينابيع، والثمار من الأشجار، ولا كما تخرج الأشياء اللطيفة من مراكزها كالبصر من العين، والسمع من الأذن، والشم من الأنف، والذوق من الفم، والكلام من اللسان، والمعرفة والتمييز من القلب، وكالنار من الحجر، لا، بل هو الله الصمد الذي لا من شيء ولا في شيء ولا على شيء، مبدع الأشياء وخالقها، ومنشئ الأشياء بقدرته، يتلاشى ما خلق للفناء بمشيته، ويبقي ما خلق للبقاء بعلمه، فذلكم الله الصمد الذي لم يلد ولم يولد، عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال، ولم يكن له كفواً أحد) التوحيد، ص٥٦، باب تفسير قل هو الله أحد.

أحواله من واجديته إلى فاقديته، وهو سبحانه ليس في شيء، ولا فيه شيء، ولا عن شيء، ولا عنه شيء، ولا مع شيء، ولا معه شيء، ولا يكافيه شيء، ولا يضاده شيء، وهو القاهر فوق عباده وهو على كل شيء قدير سبحانه وتعالى عما يصفون.

وأيضاً الشيء الذي هو معطيه إما نفسه وعينه لا غير فلا يعطي نفسه لنفسه فأين المعطي والمعطى، أو غيره في ذاته فيلزم التكثر وتعدد القدماء اللازم منه كونه سبحانه محلاً للحوادث ومنزلاً للكثرات ومتأثراً بعد أن كان مؤثراً وموصوفاً بالقبلية والبعدية وهو سبحانه وتعالى لا يحل في شيء، ولا يحله شيء، ويخلق ولا يُخَلق، وقبل القبل بلا قبل، وبعد البعد بلا بعد .

وإن كان الشيء المعطى غيره في ملكه يعني أنه سبحانه أحدث وأعطى عطية الوجود والكون وحدوده وأعيانه كل شيء في وقت وجوده و مكان حدوده لا أنه كان كامناً في ذاته سبحانه في الأزل ثم أخرجه في عالم الكون لما ذكر من لزوم المفاسد العظيمة والقبائح الشنيعة.

فيكون المراد أن الله أوجده من باب العطية والفضل بحدوده الستة؛ من الكم والكيف والجهة والوقت والمكان والرتبة، لم يكن قبل ذلك شيئاً وإنما وجوده وشيئيته عبارة عنها وبها تشيأت وتحققت، وقبلها لا يمكن أن يتحقق

لأن الوقت والمكان والرتبة وغيرها مقوم للشيء وركن له والشيء لا يسبق وقته ومكانه ورتبته ولا يتأخر بل هو شيء بها وفيها وقبلها وبعدها ليس بشيء، وذلك القول متين غايتها لا ريب فيه وهو سليم عن ما ذكر موافق لبداهة العقل وضرورة المذهب والأخبار والقواعد المتخذة عن المعصوم عليه السلام كما روي أنه تعالى خلو من خلقه وخلقه خلو منه[1] يعني في ذاته، وروي أيضاً أن الله ليس خلواً من خلقه ولا خلقه خلواً منه يعني في ملكه، كما ورد في الدعاء **(إن الله ليس خلواً عن الملك قبل إنشاء الملك)**[2] بكسر الميم فيهما، أو بالضم، أو بكسر الأول وضم الثاني وبالعكس، ومعناه بالضم هو السلطنة وبالكسر الخلق.

الرابع: قولهم بأن المعلوم لابد أن يكون قبل العلم استدلالاً بأن المشيئة نسبة تابعة للعلم، والعلم نسبة تابعة للمعلوم، والمعلوم أنت وأحوالك، فالمعلوم المتبوع لابد أن يكون سابقاً على التابع ومقدماً عليه كائنا في الأزل إذ لا واسطة بين الأزل والإمكان، و لما رأوا أن الأشياء بهذه الكثافة والدناءة

---

[1] عن الإمام الصادق عليه السلام قال: (إن الله تبارك وتعالى خلو من خلقه وخلقه خلو منه) التوحيد، ص١٠٥.

[2] عن أبي جعفر عليه السلام قال: (لا كان خلواً من الملك قبل إنشاء الملك، ولا يكون منه خلواً بعد ذهابه) أصول الكافي، ج١ ص ٨٨، باب الكون والمكان.

والكثرة و الرذالة لا ينبغي ولا يليق له تعالى ذهبوا [إلى] أن الكائن فيه هي حقائق الأشياء بنحو أشرف وأنزه من هذه الكثرات والقيودات والإضافات، وذلك مذهب ابن عربي ومن تبعه أو كائناً في غير الأزل قديماً وذلك طريقة الأشاعرة الملتزمة بتعدد القدماء الغير المقالة منها، والمعتزلة لما رأوا فساد القولين من كون الأشياء في ذاته تعالى وتقدس ومن تعدد القدماء الذي لا يمكن تصوره اللازم من وجوده عدمه إن شاء الله وسيأتي الكلام فيه في محله مع التزامهم وقبولهم أن المعلوم لابد أن يتقدم حتى يقع العلم عليه، ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ولم يجدوا ملجأ إلى أن قالوا أن حقائق الأشياء قبل إيجادها كانت بحيث ليست شيئاً ولا شيئاً ولا موجودةً ولا معدومةً ولا قديمةً ولا حادثةً، ولعمري إن هذا إلا كر على أشد وأفسد مما فروا من لزوم اجتماع النقيضين وارتفاعهما وبطلانهما أوضح مما ترى، شعر:

آه كزچاه برون آمد ودردام افتاد

ولا يخفى عليك أن هذه المذاهب كلها عند من شرح الله صدره للإيمان وهو على نور من ربه لأوهن من بيت العنكبوت وهو أوهن البيوت، وأما عند من لم يجعل الله له نوراً فما له من نور.

ونجيب أولاً على الإطلاق بأنهم شبهوا الواجب تعالى بالحادث حيث رأوا أن الممكن فيما يعلمه لا يمكنه العلم إلا فيما يكون المعلوم موجوداً قبله لما حقق من أن الصورة الذهنية ظل وشبح للخارج والوجود الظلي فرع لوجود الشاخص الخارج فذهبوا إلى أنه لابد أن يكون في الواجب تعالى أيضاً كذلك، ولما تبين لهم أنه سبحانه تعالى عن أن يكون له ذهن حتى ينطبع فيه صورة الأشياء تبرؤا منه وقالوا لابد من وجود المعلوم قبل إيجاده، فذهبوا إذن حيث ذهبوا غافلين عن أن شبيه الحادث حادث وهو سبحانه لا شبيه له ولا نظير، وأن كلما يجب في الخلق يمتنع في خالقه من الاحتياج والفناء والتغير والحدوث والتحديد والتركيب وغير ذلك من صفات الخلق، وكلما يمتنع في الخلق يجب في خالقه من الاستقلال والغنى والقدم وكونه لا ضد له ولا ند ولا شبيه ولا نظير.

أما الخامس: أن تنزيهه تعالى بحيث لا يكون بينه وبين خلقه ارتباط ولا جهة جامعة يستلزم التحديد له سبحانه بأنه غير الجسم والجوهر و العرض وغير ذلك وأن توصيفه بأنه ...

[إلى هنا خرج من قلمه الشريف المنيف قدس الله نفسه القدسية وطيب الله روحه الزكية بحق أهل البرية.

تمت بعون الله الملك الوهاب بيد كاتبها أقل الخليقة بل لا شيء في الحقيقة، أضعف الضعفاء وخادم الفقراء، الفقير الحقير المعترف بالقصور والتقصير الواثق برب الولي محمد سليل المرحوم عباس علي التركي الحائري، وكان ذلك يوم الثلاثاء ثاني عشر جمادى الثاني من شهور سنة ١٣٢٣](١).

(١) لا توجد في المخطوطة (أ).

(٢)

الرسالة الثانية

رسالة في الجمع والتوفيق بين بعض الآيات

[تمهيد]

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين.

أمـــا بعد؛ فيقول الحقير الفقير إلى عفو ربه الكريم محمد باقر بن محمد سليم الأسكوئي -عفى الله عن جرائمهما، وأحسن حالهما في مآلهما بحق محمد وعلي وآلهما صلوات الله عليهم أجمعين-: أنه قد سألني بعض من إخواني المؤمنين، وطالبي اليقين في الدين، عن مسألة يريد جوابها مستعجلاً، وبيانها كملاً، مع أني لفي شغل عن هذا لتشتت البال، وكثرة الاشتغال، فبادرت إليه بالاستعجال، وبالله التوفيق وعليه المعول في البدء والمآل.

[نص الأسئلة]

قـــال ســـلمه اللـــه:

[١]- ما الجمع بين قوله: ﴿إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾[١]، وبين قوله: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ﴾[٢]، و ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٣]؟

[٢]- وبين: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً﴾[٤]، وقول إبليس: ﴿لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيباً مَفْرُوضاً﴾[٥]؟

[٣]- وقول الإمام عليه السلام: (القول بالوصل كفر، والقول بالفصل زندقة، والقول بالفصل والوصل إيمان).

[٤]- وما حقيقة الحوت والثور الحاملين[٦] للأرض؟

---

(١) الزمر،٥٣.

(٢) الزلزلة،٧.

(٣) النمل،٩٠.

(٤) الإسراء،٦٥.

(٥) النساء، ١١٨.

(٦) في المخطوطة: حاملين.

[لا تعارض بين الآيات الكريمة]

أقول ولا قوة إلا بالله -مقتصراً على ما هو المراد ظاهراً من الآيات- ليعلم أن لا تنافي بينهما حتى تمس بنا الحاجة إلى جمعها، معرضاً عن إجمال يخل وتفصيل يمل:

اعلم -وفقك الله وإيانا لفهم ظاهر القرآن وباطنه، وتفسيره وتأويله، وثبتنا بالقول الثابت لديه، إنه قريب مجيب- أن القرآن منه آيات محكمات هن أُم الكتاب، وأخر متشابهات(١)، وأنه يفسر بعضه بعضاً، ولا بد من رد المتشابهات إلى المحكمات، فعليك بتدبر القرآن والتفكر فيه فإن ظاهره أنيق وباطنه [عميق](٢)، وهو قوله تعالى: **﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِّ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً﴾**(٣)، والاختلاف الواحد في كلام الله هو الاختلاف الكثير.

(١) قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُّ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ آل عمران، ٧.

(٢) قال الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله: (ظاهره أنيق، وباطنه عميق، له تخوم، وعلى تخومه تخوم) تفسير الصافي، ج١ ص١٥، المقدمة الأولى.

(٣) النساء، ٨٢.

وقوله: **﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾**[١]، وقال تعالى: **﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً﴾**[٢]، **﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ۝ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾**[٣].

---

(١) محمد،٢٤.

(٢) الإسراء،٩.

(٣) فصلت،٤٠-٤١.

[جواب المسألة الأولى]

فإذا عرفت ذلك فاعلم أن المراد من قوله تعالى: **﴿إِنَّ اللهَّ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعا﴾** قد بيّنه الله بقوله: **﴿إِنَّ اللهَّ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾**[١].

يعني أن الذنوب التي تغفر ويصلح أن يتعلقها التجاوز والمغفرة هي التي كانت غير الشرك وأدون مرتبة منه وأسفل، أما الشرك وما يساويه ويدانيه من الكفر والإنكار فلا يجوز -في الحكمة- أن تكون محلاً للصفح والغفران، ومتعلقاً للعفو والامتنان، وهو قوله سبحانه حكاية عن لقمان: **﴿يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللهَّ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾**[٢]، وقوله: **﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾**[٣]، وقوله تعالى: **﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾**[٤].

ولقد أشار سبحانه بقوله: **﴿لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾** إذ أتى بصيغة النفي إلى ما ذكر من أن الشرك لا يصلح للمغفرة ولا يليق به. ومثله في الكفر

---

(١) النساء، ٤٨.

(٢) لقمان، ١٣.

(٣) البقرة، ٢٧٠.

(٤) آل عمران، ٥٦.

والإنكار قوله تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾**(١).

فالذنوب التي [هي] غير الكفر والشرك إن تاب فاعلها وأناب إلى الله واستغفره [منها](٢) يغفر الله له ويتوب عليه(٣)، وإن لم يتب وهو مؤمن يعني ليس بمشرك ولا كافر ولا منافق فيجزيه(٤) جزاء عمله، **﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ﴾**(٥).

والجزاء يختلف بحسب اختلاف الأعمال والعاملين، فمنه ما لا يبقى بعد الموت، ومنه ما يتجاوزه ويكون في البرزخ في أوله، أو إلى وسطه، أو إلى آخره، باختلاف مراتب الذنوب والأعمال، وقد يجزى بعضها في الحشر مثل البرزخ حرفاً بحرف، إلى أن يستقر أهل الجنة في الجنة وأهل الجحيم في الجحيم، ولا يدخل ذلك الرجل المؤمن النار أبداً، بل أشد الناس عذاباً من الفرقة المحقة المعتقدة بالولاية من يدخل في حظائر جهنم أو يصيبه شيء من دخانها فيطهر وتنظفه من أوساخ الأعمال القبيحة والذنوب الفظيعة ثم يدخل

(١) محمد صلى الله عليه وآله، ٣٤.

(٢) الكلمة غير واضحة في المخطوطة، والموضوعة هي الأقرب للسياق.

(٣) في المخطوطة: إليه.

(٤) في المخطوطة: فتجزيه.

(٥) النساء، ١٢٣.

الجنة لا خوف عليه ولا هو يحزن، وذلك أقل قليل منهم بل أكثرهم لا يتجاوز البرزخ.

ولا يخفى عليك أن الشرك لا ينحصر فيما يخالف التوحيد ذاتاً، وصفةً، وفعلاً، وعبادةً(١)، وكذلك الكفر، بل [إن] من شرك أحداً لأولياء الله في اعتقاده أو أعماله و أقواله من غير خوف وتقية، أو فضّل الغير عليهم وقدّمه كذلك فهو مشرك أو كافر؛ لأن الله جعلهم أركاناً لتوحيده(٢)، وقال عليه السلام: **(ومن جحدكم كافر، ومن حاربكم مشرك)**(٣)، وذلك في تفسير القرآن وآثار أهل بيت العصمة عليهم السلام وارد أكثر من أن يحصى.

(١) يقول الشيخ الأوحد أحمد بن زين الدين الأحسائي قدس سره: (واعلم أنَّه واحد في أربعة مراتب؛ لا شريك له فيها، الأولى: لا شريك له في ذاته، وقال الله: (لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد). والثانية لا شريك له في صفاته، قال تعالى: (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير). والثالثة: لا شريك له في صنعه: (هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه). والرابعة لا شريك له في عبادته: (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) حياة النفس في حضرة القدس، ص٧٢-٧٣.

(٢) إشارة إلى ما ورد في الزيارة الجامعة الكبيرة: (وتراجمةً لوحيه، وأركاناً لتوحيده) من لا يحضره الفقيه، ج٢ ص٦١١.

(٣) الزيارة الجامعة الكبيرة، من لا يحضره الفقيه، ج٢ ص٦١١.

منها؛ ما روي عنهم عليهم السلام: **(ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم؛ من أدعى إمامةً من الله ليست له، ومن جحد إماماً من الله، ومن زعم أن لهما في الإسلام نصيباً)**[١].

وفي المجالس بسنده فيه عن حذيفة اليمان قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: **(يا حذيفة إن حجة الله عليك بعدي علي بن أبي طالب عليه السلام، الكفر به كفر بالله، والشرك به شرك بالله، والشك فيه شك في الله، والإلحاد فيه إلحاد في الله، والإنكار له إنكار لله، والإيمان به إيمان بالله؛ لأنه أخو رسول الله صلى الله عليه وآله ووصيه في أمته ومولاهم، وهو حبل الله المتين وعروته الوثقى التي لا انفصام لها)**[٢]، ومن ذلك ما رواه العياشي في تفسيره عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: **﴿لا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾**[٣] **(وعنى بذلك ولا تتخذوا إمامين إنما هو إمام واحد)**[٤] .

---

(١) الكافي،ج١ ص٣٧٣، باب من أدعى الإمامة وليس لها بأهل، ح٤.

(٢) أمالي الصدوق، ص٢٦٤. البحار، ج٣٨ ص٩٧، في أن النبي صلى الله عليه وآله كان سيد أولاد آدم وعلياً عليه السلام كان سيد العرب.

(٣) النحل،٥١.

(٤) تفسير العياشي، ج٢ ص٢٦١، وبدل كلمة (عنى) (يعني).

وما في كنز الكراجكي عن علي بن أسباط، عن إبراهيم الجعفري، عن أبي الجارود، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: **﴿أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾**(١) قال: **(أي إمام هدى مع إمام ضلال في قرن واحد)**(٢).

وما رواه القمي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: **﴿وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾**(٣) أن الصادق عليه السلام قال: **(أي لا يتخذ مع ولاية آل محمد صلى الله عليه وآله غيرهم)**(٤).

وفي قوله تعالى: **﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾**(٥) أي بولاية علي(٦).

وقوله: **﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾**(٧) أي في ولاية علي عليه السلام.

وغيرها من الآيات والأخبار أكثر من أن تستقصى من أحب الوقوف عليها فليرجع إلى كتاب الكافي(٨).

---

(١) النمل،٦١.

(٢) بحار الأنوار،ج٢٣ ص٣٦١ عن كنز جامع الفوائد للكراجكي ص٢٠٧.

(٣) الكهف،١١٠.

(٤) تفسير القمي، ج٢ ص٤٧. بحار الأنوار، ج٢٤ ص٣٧٧.

(٥) التوبة، ٣٢.

(٦) الكافي، ج١ ص ٤٩٠، باب نكت ونتف من التنزيل في الولاية، ح٩١.

(٧) التوبة،٣٣.

(٨) راجع كتاب الكافي، ج١، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية.

فتبين أن حاصل المراد من الآية -بشهادة سائر الآيات الشريفة- وبيانها أن الله سبحانه يغفر الذنوب إلا الشرك والكفر في الإلوهية، والنبوة، والولاية، في الذات، والصفات، والأفعال، بالجنان، واللسان، والأركان.

وتلك المغفرة إما أن تكون قبل الجزاء بسبب التوبة، أو شفاعة شفيع، أو غير ذلك ما ليس هنا موضع ذكره وهو قوله تعالى: **﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾**[١]، وقوله تعالى: **﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى﴾**[٢]، أو تكون بعد الجزاء ولا يناقش في الجزاء والحساب وقد قال تعالى: **﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾**[٣].

ولقد بسطنا الكلام في هذا المقام بإيراد الأدلة القطعية العقلية والنقلية من الكتاب والسنة في بعض أجوبتنا لبعض المسائل.

وقوله سلمه الله تعالى: **وبين قوله: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ﴾.**

الظاهر أن لفظ **﴿خَيْراً﴾** صدر غفلة وسهواً بدل **﴿شَرّاً﴾**، وإلا فلا يتصور المنافاة بين الآيتين بجهة من الجهات عند من له أدنى شعور ومسكة،

---

(١) الأنفال،٣٣.

(٢) طه،٨٢.

(٣) الشورى،٣٠.

بل إنما مقصوده قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾[١] والتنافي بينها وبين السابقة كما زعمه باعتبار الرؤية على معنى الجزاء والعذاب، ومن يعمل من شر مثقال ذرة يُجْزَ به ويؤاخذ عليه، فنقول:

أولاً: أن الرؤية أعم من المكافآت والمجازات، فربما يُرى الشر ولا يُجزَى به بل يغفر له ويعفى عنه، ويرى الخير ويؤول إلى غير فاعله، وذلك ما رواه القمي في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ الآية. عن الباقر عليه السلام: (**إن كان من أهل النار وقد كان عمل مثقال ذرة خيراً يره يوم القيامة حسرة، لأنه كان عمل لغير الله، وإن كان من أهل الجنة وقد كان عمل شراً رأى ذلك الشر يوم القيامة ثم غفر له**)[٢].

وثالثاً[٣]: سلّمنا أن المراد من الرؤية هو الجزاء وذلك فيما لم يقترن بالتوبة أو الشفاعة أو غيرهما من أسباب المغفرة، وإلا فإما لا يراه أصلاً وهو قوله تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾[٤] أو يراه ثم يغفر له .

---

(١) الزلزلة،٨.

(٢) مستدرك سفينة البحار، ج٧، ص٤٤١.

(٣) هكذا جاء في المخطوطة، ويحتمل أن يكون هنا وجه ساقط لأننا لم نتمكن إلا من الحصول على نسخة خطية واحدة، والله العالم.

(٤) الفرقان، ٧٠.

فإذاً لا منافاة بينها وبين قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَّ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾، وقوله سبحانه: ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ عطف على[1] ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ ﴾ ... إلخ

فيصير المعنى ما الجمع بين قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَّ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ﴾ الآية، وبين قوله: ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ﴾ الآية، ليت شعري أي منافاة بينهما حتى تحتاج إلى جمعها وقد ذكر معنى الأولى وتبين المقصود منها.

أما الثانية؛ فالذي أريد منها هو ما أريد من قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾[2]، وقوله سبحانه: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ﴾ إلى قوله: ﴿إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللهَّ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَاداً وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[3]، وقوله عز من قائل: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهَّ يَسْتَكْبِرُونَ ۞ وَيَقُولُونَ أَإِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ ۞ بَلْ

(١) في المخطوطة: إلى.

(٢) سبأ،١٧.

(٣) سبأ،٣١-٣٣.

جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِين ۞ إِنَّكُمْ لَذَائِقُواْ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ۞ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(١).

فالمراد أن الله سبحانه هو العدل الحكيم العليم، يعلم جميع حقائق مخلوقاته، وذواتهم، وصفاتهم، وجميع شؤوناتهم، وآثارهم، وأحوالهم، واستعداداتهم، وقابلياتهم، يضع الأشياء مواضعها، ويأتيها بما هي أهله، ولا يرد إليها إلا ما هو منها ولها وعنها، ولا يجزيها إلا بما هو راجع إليها **﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾**(٢)، **﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾**(٣)، **﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ ۞ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ نَقِيراً﴾**(٤).

ففي مقام الجزاء والمؤاخذة لا يجزى أحد إلا بعمله **﴿وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾**(٥) .

وفي مقام العفو والمغفرة لمن هو أهله فغفر الذنوب جميعاً وذلك بعمله أيضاً وهو قوله تعالى: **﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى﴾**(١).

(١) الصافات، ٣٥-٣٩.

(٢) الأنعام،٣٩.

(٣) البقرة،٢٨٦.

(٤) النساء،١٢٣-١٢٤.

(٥) الزمر،٧.

وقد ورد في الروايات متواتراً أن العمل الصالح هو ولاية آل محمد صلى الله عليه وآله وذلك قوله تعالى: ﴿**إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ**﴾[٢] وقوله سبحانه: ﴿**فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ**﴾[٣].

ومعنى قوله: ﴿**ثُمَّ اهْتَدَى**﴾[٤] يعني إلى حفظ التقية وحقوق الإخوان[٥]، وهذا ظاهر إن شاء الله تعالى.

---

(١) طه،٨٢.

(٢) فاطر،١٠. ورد في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى:﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ قال: (ولايتنا أهل البيت، وأهوى بيده على صدره فمن لم يتولانا لم يرفع الله له عملاً) الكافي، ج١ ص٤٣٠ باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية.

(٣) غافر،٧.

(٤) طه،٨٢.

(٥) وردت عدة روايات في هذا الشأن منها ما روي عن علي بن الحسين عليه السلام أنه قال: (يغفر الله للمؤمن كل ذنب ويطهره منه في الدنيا والآخرة ما خلا ذنبين ترك التقية وتضييع حقوق الإخوان) وسائل الشيعة، ج١٦ ص٢٢٢ باب ٢٨.

[جواب المسألة الثانية]

قوله سلمه الله: **وبين ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً﴾**[1]**، وقول إبليس: ﴿لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيباً مَفْرُوضاً﴾**[2]**؟**

اعلم أنه قد مَرَّ أن القرآن يفسر بعضه بعضاً، وتبين أنه أحسن بياناً وتفسيراً، وقد قال سبحانه: **﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ۝ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾**[3]، وقال: **﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُوراً﴾**[4]، **﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً﴾**[5]، وقال تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً ۝ إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثاً وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَاناً مَرِيداً ۝ لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيباً مَفْرُوضاً﴾** إلى قوله: **﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ**

---

(١) الإسراء،٦٥.

(٢) النساء، ١١٨.

(٣) النحل،٩٨-١٠٠.

(٤) الإسراء،٦٤.

(٥) الإسراء،٦٥.

وَلِيّاً مِنْ دُونِ اللهَّ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُبِيناً ۞ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمْ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً﴾[١].

فعلم من تلك الآيات أنه ليس للشيطان سلطنة وتصرف إلا على الذين يتبعونه ويتولونه ويتخذونه ولياً من دون الله ويدعونه، بل ليس له سلطان إلا أن دعاهم فاستجابوا، وأوحى إليهم فأطاعوه، أما سمعت قوله[٢]سبحانه: **﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللهَّ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ﴾**[٣]، بين أنه ما نجى وما سلم من نزغاته ونفثاته وخطواته إلا من آمن بربه وتوكل عليه في اسراره، واعتقاداته، وأخلاقه، وأعماله، وأفعاله، وأقواله، وسائر شؤوناته وإضافاته ونسبه .

فمراتب الإيمان والتوكل مختلفة من جهة اختلاف مراتب الإنسان ودرجاته **﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا﴾**[٤].

---

(١) النساء،١١٧-١٢٠.

(٢) في المخطوطة: سمعت وهو قوله.

(٣) إبراهيم،٢٢.

(٤) الأحقاف،١٩.

فمنهم؛ من آمن وجعل ربه وكيلاً في كافة أموره ومراتبه كلها **﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً﴾**[١] وهم المخلصون في قوله تعالى: **﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾**[٢].

ومنهم؛ من آمن بربه وتوكل عليه في بعض من مراتبه وهو في بعض آخر متولٍ للشيطان ومشرك به.

فالإيمان والإشراك والتوكل على الله والتولي للشيطان يجريان في كل مرتبة من مراتب الإنسان لا يجتمعان بل يتعاقبان، فللشيطان في كل مرتبة خلت عن الإخلاص والإيمان سلطان.

وما الإخلاص إلا موالاة أولياء الرحمن ومتابعتهم في كل شأن وذلك قوله تعالى: **﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾**[٣]، **﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ﴾**[٤]، وقول الهادي عليه السلام: **(من أتاكم فقد نجا)**[٥]، **(وفاز من تمسك بكم وأمن من لجأ إليكم)**[٦]، وغيرها ما شاء الله .

---

[١] الإسراء، ٦٥.

[٢] ص،٨٢-٨٣.

[٣] الحشر،٧.

[٤] النساء،٨٠.

[٥] الزيارة الجامعة الكبيرة، تقديم تخريج المصدر.

[٦] الزيارة الجامعة الكبيرة.

وما الإشراك والتولي للشيطان إلا الإعراض عنهم وترك متابعتهم وهو قوله عليه السلام: **(من لم يأتكم فقد هلك)**[١]، **(ومن خالفكم فالنار مثواه)**[٢]، **(وعلى من جحد ولايتكم غضب الرحمن)**[٣]، وذلك قوله تعالى: **﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾**[٤]، **﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾**[٥]. وقول الصادق عليه السلام: **(ونحن آيات الله التي أراها الله في الآفاق وفي أنفسهم)**[٦].

والبراهين بهذا المعنى من الآيات والأخبار لا تكاد تحصى، منها قوله تعالى: **﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾**[٧]، وقول الصادق عليه السلام: **(من استمع إلى ناطق فقد عبده، فإن كان ينطق عن الله فقد عبد الله، وإن كان ينطق عن غير الله فقد عبد**

---

(١) جاء في الزيارة الجامعة الكبيرة: (ومن لم يأتكم هلك)، تقدم تخريج المصدر.

(٢) الزيارة الجامعة الكبيرة.

(٣) الزيارة الجامعة الكبيرة.

(٤) يوسف، ١٠٥

(٥) يوسف، ١٠٦

(٦) وجدت روايات قريبة من هذا المعنى، ومنها ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ قال عليه السلام: (فأي آية في الآفاق غيرنا أراها الله أهل الآفاق) كامل الزيارات، ص٥٤٢.

(٧) الأنعام،١٢١.

الشيطان)[١]، وقوله عليه السلام فيمن يوسوس في العبادة: **(أنه يعبد الشيطان)**[٢].

والحاصل مما ذكر [أن الشيطان] ليس له سلطان على عباده تعالى المخلصين المؤمنين به المتوكلين عليه، وإن الشيطان إنما يتخذ من عباده تعالى الذين اتبعوه وأشركوا به وتولوه نصيباً مفروضاً لهم إن كانوا مؤمنين، والذين تجاوزوا، -والمفروض من الفرض، والمتجوز كافر- وفي الكافي والمجمع وغيرهما[٣]، ويدل عليه ما روي عن العسكري عليه السلام ما معناه أن الله عز

---

(١) وسائل الشيعة،ج١٧ص٣١٧.

(٢) عن عبد الله بن سنان قال: ذكرت لأبي عبد الله عليه السلام رجلاً مبتلى بالوضوء والصلاة وقلت هو رجل عاقل فقال أبو عبد الله عليه السلام: (وأي عقل له وهو يطيع الشيطان، فقلت له وكيف يطيع الشيطان فقال سله هذا الذي يأتيه من أي شيء هو فإنه يقول لك من عمل الشيطان) الكافي، ج١ ص٢٩ كتاب العقل والجهل، ح١٠.

(٣) ورد في مجمع البيان: (﴿لأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيباً﴾ أي حظاً ﴿ مَفْرُوضاً﴾ أي معلوماً عن الضحاك وقيل مقدراً محدوداً وأصل الإتخاذ أخذ الشيء على وجه الاختصاص فكل من أطاعه فإنه من نصيبه وحزبه) تفسير مجمع البيان، م٢ ج٣ ص ١٤٢.

ملاحظة: قد يكون في النص تقديم وتأخير من الناسخ إذ من المحتمل أن يكون النص هكذا، والله أعلم: (والذين تجاوزوا، -والمفروض من الفرض، والمتجوز كافر- وفي الكافي والمجمع وغيرهما، في المجمع عن تفسير الثمالي عن النبي صلى الله عليه وآله في هذه الآية: (من بني آدم تسعة وتسعون في النار وواحد في الجنة)، وفي رواية أخرى: (من كل ألف واحد لله وسائرهم للنار ولإبليس)، ويدل عليه ما روي عن العسكري عليه السلام ما معناه أن الله عز وجل يري يوم القيامة لأصحاب النار منازلهم

وجل يري يوم القيامة لأصحاب النار منازلهم ودرجاتهم ونعيمهم في الجنة قد أعدت لهم إن كانوا من أهلها فازدادوا حزناً، ويري لأصحاب الجنة منازلهم ودرجاتهم في النار لو كانوا عصوا الله تعالى فيزدادون فرحاً وسروراً.

فعلم من ذلك وظهر أن لا تنافي- في المجمع عن تفسير الثمالي عن النبي صلى الله عليه وآله في هذه الآية: **(من بني آدم تسعة وتسعون في النار وواحد في الجنة)**(١)، وفي رواية أخرى: **(من كل ألف واحد لله وسائرهم للنار ولإبليس)**(٢)- بين الآيتين بعون الله تعالى.

جعلنا الله وإياكم من الذين يتلون القرآن حق تلاوته الذين قال فيهم: **﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾**(٣)، ونستجير بالله ونعوذ أن نكون من الذين يلوكونه بين لهواتهم.

ودرجاتهم ونعيمهم في الجنة قد أعدت لهم إن كانوا من أهلها فازدادوا حزناً، ويري لأصحاب الجنة منازلهم ودرجاتهم في النار لو كانوا عصوا الله تعالى فيزدادون فرحاً وسروراً. فعلم من ذلك وظهر أن لا تنافي بين الآيتين بعون الله تعالى).

(١) تفسير مجمع البيان، ج٣ ص١٩٤. تفسير أبي حمزة الثمالي، ص١٤٩.

(٢) المصدر السابق.

(٣) ص،٢٩.

[جواب المسألة الثالثة]

قوله: **وقول الإمام عليه السلام: (القول بالوصل كفر، والقول بالفصل زندقة، والقول بالفصل والوصل إيمان)**.

الظاهر أنه يريد معنى هذا الكلام فحينئذ لا بد أن يقول ما معنى قول الإمام عليه السلام وإلا فالكلام ناقص لا يفيد شيئاً.

ثم إني ما رأيت حديثاً بهذه العبارة، وإن كان معناها موجوداً في أحاديثهم عليهم السلام بالتصريح والإشارة مثل قوله عليه السلام: **(الجمع بلا تفرقة زندقة، والتفرقة بلا جمع تعطيل، والجمع بينهما توحيد)**[١].

ولما كان بيان المقصود من هذه الرواية كافياً عن مراده وشافياً عن باعث سؤاله وإيراده، وكانت صافية عن المناقشة،[فأقول] ولا قوة إلا بالله :

قوله عليه السلام: **(الجمع بلا تفرقة زندقة):**

أي القول بأن الله اجتمع مع خلقه في صقع من الأصقاع، ومرتبة من المراتب فهو كفر وزندقة، كمن قال بأن حقائق الأشياء كامنة في ذاته تعالى، أو لازمة كلزوم الظل للجدار أو الشبح للشاخص، أو أن ذاته تعالى علة

---

(١) الكلمات المكنونة، ص٥٣ كلمة فيها إشارة إلى معنى التوحيد الوجودي.

للأشياء[١]، أو علمه الذاتي علة لها[٢]، أو أن مشيئته وإرادته من صفاته الذاتية[٣]، وأن وجوده تعالى مادة كلية والأشياء أطواره وأعراضه وصوره، أو الوجود ماهية مطلقة والواجب والممكن فردان منها وهو قول من قال بأن الوجود مشترك معنى بين الحق والخلق[٤]، أو أن الوجود يطلق على الله تعالى حقيقةً وعلى الخلق مجازاً[٥].

وكل ذلك يقتضي إما الاتحاد أو التضائف والتناسب، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، إن الله خلو عن خلقه وخلقه خلو منه[٦] .

أو أن مشيئته سبحانه مادة مطلقة والأشياء صورها وماهيتها وغيرها من المذاهب الفاسدة والعقائد الكاسدة.

---

(١) راجع الأسفار، ج٦ ص٣١٨ .

(٢) راجع شرح فصوص الحكم للقيصري الرومي، ص٥٨٩ .

(٣) راجع الأسفار، ج٦ ص٣٤٠ .

(٤) راجع الأسفار، ج١ ص٣٥ .

(٥) راجع نص النصوص، ص٤٠٧ .

(٦) في الرواية عن مولانا الإمام الصادق عليه السلام قال: (إن الله تبارك وتعالى خلو من خلقه وخلقه خلو منه) التوحيد، ص١٠٥ .

وقوله: **(التفرقة بلا جمع تعطيل)**

أن القول بأن الله تعالى معزول عن ملكه وبائن عنه بينونة عزلة، وأن بينه وبين خلقه وإبداعه شيء فاصل، فهو تعطيل وعجز، كالذي قال بأن العدم سابق على الأشياء وفاصل بين الله وبينها، وأن العباد خالقوا أفعالهم[١]، أو أن الماهيات ليست بمجعولة بل منجعلة[٢]، أو أن مشيئة الله وحدانية التعلق ليس له إن شاء فعل وإن شاء ترك[٣]، أو أنه ليس بخالق للشر[٤]، وأن يد الله مغلولة **﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾**[٥].

ومنه إنكار التسديد والتمكين والقول بانغلاق أبواب القطع واليقين في أحكام الدين، وأنه كان قبل إيجاد الأشياء وقت بحت بات أو زمان موهوم، أو أن الماهيات ماهيات أزلاً وأبداً، والوجود وجود أزلاً وأبداً، أو أن الوجود مشترك لفظاً بين الحق والخلق.

وغيرها من الآراء المختلفة الواهية المستلزمة انعزاله عن ملكه وكون ذرة غير محتاجة إلى إيجاده وقائمة بدون أمره وإبقائه ذاتاً أوصفةً، غيباً أو

---

(١) راجع متشابه القرآن، ج١ ص٤١.

(٢) انظر نقد النصوص، ص٤٣.

(٣) راجع الأسفار، ج٤ ص١١ .

(٤) راجع الأسفار، ج٧ ص٧٢-٧٧.

(٥) المائدة، ٦٤.

شهادةً، فكلها يلزمه العجز أو التحديد أو الاقتران المستلزم للحدوث الممتنع من الأزل الممتنع من الحدث.

ومعنى الثالثة وأن القول: **(إن الله داخل في الأشياء لا كدخول شيء في شيء، وخارج عن الأشياء لا كخروج شيء عن شيء)**[١]، وأنه دان لا بمباشرة وعال لا بمزايلة، وبائن عن خلقه لا بينونة عزلة بل بينونة صفة فذلك توحيد .

وهو معنى ما روي عن الصادق عليه السلام: **(التوحيد حاجز بين البحرين بحر التوصيف وبحر التنزيه أما بحر التوصيف فساحله الشرقي هو التشبيه وأما بحر التنزيه فساحله الغربي هو التعطيل وهلك فيهما خلق كثير فالتوحيد أحد من السيف وأدق من الشعر)** نقلت حاصل معناه، وقول أمير المؤمنين عليه السلام: **(توحيده تمييزه عن خلقه وحكم التمييز بينونة صفة لا بينونة عزلة)**[٢].

ومعنى بينونة الصفة أن الخلق صفته صفة استدلال عليه لا صفة تكشف عنه، وآثاره وصنعه وليس بين الأثر والمؤثر فصل حتى يلزمه التعطيل

---

[١] الكافي،ج١ ص٨٦، باب أنه لا يعرف إلا به، ح٢.

[٢] الاحتجاج، ج١ ص٢٩٩.

والعزلة للحق والاستقلال والتأصل للخلق، ولا بينهما وصل حتى يلزمه الاتحاد والتشريك والمناسبة بل إنما الأثر قائم بالمؤثر أي بفعله قيام صدور[١].

ولا يخفى عليك أن المراد من الجمع والتفرقة في قوله عليه السلام: **(والجمع بينهما توحيد)** غيرهما في الفقرتين الأوليين، وذلك ما قاله الصادق عليه السلام: **(من عرف الفصل من الوصل، والحركة من السكون فقد بلغ القرار في التوحيد)**[٢].

وقول أمير المؤمنين عليه السلام: **(لا يكون بينها وبينه فصل ولا له عليها فضل فيستوي الصانع والمصنوع ويتكافأ المبتدع والبديع)**[٣].

وللحديث الشريف المذكور معانٍ أخر لا تسعها هذه العجالة، والسلام.

---

(١) يقول الشيخ الأوحد قدس سره: (قيام الصدور: كقيام نور الشمس بالشمس، و معناه قيام الشيء بإيجاد موجِدِه بحيث لا يتحقق في مدة أكثر من مدة إيجاده، و ذلك كنور الشمس و كالصورة في المرآة) شرح العرشية، ج١ ص٣١٣.

(٢) نقل السيد الجزائري في الأنوار النعمانية الرواية بهذه الصيغة: روي عن الصادق عليه السلام: (من عرف الفصل من الوصل، والحركة من السكون، فقد بلغ مبلغ القرار في التوحيد) الأنوار النعمانية، ج٤ ص٣٧، نور في بعض التراكيب المشكلة والأخبار الدقيقة والمسائل الفقهية وغيرها.

(٣) في الاحتجاج، ج١ ص ٣٠٣ : (ولا يقال له كان بعد أن لم يكن فتجري عليه صفات المحدثات، ولا يكون بينه وبينها فصل ولا له عليها فضل فيستوي الصانع والمصنوع ويتكافأ المبتدع والبديع).

[جواب المسألة الرابعة]

قوله: **وما حقيقة الحوت والثور الحاملين للأرض؟**[١]

بيان حقيقتهما إنما هو شأن الذي عرف الأشياء كما هي، ورآها بعين لا تلهى، فكيف بمن لا يزال مضيعاً للأوقات، وضائعاً في الحالات، مع أن بيانها على ما سنح بفكري الفاتر ومال إليه باعي القاصر مما إجماله يضر ولا يفيد، وتفصيله يحتاج إلى بسط أكيد بملأ لرسالته، وهي لا تعد ولا تبيد، والله خليفتي عليك، وهو المبدئ والمعيد.

تم بالخير مصلياً مستغفراً منيباً يوم ثامن عشر ربيع الثاني من سنة ١٢٧١.

---

(١) توجد رواية طويلة في بدء الخلق وما جرى فيه، ومن ضمن ما جاء فيها: (فالأرض كلها على كاهل الملك، والملك على الصخرة، والصخرة على الثور، والثور على الحوت، والحوت على الماء، والماء على الهواء، والهواء على الظلمة) إلى آخر الرواية، بحار الأنوار، ج١٥ص٣٠ب١.

(٣)

الرسالة الثالثة

رسالة في جواب السيد محمد بن السيد ماجد الأحسائي

في شرح حديث الإمام الصادق عليه السلام:

(العبودية جوهرةٌ كنهها الربوبية، فما فُقد في العبودية وُجد في الربوبية، وما خفي في الربوبية أُصيب في العبودية، وقال الله عز وجل: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ أي موجود في غيبتك وحضرتك).

[تمهيد]

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة على عباده المكرمين محمد وآله الطاهرين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين عدد لحظات العين في كل طرفة عين.

وبعـد[١] فيقول؛ الحقير الفقير الأثيم محمد باقر بن محمد سليم التبريزي: أنه قد كلّفني السيد السند، والولي المعتمد، السيد محمد بن السيد ماجد الأحسائي، الساكن في بندر عباس[٢]، أن أكتب رسالة تكشف عن بعض ما أراد الصادق عليه السلام [في قوله][٣]: **(العبودية جوهرة كنهها الربوبية)**[٤] الحديث.

---

١) في النسخة (ب): أما بعد.

٢) مدينة جنوب إيران على الخليج العربي.

٣) لم ترد في النسخة (ب).

٤) تفسير الصافي، ج٤ ص٣٦٥، سورة فصلت، وسينقل المؤلف نص الرواية لا حقاً.

وهو لعمر الله كلام لا يكاد يوصف، وبحر لا ينزف، لا تفنى عجائبه، ولا تحصى غرائبه، وأنّى لأمثالي أن يتعرض لإدراك أدنى أداني ما فيه من ظاهره فضلاً عن باطنه وخافيه، ظاهره أمر لا يملك، وباطنه غيب لا يُدرك[١].

نعم إن المسؤول لا يسعه أن ينهر السائل، بل عليه إتيان المقدور وما عنده من الميسور، فالتزمتُ ما كلّفني به، والتزمتُ على نفسي إذ كنت مسؤولاً امتثالاً لقوله تعالى: **﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ﴾**[٢] أن أبيّن بعض ما أراد عليه السلام منه ببعض كلماتهم؛ لأن أخبارهم يفسر ويشرح بعضها بعضاً، سالكاً في ذلك مسلك الاختصار والإجمال، إذ لا يمكنني البسط في المقال، وعلى الله أتوكل في جميع الأحوال وهو ولي المبدأ والمآل.

---

١) ورد في حديث طارق المروي عن أمير المؤمنين عليه السلام هذه العبارة: (ظاهره أمر لا يملك، وباطنه غيب لا يدرك) راجع كتاب مشارق أنوار اليقين للشيخ البرسي قدس سره، ص ٢٠٤-٢٠٩.

٢) الضحى، ١٠.

[مراتب الربوبية]

قال الصادق عليه السلام: **(العبودية جوهرةٌ كنهها الربوبية، فما فُقد في العبودية وُجد في الربوبية، وما خفي في الربوبية أُصيب في العبودية، وقال الله عز وجل: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[1] أي موجود في غيبتك وحضرتك)**[2].

اعلم أن الربوبية لها مراتب:

الأولى: الربوبية إذ لا مربوب لا ذكراً ولا عيناً، وهو قول أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته: **(له معنى الخالقية إذ لا مخلوق، وتأويل الربوبية إذ لا مربوب)**[3]، وهي مقام التعبير عن الذات عز وجل أنه منزه عن كل صفة وإضافة ونسبة وكل هذه في ملكه قائمة بإحداثه.

---

[1]) فصلت، ٥٣.

[2]) سبق تخريجه.

[3]) ورد في خطبة التوحيد: (له معنى الربوبية إذ لا مربوب، وحقيقة الإلهية إذ لا مألوه، ومعنى العالم ولا معلوم، ومعنى الخالق ولا مخلوق، وتأويل السمع ولا مسموع) نقلها الحراني في تحف العقول عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ص٦٥، ونقلها الشيخ الصدوق في التوحيد ص٣٨ باب٢ عن الإمام الرضا عليه السلام، وكذلك في عيون أخبار الرضا عليه السلام ج٢ ص١٣٥.

والثانية: الربوبية إذ مربوب [ذكراً فقط، وهي أول مربوب][1] ربّاه الله بنفسه، وربّى كل مربوب سواه به، وهو الحق [المخلوق به][2]، وهو الكاف المستديرة على نفسها[3]، والاسم الذي استقر في ظله ولم يخرج منه إلى غيره[4]،

---

[1]) لم ترد في (أ).

[2]) لم ترد في (ب).

[3]) يقول الشيخ الأوحد قدس سره: (وسُميت [أي المشيئة] بالكاف؛ لأنها هي أمر الله المُعبَّر عنه بكن. فالكاف إشارة إلى الكون، وهو المشيئة أو أثر المشيئة، والنون إشارة إلى العين، وهي الإرادة أو أثر الإرادة. فسُميت المشيئة بالكاف لأنها منشأ الكون وهو الوجود، وسُميت الإرادة بالكاف بمعنى المشيئة وبالنون لأنها منشأ العين، وبالمستديرة على نفسها لأن المشيئة هي الكاف، وخلقها الله بنفسها. فهي في الاعتبار كافٌ خُلِقَت بكافٍ، واستدارتها في اعتبار كونها علةً معاكسةً لاستدارتها في اعتبار كونها معلولة؛ لأن العلة استدارتها استدارة فاعلية، والمعلول استدارته استدارة مفعولية، فلذا قيل لها: الكاف المستديرة على نفسها؛ لأنها باعتبار كونها معلولة تدور على نفسها باعتبار كونها عِلَّةً) [شرح الفوائد، ج١ ص٢٨٣ الفائدة الثالثة]. ويقول ابنه الشيخ محمد تقي قدس سره: (الحقيقة المحمدية هي الكاف المستديرة على نفسها) انظر رسالة شاه زاده، ص ٥٢-٥٣.

[4]) يقول الشيخ الأوحد قدس سره: (والاسم الذي استقر في ظله فلا يخرج منه إلى غيره ... مأخوذ من الدعاء عنهم عليهم السلام، والمراد أن الفعل اسمه تعالى، ومعنى استقر في ظله تعالى أي أنه أقامه بنفسه فهو الاسم وهو الظل، والضمير في ظله يجوز أن يعود إلى الله أي استقر في ظل الله تعالى، وظل الله هو ذلك الاسم. ويجوز أن يعود الضمير إلى ذلك الاسم والمراد من ظله نفسه كما في الحديث: (يُمسك الأشياء بأظلتها)، ويكون المعنى على الاحتمالين واحد. ومعنى عدم خروجه منه إلى غيره أنه لا تتكون منه الأشياء كما يذهب إليه ضرار وأصحابه وكثيرٌ من الصوفية بأن الأشياء مركبة من وجود وهو مشيئة

وهو علة العلل(١)، ومنتهى المثل، ومبدأ الكل في الكل، الذكر الأول للأشياء(٢)، والولاية المطلقة(٣)، والسلطنة الكبرى(٤)، والكينونة الأولى(٥)، وسر بينونة الصفات والأسماء، وغيرها من أسمائها.

الله، ومن ماهية وهي الإنية، ولو كان كذلك لخرج منه إلى غيره. فافهم الإشارة) شرح الفوائد، ج١ ص٢٨٩-٢٩٠ الفائدة الثالثة.

١) علة العلل هو فعل الله تعالى. راجع المصباح المنير للمنصف قدس سره، ص٢٨٠ .

٢) يقول الشيخ الأوحد أعلى الله مقامه: (المشيئة هي الذكر الأول، يعني أن الفاعل إذا أراد صنع شيء أول ما يذكره وتتوجه إليه العناية هو المشيئة) [شرح الفوائد، ج١ ص٢٨٢ الفائدة الثالثة]، وقال: (ومعنى كون المشيئة هي الذكر الأول؛ أنَّ أول ذكر الله تعالى للشيء أن يذكره بكونه، أي: بأن يوجد كونه، وإيجاد الكون الذي هو الوجود هو المشيئة. والمراد بالذكر الأول: المعنى المصدري، ومعناه الوجود على تأويله بالمفعول، وعلى تأويله بالفاعل هو المشيئة) شرح الفوائد، ج١ ص٣٣٨ الفائدة الرابعة.

٣) يقول الشيخ الأوحد قدس سره: (المراد بالولاية المطلقة السلطنة العامة لكل شيء دخل في ملك الله سبحانه في كل ما تتعلق به إرادة الله سبحانه ... لأن الحقيقة المحمدية والولاية المطلقة اسمان على معنى واحد عندنا وإنما يختلف مفهومهما بالاعتبار) شرح الفوائد، ج١ ص٢٨٧ الفائدة الثالثة.

٤) السلطنة الكبرى هي الولاية المطلقة. راجع شرح الزيارة الكبيرة، ج٤ ص٢١٤ (مكتبة العذراء) ص١٨٠ (كرمان)، شرح فقرة: (والمقام المعلوم).

٥) يقول السيد كاظم الرشتي قدس سره في تعريف الكينونة الأولى: (هي التي من ربه، وهي متعلق الجعل الإلهي أولاً وبالذات، وهي الغاية والغرض في الإيجاد، وهي المحبة التي صارت علة للخلق لمعرفة الخالق، وهي مهابط الأنوار الإلهية، ومحالي إشراقات لمعان الصفات الفعلية) شرح الخطبة الطتنجية، ج٢ ص٦٤-٦٥، شرح فقرة: (أنيبوا إلى شيعتي).

والثالثة: الربوبية إذ مربوب ذكراً وعيناً، وهو مقام تعلق الفعل بالمفاعيل، وتمكين الأشياء بالأفاعيل[١]، وإيقاع صفات الخلق، والتمكين في مواقع التكوين، وهو عالم كن فيكون، وهو الأمر الذي قامت به الأشياء[٢]، وهذه هي الربوبية التي صارت كنهاً للعبودية أي عبودية الأشياء، فإنَّ الكُنه -بالضم- جوهر الشيء وغايته وقدره ووقته ووجهه، وهذه المعاني لا تنطبق إلا على الأخير، وأما الأولان فإطلاق الكنه فيهما لا يصح إلا بضرب من التوجيه والتأويل، فجوهر الشيء لبه وأصله وما يقوم به الشيء ويقومه، والشيء

---

١) في (ب): بالأعيان.

٢) يقول الشيخ الأوحد أحمد بن زين الدين الأحسائي قدست روحه: (واعلم أنا قد أشرنا أنَّ أمر الله الذي به تقوّمت الأشياء يُطلق على شيئين:

أحدهما: فعل الله، وهو المُشار إليه بقوله تعالى: ﴿أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾، وهذا تتقوّم به الأشياء تقوّم صدور، فكل شيء من فعل الله في حال صدوره وبقائه طريّ أبداً، فأول آناته كآخره، إذ وجوده إنما هو شيءٌ بفعل الله، فلا تحقق له في البروز في عالم الأكوان إلا بالفعل، فهو منه كالنهر الجاري من الينبوع .

والآخر: أول مفعول صدر عن الفعل، وهذا تتقوّم به الأشياء تقوّماً ركنياً، كتقوّم السرير وأبناء نوعه بالخشب، والمراد بهذا الوجود: هو الماء الذي جعل منه كل شيء حي، وهو الحقيقة المحمدية صلى الله عليه وآله، فإنّ الأشياء كلها موادها التي تتقوّم بها من أشعتها أو أشعة أشعتها) [شرح الفوائد، ج٢ ص٣٥٠-٣٥١ الفائدة الحادية عشر]. وقال قدس سره: (بأمر الله الفعلي أي المشيئة والإرادة والإبداع) [شرح المشاعر،ج٢ص٣٣٣ (مؤسسة الإحقاقي)، جوامع الكلم، ج٣ ص٥٣٥ (مطبعة الغدير)]. وقال: (أمر الله المفعولي الذي هو الماء المسمى بالحقيقة المحمدية) [شرح الفوائد، ج٢ ص ٤٠٧ الفائدة الثانية عشر]. وقال: (أمر الله المفعولي هو الحقيقة المحمدية) [راجع شرح العرشية، ج١ ص٨٦].

عرض له أي يتقوم به وإليه يرجع ويعود كما أنه منه بدأ، وذلك قَدْر الشيء -بسكون الدال- أي حدّه، وبفتحها أي هندسته وترتيب أجزائه، لأن الشيء بحدوده وأجزائه وكيفية وضعها وترتيبها يصير شيئاً، ومن جملة حدوده ومقوماته الزمان والمكان إذ بهما يكون شيئاً، وهما محلان لذكره ووجوده، وقبلهما لا اسم له ولا تحقق.

ووجه الشيء؛ ما يتوجه به، وذلك عبارة عن حقيقته وأصله الذي به يتوجه إلى موجده ومؤثره وبه يتجلى له المُوجِد، وذلك قوله عليه السلام: **(تجلّى لها بها)**[١]، وتأويل قوله عز وجل: **﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾**[٢]، والضمير راجع إلى الشيء، ومثله قوله تعالى: **﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِنْدَ اللهِ بَاقٍ﴾**[٣].

---

١) يقول الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: (لم تحط به الأوهام، بل تجلى لها بها، وبها امتنع عنها، وإليها حاكمها) نهج البلاغة،ج٢ ص١١٥ خ١٨٥.

٢) القصص، ٨٨ .

٣) النحل، ٩٦.

[معنى العبودية]

فقوله عليه السلام: **(العبودية جوهرة)** معناه ما قاله عليه السلام: **(العبد ثلاثة أحرف؛ العين علمه بالله، والباء بونه عن الخلق، والدال دنوه من الخالق بلا كيف ولا إشارة)**[١].

فالعبودية عبارة عن العلم بالله وما أراده من توحيده [في المراتب الأربع؛ الذات، والصفات، والأفعال، والعبادة، ومعرفة][٢] مظاهر أمره ونهيه[٣] من أنبيائه وأوليائه وحججه صلوات الله عليهم أجمعين، والعلم بما يقرب العبد منه سبحانه وما يبعده ويحجبه عنه من التكاليف الظاهرية والباطنية، وعن العمل والاشتغال بأوامره، والتحرز والاجتناب عن مناهيه وما يكرهه بظاهره، وعن رؤية الحسنات في باطنه، وعن الالتفات إلى ما سوى الله بقلبه، وهذا معنى قوله عليه السلام: **(بونه عن الخلق، ودنوه من الخالق بلا كيف ولا إشارة)**، وذلك هي العبودية التشريعية التي هي روح العبودية

---

[١] قال النبي صلى الله عليه وآله: (اعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، وحروف العبد ثلاثة (ع ب د)؛ فالعين علمه بالله، والباء بونه عمن سواه، والدال دنوه الله تعالى بلا كيف ولا حجاب) مصباح الشريعة، الباب الثاني ص٨ .

[٢] لم ترد في (ب).

[٣] كما قال إمامنا الهادي عليه السلام في الزيارة الجامعة الكبيرة: (والمظهرين لأمر الله ونهيه وعباده المكرمين) من لا يحضره الفقيه، ج٢ص٦١١ .

التكوينية؛ التي هي عبارة [عن][1] جميع خلقه وملكه كلٌّ بحسب رتبته من وجوده.

[مراتب العبودية]

[المرتبة الأولى: عبودية الحقيقة المحمدية لله تعالى]

فمنها مطلقة بحيث[2] لا يشذ عنها جهة من جهات العبودية، ولا يكون في الإمكان عبودية أعلى منها، وأجمع لجهاتها، وأشمل لنسبها وإضافاتها، وهذه مظهر الربوبية المطلقة الحقيقية، وحامل لعامة شؤوناتها وظهوراتها، ولا يسعها شيء غيرها وهو قوله تعالى في الحديث القدسي: **(ما وسعني أرضي ولا سمائي بل وسعني قلب عبدي المؤمن)**[3]، وهذا العبد المؤمن الواسع لظهوره سبحانه بصفة التكلم الذي هو الاسم الأعلى الأعلى الأعلى المهيمن لما سواه من الأسماء، والمخلص الصادق بحقيقة العبودية وكمال الفقر والمسكنة هو صاحب الولاية المطلقة والسلطنة الكبرى الكلية الحقيقية، الحقيقة

---

[1] في (أ): من .

[2] لم ترد في (ب).

[3] ورد في عوالي اللئالي ج٤ ص٧ ح٧ بهذه الصيغة: (لا يسعني أرضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن) وفي بحار الأنوار، ج٥٥ ص٣٩ بهذه الصيغة: (لم يسعني سمائي ولا أرضي ووسعني قلب عبدي المؤمن).

المحمدية[1] عليها الصلاة والتحية، وهو قول أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة في وصف النبي صلى الله عليه وآله: **(استخلصه في القدم على سائر الأمم، على علم منه، انفرد عن التشاكل والتماثل من أبناء الجنس، انتجبه آمراً وناهياً عنه، وأقامه في سائر عالمه في الأداء مقامه)**، إلى أن قال في وصف العترة الطاهرة: **(ثم اختص لنفسه من بعد نبيه من بريته خاصة علاهم بتعليته، وسما بهم إلى رتبته)**[2]، وذلك مقام الوساطة الكلية، والعصمة الذاتية الحقيقية تشريعاً وتكويناً.

[1] يقول الشيخ الأوحد قدس سره: (الحقيقة المحمدية لها عندنا إطلاقان: وقد نطلقها ونريد بها المقامات التي هم اسم الفاعل، كـ(القائم) الذي هو اسم فاعل القيام، والقائم مركب في الحقيقة من فعل متقوِّم بفاعله تقوُّم صدور ومن أثر فعل، وهو القيام الذي هو الحدث، وهذا المقام أعلى ما يحصل في الإمكان الراجح) إلى أن يقول: (وقد نطلقها ونريد بها أثر المشيئة الكونية، وهو أول صادر من مشيئة الله، وهو الوجود، وهو الماء الذي جعل منه كل شيء حي، وهو العنصر الأول لكل محدث، وهو نور الأنوار، والمادة الأولى التي خلق الله كل شيء من شعاعها، وهي بمنزلة القيام) شرح الفوائد ج١ ص٢٨٥-٢٨٦ الفائدة الثالثة.

[2] بحار الأنوار، ج٩٤ ص١١٣، الخطبة التي خطبها أمير المؤمنين عليه السلام يوم الغدير.

[المرتبة الثانية: عبودية الأنبياء لله تعالى]

ومنها خاصة كلية إضافية، وهذه عبودية الأنبياء والرسل، فإن عبوديتهم لله لا تكون إلا [بولاية الأربعة عشر صلوات الله عليهم][١] ومحبتهم، لكونهم حاملين لولايته سبحانه ومظاهر لها، ووسائط لربوبيته، فلا تكون الأنبياء[٢] عبوديتهم لله تكويناً وتشريعاً وكونهم قابلين ومستأهلين لفيض آثار الربوبية إلا بالعبودية لهم عليهم السلام، فعبوديتهم لله فرع وتابعة لعبودية محمد وآله صلوات الله عليهم له وأثرها، وإن كانوا بالنسبة إلى من دونهم متبوعين في العبودية وحججاً عليهم، ويدل على ذلك ما رواه المفيد في الاختصاص بسنده إلى المفضل ابن عمر قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: **(إن الله تبارك وتعالى توحّد بملكه فعرّف عباده نفسه، ثم فوض إليهم أمره، وأباح لهم جنته، فمن أراد الله أن يُطهر قلبه من الجن والإنس عرّفه الله تعالى ولايتنا، ومن أراد أن يطمس على قلبه أمسك عنه معرفتنا، ثم قال: يا مفضل والله ما استوجب آدم أن يخلقه الله بيده وينفخ فيه من روحه إلا بولاية علي بن أبي طالب عليه السلام، وما كلّم الله موسى تكليماً إلا بولاية علي عليه السلام،**

---

[١] في (ب) بدل هذه الجملة: بالإقرار بولايتهم.

[٢] ورد هنا في النسخة (ب): (الأربعة عشر صلوات الله عليهم) ويتضح أنه خطأ وفيها تقديم وتأخير مع الجملة السابقة.

ولا أقام عيسى بن مريم آية للعالمين إلا بالخضوع لعلي عليه السلام، ثم قال: أجمل لك الأمر ما استأهل خلق من الله النظر فيه إلا بالعبودية لنا)[1] الحديث.

فتأمل في عموم قوله عليه السلام: **(ما استأهل خلق...إلخ)**، بعد تخصيص بعض الأنبياء من أولي العزم هل بقي شيء لم يعرض عليه ولايتهم؟ بل ما طاب شيء وما استأهل لعناية الله ورحمته إلا بالخضوع لهم، وما خبث شيء من الخلق وما استحق لغضبه وسخطه إلا بالاستكبار عن ولايتهم **﴿حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ﴾**[2]، وهو قول أمير المؤمنين عليه السلام: **(فإن الدهر فينا قسمت حدوده، وعلينا أخذت عهوده، ولنا برزت شهوده)**[3].

والأنبياء ما اختلفوا في كونهم مرسلين وغيرهم [وأولي العزم وغيرهم][4] إلا من اختلاف عبوديتهم للأئمة عليهم السلام، والخضوع لهم، والعزم لإقامة حدود ولايتهم، بتحمل الأذى والمشاق في تبليغ أحكام ولايتهم، فتكون عصمة الأنبياء عند عصمتهم عليهم السلام كنسبة عبوديتهم إلى عبوديتهم، إذ العصمة هي القيام بمقتضى العلم، وأن لا يتخلف في جزئي

---

[1]) الاختصاص، ص٢٥٠.

[2]) البقرة، ١٠٩.

[3]) قال أمير المؤمنين عليه السلام: (لأن الدهر فينا قسمت حدوده، ولنا أخذت عهوده، وإلينا ترد شهوده) الهداية الكبرى، ص٤٣٣، الباب ١٤.

[4])لم ترد في (ب).

ولا كلي، ولا كل ولا جزء عن جهات علمه ومعرفته، ولاشك أن علم جميع الأنبياء [في علمهم][١] كالذرة في القفر، وكذلك عصمتهم وعبوديتهم، وهو ما قاله أمير المؤمنين عليه السلام لطارق بن شهاب في وصف الأئمة عليهم السلام: **(إن علم الأنبياء في علمهم، وسرّ الأوصياء في سرّهم، وعزّ الأولياء في عزّهم كالقطرة في البحر والذرة في القفر)**[٢] الحديث.

فكلما كانت الأنبياء عليه[٣] من الكمالات والصفات والأخلاق الحميدة على اختلاف مراتبهم وتفاوت مقاماتهم رشح من رشحات بحر جودهم، ونفحة من نفحات أنفاس شهودهم عليهم السلام.

وكذلك الربوبية الظاهرة في حقائق الأنبياء وسائر مراتبهم لهم ولغيرهم بهم عند ما هو كنه عبودية المعصومين الأربعة عشر عليهم السلام من الربوبية حرفاً بحرف بلا تفاوت.

---

[١] لم ترد في (ب).

[٢] مشارق أنوار اليقين، ص١٧٨.

[٣] هكذا جاءت في النسخ المخطوطة، والظاهر أنها: عليهم.

[المرتبة الثالثة: عبودية سائر الخلق لله تعالى]

ومنها عبودية سائر الخلق من الإنسان، والملك، والجن، والحيوان، والجماد، والنبات، على حسب رتبة وجودهم طولاً، وعلى قدر اختلاف أفراد كل رتبة سلوكاً تشريعاً أو حصولاً تكويناً في العرض[١]، وعلى تعدد مراتب تنزلات كل رتبة إلى انتهاء تمامها طولاً في العرض، فكل واحد له عبودية خاصة بحسبه من الرتبة وذلك قوله تعالى: **﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً﴾**[٢]، وقوله تعالى: **﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ اِئْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾**[٣]، فالإنسان في عبوديته لا يمكنه الوصول إلى أدنى مراتب العصمة وإن بلغ فيها ما بلغ، كيف وحقيقته وذاته من شعاع الأنبياء أهل العصمة، وعبوديته أثر من هيئة عبوديتهم، كلما يسير ويصعد في مدارج مراتبها لا تنتهي المسافة أبداً، إذ الشيء لا يتجاوز حدّه **(انتهى المخلوق إلى مثله)**[٤]،

---

[١]) في (ب): بالعرض.

[٢]) مريم، ٩٣.

[٣]) فصلت، ١١.

[٤]) قال أمير المؤمنين عليه السلام: (رجع معنى الوصف في الوصف وعمي القلب عن الفهم، والفهم عن الإدراك، والإدراك عن الاستنباط، ودوام الملك في الملك، وانتهى المخلوق إلى مثله، وألجأه الطلب إلى شكله، وهجم به الفحص إلى العجز، والبيان على الفقد، والجهد على اليأس، والبلاغ على القطع،

وكذلك الربوبية التي هي كنه هذه العبودية في الربوبية الظاهرة لأهل العصمة كنسبة عبوديتهما من دون تفاوت، وهكذا مرتبة الجن عند الإنسان، والحيوان عند الجن، والنبات عند الحيوان، والجماد عند النبات، عبودية كل سافل عند عاليه وربوبيتهما الظاهرة فيهما نسبة الشعاع من المنير والأثر من المؤثر، وهو [و] إن كان لا يزال يترقى لا ينقص المسافة وليس لها غاية ولا نهاية، فتأمل لعلك تحظى بالأمل فإنها لا ينبغي أن تهمل.

فالسبيل مسدود، والطالب مردود) جزء من الخطبة المعروفة بالدرة اليتيمة، راجع كتاب ملحق نهج البلاغة لأحمد بن يحيى بن ناقة الكوفي، ص٣٨.

[معنى قول الإمام عليه السلام: (جوهرة)]

قوله عليه السلام: **(جوهرة)** أشار به ظاهراً إلى شيئين:

الأول: أنه شيء نفيس ثمين عزيز الوجود لا يوجد إلا في خزائنه سبحانه، ولا ينبغي ولا يليق لأحد إلا له عز وجل، وإن كان لله فهو عز وفخر وله صفاء وضياء وبهاء وسناء، وإن كان لغيره فهو ذل وكفر وله ظلمة وسواد وكثافة وخباثة، وكفى بقول رسول الله صلى الله عليه وآله شاهداً ودليلاً في ذلك وهو: **(الفقر فخري وبه أفتخر)**[1]، وكذلك قول أمير المؤمنين عليه السلام: **(كفاني فخراً أن أكون لك عبداً، وكفاني عزاً أن تكون لي رباً)**[2].

والتاء فيه الموحدة يعني أنه جوهر من الجواهر النفيسة الموجودة في خزانة ملكه سبحانه من الدرة البيضاء، والعقيق الأصفر، والزمرّدة الخضراء، والياقوتة الحمراء[3] وغيرها.

---

[1]) بحار الأنوار، ج٦٩ ص٤٩.

[2]) بحار الأنوار، ج٧٤ ص ٤٠٠.

[3]) هذه المسميات مرادفة لمصطلح عالم العقول، عالم الأرواح، عالم النفوس، عالم الطبائع، يقول السيد كاظم الرشتي قدس سره: (من حجاب الياقوت إذا كان عالم الطبيعة بالنسبة إلى الأجسام، وحجاب الزبرجد أو الزمرد إذا كان عالم النفوس، وحجاب العقيق أو الذهب إذا كان عالم الأرواح، وحجاب اللؤلؤ والدرة البيضاء إذا كان عالم العقول وهكذا) جواهر الحكم، رسالة في جواب الآغا سيد علي

ويحتمل أن تكون للمبالغة والتعظيم؛ بمعنى أن العبودية جوهرة نفيسة ليس في الكون جوهر أعلى رتبة منها ولا أبهى ولا أصفى ولا شيء يساويها، كيف لا[١] ولم يفتخر الأئمة المعصومون عليهم السلام بشيء أبداً إلا بالفقر إلى الله والعبودية له، وإنما العقل وروح القدس الذي هو أول عالم الخلق وأشرفه قد قال الإمام عليه السلام فيه: **(روح القدس في جنان الصاقورة ذاق من حدائقنا الباكورة)**[٢]، وقال: **(العقل ما عُبد به الرحمن واكتسب به الجنان)**[٣]، وأنه: **(جوهر بسيط درّاك محيط يعرف الأشياء من جميع جهاتها ويدرك الشيء قبل كونه وهو علة الموجودات ونهاية المطالب)**[٤].

انظر كيف عده عليه السلام من جملة خدامه، وذكر أنه آلة أُعطي الناس [إياها أداء لمراسم العبودية][٥]، ولم يفتخر به مع علو شأنه وسمو مكانه فكيف بغيره، ولها معنى آخر سيذكر إن شاء الله.

البهبهاني، ج٢ ص٥١٤. وللإستزادة حول موضوع العوالم راجع ما كتبه شيخ المتألهين الشيخ الأوحد قدس سره في كتابه شرح الفوائد، الفائدة الخامسة.

[١]) لم ترد في المخطوطة (أ).

[٢]) بحار الأنوار، ج٢٦ ص٢٦٥.

[٣]) الكافي، ج١ ص ١١، كتاب العقل والجهل.

[٤]) العقل والجهل في الكتاب والسنة، ص٢١.

[٥]) في (ب): (أيا المراد أسمى العبودية) و الظاهر أنه خطأ من الناسخ.

الثاني: إن الجوهر يقابل العرض، وهو على ما ذكره الحكماء موجود لا في موضوع، كما أن العرض موجود في موضوع، والموضوع مكان يتقوم بنفسه من دون ما يعرض له كالجسم فإن جسمية الشيء تقوم وتتحقق من دون ما يعرضه من البياض والسواد وغيرهما من الألوان من غير عكس، فإن اللون لا يقوم إلا بالجسم، وإنما قالوا لا في موضوع دون في محل احترازاً عن المادة والصورة، فإن الجواهر عندهم خمسة؛ العقل، والنفس، والمادة، والصورة، والجسم، ويقولون أن المادة محل والصورة حالة لها وكل واحدة منهما لا تقوم إلا بصاحبته، فالمحل يشمل ما لا يقوم ولا يتحقق بنفسه بدون ما يحله، والموضوع ما يقوم بنفسه ولا يحتاج في وجوده إلى ما يعرضه، ويقولون أن المحل أعم من الموضوع يفارقه في المادة، كما أن الحال أعم من العرض يفترق عنه في الصورة.

والذي تدله[1] أخبار أهل العصمة عليهم السلام هو أن الجوهر ما يقوم به الشيء، والعرض ما يتقوم بغيره، وكل شيء يكون سبباً ومقوماً بالنسبة إلى شيء، ومسبباً ومتقوّماً بآخر إلى أن ينتهي إلى أمر الله الفعلي والمفعولي، وفي الدعاء: **(كل شيء سواك قام بأمرك)**[2]، وقوله عز وجل: **﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ**

---

[1]) في (ب): يدل عليه.

[2]) بحار الأنوار، ج٨٧ ص١٤٨ ، دعاء آخر ليوم السبت.

السَّمَاءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ ﴾[١] فالأعراض تكون جواهر ومقومات لأعراضها كشدة السواد وضعفه في الأسود، والجواهر تكون أعراضاً لعللها ومتقومة بها. فقوله عليه السلام: **(جوهرة)** يشير إلى أن العبودية شيء أصيل ثابت، لها آثار وفروع تتقوم بها وهي تقوّمها، وهذا رد على من زعم أن المصادر من الإمكان والوجود والحدوث وغيرها أمور اعتبارية لا وجود لها إلا باعتبار المعتبر ويكون وجودها ذهنياً لا خارج له[٢]، وهذا من السخافة والبطلان بمكان يستغني عن البيان وليس هنا موضع التعرض بوجوه رده[٣]، وكفى بقوله عليه السلام رداً بأن العبودية التي هي من المعاني المصدرية جوهرة تقوم بها الأعراض، والأشياء التابعة لها في كل مرتبة بحسب رتبتها وإن كانت عرضاً ومتقومة بالربوبية[٤] التي هي كنهها وجوهرها منها بدؤها وإليها عودها، وبيدها رتقها وفتقها، وهي جوهر الجواهر، وأصل الأصول، وغاية المحصول[٥]، وما سواها بها تأصلت وبتجهيرها تذوتت وتجوهرت.

---

[١]) الروم، ٢٥.

[٢]) راجع كشف المراد ص٦٠، المقصد الأول، الفصل الأول، المسألة ٣٤ .

[٣]) توجد رسالة للشيخ الأوحد أحمد بن زين الدين الأحسائي قدس سره بعنوان الرسالة الاعتبارية، ناقش فيه هذه المسألة فراجع.

[٤]) في (ب): بأن الربوبية.

[٥]) في المخطوطة (ب): للحصول.

ومن هنا يظهر المعنى الآخر للتاء الذي وعدناه وهو أن تكون التاء للنقل وعلامة بأن موردها فرع لآخر كان استعمال لفظ الجوهر فيه حقيقة أولاً وبالذات وهو الربوبية، ثم نقل منها واستعمل في العبودية حقيقة ثانياً وبالعرض، وذلك كما يلحقون التاء في المؤنث إشارة إلى أنها فرع وتابع لآخر وهو المذكر ويجري المعنيان السابق ذكرهما هنا أيضاً.

[معنى قول الإمام عليه السلام: (كنهها الربوبية)]

قوله عليه السلام: **(كنهها الربوبية)** فيقال كنه الشيء جوهره وحدّه وغايته ووجهه.

واعلم أن الربوبية ربوبيتان:

ربوبية ذاتية: وهي عين ذاته سبحانه بلا تعدد ومغايرة لا مصداقاً ولا مفهوماً ولا فرضاً واعتباراً وتجويزاً، وهي الربوبية إذ لا مربوب لا ذكراً ولا عيناً، وهذه تجل أن توصف بكونه كنهاً بأي معنى كان[1].

وربوبية فعلية: وهي فعله سبحانه، وهو ربوبية ليس للأشياء هنا وجود إلا ذكرها إلا نفسه، فإن له وجوداً ذكراً وعيناً، وهو قوله عليه السلام: **(خلق المشيئة بنفسها)**[2]، فإن المشيئة مفعول خَلَقَ وهو عبوديّتها وكونها مربوباً، ونفسها ما به خلقت المشيئة وهي ربوبيتها وكنهها ومقوّمها وأول ذكرها ومنتهاها ووجهها الذي به تتوجه إليه سبحانه وبمعرفته تعرف ربّه، وقد قال عليه السلام: **(من عرف نفسه فقد عرف ربه)**[3]، وهي التي تدور

---

[1] لم ترد في المخطوطة (أ).

[2] الكافي، ج١ ص١١٠، باب الإرادة.

[3] عوالي اللئالي ج٤ ص١٠٢. بحار الأنوار ج٢ ص٣٢ ب٩ ر٢٢.

المشيئة عليها وتستمد منها أبداً، وهي تمدها دائماً سرمداً، وهو [قول الحكماء][١] في وصفها الكاف المستديرة على نفسها[٢]؛ وذلك كله تعبير وتفهيم وصفة استدلال عليها لا صفة تكشف عنها؛ لأن المشيئة نفسها عين مفعوليتها وبالعكس، وهما عين خَلَقَ، وهو أبسط ما في الإمكان ليس في الإمكان شيء أعلى رتبة منه بساطة ووحدة، إذ جميع الوحدات والبساطة التي تتصور أثرها ومعلولها وبها قامت، إلا أنه سبحانه وصف فعله بآثاره لعباده وهم يستدلون عليه بما يرونه من وصفه وصف استدلال لا وصف اكتناه؛ **(قد علم أولوا الألباب أن الاستدلال على ما هنالك لا يعلم إلا بما ها هنا)**[٣]، وتلك الربوبية الفعلية أثر للربوبية الأولى قائمة بها بلا كيف ومثلها الأعلى، ومثالها الملقى، واسمها المكنون المخزون المستقر في ظله ولم يخرج منه إلى غيره.

---

١) في (أ): وهو قوله عليه السلام.

٢) تقدم معناها فراجع .

٣) التوحيد، ص٤٣٨.

[كيفية الخلق، وترتب المخلوقات]

فلما تعلق فعله سبحانه على الأشياء بإيجادها أحدث أولاً الوجود المطلق(١)، والماء الأول(٢) الذي كان عرشه عليه قبل أن يخلق السموات والأرض بحيث لو صب خردل في الهواء حتى يسد الفضاء وعمرت مقدار ما تنقلها مع ضعفك حبة حبة من المشرق إلى المغرب لكان ذلك جزءاً من مائة ألف جزء من حبة شعير من مقدار ما كان العرش على الماء أستغفر الله من التحديد بالقليل(٣). وهذا العرش هو المشيئة وهي أحد إطلاقاته، والماء ماء

---

١) يقول الشيخ الأوحد قدس سره: (الوجود المطلق ونريد به: الوجود الممكن الراجح الوجود، وهو فعل الله ومشيئته، وإرادته وإبداعه، مع ما تقوّم به من أثره ومتعلَّقه من الحقيقة المحمدية، وفلك الولاية المطلقة، والماء الذي به حياة كل شيء) شرح الفوائد، ج٢ ص٩٧ الفائدة السادسة.

٢) يقول الشيخ الأوحد قدس سره: (إنَّ الماء الأول الذي هو أول صادرٍ من المشيئة الكونية، وهو الحقيقة المحمدية صلى الله عليه وآله، وهو الوجود، والعنصر الذي منه خلق الله كل شيء، أي من شعاعه، وبه حيي كل شيء؛ لأنه الماء، وبه قوام كل شيء، لأنه أمر الله الذي قام به كل شيء قيام تحقق يعني قياماً ركنياً) شرح الفوائد ج٢ ص١٩٠-١٩١ الفائدة الثامنة.

٣) اقتبس المصنف هذا من الرواية الواردة عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: (قال الرجل: فكم مقدار ما لبث عرشه على الماء من قبل أن يخلق الأرض والسماء، قال علي عليه السلام: أتحسن أن تحسب، قال نعم، قال للرجل: لعلك لا تحسن أن تحسب، قال: بلى إني لأحسن أن أحسب، قال علي عليه السلام: أرأيت إن صب خردل في الأرض حتى سد الهواء وما بين الأرض والسماء ثم أذن لك على ضعفك أن تنقله حبة حبة من مقدار المشرق والمغرب وفي مد عمرك وأعطيت القوة على ذلك حتى تنقله وأحصيته لكان ذلك أيسر من أن أحصي عدد أعوام ما لبث عرشه على الماء من قبل أن يخلق الأرض والسماء ، وإنما

الوجود الذي به حياة كل شيء، وذلك الوجود له جهتان العليا والسفلى حاكيتان من جهتي الفعل مثالان لهما، وهو أول شيء صدر من فعله سبحانه، أحدثه بفعله لا من شيء ولا لشيء، واختصه لنفسه وجعله محلاً لفيضه، إذ هو العبد الذي لا يسعه غيره، وملكه الأعلى علواً سقطت الأشياء دون بلوغ أمده[١]، ورحمة لجميع خلقه واسعة، لأنه الحجاب الأعلى الأكبر، لولاه ما قدر شيء أن يتحمل بأعباء أثقاله، وأن يقابل بسطوع ذرة من أشعة جماله **(إن لله سبحانه سبعين[٢] ألف حجاب من نور وظلمة لو كشف حجاب[٣] منها لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره [من خلقه][٤])**[٥]، [و] فوق جميع الحجب الوجود المطلق، الحقيقة المحمدية، والعبودية الحقيقية القائمة بالله

وصفت منقصة عشر عشر لعشر من جزء من مائة ألف جزء ، وأستغفر الله عن التقليل والتحديد) بحار الأنوار، ج١٠ ص١٢٧ ب ٨.

١) ورد من دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام بعد صلاة الليل: (واستعلى ملكك علواً سقطت الأشياء دون بلوغ أمده) مصباح المتهجد، ص١٨٨.

٢) لم ترد في (ب).

٣) في (ب): واحد.

٤)لم ترد في (أ).

٥) روي عنه صلى الله عليه وآله أنه قال: (إن لله سبعين حجاباً، وفي رواية أخرى سبعمائة حجاب، وفي أخرى سبعين ألف حجاباً من نور وظلمة لو كشفها عن وجهه لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره من خلقه) عوالي اللئالي، ج٤ ص١٠٦.

بفعله سبحانه، وهو الربوبية وهي كنهها أي مقوّمها بنفسها، وهو حدّها وغايتها أي مبدؤها ومنتهاها؛ **(رجع من الوصف إلى الوصف، ودام الملك في الملك، انتهى المخلوق إلى مثله)**[1]، وهو وجهها به توجهها واستمدادها وبه غناها وبقائها وإمدادها. وهذه الربوبية [هي] الولاية المطلقة، وتلك العبودية هي النبوة المطلقة، وكانت تلك الحضرة المحمدية صلوات الله عليها تعبد الله وتسبحه وتقدسه قبل الخلق ما شاء الله، ثم أراد الرّب جلّ وعلا أن يخلق خلقه برحمته؛ ليفوزوا بمعرفته وعبادته [في] دار كرامته، فأقامه مقام الحياء وهو آخر مقامات وقوفه ونزوله عليه السلام، فنظر إليه بعين الهيبة فرشح وقطرت [منه] مائة ألف وأربعة وعشرون ألف قطرة، فخلق الله من كل قطرة روح نبي ورسول[2].

---

[1]) مقطع من الخطبة اليتيمية لأمير المؤمنين عليه السلام، سبق تخريجه.

[2]) يشير المؤلف قدس سره إلى ما رواه جابر بن عبد الله قال: قلت لرسول الله صلى الله عليه وآله: أول شيء خلق الله تعالى ما هو؟ فقال: نور نبيك يا جابر، خلقه الله ثم خلق منه كل خير، ثم أقامه بين يديه في مقام القرب ما شاء الله، ثم جعله أقساماً، فخلق العرش من قسم، والكرسي من قسم، وحملة العرش وخزنة الكرسي من قسم، وأقام القسم الرابع في مقام الحب ما شاء الله، ثم جعله أقساماً فخلق القلم من قسم، واللوح من قسم، والجنة من قسم، وأقام القسم الرابع في مقام الخوف ما شاء الله ثم جعله أجزاءً، فخلق الملائكة من جزء، والشمس من جزء، والقمر والكواكب من جزء، وأقام القسم الرابع في مقام الرجاء ما شاء الله، ثم جعله أجزاءً فخلق العقل من جزء، والعلم والحلم من جزء، والعصمة والتوفيق

ففي هذا المقام الأربعة عشر المعصومون عليهم السلام أبواب الله، وألسنة إرادته، وتراجمة مشيئته، يظهر فعله بهم، وهم يتلقون فيضه وإمداده من مشيئته ويوصلونه إلى قوابل الأنبياء وحقائقهم ويترجمونه بلغتهم ولسانهم ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾[1]، حتى يستأهلوا للإدراك والقبول، ويستعدوا لتلقي المقبول فيقبلونه كل بحسب قابليته وعلى قدر استعداده، وهم عليهم السلام أعضاد أيضاً اتخذهم الله أعضاداً لخلقه[2]، فخلق حقائق أنبيائه وعقولهم وأرواحهم من رشحهم عليهم السلام وعرقهم وفاضلهم، فجعل ذلك الشعاع والفاضل مادة لهم كل له حصة منها خاصة له، والحصص تختلف باختلاف القوابل وتتحدد وتتصور بحدود القبول الذي هو شعاع قبولهم عليهم السلام وأعمالهم.

من جزء، وأقام القسم الرابع في مقام الحياء ما شاء الله، ثم نظر إليه بعين الهيبة فرشح ذلك النور وقطرت منه مائة ألف وأربعة وعشرون ألف قطرة فخلق الله من كل قطرة روح نبي ورسول، ثم تنفست أرواح الأنبياء فخلق الله من أنفاسها أرواح الأولياء والشهداء والصالحين) بحار الأنوار، ج٢٥ ص٢١ ب١.

[1]) إبراهيم، ٤.

[2]) إشارة إلى قول مولانا صاحب الأمر عجل الله فرجه الشريف في الزيارة الرجبية: (أَعْضَادٌ وأَشْهَادٌ، وَمُنَاةٌ وَأَذْوادٌ، وَحَفَظَةٌ وَرُوَّادٌ، فَبِهِمْ مَلأْتَ سَمَاءَكَ وَأَرْضَكَ حَتَّى ظَهَرَ أَنْ لا إِلهَ إِلّا أَنْتَ) مصباح المتهجد ص٨٠٣ في أدعية شهر رجب. إقبال الأعمال ج٣ ص٢١٤. الدعاء الذي خرج من الناحية المقدسة.

فالأنبياء في مراتبهم كلها عباد لله مكرمون، وهو سبحانه يربيهم وجوداً وبقاءً وموتاً وحياةً وشرعاً وكوناً بوجه من وجوه الفعل الكلي المتعلق لذلك الرشح والشعاع قبل انقسامه وتحصصه بالقوابل والانفعالات، وذلك الفعل له وجوه عدد قطرات ذلك الرشح يربي ويمد سبحانه كل واحدة من تلك القطرات بوجه من وجوهه خاص بها، ويربي حد كل واحدة منها بهيئة ذلك الوجه الخاص بها، وهو ربوبية متعلقه من القطرات، وهي كنهها أي جوهرها ومقومها [و] ساد حوائجها، وهو مبدؤها ومنتهاها، منه بدأت وإليه تعود، وهو وجهها إلى ربّها به تتوّجه إليه، وتعرفه وتعبده، وهو الباب الذي وقفت القطرة عنده بفقرها، والجناب الملاذ لها بسؤالها.

ثم ذلك الفعل الكلي[1] ظهر من هوية الحقيقة المحمدية صلوات الله عليها، وهو أثر ومثال للفعل المتعلق لتلك الحقيقة العليا، كما أن الرشح والشعاع أثر ومثال لها أوجده الفاعل بها لا من شيء، وهي الهوية الأولى العليا، قد ألقى سبحانه فيها مثاله، وأظهر عنها أفعاله[2]، وهي الآية الكبرى، والمقامات والعلامات التي لا تعطيل لها في كل مكان يعرفه بها من عرفه لا

[1]) في (ب): العقل الكلي.

[2]) قال أمير المؤمنين عليه السلام لما سئل عن العالم العلوي: (صور عارية عن المواد، خالية عن القوة والاستعداد، تجلى لها فأشرقت، وطالعها فتلألأت، وألقى في هويتها مثاله، فأظهر عنها أفعاله) عيون الحكم والمواعظ، ص٣٠٤ ب١٤.

فرق بينها وبينه إلا أنهم عباده وخلقه رتقها وفتقها بيده بدؤها منه وعودها إليه[1].

ثـم هذه القطرات القاطرة داخلة تحت حقيقة واحدة مشتركة فيها وهو الرشح المنقسم لها الجامع لكلها ومختلفة اعتدالاً واستقامةً باختلاف القوابل والإقبال لإجابة دعوة الرب عز وجل أصالةً وتبعاً سبقاً وتأخراً، وكانت قطرة منها أشد وأقوى استقامةً واعتدالاً وأسبق وأقدم إجابةً وإقبالاً فجعله **﴿رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمْ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾**[2]، وأمر الله بطاعته، وجعل طاعتَه طاعته، وانتجبه آمراً وناهياً عنه، وأقامه في سائر عالمه في الأداء مقامه[3]، وهو خليفة الله فيهم وهم رعاياه، وهو

---

[1]) إشارة إلى الدعاء الصادر من الناحية المقدسة في شهر رجب: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِمَعَانِي جَمِيعِ مَا يَدْعُوكَ بِهِ وُلاةُ أمْرِكَ، الْمَأْمُونُونَ عَلَى سِرِّكَ، الْمُسْتَبْشِرُونَ بِأمْرِكَ، الواصِفُونَ لِقُدْرَتِكَ، الْمُعْلِنُونَ لِعَظَمَتِكَ. أَسْأَلُكَ بِمَا نَطَقَ فِيهِم مِنْ مَشِيئَتِكَ، فَجَعَلْتَهُمْ مَعَادِنَ لِكَلِمَاتِكَ، وَأرْكاناً لِتَوْحِيدِكَ، وَآيَاتِكَ وَمَقَامَاتِكَ، الَّتِي لا تَعْطِيلَ لَهَا فِي كُلِّ مَكَانٍ، يَعْرِفُكَ بِهَا مَنْ عَرَفَكَ، لا فَرْقَ بَيْنَكَ وبَيْنَهَا إلّا أَنَّهُم عِبادُكَ وَخَلْقُكَ، فَتْقُهَا وَرَتْقُهَا بِيَدِكَ، بَدْؤهَا مِنْكَ وَعَوْدُهَا إلَيْكَ...إلخ) مصباح المتهجد، ص٨٠٣. إقبال الأعمال، ج٣ ص٢١٤.

[2]) آل عمران، ١٦٤.

[3]) عن مولانا الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام قال: (اتفق في بعض سني أمير المؤمنين عليه السلام الجمعة والغدير فصعد المنبر على خمس ساعات من نهار ذلك اليوم فحمد الله حمداً لم يسمع بمثله، وأثنى عليه بما لا يتوجه إلى غيره فكان ما حفظ من ذلك: وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، استخلصه في

القيّم وهم يتاماه، بل هو القطب والقلب وهم دائرته وأعضاؤه، فلولاه لتفرّقت الدائرة ولما انتظمت، ولتلاشت الأعضاء وما قامت، وأولوا العزم منهم أقواهم عزماً واهتماماً في طاعة قطبهم والتأسي به، والتحفظ في تنظيم ملكه وتشييد سلطانه؛ بتحمل المشاق في تبليغ أوامره ونواهيه، وإجراء أحكامه، والصبر على الأذى من الأعداء وضعفاء الأولياء، ثم المرسلون، ثم الأنبياء كلٌ بحسبه، وهنا أشياء لا تحصى كثرةً[١] قد اكتفينا عنها بما ذكرنا فكم من خبايا في زوايا.

ثـم لما أراد سبحانه أن يمنّ على العباد ابتداءً -إذ كل نعمه ابتداء، وإحسانه تفضل- فخلق نوع الإنسان من أنفاس نوع الأنبياء وفاضلهم، فأتم إحسانه عليهم بإرسال الرسل وبعثهم، ولبس عليهم ما يلبسون، كما مَنّ وأحسن عليهم فيما مضى بخلق الأنبياء عليهم السلام وجعلهم وسائط وحجباً لإشراق ضياء فيض الكون والوجود من شمس المشيئة بوساطة

القدم على سائر الأمم على علم منه، انفرد عن التشاكل والتماثل من أبناء الجنس، وانتجبه آمراً وناهياً عنه، أقامه في سائر عالمه في الأداء مقامه؛ إذ كان لا تدركه الأبصار ولا تحويه خواطر الأفكار) مصباح المتهجد، ص٥٢٤. بحار الأنوار، ج٩٤ ص١١٣ ح٨.

[١]) لا توجد في (أ).

الحجاب الأكبر[1] محمد وآله صلوات الله عليهم حتى يحفظوا إشراقها أن يحرق من دونهم من الخلق بحرارته وصفائه، ويظهر من وراء الحجاب نور الإشراق وشعاعه أكدر وأضعف ليستعد أهل ذلك المقام لمقابلته والإستضاءة منه بضوء الوجود في الغيب والشهود، ويستأهلوا للامتنان من الملك الودود، فإنهم عليهم السلام من الحجب التي لو كشف واحد منها **(لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه)**[2]، والوجه فعله تعالى ومحله الواسع له بجميع جهاته وعامة شؤوناته، وذلك أكرم الوجوه وأعز الوجوه الذي دانت له الوجوه، وخضعت له الرقاب، وخشعت له الأصوات، والسبحات هي أنوار الوجه وأشعتها المتعلقة لسائر الوجوه، فكما أن الأنبياء عليهم السلام محال أوامر الله ونواهيه التكليفية التي بها تتحقق وتوجد الموجودات التشريعية من الكفر والإيمان، والسعادة والشقاوة، والحق والباطل على تعدد مراتبها قوة

---

[1]) ورد في الأحاديث والزيارات الشريفة إطلاق (الحجاب) على رسول الله وأهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين، ومنها ما روي في الكافي عن بريد العجلي قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: (بنا عبد الله، وبنا عرف الله، وبنا وحد الله تبارك وتعالى، ومحمد حجاب الله تبارك وتعالى) [الكافي، ج١ ص١٤٥ باب النوادر من كتاب التوحيد]، و في الزيارة الرجبية التي خرجت من الناحية المقدسة: (وصلى الله على محمد المنتجب، وعلى أوصيائه الحجب) [المزار، ص٢٠٣]، وورد في زيارة الإمام الحجة عجل الله فرجه الشريف: (السلام عليك يا حجاب الله القديم الأزلي) [بحار الأنوار، ج٩٩ ص٩٨].

[2]) سبق تخريجه .

وضعفاً وكمالاً ونقصاً، فلولاهم ما وجدت الشرائع والشرعيات [وبارتفاعهم مطلقاً ارتفعت الشرائع والشرعيات][١]، فكذلك وجودهم عليهم السلام محل الأوامر والنواهي التكوينية القائمة بها الوجودات الكونية صدوراً[٢] بجميع اختلافها من الكبر والصغر، والعلو والهبوط، والإطلاق والتقييد، والجسم والمجرد، والدهر والزمان، وغيرها على تعدد مراتبها وتفاوت جهات حدودها، ومن هنا معنى ما قاله عليه السلام: **(لو تخلو الأرض من حجة ظاهر مشهور، أو خائف مستور، لساخت الأرض بأهلها)**[٣] والسماوات معها وارتفعت الوجودات بأسرها.

فكما أن التكاليف صدرت وظهرت بأمر الله ونهيه الشرعيين الظاهرين في نبيّه وبه فالله سبحانه هو الآمر والناهي بلسان نبيّه صلى الله عليه وآله، والموجِد للتكاليف به لا من شيء كان قبل أمره، بل جعل أثر نبيه وشعاعه

---

١) لم ترد في (أ).

٢) يقول الشيخ الأوحد قدس سره: (قيام الصدور: كقيام نور الشمس بالشمس، و معناه قيام الشي ء بإيجاد موجدِه بحيث لا يتحقق في مدة أكثر من مدة إيجاده، و ذلك كنور الشمس و كالصورة في المرآة) شرح العرشية، ج١ ص٣١٣.

٣) وردت عدة روايات في هذا المعنى ومنها: (ولم تخلو الأرض منذ خلق الله آدم من حجة لله فيها، ظاهر مشهور أو غائب مستور، ولا تخلو إلى أن تقوم الساعة من حجة الله ولولا ذلك لم يعبد الله) الاحتجاج، ج٢ ص ٤٨.

الصادر عنه لا من شيء وهو فعله وكلامه القائم بأمر الله مادة لها ومقوماً لوجودها، وهي قائمة به قيام عضد وتحقق[١]، فلك أن تقول أن الآمر والناهي هو الله بنبيه ولسانه المعبر عنه، والموجد للشرائع ومحدثها بمترجمه لخلقه، أو تقول أن النبي يأمر وينهى عن الله بالله ويحدثها به سبحانه كما تقول أنا قلت وتكلمت بلساني أو لساني قال وتكلم، فكذلك الوجودات الكونية[٢] ظهرت وصدرت بأمر الله التكويني[٣] الظاهر في نبيه به وهو الموجد والمكون لها لا من شيء كان قبلها، بل أوجدها من فاضل أنبيائه وأثرهم[٤] وهو نَفَسهم الصادر منهم بالله لا من شيء، فإن شئت تقول أن الأنبياء كلهم والقطب معهم إذ الكل عالم واحد لا يتم إلا بجميعهم أثرهم مادة للأشياء مما تحتهم، أو تقول

---

[١]) يقول الشيخ الأوحد قدس سره: (قيام التحقق كقيام الانكسار بالكسر؛ بمعنى أنه لا يتحقق لا في الخارج و لا في الذهن إلا مسبوقاً بالكسر لأنه انفعال الكسر لفعل الفاعِل، إذ لا تعقل الصفة قبل الموصوف، و قد نطلق على هذا اَعْنِي القيامَ الثالث القِيام الركني بمعنى أن الانكسار في الحقيقة مادته من نفس الكسر من حَيْثُ هُوَ هو لا من حيث فعل الكاسر، و ذلك كقيام السرير بالخشب قياماً ركنيّاً لأن الخشب هو ركنه الأعظم الذي تقوم به، و الركن الثاني الأسفل الأيسر هو الصورة فلَكَ أن تقول أنه تَقوم بالخشب التقومَ الركني و أن تقول أنه تقوّم بالخشب تَقَوّمَ التحقق) شرح العرشية، ج١ ص٣١٤.

[٢]) لا توجد في (أ).

[٣]) لم ترد في (أ).

[٤]) لم ترد في (أ).

أن[١] أثر القطب إذ الأنبياء به قاموا وبدونه لا وجود لهم ولا قيام مطلقاً مادة للأشياء من الإنسان وما تحته على ما يجيء تفصيله إن شاء الله تعالى.

فالإنسان الحقيقي الكلي هو ذلك الشعاع الظاهر في أفراده برؤوسه، فما من فرد إلا وفيه رأس منها هو [مادته وبها][٢] تقوّمه ركناً وعضداً، وهو أبوه كما قال الصادق عليه السلام: **(إن الله خلق المؤمنين من نوره وصبغهم في رحمته فالمؤمن أخو المؤمن لأبيه وأمه أبوه النور وأمه الرحمة)**[٣].

والفرد الأعدل الأكمل الجامع الأشمل لجميع قواه وخواصّه، البالغ فيها المنتهى ليس فوقه في إمكان الإنسان رتبة أعلى؛ هو القطب محمد وآله صلوات الله عليهم، وهو الوجه للعلة الدائر معها حيث تدور، والمظهر لها في مقامات الظهور، تظهر فيه آثارها وأفعالها لكونه أشبه الأشياء من الأفراد لأوائل جواهر العلل، وأعلاها[٤] تزكية لنفسه بالعلم والعمل[٥]، ومن هنا صار

---

[١] هكذا في النسخ المخطوطة و يحتمل أن تكون: أنهم.

[٢] في (ب): مادة بها.

[٣] بحار الأنوار، ج٦٤ ص٧٣.

[٤] في (أ): أو عليها.

[٥] عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام قال: (وخلق الإنسان ذا نفس ناطقة، إن زكاها بالعلم والعمل فقد شابهت جواهر أوائل عللها، وإذا اعتدل مزاجها وفارقت الأضداد فقد شارك بها السبع الشداد) عيون الحكم والمواعظ، ص٣٠٤ ب١٤.

أشرف الأنبياء وخاتمهم كما كان فاتحهم وأولهم، وأمروا على الإيمان به واتباع شريعته والعمل بسنته، وإن كان الكل بالنسبة إلى أمّتهم لهم شرائع خاصة على مقتضى وقتهم واستعداد رعيتهم.

ثم أعدل أفراد رتبة الإنسان بعد القطب عليهم السلام سائر أولي العزم من الأنبياء عليهم السلام، فكل واحد منهم قطب شريعته وأمّته، ثم المرسلون منهم، ثم الباقون عليهم السلام على تفاوت مراتبهم ومقاماتهم، وهم المعصومون عصمهم الله من الخطأ والزلل والسهو والنسيان وسائر ما ينافي شأنهم، كل واحد على قدر سعة دائرة علمه وإحاطة باع حلمه، وأرسلهم حججاً ودعاةً إليه، وأدلاء عليه؛ لكونهم منفردين عن تشاكل أبناء الجنس، وأهلين لهذه النعمة العظمى في مقام الأنس، إذ كانوا من أهل الطبقة الأولى الأعلى رتبة في كونها واسطة وعلة أنزلهم إلى مقام الإنسان ولبس عليهم ما لبسوا؛ ليستأنسوا ويستأهلوا لتلقي الفيض منهم بإتمام قوابلهم للإرشاد إلى طرق العدل والسداد إيضاحاً للحجة والسبل **﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾**(1).

ومثل هذا بعينه كون القطب عليه السلام للأنبياء حجة وإماماً، إذ كان واسطة لهم وأعلى رتبة ومقاماً، ثم سائر الأفراد شركاء كونهم لا يصلون ولا

---

(1) النساء، ١٦٥.

يبلغون درجة العصمة كائناً من كان ولا يسع ذلك لهم لا قوةً ولا إمكاناً؛ لأن الرعية بمراتبهم كافة أثر الأنبياء عليهم السلام ليس لهم وجود ولا ذكر أو لا إمكان إذ الشعاع كونه وإمكانه وقوته وفعله في رتبة الشعاعية بحيث يمكن لكل واحد أن يبلغ فيها أعلى مراتبها، وله ذلك قوة وغيباً كلما يزكي نفسه بالعلم والعمل ويسلك سبيله بالقصد والعدل يظهر ما فيه بالقوة إلى الفعل، وهكذا يسير إلى ما لا يتناهى إذا وصل درجة يجد درجة أعلى منها في رتبة الشعاعية لا تنتهي المسافة أبداً، ومع ذلك لا يخلو من السهو والنسيان إذ لا يخلو من التقصير والغفلة ولو أحياناً، ولا يمكن أن يكون الشعاع منيراً وإن كان الله سبحانه على كل شيء قديراً ولكن قدرته لا تتعلق بالمحال.

ومن ثم لا يجوز لأحد من الرعية أن يدعو الله سبحانه أن يجعله نبياً، ولو دعا لفعل حراماً وسوف يلقى آثاماً، مع أنه يحسن منه أن يدعوه أن يجعله أقرب الناس عنده منزلةً، وأخصهم زلفةً، وأكملهم إيماناً، وما هذا إلا لكون ذلك كله في إمكانه [بحسب رتبته دون كونه نبياً، إذ هو فوق إمكانه وبه كونه وإمكانه][1] .

[1] لم ترد في (ب).

وكذلك الأنبياء عليهم السلام ما ابتلي أحد منهم بما ابتلي إلا بالأربعة عشر المعصومين عليهم السلام، وما استأهلوا من الله النظر فيه[١] بالاجتباء وغيره إلا بالعبودية لهم، فتأمل جداً، فافهم إن كنت تفهم وإلا فاسلم[٢] تسلم، فإنه مزال الأقدام، ومضطرب الأوهام، قد هلك فيه خلق كثير وما نجى إلا من سبقت له من الله الحسنى.

وقد ذكرنا سابقاً أن الشعاع الصادر من نوع الأنبياء عليهم السلام هو الإنسان الحقيقي المتعلق بجميع وجوهه للقطب عليه السلام وللأنبياء ببعضها ولسائر الأفراد بحسبها، فلا يخفى عليك أن ذلك الإنسان قد تعلق به فعل كلي هو رأس من وجوه الفعل المتعلق برتبة عالم الأنبياء الطبقة الأولى، ولذلك الرأس وجوه بعدد أفراد الإنسان تربيها وتدبرها وتقومها، وكل وجه منه يربي وجهاً من وجوه الشعاع التي هي حقيقة الأفراد وعبوديتها، وكنه ذلك هو وجه الفعل المتعلق به خاصة دون غيره؛ بمعنى أنه جوهره المقوّم له منه بدؤه وإليه معاده ووجهه الذي به يتوجه إلى ربه تعالى ويعبده ويعرفه ويظهر حاجته وفقره ويسأل سد خلّته، وهو سبحانه به يمده ويقضي حوائجه، ويغني فقره،

---

١) لم ترد في (ب).

٢) هكذا كتبت الكلمة في النسخ المخطوطة، والظاهر أنها: فسلم.

ويجبر كسره، وذلك الوجه هو اسم الله الأعظم في مقام هذا الفرد والشخص إذا دعا به ربه مضطراً منقطعاً عما سواه يجيبه ويكشف السوء .

ثم إن الله عز وجل -من عموم كرمه، وشمول منّه بنعمه- خلق من نوع الإنسان شعاعاً لا من شيء -لوجود القطب فيهم الذي أقامه الله في سائر عالمه في الأداء مقامه وجعله رحمة للعالمين- فخلق منه الجن، ومن نور ذلك النور الملائكة، ثم من نور ذلك الحيوانات، ثم النباتات من نور الحيوان، ثم الجمادات من نور النبات، على ما فصل في رتبة الإنسان.

ولكلٍ رأيت منهم مقاماً شرحه في الكلام مما يطول

وفي كل مقام لأهله بشير ونذير من سنخهم في الحيوانية والنباتية والجمادية لا في الصورة النوعية وإليه يشير قوله تعالى: **﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾**[1]، مع قوله تعالى: **﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خلا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾**[2]، وقوله: **﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً﴾**[3] وكل عالم لا يكون علة لما هو أسفل منه إلا بوجود القطب عليه السلام فيه، إذ هو ترجمة

[1]) الأنعام، ٣٨.

[2]) فاطر، ٢٤.

[3]) الفرقان، ١.

مشيئته، ولسان إرادته المعبر عنه، وباب فيضه ومدده، **(ولا يكون شيء في الأرض ولا في السماء إلا بسبعة: بمشيئة، وإرادة، وقدر، وقضاء، وإذن، وأجل، وكتاب)**[1]، وهم عليهم السلام السبب الأعظم، والوجه الأكرم الذي لا تهبط لله إرادة في مقادير أموره إلا إليهم، ثم يصدر عن بيوتهم[2]، ووجهه الذي أضاء له كل شيء.

فهم عليهم السلام موجودون في كل عالم، ولهم نسبة إلى ما فوقه أنه محل نظر له، وحامل فعله ومظهره؛ إذ لولاه لما ظهر وما تعلق فعله إلى ذلك العالم لفقدان محل قابل يجمع جهاته ويسع شؤوناته ونسبته إلى أهل عالمه، به تنتظم أجزاء دائرته، ويعرف كل واحد عمله وماذا يصنع، ولولا وجوده فيهم لرأيتهم حيارى سكارى؛ كما يكون في آخر أيام الدنيا قبل يوم القيامة بأربعين يوماً[3]، ونسبته إلى ما تحته أنه باب وجودهم، وسبب كونهم في غيبهم

---

[1]) الكافي، ج١ ص١٤٩، باب أنه لا يكون شيء في السماء والأرض إلا بسبعة.

[2]) ورد في زيارة قبر أبي عبد الله الحسين عليه السلام: (إرادة الرب في مقادير أموره تهبط إليكم وتصدر من بيوتكم) الكافي، ج٤ ص٥٧٧ باب زيارة قبر أبي عبد الله الحسين عليه السلام .

[3]) عن مولانا الإمام الصادق عليه السلام قال: (ما زالت الأرض إلا ولله تعالى ذكره فيها حجة، يعرف الحلال والحرام ويدعو إلى سبيل الله عز وجل ولا تنقطع الحجة من الأرض إلا أربعين يوماً قبل يوم القيامة، فإذا رفعت الحجة أغلقت أبواب التوبة ولم ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أن ترفع الحجة أولئك شرار من خلق الله وهم الذين تقوم عليهم القيامة) البحار، ج٦ ب٢٠ ص١٨ ح١.

وشهودهم، وحجابه سبحانه ليتمكنوا من مقابلة نوره في صدورهم وورودهم، فافهم فإنه لا يسعني البسط في المقال لضيق المجال فقد ألقيتك المفاتيح بالرموز لتستعد وتستخرج الكنوز .

[معنى قول الإمام عليه السلام: (فما فقد في العبودية وجد في الربوبية)]

قوله عليه السلام: **(فما فُقد في العبودية وُجد في الربوبية، وما خفي في الربوبية أُصيب في العبودية).**

الذي فُقد في العبودية:

أولاً: وجود العبد في ذاته وصفاته وأفعاله وأحواله وأعماله وآثاره، فإنه ما كان يشم رائحة الوجود، وكان ليساً محضاً وعدماً صرفاً لا يتمكن منه أصلاً إلا بتمكينه وإيجاده **﴿أَوَلا يَذْكُرُ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْئاً﴾**[1]. بخلاف الربوبية فإنها كانت موجودة قبلها مخفية لا ترى، وهو ما في الحديث القدسي [من قوله تعالى][2]: **(كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أُعرف فخلقت الخلق لكي أُعرف)**[3]، فعرّف سبحانه نفسه للخلق بخلقه إياه، وذلك التعريف تعريف رسم واستدلال تجلّى للأوهام بها، وبها امتنع منها، وإليها

---

[1]) مريم، ٦٧.

[2])لم ترد في (ب).

[3]) ورد في كتاب أسرار الإمامة للشيخ عماد الدين الطبرسي –من علماء القرن السابع الهجري– ص ٣٥ ما هذا نصه: (اشتهر بين الرواة أن داود عليه السلام قال في بعض مناجاته: يا إلهي لم خلقت العالم وما فيه؟ قال الحق تعالى: كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف) ولعل هذا من أقدم المصادر التي خرجت هذا الحديث الشريف، راجع كذلك شرح أصول الكافي، ج١ ص٢٥، رسائل الكركي، ج٣ ص١٥٩.

حاكمها، فعرفت الأوهام بوجودها موجدها[١]، وبفقرها مغنيها، وبتذوتها مذوّتها وهكذا .

وثانياً: أنه بعد وجوده عبد مملوك لا يقدر على شيء، ولا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً إلا بإقداره سبحانه وتمليكه **(وهو المالك لما ملكهم، والقادر على ما أقدرهم عليه)**[٢]، **﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾**[٣]، فالعبد وجوده لا زال يتجدد ولا يبقى ولو آناً ما إلا بجديد المدد **﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾**[٤]، وهو موسوم بسمة الفقر والعبودية، ومعلوم بسواد الذل والمسكنة **(الفقر سواد الوجه في الدارين)**[٥]، **﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾**[٦].

وثالثاً: أن العبودية لا تكون إلا مركبة من مادة وصورة، فلا تخلو أن تكون مجانسة ومماثلة، أو مباينة ومقابلة ومضادة، أو مجتمعة أو مفارقة، وغيرها من الأوضاع والنسب، وهو قول الرضا عليه السلام في حديث عمران

---

[١] لم ترد في (ب).

[٢] التوحيد، ص٣٦١.

[٣] الأنعام، ١٨.

[٤] ق، ١٥.

[٥] عوالي اللئالي، ج١ ص٤٠.

[٦] هود، ٥٦.

الصابي: (**إن الله لم يخلق شيئاً فرداً قائماً بنفسه دون غيره للذي أراد من الدلالة على نفسه وإثبات وجوده**)[١]، وقوله في خطبة له عليه السلام: (**بمضادته بين الأشياء عُرف أن لا ضدّ له، وبمقارنته عرف أن لا قرين له، وبتجهيره الجواهر عرف أن لا جوهر له، وبتشعيره المشاعر عرف أن لا مشعر له، ضاد النور بالظلمة، والبرد بالحر، والبرودة والجمود بالبلة، وذلك قوله تعالى: ﴿ومن كلّ شيء خلقنا زوجين لعلّهم يذّكرون﴾**)[٢] انتهى.

فالعبد موجود بغيره وباق به وهو ربّه، محتاج إليه أبداً لا استقلال له ولا غنىً لا في الوجود ولا البقاء، وهو لا يزال مركباً محتاجاً مطلقاً فاقداً لكمال الغنى والاستقلال في جميع الأحوال، بخلاف الربوبية فإنه وجود لذاته بذاته في ذاته، فيجب أن يكون بسيطاً محضاً، وواحداً حقاً، لا يحتمل الكثرة ولو اعتباراً وفرضاً، وهو غني لا يفقر، وقوي لا يضعف، وقادر لا يعجز، له كمال الغنى والاستقلال في الذات والصفات والأفعال، منزّه عن الأضداد والأنداد،

---

١) راجع نص الرواية كاملة في عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج٢ ص١٥٦.

٢) نص الرواية: (بتشعيره المشاعر عرف أن لا مشعر له، وبتجهيره الجواهر عرف أنه لا جوهر له، وبمضادته بين الأشياء عرف أن لا ضد له، وبمقارنته بين الأشياء عرف أن لا قرين له ضاد النور بالظلمة، والجسو بالبلل، والصرد بالحرور، مؤلف بين متعادياتها، مفرق بين متدانياتها، دالة بتفريقها على مفرقها، وبتأليفها على مؤلفها، وذلك قوله عز وجل: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾) التوحيد، ص٣٠٨.

وهو يحتاج إليه جميع العباد كما قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ﴾**[١]، وذلك قوله عليه السلام: **(كلما يمتنع في الخلق يجب في خالقه، وكلما يجب في الخلق يمتنع في خالقه)**[٢]، وقول أمير المؤمنين عليه السلام في الحديث المتقدم: **(وبها امتنع منها)**؛ يعني أن الخلق لا يكون إلا على ما هو عليه من الحدوث، والتركيب، والاحتياج، والتغيّر، والتبدل، والكثرة، والنقص وغيرها من لوازم الإمكان وصفاته التي بها يكون ممكناً، ولولاها لما كان شيئاً، وهذه صفات يجب أن يكون الخلق عليها، وعلامات واضحة وسمه الله بها، حتى لا يخفى على أحد أنه عبد مملوك له مولى ومالك يدبره، ويربّيه، ويزكيه، ويغنيه، ويقيه، ويميته، ويحييه، وأنه يمتنع هذه الصفات له في عزّ جلاله وتقدس كماله، وبها امتنع عن خلقه إذ هي ما كانت إلا بفعله وإيجاده، ولا يجري عليه ما هو أجراه ولا يلحقه ما بمشيئته، لا من شيء أنشأه وأبداه، وما يمتنع أن يكون في الخلق من القدم، والوجوب، والوحدة، والبساطة الحقّة، والغنى، والاستقلال وغيرها مما لا يمكن للممكن أن يكون عليه ولا يتعقّل فهو يجب في الخالق وإلا لا يكون هو الخالق، فتلك الصفات مفقودة في

---

[١]) فاطر، ١٥.

[٢]) ورد في الرواية عن الإمام الرضا عليه السلام: (فكل ما في الخلق لا يوجد في خالقه، وكل ما يمكن فيه يمتنع من صانعه) وهي خطبة طويلة جليلة في التوحيد، راجع كتاب التوحيد، ص٤٠ ب٢.

العبودية مطلقاً ولو بالفرض والاعتبار؛ لأن فرض المحال محال موجودة في الربوبية ثابتة وإلا لاحتمل فيه النقص، وما يحتمل النقص يحتمل الزيادة، وليس ذلك إلا من لوازم الحدوث الممتنع من الأزل، الممتنع من الحدث.

[معنى قوله عليه السلام: (وما خفي في الربوبية أُصيب في العبودية)]

وقوله عليه السلام: **(وما خفي في الربوبية أُصيب في العبودية)**.

يعني أن ما خفي عن الإدراك مما أراد الله علمه ومعرفته من مراتب توحيده ذاتاً وصفةً وأفعالاً وعبادةً، ومعرفة أنبيائه ورسله وأوليائه عليهم السلام لا سيما محمد وآله صلوات الله عليهم أجمعين؛ من كونهم معانيه سبحانه، وأبوابه في نازل فيض وجوده تكويناً وتشريعاً في شرعه ووجوده، وكونهم نوّابه وعينه على عباده، وحججه في بلاده، ومعرفة ما يقرّبه منه تعالى مما فيه رضاه في غيبه وشهوده، وما يبعّده عنه مما فيه سخط في باطنه وظاهره، كل ذلك لا ينال ولا يصاب إلا بنحو تعريفه سبحانه ودلالته وبيانه، إذ لا تكليف إلا بعد البيان و **﴿لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلاَّ مَا آتَاهَا﴾**[١]، وقد دل سبحانه على ذلك وعرفه بإراءة آياته في الآفاق وفي أنفس الخلائق لبيان الحق من الباطل، وهو الذي استشهد به الإمام عليه السلام من قوله تعالى: **﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾** الآية، وهو ما قاله الرضا عليه السلام: **(قد علم أولوا الألباب أن الاستدلال على ما هنالك لا يعلم إلا بما هاهنا)**[٢].

---

[١] الطلاق، ٧.

[٢] سبق تخريجه.

انظر إلى حصره عليه السلام وجوه المعرفة والعلم لما في الربوبية الغائبة عن الحواس، الخفية العالية أن ينالها الإحساس، وخصها بأنه لا يعلم إلا بما في العبودية من الآيات الآفاقية والأنفسية المدركة بالحواس الظاهرية والمشاعر الباطنية، وأن ذلك إنما يعرف معرفة رسم، ويعلم علم استدلال، لا معرفة كشف واكتناه .

والسر في ذلك أن الأزل عز وجل لا ينزل إلى رتبة الإمكان حتى يراه الخلق ويعرفه حق معرفته وكنهها، وأن الإمكان لا يصعد إلى مقام الأزل حتى يكتنهه ويكشف عنه، فليس إلى ذلك من سبيل، ولا لطلبه من دليل، **(السبيل مسدود، والطلب مردود)**[١] إلا ما وصف به نفسه لعباده، وعرّفه بآياته في أنفس الخلق وفي آفاق بلاده، فلا يعرفونه إلا بوصفه وبيانه، ولا يوصف إلا بآياته وبرهانه **(دليله آياته، ووجوده إثباته)**[٢].

أما آيته سبحانه العليا في أنفس الخلق فعبارة عن حقيقته التي هي وصفه سبحانه، عرّف نفسه به لخلقه بتجليه له به، وهو قول أمير المؤمنين عليه السلام: **(الحمد لله المتجلي لخلقه بخلقه)**[٣]، وقوله: **(تجلى لها بها)**[٤]، وقوله:

١) جزء من الخطبة المعروفة بالدرة اليتيمة، تقدم تخريج المصدر.

٢) الاحتجاج، ج١ ص٢٩٩.

٣) نهج البلاغة، ج١ ص٢٠٦ .

٤) تقدم تخريجه .

(من عرف نفسه فقد عرف ربه)[١]، وقول النبي صلى الله عليه وآله: **(أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه)**[٢]، يعني أن نفس الإنسان التي هي حقيقته المعبرة بالوجود ونور الله الذي ينظر به المؤمن وخُلِقَ منه[٣]، ويعبّر عند الإخبار عنه بـ(أنا)، وينسب جميع ما يتعلق به إليه بقوله عقلي، وروحي، ونفسي إلى آخر مراتب ذاته، بقوله: وملكي، وداري، وكتابي، وقومي، وعشيرتي، وعلمي، وقدرتي، وفكري، وحياتي، وقيامي، وقعودي، وخياطتي، وكتابتي وغيرها مما لا يكاد يحصى من شؤوناته ونسبه وإضافاته، وكل ذلك سبحات الذات وصفاته وأنواره لا تدل إلا على ذاتها وموصوفها الذي يطلق عليه الجلال في اصطلاح محمد والآل عليهم سلام الله الملك المتعال كما قاله أمير المؤمنين عليه السلام في جواب كميل بن زياد رحمه الله حين سأله عن الحقيقة من قوله:

---

١) تقدم تخريجه.

٢) الجواهر السنية، ص١٦٦ ب١١.

٣) عن سليمان الجعفري قال كنت عند أبي الحسن عليه السلام قال: (يا سليمان اتق فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله، فسكت حتى أصبت خلوة فقلت: جعلت فداك سمعتك تقول اتق فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله، قال: نعم يا سليمان إن الله خلق المؤمن من نوره وصبغهم في رحمته وأخذ ميثاقهم لنا بالولاية والمؤمن أخو المؤمن لأبيه وأمه أبوه النور وأمه الرحمة وإنما ينظر بذلك النور الذي خلق منه) بصائر الدرجات، ص٩٩ ب١١ ح١.

(كشف سبحات الجلال من غير إشارة)(١)، وإنما سمّي جلالاً لأنه سبحاته بذات الشيء وحقيقته امتنع منه وتعزز وتمنع.

فإذا كشف الإنسان سبحات ذاته الحاجبة عنها، وجردها عما يُنسب إليها في مراتب تنزلاتها في مقامات ظهورها في غيبها وشهودها وظهورها في رتبة ملكها وخارجها مما يضاف إليها من كونها، يشبهها شيء أو يضادها أو يقابلها ويباينها، يجتمع مع شيء أو يفترق عنه، ونزهها عن الإطلاق والتقييد والعموم والخصوص، ولا يلتفت إلى شيء من إضافاته إلا إليها نفسها، فيراها شيئاً ليس كمثله شيء، ولا ضد له، ولا ند، ولا قرين، ولا معه شيء، ولا مع شيء، ولا من شيء، ولا في شيء، ولا على شيء، وهكذا إذ كل ذلك سبحات كشفتها، وإضافات أسقطتها، فلا تجد إلا شيئاً واحداً فرداً مجرّداً عن جميع الإضافات حتى عن إضافة الكشف، مسلوباً عنه جميع السبحات من غير إشارة والتفات إلى السلب والتجريد، وهذا الشيء هو الذي وصف الله به نفسه في كينونة خلقه، وتجلى له به، وأوجده لا من شيء، وأظهر كل ما خفي في الربوبية من توحيده في ذاته وصفاته وأفعاله وعبادته بذلك الوصف الفهواني(٢)

---

١) نور البراهين، ج١ص٢٢١ .

٢) ورد هذا المصطلح في كتب الشيخ الأوحد قدس سره بصورتين هما: (الوصف الفهواني) كما جاء في شرح المشاعر ج٢ ص٤٩٢، وكذلك (الانموذج الفهواني) في نفس الكتاب ص١٠٧، و المعنى كما يشرحه الشيخ الأحسائي قدس سره هو: (و ذلك لأنه لما أراد أن يعرفه عبده خلقه إنموذجاً فهوانياً بأن

[وأصابه إلى ذوات][1] عباده فيستدل بما يعلم ويرى هاهنا أي عنده من آياته سبحانه وصفته وتعريفه؛ من أنه واحد بسيط، لا تعدد له ولا اختلاف، ولا تكثّر في ذاته، وأنه نور بحت، وعلم كله، وقدرة كلها، وحياة كلها، وهكذا وليس شيء منها مغائرة للذات أبداً، ولا متغائرة للأخرى، وهذه الصفات كلها عين ذلك الوصف، وأن كلما تحته من صفات ظهوراته وآثاره قائمة بفعله وإيجاده قيام صدور، ليس بينه وبينها فصل، ولا له عليها فضل، وفتقها ورتقها بيده، بدؤها منه، وعودها إليه، وأنه لا يأمرهم إلا بما به بقاءهم وكمالهم من التوجه إليه، والتوكل والإقبال عليه، ولا ينهاهم إلا عما به هلاكهم واضمحلالهم من الإدبار عنه والمخالفة لرضاه، فكلما يراه الإنسان في هذا الوصف مما ذكر وما لم يذكر مما بيّنه بذلك الوصف يستدل به إلى مراده سبحانه مما خفي هناك، إذ لا سبيل إليه إلا بيانه وتعريفه، ولا شك أنه سبحانه لا يبيّن إلا الحق الواقع، وما تعريفه ووصفه إلا وصف يطابق، وتعريف يوافق، وذلك

صوره بصورة معرفته، و معنى الانموذج -معرب نمونه- أي مختصراً من صفة معالمه و مقاماته التي لا تعطيل لها في كل مكان يعرفه بها من عرفه، و معنى الفهواني خطاب الله سبحانه لعبده في سلوكه إليه بطريق المكافحة أي بطريق كشف الغطاء عنه و جذبه إليه ومشافهته به، فيكون هذا النقش الأنموذجي هو حقيقة عبده من ربه يعني أن وجوده الذي هو نور الله سبحانه و أثره آية معرفته و صفة ظهوره به له و هي صفة استدلال عليه لا صفة تكشف له) شرح المشاعر، ج٢ ص١٠٧.

[1] في (ب): وإصابة الذوات.

أعلى مقامات العارفين في كل رتبة على قدرها، إذ الوصف الذي في رتبة الأربعة عشر المعصومين عليهم السلام لا يدركه ولا يتحمله إلا هم عليهم السلام، ولا يحتمله أحد ممن سواهم؛ لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل، ولا عبد مؤمن امتحن الله قلبه بالإيمان[1]، أما سمعت أنه لما سأل موسى عليه السلام ربّه وقال: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾[2]، أمر الله سبحانه رجلاً من شيعتهم خلف العرش يقال لهم الكروبيون فتجلى بقدر سم الإبرة [فـ]دك الجبل وخرّ موسى صعقاً[3]، ولم يحتمل ذلك التجلي الجزئي من شيعتهم وهو من أولي العزم، فكيف له بالتجلي الأعظم الأعلى منه سبحانه وتعالى من دون واسطة، والذي تجلّى به لموسى عليه السلام جزء من مائة ألف وأربعة وعشرين ألف جزء من شعاع ذلك التجلي الأول والوصف الأعلى الأجل، ومثل سائر أولي العزم غير نبينا صلى الله عليه وآله وعليهم مثل موسى عليه السلام فضلاً من غيرهم من الرسل والأنبياء عليهم السلام.

---

[1]) غير موجودة في (أ).

[2]) الأعراف، ١٤٣.

[3]) عن الإمام الصادق عليه السلام قال: (إن الكروبيين قوم من شيعتنا من الخلق الأول جعلهم الله خلف العرش لو قسم نور واحد منهم على أهل الأرض لكفاهم. ثم قال: إن موسى عليه السلام لما سأل ربه ما سأل أمر رجلا من الكروبيين فتجلى للجبل فجعله دكا) بحار الأنوار، ج١٣ص٢٢٤ ب٧ .

وكذلك الوصف الظاهر في رتبة الإنسان شعاع شعاع وصف الأنبياء، وهكذا في كل سلسلة من السلاسل الثمانية، وصف كل سافل وتجليه وتعريفه فاضل شعاع وصف عاليه المقدم له برتبة، ألا ترى ما قاله الصادق عليه السلام من قوله: **(لعل النمل الصغار تزعم أن لله زبانيتين)**[١] يعني أنها تصف ربه[٢] بالكمال، وتنزهه عن النقائص، أنها[٣] لا تتطرق إلى ساحة عزه وجلاله، ولا يفقد شيئاً يتصور من كماله، وهي لا تدري ولا تعرف كمالاً أعلى وأسنى من وجود الزبانيتين، وترى فقدانهما نقصاً وعدماً، وهو سبحانه منزه عن النقائص والأعدام، وهذا التوحيد والتوصيف قبله الله تعالى منها إذ ليس عندها من ضعفها وقصورها إلا هذا ولا يجد غيره وذاك الوصف مما فوق النملة كفر وزندقة، وكذلك توحيد الإنسان عند الأنبياء، وتوحيدهم عند محمد وآله صلى الله عليهم شرك ونقص، حسنات الأبرار سيئات المقربين، وتوحيد كل رتبة من أهلها كما وصف لها مقبول، ومن سافلها ساقط معزول، ومن عاليها كفر ليس يقبل، وهو تأويل قوله تعالى: **﴿مَعَاذَ اللهِّ أَنْ نَأْخُذَ إِلاَّ مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ﴾**[٤].

---

١) شرح إحقاق الحق، ج١٢ ص١٨٦.

٢) هكذا جاء في النسخ المخطوطة والظاهر أنه: ربها.

٣) هكذا جاء في النسخ المخطوطة والظاهر هو: أنه.

٤) يوسف، ٧٩.

وأمثل لك مثلاً من الآيات التي أراكها في الآفاق؛ ألا تنظر إلى الصورة المرآتية أنها ما وُجدت إلا من مقابلة الشاخص التي هي جهة من جهات ظهوره، وألقى الشاخص وصفه ومثاله للصورة وتجلى لها بها، ولها مادة هي الصفة والأثر المنفصل من الظهور المطلق الصادر من الشاخص، ولها صورة من هيئة المرآة من صفائها وكدورتها ولونها من الحمرة وغيرها، وتلك الصورة ما تراه وتجده عندها من جهة مادتها التي هي وجودها هو وصف الشاخص عرف به نفسه لها، وليس لها أن تصفه إلا بوصفه فتستدل بوجوده على موجده أنه موجود حي قادر على إحداث أمثالها بأدنى التفاتة منه، وأنه واحد بتحريكه تتحرك وبإشراقه وجدت وبإبقائه بقيت، ولو كان متعدداً لفسدت وما وُجدت؛ ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللهُ لَفَسَدَتَا﴾[1]، ولكن لا تدرى ذاته وكنهه بل سائر صفاته من الشجاعة، والسخاوة، والكتابة، والخياطة وغيرها من الصفات الذاتية والفعلية إلا ما ظهر وأصاب إليها، لكنها تصفه بالكمال وتنزهه من النقص والعدم.

وألا ترى إلى [الكتابة الصادرة عن حركة يد الكاتب تجدها شيئاً قائماً بالحركة الواصلة المصيبة إليه][2] باستقامته تعرف استقامة الحركة وباعوجاجه

---

[1]) الأنبياء، ٢٢.

[2]) لم ترد في (ب) وإنما ورد مكانها كلمة غير واضحة.

اعوجاجها وهكذا، ولا تعرف به مطلق الحركة أو المتعلقة إلى غير الكتابة، ولا اليد، ولا الكاتب إلا كما ظهر في مقام الكتابة بأن لها موجداً دامت بإبقائه، وقامت بإشراقه، وأنه حي، موجود، قادر، عليم، واحد، ولا تعرف من هذه إلا كما تراه عنده في وجوده، ولا تدري أنه أسود أو أبيض، طويل أو قصير، عالم أو جاهل، وغير ذلك.

واعلم أن الله سبحانه لا يفعل لعظيم قدرته وكمال حكمته إلا ما هو أرجح وأحسن، وليس صنعه إلا أتم ما يكون وأتقن، **﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾**[1] فمن عموم نعمته وشمول رحمته أرسل رسلاً وأولياء تترى؛ هادين مبشرين ومنذرين، وجعلهم أكبر آياته الآفاقية، أبلغ بهم الحجة، وأوضح بهم المحجة، لقوم غفلوا ونسوا الموقف، فنبهوهم عن رقدة الغفلة، وذكّروهم عما كان قبله، وأكبرهم شأناً، وأجلّهم خطراً وقدراً عند الله تعالى محمد وآله صلى الله عليه وآله كما قال الصادق عليه السلام في رواية عبد الله بن بكير حين سأله عن وصف الإمام عليه السلام فأجابه إلى أن قال: **(فإذا لم يكن معهم من ينفذ قوله وهو يقول: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾، فأي آية في الآفاق غيرنا أراها الله أهل الآفاق، وقال: ﴿وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلاَّ هِيَ**

---

[1] النمل، ٨٨ .

أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ فأي آية أكبر منا)[١]، وقول أمير المؤمنين عليه السلام: **(ليس لله آية أكبر مني ولا نبأ أعظم مني)**[٢].

فالآيات الآفاقية في الحقيقة هم عليهم السلام لا غيرهم، وسائر الأنبياء [والرسل والأولياء عليهم السلام][٣] حملة آياتهم، والآفاق كلها كتب وصفهم، وبيوت تعريفهم، فغيرهم عليهم السلام آية الآية، وباب الرواية، وهذا هو المراد من كونهم[٤] أكبر آية.

فالذي خفي في الربوبية من أسمائه وأمثاله وصفاته وبيانه ومعاني أفعاله وأحكامه وتكاليفه الكونية من الخلق والرزق والموت والحياة والشرعية من الأحكام الخمسة كلها لا يوجد إلا فيهم، فهم الأسماء الحسنى[٥]، والأمثال

---

١) بحار الأنوار، ج٢٥ ص٣٧٥ ب١٣.

٢) بصائر الدرجات، ص٩٧.

٣) لم ترد في (أ).

٤) لم ترد في (أ).

٥) ورد في الرواية عن معاوية بن عمار، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ قال: (نحن والله الأسماء الحسنى التي لا يقبل الله من العباد عملاً إلا بمعرفتنا) [بصائر الدرجات، ج١ ص١٤٣، باب النوادر]. وورد في الرواية أنه سأل يحيى بن أكثم أبا الحسن عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ﴾ ما هي؟ فقال: (هي عين الكبريت، وعين اليمن، وعين برهوت، وعين الطبرية، وحمة ماسيدان، وحمة إفريقية، وعين باجوران، ونحن الكلمات التي لا تدرك فضائلها ولا تستقصى) بحار الأنوار، ج٤ ص١٥١ ب ٦.

العليا[١]، والصفات العظمى، ومعانيه تعالى؛ من كونهم بهاء الله الأبهى، وجماله الأجمل، [وجلاله الأجل][٢]، وعلمه الأنفذ، وقدرته المستطيلة على كل شيء، ومنّه الأقدم، وسائر مصادر أفعاله سبحانه، ومن هنا قال أمير المؤمنين عليه السلام: **(من رآني فقد رأى الحق)**[٣]، إذ الحق سبحانه ليس له آية أكبر منه تحكيه بجميع ظهوراته في كافة شؤوناته إلا هو عليه السلام، قد تجلى له بأنواع تجلياته ولما تحته به عليه السلام، فهو مظهر الظهورات في نفسه له به، ولغيره من أفراد الكائنات من الأنبياء إلى الجمادات والأعراض لها به.

فالعبودية التي أصيب فيها كلما خفي في الربوبية ليست غيرهم[٤] على جهة الحقيقة الأولية المطلقة الظاهرة فيه وبه الربوبية المطلقة، وما سواهم من الكون عبوديته[٥] أثر وشعاع لعبوديتهم، إما بغير واسطة كالأنبياء، أو بواسطة واحدة كالإنسان، أو أزيد كسائر مراتب الخلق على اختلافها في القرب

---

١) ورد في الدعاء الشريف: (لك الأمثال العليا، والأسماء الحسنى) [إقبال الأعمال، ص٤٩٨]، وورد في الزيارة الجامعة الكبيرة: (والمثل الأعلى، والدعوة الحسنى) من لا يحضره الفقيه، ج٢ص٦١١ .

٢)لم ترد في (ب).

٣) بحار الأنوار، ج٥٨ ص ٢٣٥ والرواية واردة عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

٤) في (ب): لغيرهم.

٥) في (أ): عبودية.

والبعد، ولا يظهر شيء من الربوبية إلا بحسب قابلية العبودية واستعدادها، وإلا فيرتفع الاختلاف وتبطل الوسائط ويفسد نظام العالم.

[ختام فيه إشارة و تنبيه]

قوله عليه السلام: **(وقال الله عز وجل ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ أي موجود في غيبتك وحضرتك)**.

قد سبق ذكر بعض الكلمات في بيان العلامات والآيات الآفاقية والأنفسية على نحو من الإجمال[١]، والتفصيل لا يسعني عليه المجال على أنه يسوق إلى إظهار ما ليس ينبغي أن يقال، إذ ليس كلما يعلم يقال، ولا كلما يقال حان وقته، ولا كلما حان وقته حضر أهله، لأن من العلم ما يحتمل ومنه ما لا يحتمل، ومن الناس من يحتمل ومنهم من لا يحتمل.

لكن بقي شيء من الحديث الشريف ما تقدم فيه ذكر ولو على نحو الإشارة لابد من التنبيه إلى ما فيه بما يكتفي به النبيه، وهو قوله عليه السلام: **(أي موجود في غيبتك وحضرتك)** في تفسير **﴿أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾**؛ يعني أنه سبحانه ليس ببعيد عن الأشياء بائناً عنها بينونة عزلة كبينونة شيء عن شيء، ولا قريباً منها كقرب شيء من شيء، بل هو سبحانه منزّه عن كلما تميزه

[١] في (ب): الإيجاز.

الأوهام في أدق معانيه[١]، إذ هو منها وإليها، ومتعال عن تصوير الأذهان، وعما يحويه الإمكان، وهو سبحانه عال في دنوه، دان في علوه، بعيد في قربه، قريب في بعده[٢]، خارج عن الأشياء لا بمباينة، داخل فيها لا بممازجة، خروجه عين دخوله، ودخوله عين خروجه، لا خارج ولا داخل، ظاهر في بطونه، باطن في ظهوره، أوليته عين آخريته، وظاهريّته عين باطنيته، **(دليله آياته، ووجوده إثباته)**[٣]، **(كنهه تفريق بينه وبين خلقه، وغيوره تحديد لما سواه)**[٤].

---

[١]) عن إمامنا الباقر عليه السلام قال: (كلما ميزتموه بأوهامكم في أدق معانيه مخلوق مصنوع مثلكم مردود إليكم) بحار الأنوار، ج٦٦ ص٢٩٣.

[٢]) عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن بعض أصحابنا، عن علي بن عقبة بن قيس بن سمعان بن أبي ربيحة مولى رسول الله صلى الله عليه وآله قال: سئل أمير المؤمنين عليه السلام: بم عرفت ربك؟ قال: (بما عرفني نفسه، قيل: وكيف عرفك نفسه؟ قال: لا يشبهه صورة ولا يحس بالحواس ولا يقاس بالناس، قريب في بعده، بعيد في قربه. فوق كل شيء ولا يقال شيء فوقه، أمام كل شيء ولا يقال: له أمام داخل في الأشياء لا كشيء داخل في شيء، وخارج من الأشياء لا كشيء خارج من شيء، سبحان من هو هكذا ولا هكذا غيره ولكل شيء مبتدأ). أصول الكافي، ج١ ص٨٥، باب أنه لا يعرف إلا به.

[٣]) تقدم تخريجه.

[٤]) من خطبة الإمام الرضا عليه السلام في التوحيد، عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج٢ ص١٣٥.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين، هذا آخر ما أردت كتابته في شرح الحديث، قد وقع الفراغ منها عصر يوم الإثنين سادس عشر شعبان المعظم، من شهور سنة أربع وسبعين بعد الألف والمائتين حامداً مصلياً مستغفراً، والسلام.[١]

[كاتبها وناقلها من خط كتابة يد الميرزا أعلى الله مقامه ورفع في الخلد أعلامه، روحي له الفداء؛ أضعف الضعفاء وخادم الفقراء الحقير الفقير المسكين تراب أقدام الميرزا مع المؤمنين الواثق برب الولي محمد سليل المرحوم عباس علي التركي التبريزي تمت سنة ١٣٢٣هـ][٢].

---

١) لا توجد في (أ).

٢) لا توجد في (أ).

(٤)

الرسالة الرابعة

رسالة في جواب الشيخ علي بن الشيخ صالح آل قرين

حول مصطلح العقول الثلاثة الوارد في كلام الشيخ الأوحد
أحمد بن زين الدين الأحسائي أعلى الله مقامه

[تمهيد]

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة على خير خلقه ومظهر لطفه محمد وآله الطيبين الطاهرين.

أما بعد؛ فيقول الحقير الفقير الأثيم محمد باقر بن محمد سليم التبريزي: أنه قد كتب إليَّ الشيخ الأمجد البهي، والولي الأنجد الصفي جناب الشيخ علي بن قرين[1] -حباه الله خير الدارين، وحماه عن كل ما لا تقر به العين- يسأل عن

[1]) هو الشيخ علي بن الشيخ صالح بن الشيخ محمد آل قرين الأحسائي الفلاحي، عالم جليل وأديب شاعر، وهو جد المرجع الشهير الشيخ حبيب آل قرين الأحسائي قدس سره. ولد أعلى الله مقامه في الأحساء مطلع القرن الثالث عشر الهجري، كان يقيم في مدينة الفلاحية بخوزستان. له كتاب استدلالي في أحكام الرضاع، فرغ منه في ٢١ جمادى الأولى سنة ١٢٣٧هـ. وله مسائل وجهها للسيد كاظم الحائري الرشتي قدس سره، فرغ من جوابها في عصر الخميس ٢٥ شهر جمادى الأولى سنة ١٢٥٧هـ، وصفه السيد فيها بـ(العالم الفاضل المسدد الكامل المؤيد بلطف الله الخفي والجلي) [جواهر الحكم، ج١٢ ص٤٥١] كما له مسائل للميرزا محمد باقر الأسكوئي حول العقول الثلاثة، وصفه فيها بـ(الشيخ الأمجد البهي، والولي الأنجد الصفي)، وذكر لي الميرزا صالح السليمي الإحقاقي رحمه الله أن الشيخ علي كان وكيلاً عن آية الله المقدس الميرزا محمد باقر في (كردلان) إحدى توابع البصرة، وأنه رأى وكالة من الميرزا محمد باقر للشيخ علي، يأمره فيها بصرف بعض الحقوق الشرعية على الفقراء. ومن تاريخ مراسلته مع الميرزا الاسكوئي يتبين أن وفاته سنة ١٢٧٤هـ أو بعدها. [راجع تفاصيل ترجمته في: أعلام هجر، ج٢ ص٣٢٠. منتظم الدرين، ج٣ ص١٥٠].

العقـل ومراتبـه الـثلاث: **المرتفـع، والمسـتوي، والمـنخفض**، وشـأن أهليهـا، وتفاوتهم في معرفة الأشياء باختلاف أنظـارهم، فعرضـت أن أكتـب الجـواب على ما هو حظي من الكتاب؛ من كثرة الإضاعة وقليل الزاد والبضاعة، كـما لا يسعني غير إجابته وإسعاف طلبته، مستعيناً بالله، ومـا تـوفيقي إلا بـالله وعليـه توكلت وهو حسبي ونعم الوكيل.

وبسط الكلام بحيث يقرب مـن الأفهـام يقتضيـ أن يُـورَد في فصـول تسهيلاً للوصول:

فصل [١]

إن الله سبحانه لم يخلق شيئاً فرداً قائماً بذاته بنفسه دون غيره للذي أراد من الدلالة على ذاته وإثبات وجوده[١]، واتفق الحكماء على أن كل ممكن زوج تركيبي[٢]؛ له وجه إلى ربه وهو جهته العليا ووجوده، ووجه إلى نفسه وهو جهته السفلى [و] ماهيته، ولا بد بينهما من ثالث واسطة تربطهما ورابط يناسب الطرفين يجمعهما ويرفع الألفة بينهما.

فالشيء الممكن مع كونه واحداً اثنان؛ مادة وصورة وثالث، نسبة إلى ربه ونسبة إلى نفسه والربط بينهما، قابل ومقبول وميل المقبول إلى القابل وبالعكس، وذلك معنى ما قاله الحكماء أن كل شيء مثلث الكيان مربع الكيفية[٣]، وإلى تثليث الكيان يشير قول الإمام عليه السلام: **(خلق الله المشيئة**

---

[١] إشارة إلى رواية الإمام الرضا عليه السلام: (ولم يخلق شيئاً فرداً قائماً بنفسه دون غيره للذي أراد من الدلالة على نفسه وإثبات وجوده) التوحيد، ص٣٤٥ ب٦٥ عيون أخبار الرضا، ج٢ ص١٥٦.

[٢] الأسفار للملا صدرا ج٢ ص١٨٦ الفصل العاشر. شرح العرشية للشيخ الأوحد ج١ ص ٥٩.

[٣] يقول الشيخ الأوحد أحمد بن زين الدين الأحسائي قدس سره: (معنى قولهم: مثلث الكيان، والكيان لغةٌ في الكون، أي مثلث الكون، مربع الكيفية تعني أن كل شيء في الجملة إنما يتم تركيبه إذا كان مشتملاً على الأكوان الثلاثة، أعني الجسم والنفس والروح. وعلى الكيفيات الأربعة، أعني الحرارة والرطوبة والبرودة واليبوسة. وكل شيء تام لم يخلُ من هذه الأصول الأربعة والأكوان الثلاثة. وكلُّ واحدٍ من هذه السبعة تحته أفراد كثيرة، ولهذا قد يُقال: العوالم السبعة) شرح الفوائد، ج٢ ص٢٥ الفائدة الخامسة.

بنفسها)[1]، حيث يخبر أن هناك فعلاً وهو (خَلَقَ)، ومفعولاً وهو (المشيئة)، وما يفعل به وهو (بنفسها)، مع أنها[2] أبسط ما يكون في الإمكان، كيف والإمكان بسيطٌ ومركبه أثر المشيئة ومعلولها، ولا تكون العلة كالمعلول أبداً، بل المشيئة عين (خَلَقَ)، وهما عين (بنفسها)، لا تعدد بينها إلا بالاعتبار في تزييل الفؤاد[3]، ولا سبيل لنا إلى معرفتها إلا بالاستدلال بما نراه في الآثار من تعدد الجهات[4]، وأول شيء صدر عنها الوجود، وله وجه أعلى تأكيداً للفعل، يحكي وجهه[5] الأعلى وهو (خَلَق) ويدل عليه، ووجه أسفل؛ كونه مفعولاً مطلقاً يحكي مفعولية المشيئة وهو آيتها ودليلها، ووجه يربط بينهما؛ وهو كونه مصدراً وحدثاً، وذلك آية نفس المشيئة ودليلها[6].

---

[1]) الكافي، ج١ ص١١٠، باب الإرادة وأنها من صفات الفعل.

[2]) في النسخة المكتوبة: أن.

[3]) في مختار الصحاح مادة (ز ي ل): (زيله فتزيل أي فرقه فتفرق ومنه قوله تعالى: (فزيلنا بينهم) والمزايلة المفارقة...إلخ) مختار الصحاح، ص١٥١. وتزييل الفؤاد أي تمييزه وتقسيمه وتفريقه، وقد تحدث شيخنا الأوحد الأحسائي قدس سره حول تزييل الفؤاد في شرح الفوائد ج١ ص٣٠٠ الفائدة الثالثة، فراجع.

[4]) عن إمامنا الرضا عليه السلام أنه قال: (وقد علم ذوو الألباب أن الاستدلال على ما هناك لا يكون إلا بما هاهنا) التوحيد، ص٤٣٨ ب٦٥ .

[5]) في النسخة المكتوبة: وجه.

[6]) يقول المصنف قدس سره في كتابه حق اليقين في تبين هذا المطلب: (اعلم أن كل شيء لا بد له من تلك الحقائق الثلاث:

والجهات الثلاث؛ فالأول ما صدر عن الفعل، وهو الوجود المطلق[1]، [وجهته] وإن كانت خفية إلا أنها متميزة في نظر العقل، مدركة به، يستدل بها على ما هناك من الجهات، ومن ثم صار فعلاً صلو الأصل في صيغ الأفعال

الأولى: وهي العليا المقصودة من الخلقة أولاً وبالذات، [و] هي محل العناية من الله سبحانه بالمعرفة والعبادة، والمسئول عنها فيما سأل كميل بن زياد أمير المؤمنين عليه السلام من قوله: (ما الحقيقة؟) والأجوبة الواردة عنه عليه السلام في بيانها كلها على هذا ينطبق دون غيرها -كما سيظهر لك إن شاء الله فيما يأتي في توضيح فقراتها- وهي الآية المرئية في أنفس الخلائق تبياناً لما أريد من خلقها من تحقيق الحق واتباعه فيه، وليس هناك إلا ظهور الحق لها بها، وبظهوره أخفاها عن نفسها وعن كل شيء سواها، ولا تجده إلا إذا فقدت نفسها، وإذا وجدتها فقدته، فقدانه في وجدانها ووجدانه في فقدانها، وهو قوله عليه السلام: (تجلى لها بها وبها امتنع منها).

الثانية: حقيقته من حيث نفسه، وهي ماهيته التي بها تتحقق وتظهر الحقيقة الأولى، ولأجل تقومها خلقت وما قصدت الثانية في الخلق إلا لها ولقيامها بها وما تعلق بها القصد إلا ثانياً بعد قصد الوجود وبالعرض بتبعية الوجود، فالوجود الذي هو آية الحق خلقه الله لمعرفته وعبادته والماهية خلقت للوجود لتحققه وظهوره ليتم ما هو المقصود من خلقه، والوجود جهة الفقر والفناء الذي هو الاستغناء والبقاء ومبدأ الموافقة والطاعة وهو من الفاعل الموجد، والماهية من الشيء المفعول، وهي مبدأ المخالفة والمعصية إذ هي منشأ الاستغناء من الله والبقاء بنفسها الذين هما منشأ الفقر الذي هو سواد الوجه في الدارين وكاد أن يكون كفراً، والفناء الهلاك؛ ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾.

الثالثة: حقيقته من حيث تماميته وجامعيته للطرفين حتى صار شيئاً من الأشياء وعيناً من الأعيان فيعبر ويخبر عن نفسه بـ(أنا) ويسأل عنه بـ(ما) الشارحة فيقال له: الانائية والمائية، وهي في الإنسان النفس الناطقة إذا زكاها بالعلم النازل إليه من جانب جهته العليا أي الفؤاد والنور والوجود مما به بقائه وكماله والعمل به خالصاً لوجه الكريم إلى أن بلغ إلى حد الاعتدال والتوسط في إصلاح الأنداد ومفارقة الأضداد فقد شارك بها السبع الشداد وكان مستوى الرحمانية). حق اليقين، ص١٢-١٣

(١) يقول الشيخ الأوحد قدس سره: (الوجود المطلق ونريد به الوجود الممكن الراجح الوجود، وهو فعل الله ومشيئته، وإرادته وإبداعه، مع ما تقوّم به من أثره ومتعلّقه من الحقيقة المحمدية، وفلك الولاية المطلقة، والماء الذي به حياة كل شيء) شرح الفوائد، ج٢ ص٩٧ الفائدة السادسة.

المجردة أن تكون ثلاثية لتناسب معانيها بموادها وصورها بأن المعنى ذو جهات ثلاث، وكذلك المصادر المجردة ترى أكثرها وأغلبها ثلاثياً من غير زيادة إلا لعارضٍ أو غرضٍ يقتضي ذلك، ألا ترى أن الفعل وأثره الأول يعبر عنها بالأوامر ويقال لها عالم الأمر، كما في قوله تعالى: **﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً﴾**[١]، **﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾**[٢]، **﴿وكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولاً﴾**[٣]، **﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾**[٤]، وليس هذا إلا لمناسبة بين اللفظ والمعنى راعاها الواضع الحكيم وما أهملها، فأمر بتثليث حروف اللفظ فيهما عن تثليث حروف المعنى والمسمى، وكلما بعد عن المبدأ وتنزل كان ظهور الكثرات والجهات أجلى معالم الخلق، كذلك إذ كان أثراً لعالم الأمر، والأثر يشابه صفة مؤثره، والمعلول شارح علله ومبين أسبابه، فما خفي في الأسباب والعلل ولا يناله الإدراك أصيب في المعلول والسبب، ويعرف فيهما ويستدل به على ما في العلل والأسباب، ولهذا قدم الخلق على الأمر في

---

١) يس، ٨٢.

٢) الروم، ٢٥.

٣) الأحزاب، ٣٧.

٤) الأعراف، ٥٤.

قوله تعالى: **﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾**؛ لأنه آية ودليل عليه وسبيله الموصل له، فإنك لا تعرفه إلا بما تراه في الخلق من ظهوره وتجليه للخلق بالخلق[١].

فنبّه سبحانه بقوله: [**﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾**]

أولاً: أن الخلق مثلث في كونه، وحروف لفظه الثلاث آيته الحاكية ووصفه المنبئ عن الموصوف كما مر في الأمر.

وثانياً: أن الخلق جهاته الثلاث؛ العليا، والسفلى، والوسطى، كل جهة منها آية تحكي عما يقابلها من جهات الأمر؛ فالأعلى من وجوه الخلق حكاية لأعلى الوجوه من الأمر، والأسفل للأسفل، والأوسط للأوسط.

---

١) يقول الشيخ الأوحد أحمد بن زين الدين الأحسائي قدس سره في تعريفة لعالم الأمر والخلق: (وعندنا عالم الأمر هو عالم الفعل بجميع أصنافه، كالمشيئة والاختراع والإرادة والإبداع والجعل والتقدير والقضاء والإمضاء والإذن، وعالم الخلق سائر المفعولات من جميع الأشياء. وقد يُطلق عالم الأمر على ما كان محلاً لفعل الله من سائر الأشياء، وهي في أنفسها مختلفة باعتبار قربها من المبدأ وعظمها، فما كان لا يتحقق الفعل إلا به صدق عليه الأمر، ويُقال إنه من عالم الأمر؛ لكونه محلاً للأمر، كالحقيقة المحمدية، لأنها محل مشيئة الله، ولا تتقوم المشيئة إلا بها، وإن كانت المشيئة كانت، فيتحقق فيها التساوق والتضاؤف، كالكسر والانكسار. فالفعل عالم الأمر الذي قام به كلَّ شيء من الممكنات قيام صدور. والنور المحمدي صلى الله عليه وآله عالم الأمر الذي قام به كل شيء من الممكنات قيام تحقق. فالفعل كحركة يد الكاتب قامت بها سائر الممكنات قيام صدور، والنور المحمدي صلى الله عليه وآله كالمِداد قامت به سائر الكتابة قيام تحقق، لكن لتعلم أنَّ الذي قامت به الأشياء كلها من الحقيقة المحمدية هو شعاعها لا ذاتها، هذا ما نذهب إليه تبعاً لأئمتنا) شرح العرشية، ج ١ ص ٣٠٠.

أو تقول أن [عالم] الخلق مظهر عالم الأمر يعرف بما ظهر به في الخلق ووصف به نفسه، يعني أن الخلق من حيث أنه خلق من دون ملاحظة وجوهه آية ودليل للأمر كذلك، فتأمل.

فصـــل [٢]

إن عالم الخلق -وهو العقل وما تحته-عالم واحد، تحت عالم الأمر[١] وله الجهات الثلاث؛ العليا، والوسطى، والسفلى، وهي العقل، والنفس، والجسم.

فكل شيء من الحوادث لا يكون إلا وله تلك الجهات، فالعقل وجهه إلى ربه، والجسم وجهه إلى نفسه، والنفس هي الواسطة الرابطة بينهما، وذلك إذا لاحظت الشيء جامعاً للغيب والشهادة.

وكذلك لو لاحظته[٢] بغيبه أو شهادته خاصة كالإنسان مثلاً في جامعيته لهما له وجه أعلى وهو عقله، ووجه أسفل وهو جسمه، والواسطة بينهما هي نفسه، كل واحد منها آية لما فوقه من عالم الأمر المفعولي[٣]؛ الأعلى للأعلى، والأسفل للأسفل، والوسط للأوسط، وكذلك في غيبه مركب من ثلاثة أجزاء؛ العقل، والروح، والنفس، وهو الإنسان الغيبي، وفي شهادته أيضاً ثلاث في تركيبه، قد ركب من مادة، وصورة، وجسم، وهو الإنسان الشهودي.

---

[١]) في النسخة المكتوبة: عالم به الأمر.

[٢]) في النسخة المكتوبة: لاحظت .

[٣]) قال الشيخ الأوحد الأحسائي أعلى الله مقامه: (أمر الله المفعولي الذي هو الماء المسمى بالحقيقة المحمدية) [شرح الفوائد، ج٢ ص ٤٠٧ الفائدة الثانية عشر]. وقال: (أمر الله المفعولي هو الحقيقة المحمدية) [راجع شرح العرشية، ج١ ص٨٦].

وهذا الحكم يجري في الإنسان الصغير المعبر عنه بالأنفس، [والإنسان] الكبير المسمى بالآفاق والعالم الأكبر، والإنسان الصغير المعبر عنه بالأنفس والعالم الصغير[١] ومركبهما وأجزائهما وغيبهما وشهودهما، وفي علويهما وسفليهما، وفي أجزائهما المادية والمجردة، والظاهرية والباطنية، وقد خلقهما سبحانه كل واحد طبق الآخر وجعلهما آيتين واضحتين ودليلين صريحين، فما أراده سبحانه من بيان الخفيات من الأمور الحقة وإظهار المضمرات الثابتة الصدقة، وهو قوله عز وجل: **﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾**[٢]، وهو قول أمير المؤمنين عليه السلام:

أتزعم أنك جرم صغير ... وفيك انطوى العالم الأكبر

وأنت الكتاب المبين ... الذي بأحرفه يظهر المضمر[٣]

ألا ترى أن الأجسام الآفاقية الكلية بين كثيف ولطيف وألطف، كالعرش فإنه أول الأجسام وألطفها، والعناصر فإنها أسفلها وأكثفها، وسائر

١) لم يمكننا مراجعة العبارة مع نسخ خطية أخرى، والظاهر أن العبارة فيها تقديم وتأخير فتكون هكذا: (وهذا الحكم يجري في الإنسان الصغير المعبر عنه بالأنفس والعالم الصغير، والإنسان الكبير المسمى بالآفاق والعالم الأكبر ومركبهما وأجزائهما وغيبهما وشهودهما وفي علويهما وسفليهما ...).

٢) فصلت، ٥٣.

٣) أبيات منسوبة لأمير المؤمنين عليه السلام، التفسير الصافي، ج١ ص٩٢ تفسير سورة البقرة.

الأفلاك فإنها أوسطها في اللطافة، وعلة لوقوعها في الوسط رتبة كل بحسبه، وكل واحدة من الكرات لمجموعها جامعة للجهات الثلاث، مطابقة له، فإن فلك القمر مثلاً له محدب مماس لفلك عطارد وهو في اللطافة يقرب من لطافته، وله مقعر مماس بكرة النار يقرب منها في الكثافة، والمتوسط بين محدبه ومقعره متوسط بين الكثافة واللطافة، وكذلك سائر الأفلاك كل منها محاط بسطحين؛ المقعر والمحدب يحيطان به، ومثلها كرات العناصر؛ النار، والهواء، والماء، والتراب.

وهكذا نفوس الأفلاك وباطنها على طبق ظاهرها وحسبها من غير تفاوت: **﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعْ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ۝ ثُمَّ ارْجِعْ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ﴾**[1].

---

(1) الملك، ٣-٤.

أما سمعت قول الحكماء واتفاقهم على تثليث عالم الخلق كله، وأنه عالم الجبروت[١]، والملكوت[٢]، والملك[٣]، حتى ظهرت آثاره في عالم الألفاظ والحروف التي هي عالم التدوين المطابق لعالم التكوين حرفاً بحرف، فهي في حيث محل أدائها تنقسم إلى حلقية[٤]، وجوفية[٥]، وشفوية[٦]، ومن حيث التعبير عنها بأسمائها [إلى] المسرودة، وملفوظة، ومكتوبة، ومن هنا قالوا أن المثلث أبو

---

١) يقول الشيخ الأوحد قدس سره: (عالم الجبروت؛ وهو عالم العقول، وهو عالم المعاني، والمراد بالمعاني: المعاني الاصطلاحية الخاصة، وهي المجردة عن المادة العنصرية والصورة المثالية، أعني المرتبطة بالمادة العنصرية والمدة الزمانية، لا التجرد المطلق) شرح الفوائد ج٢ ص ١٥ الفائدة الخامسة.

٢) يقول الشيخ الأوحد قدس سره: (عالم الملكوت؛ والمراد به عالم النُّفوس، أعني الصور الجوهرية، وعالم الأرواح متردِّد بين العالمين، وبرزخ بين الاثنين الجبروت والملكوت، يستعمل مع كل منهما باعتبارين. وهذا العالم أهله جواهر مقداريَّة، أي: ذوات مجردة إلا عن الصورة، وصورها نفوس الصور المثالية المحسوسة) شرح الفوائد ج٢ ص ٢٠ الفائدة الخامسة.

٣) يقول الشيخ الأوحد قدس سره: (عالم الملك؛ أعني عالم الأجسام، وأعلاه محدد الجهات ومحدبه مساوق في الوجود للزمان والمكان) شرح الفوائد، ج٢ ص٢٠ الفائدة الخامسة.

٤) الحروف الحلقية: وهي الحروف التي تخرج من الحلق، وعددها ستة حروف وهي: (ء- هـ- ع- ح- غ- خ).

٥) الحروف الجوفية: وهي الحروف التي تخرج من الجوف، وهي: حروف المد الثلاثة: (و- ا- ي).

٦) الحروف الشفهية: وهي الحروف التي تخرج من الشفتين و عددها أربعة حروف هي: (ف - و- ب - مـ).

الأشكال وهو شكل أبينا آدم عليه السلام، فإنه اسم مثلث الحروف وقواها على عدد حروف المثلث خمسة وأربعين.

وبالجملة إذا تدبرت في كل من أجزاء العالم تكويناً وتدويناً وجوداً وعدماً ترى ذلك الفن سارياً فيها وجارياً عليها غنياً عن البيان وخفياً من شدة الظهور والعيان، فكيف لا والعالم كله أثر فعله سبحانه، والأثر لا يكون إلا أن يشابه صفة مؤثره، [و] يكون شارحاً[1] لعلله وأسبابه، ومظهراً لما خفي في عليته وربوبيته، فتأمل إن شاء الله.

[1] في النسخة المكتوبة: وشارحاً.

فصــــل [٣]

اعلم أن العقل أول المجردات من عالم الخلق، وأعلاها وأصفاها وألطفها، وأول شيء ظهر فيه عالم الأمر بإيجاده، وأظهر ما كان مخفياً عنده بإحداثه وخلقه، وهو الذي به يثيب الله سبحانه ويعاقب[١]، وبه يتم حجته، ويوضح محجته لخلقه وبريته، فهو أشد الأشياء وأقربها حكاية وأبينها دلالة على ما خلق الله سبحانه مما أراده من معرفة ربه ومعرفة معانيه وأبوابه وخلفائه (...)[٢] ومعرفة أوامره ونواهيه، وتلك المعرفة لا تكون إلا ببيان منه سبحانه ووصفه.

ولما كان الشيء أقرب الأشياء إليه بعد ربه ليس إلا نفسه إذ هي هو لا غير، ولا شك أن الوصف والبيان بالأقرب أولى وأرجح، وفي إقامة الحجة أقوى وأتم؛ إذ الشيء لا يفارق نفسه ولا يفقده.

فوصف الله سبحانه نفسه وعرفه لخلقه بأن أحدثه وجعله على هيئة الفقر والحاجة المنبئة عن غنى باريه، وعلى صفة العبودية والتركيب الكاشفة

---

١) عن أبي جعفر، وأبي عبد الله عليهما السلام قالا: (لما خلق الله العقل قال له أدبر فأدبر، ثم قال له أقبل فأقبل، فقال: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا أحسن منك، إياك آمر، وإياك أنهى، وإياك أثيب وإياك أعاقب) بحار الأنوار، ج١ ص٩٧ باب ٢ حقيقة العقل.

٢) كلمة غير واضحة.

عن وحدانية ربه ومنشئه، وإنما خلقه على صفة تعريفه وبيانه وصورة وصفه، وهو أحد معاني[١] ما روي **(أن الله خلق آدم على صورته)**[٢]، فخلق سبحانه العقل ذا جهات ثلاث تحكي عن جهات ما فوقه من أول صادر عن فعله وهو أمره المفعولي الذي قامت[٣] به الأشياء قيام تحقق[٤]، فإنه في مقامه الأول لا يرى إل الفاعل، وفي الثاني يرى ظهور الفاعل، وفي الثالث هو دليل على الفاعل.

ويشير إلى الأول قول السجاد عليه السلام: **(إنه أجلّ أن يعرف بخلقه بل الخلق يعرفون به)**[٥]، و إلى الثاني قول الحسين عليه السلام: **(أيكون لغيرك**

---

١) في النسخة المكتوبة: معانيه.

٢) التوحيد، ١٥٢.

٣) في النسخة المكتوبة: قام.

٤) يقول الشيخ الأوحد قدس سره: (قيام التحقق كقيام الانكسار بالكسر؛ بمعنى أنه لا يتحقق لا في الخارج و لا في الذهن إلا مسبوقاً بالكسر لأنه انفعال الكسر لفعل الفاعِل، إذ لا تعقل الصفة قبل الموصوف، و قد نطلق على هذا اَعْنِي القيامَ الثالث القِيام الركني بمعنى أن الانكسار في الحقيقة مادته من نفس الكسر من حَيْثُ هُوَ هو لا من حيث فعل الكاسر، و ذلك كقيام السرير بالخشب قياماً ركنيّاً لأن الخشب هو ركنه الأعظم الذي تقوم به، و الركن الثاني الأسفل الأيسر هو الصورة فلَكَ أن تقول أنه تَقوم بالخشب التقومَ الركني و أن تقول أنه تقوّم بالخشب تَقَوّمَ التحقق) شرح العرشية، ج١ ص٣١٤.

٥) الكافي، ج١ ص ١٦٨، باب الاضطرار إلى الحجة، والرواية عن الإمام الصادق عليه السلام.

من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك)[١]، و إلى الثالث قوله عليه السلام: **(دليله آياته ووجوده إثباته)**[٢]، وذلك كله في مقام الأثر لا الذات.

مثاله من الآفاق الصور المرآتية، فإن المقابل ظهر لها بشبحه المنفصل القائم به قيام صدور[٣]، وبالمرآة قيام عروض[٤]، فمرة تنظر في المرآة ولا ترى فيها إلا الظاهر ولا تلتفت إلى الصورة وحدودها، وتارة تنظر بأنها صورة الشاخص وظهوره، وأخرى أنها أثره أحدثه بنفسه ليستدل به إلى وجود المؤثر إذ الأثر يشابه صفة مؤثره الأقرب، فتأمل.

فهذه الجهات للأمر المفعولي جهات العقل حكاية منها لأنها تنزلها وأول طور من أطوارها **﴿مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ للهِ وَقَاراً ۞ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً﴾**[٥]، فالوجه الأعلى منه ناظر إلى أعلى منه، ناظر إلى أعلى مقامات عالم

---

١) دعاء عرفة للإمام الحسين عليه السلام، بحار الأنوار، ج٩٥ ص٢٢٥.

٢) الاحتجاج، ج١ ص ٢٩٩.

٣) يقول الشيخ الأوحد قدس سره: (قيام الصدور: كقيام نور الشمس بالشمس، و معناه قيام الشي ء بإيجاد موجدِه بحيث لا يتحقق في مدة أكثر من مدة إيجاده، و ذلك كنور الشمس و كالصورة في المرآة) شرح العرشية، ج١ ص٣١٣.

٤) يقول الشيخ الأوحد: (تقوّم عروضٍ: كتقوم الصبغ بالثوب) شرح العرشية، ج١ ص٣١٤.

٥) نوح، ١٣-١٤.

الأمر مقام البيان[1] وحاك عنها، وهذا أول مقام الرضوان، وأول ميدان يدخله السالك في صعوده في ميادين التوحيد الحقة.

---

[1] اعلم أن كليات مقامات أهل البيت عليهم السلام أربع مقامات هي: البيان، والمعاني، والأبواب، والإمامة، وسيذكرها المصنف قدس سره تباعاً، والذي بيّن هذه المقامات من روايات أهل العصمة عليهم السلام هو شيخنا الأوحد الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي قدس سره، وننقل هنا باختصار ما كتبه حول هذا الموضوع في كتابه شرح الزيارة الجامعة الكبيرة. يقول قدس سره: (فأما المقام الأول: المسمى بإثبات التوحيد، وبالسر المقنع بالسر، وحق الحق، فالإشارة إلى بيانه من الأحاديث المروية عنهم عليهم السلام كثيرة، فمنها ما قال علي عليه السلام: (لا تحيط به الأوهام، بل تجلى لها بها وبها امتنع منها)، و قال عليه السلام: (نحن الأعراف الذين لا يعرف الله إلا بسبيل معرفتنا)، ... والمراد من هذا المقام الذي هو إثبات التوحيد هو معرفة الله بصفته التي وصف بها نفسه لعباده الذين أراد أن يعرفوه بها وهي صفة محدثة لا تشبه صِفةَ شيء من المخلوقات، وهي مقاماته و علاماته التي لا تعطيل لها في كل مكان؛ أي في غيبتك و حضرتك من عرفها فقد عرف اللهّ لأنها أمثاله و ليس كمثله شيء، وفي دعاء كل يوم من شهر رجب عن الحجة (ع): (فجعلتهم معادن لكلماتك، وأركاناً لتوحيدك وآياتك ومقاماتك التي لا تعطيل لها في كل مكان، يعرفك بها من عرفك، لا فرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك وخلقك فتقها ورتقها بيدك بدؤها منك وعودها إليك... إلخ)، فبين أنهم عليهم السلام معادِن لكلماتِه يعني أنهم أعضاد لخلقه لأنّ العلّة المادية لجميع الخلق هو شعاع أنوارهم فقد اتخذهم الله سبحانه أعضاداً لخلقه يعني يخلق خلقه من شعاع أنوارهم ... و المراد أن اللهّ سبحانه لا يعرف إلا بتلك المقامات وهي لا تتحقق إلا بهم و فيهم كما أن القائم لا يتحقق إلا بالقيام...إلخ .

والمقام الثاني: مقام المعاني، وباطن الباطن، وهو سر السر، وسر على سر، وحق الحق، وهو كونهم معانيه تعالى يعني علمه وحكمه وأمره... الخ، يعني علمه الذي وسع السموات والأرض، وحكمه على كل الخلق، ونعمه على جميع خلقه، وخيره الذي منّ به على الخلائق، وجنبه الذي لا يضام من التجأ إليه، وذمامه الذي لا يطاول ولا يحاول، ودرعه الحصينة، وحِصنه المنيعة، ورحمته الواسعة،

والوسط منه نظره إلى الوسطى منها مقام من كونه مبدأ لاشتقاق[١] أسماء الفواعل ومعاني لأفعاله تعالى، وذلك أول مقام الفرق والفصل ومنزلة **(ما رأيت شيئاً إلا وقد رأيت الله معه)**[٢].

والأسفل منه ينظر به إلى السفلى من جهات الأمر المفعولي وهو مفعوليته وكونه دليلاً، وهو آخر مقام الفرق.

وقدرته الجامعة، وأياديه الجميلة، و عطاياه الجزيلة، ومواهبه العظيمة، ويده العالية، وعضده القوية، ولسانه الناطق، وأذنه السميعة، وحقه الواجب، وهذا مثل قولك: قيام زيد وقعوده وحركته وسكونه وتسلطه وأياديه وامتنانه ومعاقبته وأمثال ذلك فهذه معاني زيد...إلخ .

و المقام الثالث: مقام الأبواب، وباطن الظاهر، وسر لا يفيده إلا سر، والسفارة إلى الله، وترجمة وحي الله ... فهو باب الخلق إلى الله وهذه الوساطة والترجمة والسفارة عامة في جميع الوجودات الشرعية والشرعيات الوجودية...إلخ.

و المقام الرابع: مقام الامامة، وهو الحق، وهو الظاهر، وهو السر المستسر، وهو مقام حجة الله على خلقه، وخليفته في أرضه، افترض طاعته على جميع خلقه، جعله الله قيماً على العباد، و حفيظاً وشاهداً وداعياً إلى الله وهادياً إلى سبيله، ووجهه الذي يتقلب في الأرض، وعينه الناظرة في عباده، فكاك الأزمات المعضلة، وفاتح الحصون المقفلة، والقصر المشيد، والبئر المعطلة، ملجأ الهاربين، وعصمة المعتصمين، وأمن الخائفين، وعون المؤمنين). شرح الزيارة الجامعة الكبيرة، ج١ ص٤٠ (مكتبة العذراء)، ص٢٠ (مطبعة السعادة)، شرح فقرة: (وموضع الرسالة).

١) في النسخة المكتوبة: الاشتقاق.

٢) ينقل عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: (ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله قبله وبعده ومعه وفيه) مسند الإمام علي عليه السلام ، ج١ ص١٥٠.

وهذا ما قاله شيخنا أعلى الله مقامه ورفع في الخلد أعلامه[١] في شرحه للزيارة الجامعة [الكبيرة]، في شرح قوله عليه السلام: **(وحفظة سر الله)**[٢]: (فمن نظر إليهم بالعقل المنحط وجدهم يعلمون الغيب، ومن نظر إليهم بالعقل المستوي وجدهم هم الغيب، وهم خزائن الغيب وهم مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو يعني إلا الله، ومن نظر إليهم بالعقل المرتفع وجدهم لا يعلمون

١) هو الشيخ أحمد بن الشيخ زين الدين الأحسائي، ولد في الأحساء في قرية (المطيرفي) في شهر رجب سنة ١١٦٦ هـ. من مشائخ إجازته: الشيخ أحمد الدمستاني البحراني، السيد ميرزا محمد مهدي الشهرستاني، الشيخ جعفر بن الشيخ خضر النجفي، السيد مهدي الطباطبائي بحر العلوم، الشيخ حسين آل عصفور البحراني، السيد علي الطباطبائي. تتلمذ عليه العديد من العلماء ومنهم: السيد كاظم الرشتي، الشيخ محمد حسن النجفي صاحب كتاب الجواهر، الميرزا حسن الشهير بكوهر، الشيخ أسد الله التستري الكاظمي، الشيخ محمد إبراهيم الكلباسي صاحب كتاب الإشارات، السيد عبد الله شبر، ابنائه الشيخ محمد تقي والشيخ علي نقي والشيخ عبدالله. له مؤلفات كثيرة في مختلف العلوم والمعارف، أهمها: شرح الزيارة الجامعة الكبيرة، وشرح الفوائد، وشرح العرشية وشرح المشاعر للملا صدرا، وقد ذُكِرَ في أعلام هجر للسيد هاشم الشخص (١٧٣) كتاباً ورسالة. توفي أعلى الله مقامه يوم الأحد (٢٢) من ذي القعدة سنة (١٢٤١هـ) في منقطة يقال لها (هدية) ما بين المدينة ومكة، ونقل جثمانه إلى المدينة المنورة، ودفن في البقيع خلف الحائط الذي فيه أئمة البقيع عليهم الصلاة والسلام. راجع سيرة الشيخ الأوحد بخطه، سيرة الشيخ بقلم ابنه الشيخ عبدالله، دليل المتحيرين للسيد الرشتي، أعلام هجر ج١

٢) الزيارة الجامعة الكبيرة، من لا يحضره الفقيه، ج٢ ص٦١١.

الغيب: **﴿قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللهُ﴾**[١]، فالمؤمن الممتحن من له هذه العقول الثلاثة)[٢] انتهى.

يعني أن أرباب العقول أدنى مراتبهم أن يعتقدوا بعلمهم عليهم السلام بما كان وما يكون وما هو كائن في مقام كونهم أئمةً وحججاً -والغيب عبارة عما يغيب عن الحواس ويقابل الشهادة عند الناس- وهم عليهم السلام مثلهم إلا أنهم يوحى إليهم ويلهمون ويرون ملكوت السموات والأرض من دون سائر الخلق.

ويدل على ذلك أخبارهم الكثيرة [التي] تفوق الإحصاء منها قول أمير المؤمنين عليه السلام في وصف الإمام عليه السلام: **(وكيف يفرض الله على عباده طاعة من يحجب عنه ملكوت السموات والأرض)**، وقوله: **(عالم بالمغيبات خصاً من رب العالمين)**، وقوله: **(المطّهر من الذنوب، المبّرء من العيوب، المطلع على الغيوب)**[٣].

---

[١]) النمل، ٦٥.

[٢]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة، ج١ ص١٧٩ (كرمان)، ص ٢١٤-٢١٥ (مكتبة العذراء).

[٣]) يقول أمير المؤمنين عليه السلام في حديث طارق بن شهاب: (فالإمام هو السراج الوهاج، والسبيل والمنهاج، والماء الثجاج، ... والسحاب الهاطل، والغيث الهامل، والبدر الكامل، والدليل الفاضل، ... فهم الجنب العلي، والوجه الرضي، والمنهل الروي، والصراط السوي، الوسيلة إلى الله، والوصلة إلى عفوه ورضاه، سر الواحد والأحد، فلا يقاس بهم من الخلق أحد، فهم خاصة الله وخالصته، وسر الديان

أقول: انظر إلى قوله: **(الغيوب)** إذ أورده بعد **(العيوب)** و **(الذنوب)** في الفقرتين الصريحتين في العموم حقيقة بالضرورة من المذهب بحيث من قال بخلاف ذلك يخرج عن الدين ويسلك غير سبيل المؤمنين، وذلك يدل على أن كلمة الغيوب مثلها في إفادة الاستغراق حقيقةً، وهذه دلالة واضحة فضلاً عن كونها جمعاً حُلِّي بالألف واللام .

ومنها قوله عليه السلام: **(ويطلع على الغيوب)** وقوله: **(يرتضيه لغيبه)**، وغيرها من الأحاديث لا تحصى للطالب المتتبع.

وبعض منهم ينظرون أنهم عليهم السلام باب الفيض والوجود يجول به في الغيب والشهود، وعلة الخلق الموجود، لا يخفى من المعلول للعلة خافية، بل كل خفاياه عنده ظاهرة بادية، إذ الأثر لا يقوم إلا بالتفاتة من مؤثره [و] بدونها لعدم ولا يدوم، وكل ما هو غيب عندهم شهادة ولا غيب إلا هم، وهو قول أمير المؤمنين عليه السلام في وصف الإمام أيضاً: **(ظاهره ملك لا يملك، وباطنه غيب لا يدرك)**[1]؛ يعني باطن الإمام كونهم أبواب فيوضاته، وكونهم

وكلمته، وباب الإيمان وكعبته، وحجة الله ومحجته...وقدرة الرب ومشيئته، وأم الكتاب وخاتمته، وفصل الخطاب ودلالته...إلخ) كتاب مشارق أنوار اليقين للشيخ البرسي قدس سره، ص ٢٠٤-٢٠٩، بحار الأنوار، ج٢٥ ص١٧١، باب جامع في صفات الإمام وشرائط الإمامة.

[1] ورد في حديث طارق المروي عن أمير المؤمنين عليه السلام هذه العبارة: (ظاهره أمر لا يملك، وباطنه غيب لا يدرك) راجع المصادر السابقة.

معاني أفعاله سبحانه، ومبادئ أسمائه وصفاته، وأركان توحيده، ومعادن كلماته؛ كما في دعاء شهر رجب عن الحجة عجل الله فرجه وصلوات الله عليه وعلى آل بيته: **(اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِمَعَانِي جَمِيعِ مَا يَدْعُوكَ بِهِ وُلاةُ أَمْرِكَ، الْمَأْمُونُونَ عَلَى سِرِّكَ)** إلى قوله: **(فَجَعَلْتَهُمْ مَعَادِنَ لِكَلِمَاتِكَ، وَأَرْكَاناً لِتَوْحِيدِكَ)**[1].

فهم عليهم السلام في مقام المعاني غيب، وفي مقام كونهم أبواباً خزائن الغيب، وخزّانه، ومفاتيحه، ففي هذين المقامين لا يعرفهم إلا الله، وهو قوله تعالى: **﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ﴾**[2]، وقوله: **﴿قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللهُ﴾**، وقول النبي صلى الله عليه وآله مخاطباً لأمير المؤمنين عليه السلام: **(لا يعرف الله إلا أنا وأنت، ولا يعرفني إلا الله وأنت، ولا يعرفك إلا الله وأنا)**[3].

---

[1] مصباح المتهجد ص٨٠٣ في أدعية شهر رجب، إقبال الأعمال ج٣ ص٢١٤.

[2] الأنعام، ٥٩.

[3] تأويل الآيات، ج١ ص١٣٩.

وهذه المرتبة مقام البيان والآيات والمقامات التي لا تعطيل لها في كل مكان يعرفه بها من عرفه لا فرق بينه وبينها إلا أنهم عباده وخلقه فتقها ورتقها بيده بدءها منه وعودها إليه[1]، وهذا لا يدرك إلا بنظر الفؤاد والعقل المرتفع.

فالمؤمن الممتحن المتحمل لأمرهم وعلمهم الصعب المستصعب[2] لا يكون ممتحناً ولا يتحمل سرهم إلا بعد بلوغه حد العقل المرتفع، وكونه ناظراً بالأنظار الثلاثة، فيعرف المفعول من هو، والموصوف، والحركة من السكون، والفرق من الجمع، والكيف والأين، ولا يرى من قولهم اختلافاً في البين،

---

[1] إشارة إلى التوقيع الصادر من الناحية المقدسة في دعاء كل يوم من شهر رجب: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِمَعَانِي جَمِيعِ مَا يَدْعُوكَ بِهِ وُلاةُ أَمْرِكَ، المَأْمُونُونَ عَلَى سِرِّكَ، المُسْتَبْشِرُونَ بِأَمْرِكَ، الواصِفُونَ لِقُدْرَتِكَ، المُعْلِنُونَ لِعَظَمَتِكَ. أَسْأَلُكَ بِمَا نَطَقَ فِيهِم مِنْ مَشِيئَتِكَ، فَجَعَلْتَهُمْ مَعَادِنَ لِكَلِمَاتِكَ، وَأَرْكاناً لِتَوْحِيدِكَ، وَآيَاتِكَ وَمَقَامَاتِكَ، الَّتِي لا تَعْطِيلَ لَهَا فِي كُلِّ مَكَانٍ، يَعْرِفُكَ بِهَا مَنْ عَرَفَكَ، لا فَرْقَ بَيْنَكَ وبَيْنَهَا إِلّا أَنَّهُم عِبَادُكَ وَخَلْقُكَ، فَتْقُهَا وَرَتْقُهَا بِيَدِكَ، بَدْؤهَا مِنْكَ وَعَوْدُهَا إِلَيْكَ...) مصباح المتهجد ص٨٠٣ في أدعية شهر رجب، إقبال الأعمال ج٣ ص٢١٤.

[2] قال أبو جعفر عليه السلام: (حديثنا صعب مستصعب، لا يؤمن به إلا ملك مقرب أو نبي مرسل أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان، فما عرفت قلوبكم فخذوه، وما أنكرت فردوه إلينا) بصائر الدرجات، ص٤٢ باب ١١.

وهذا قول الصادق عليه السلام: **(من عرف الفصل من الوصل، والحركة من السكون فقد وقع على القرار في التوحيد)**[١].

فأصحاب العقول المرتفعة والقلوب الممتحنة لقربهم من رتبة الإمداد، ووصولهم باب المراد، ينظرون بنور الفؤاد وبصره، ويرون الله تعالى ظاهراً في كل شيء برسم أثره، وهذا كما قال الحسين عليه السلام في ملحقات دعاء عرفة: **(إلهي أنت الظاهر في كل شيء)**[٢].

وينظرون بنور العقل نظر الفرق أنّه حق وخلق لا ثالث بينهما ولا ثالث غيرهما[٣]، لكنه ينظر إلى الأشياء بنظر العلل والأسباب، ويعرفها قبل كونها ويحيط بها من جميع جهاتها.

وثالثاً ينظرون إلى المعلولات المسببات المحدودة بالحدود والمشخصات بنظر الأدوات والآلات فرقاً بين الحق والباطل وتميزاً لأهلها في المواطن والمنازل وهذا نظره الأسفل الأدنى، وإليه يشير مولانا أمير المؤمنين روحي له

---

[١]) نقل السيد نعمة الله الجزائري رحمه الله في الأنوار النعمانية الرواية بهذه الصيغة: روي عن الصادق عليه السلام: (من عرف الفصل من الوصل، والحركة من السكون، فقد بلغ مبلغ القرار في التوحيد) الأنوار النعمانية، ج٤ ص٤٣، نور في بعض التراكيب المشكلة والأخبار الدقيقة والمسائل الفقهية وغيرها.

[٢]) دعاء عرفة للإمام الحسين عليه السلام، بحار الأنوار، ج٩٥ ص٢٢٥.

[٣]) قال الإمام الرضا عليه السلام: (إنما هو الله عز وجل وخلقه لا ثالث بينهما ولا ثالث غيرهما) عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج٢، ص١٥٦.

الفداء وعلى أخيه وعليه وزوجته وبنيه الصلاة والسلام في قوله: **(إنما تحد الأدوات أنفسها وتشير الآلات إلى نظائرها)**[١].

ويدل على ما ذكر من مراتب العقل وطبقاته وشأن أهليها ما رواه في الكافي قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: **(دعامة الإنسان العقل، والعقل منه الفطنة، والفهم، والحفظ، والعلم، وبالعقل يكمل، وهو دليله ومبصره، ومفتاح أمره، فإذا كان تأييد عقله من النور كان عالماً حافظاً ذاكراً فطناً فهماً، فعلم بذلك كيف ولِمَ وحيث وعرف من نصحه ومن غشّه، فإذا عرف ذلك عرف مجراه وموصوله ومفصوله وأخلص الوحدانية لله تعالى والإقرار بالطاعة، فإذا فعل ذلك كان مستدركاً لما فات وواردًا على ما هو آت يعرف ما هو فيه ولأي شيء هو هاهنا، ومن أين يأتيه، وإلى ما هو صائر، وذلك كله من تأييد العقل)**[٢] هي.

فتدبر في الحديث الشريف بالنظر اللطيف، وقد جعلته خاتمة للرسالة ختماً لها بالمسك، وكانت كتابتها متفرقة الأيام، [أثناء] عزمي للمسير والارتحال من البلدة الشريفة الحسينية شرفها الله تعالى وعلى مشرفها وآبائه وأبنائه أفضل الصلوات والتسليمات بالغدو والآصال، وجعلها الله لنا ولجميع

---

[١] التوحيد، ص٣٩، باب التوحيد ونفي التشبيه.

[٢] أصول الكافي، ج١ ص٢٥.

المؤمنين خير مرجع ومآل، وكنت في حال من اختلاف الأحوال، وتشويش البال، لا يتوقع مني معها أكثر مما أوردت في المقال، ووقع الفراغ منها يوم الأربعاء، رابع عشر ذي القعدة الحرام من شهور سنة أربع وسبعين بعد الألف والمائتين حامداً مصلياً مستغفراً سنة ١٢٧٤هـ

.[١]

---

(١) في سنة (١٢٧٤هـ ١٨٥٧م) عين عمر باشا والياً على العراق، وحبس الأهالي في النجف وكربلاء ونهب الدور وأخذ السلاح وسبى الأولاد والذرية، وأجبر على الخدمة العسكرية، ونتيجة لهذه الأحداث هاجر كثير من الإيرانيين كربلاء المقدسة ومنهم عالمنا الجليل مصنف الرسالة حيث سافر إلى تبريز وبقي قرابة السنة قائماً بالوظائف الدينية هناك. يقول المحدث الميرزا حسين النوري قدس سره في خاتمة كتابه جنة المأوى فيمن فاز بلقاء الحجة، ص١٧٣: (ولنختم هذه المقالة بذكر ندبة أنشأها السيد السند الصالح الصفي ... السيد حيدر بن السيد سليمان الحلي ... أنشأها بأمر سيد الفقهاء السيد المهدي القزويني النزيل في الحلة في السنة التي صار عمر باشا والياً على أهل العراق وشدد عليهم، وأمر بتحرير النفوس لإجراء القرعة، وأخذ العسكر من أهل القرى والأمصار سواء الشريف فيها والوضيع، والعالم فيه والجاهل، والعلوي فيه وغيره، والغني فيه والفقير، فاشتد عليهم الأمر وعظم البلاء وضاقت الأرض ومنعت السماء فأنشأ السيد هذه الندبة المشجية...إلخ) ثم ذكر الندبة التي مطلعها: يا غمرة من لنا بمعبرها.

(٥)

الرسالة الخامسة

رسالة في جواب السيد أحمد بن السيد محمد الحلي

[تمهيد]

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي علَّم بالقَلمِ، علَّم الإنسان ما لَمْ يَعْلَمْ، وجَعَلَ العِلْمَ مِفْتاحاً لِلْبيان في سائرِ الأُمـمِ، مَـنْ يَعْلَـم مـنهم ومَـنْ لا يـتعلم، وصـلى الله عـلى مـن استخلصه في القِـدَم[1]، وأقامَـهُ في كـل ألـف ألـف مـن آدم وعـالَمَ، وعـلى آلـه مصابيح الظُلَم، ومفاتيح الكرم، لِكـل فصـيحٍ وأعجـم، وإن كـان ممـن لـيس قصدهم وأم.

أما بعد؛ فيقول العبد الفقير الأثيم محمد باقر بـن محمـد سـليم التبريـزي - عفى الله عنهما ما قد سلف، وجعل ما بقي من أيامه خير خلف-: أنه قد كتـب إليَّ السيد السند، والمولى الأمجد الأنجد، السيد أحمد بـن السـيد محمـد الحـلي - حلاه الله بحلية الإرشاد، وأيده بالتوفيق والسداد- مسائل دقيقـة أنيقـة، يريـد

---

[1] عن مولانا الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام قال: (اتفق في بعض سني أمير المؤمنين عليه السلام الجمعة والغدير فصعد المنبر على خمس ساعات من نهار ذلك اليوم فحمد الله حمداً لم يسمع بمثله، وأثنى عليه بما لا يتوجه إلى غيره فكان ما حفظ من ذلك: ...وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، استخلصه في القدم على سائر الأمم على علم منه، انفرد عن التشاكل والتماثل من أبناء الجنس، وانتجبه آمراً وناهياً عنه، أقامه في سائر عالمه في الأداء مقامه؛ إذ كان لا تدركه الأبصار ولا تحويه خواطر الأفكار...) مصباح المتهجد ص٥٢٤. بحار الأنوار ج٩٤ ص١١٣ ح٨.

من داعيه تعجيل جوابها، وكشف ما بها من نقابها، وأنّى لي إلى ذلك من سبيل مع ما أنا عليه من التقصير والتعطيل.

أسأل الله التوفيق والتيسير فإنه أحسن هادٍ وخير دليل، فامتثلت أمره، [و] إتيانه بالميسور مقراً بالإضاعة والقصور، وجعلت سؤاله كالمتن والجواب كالشرح؛ تسهيلاً لأخذ المطالب، وتقريباً لنيلها من الطالب.

[الفاعل الحقيقي والفاعل المجازي]

قال سلمه الله: **لا يخفى عليك - أطال الله بقاك- فإن الحقير رجل من أقل عوام أهل الزمان، ومقلِّد فيما أحتاجه من الفقه بعض الفقهاء الأعيان، فحصلت مني إلتفاتة إلى كيفية تصديق القرآن من الله الكريم المنان، [المنزل] على عبده محمد سيد ولد عدنان، فنظرت في القرآن المجيد فإذا بقوله تعالى: ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[1]، ثم نظرت ثانياً لأكون بما به خبيراً، إذا بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً﴾[2].**

فتأملت في آياته هل يظهر من مجموعها الاتفاق أم يوجد الاختلاف ولو في بعضها، فإذا بقوله سبحانه: ﴿اللهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾[3].

ثم تفكرت فيه بعين الإنصاف والصراط الأقوم مستقراً هل يبقى على هذا حتى يختم ويتم، أم أجد فيه إختلافاً ولو من محاورات كلماته لذلك استمر، إذا بقوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾[1].

---

[1] فصلت: ٤٢.

[2] النساء: ٨٢.

[3] الزمر: ٤٢.

فصرت إذ ذاك من الباهتين، فإذا بقوله تعالى: ﴿الَّـذِينَ تَتَوَفَّـاهُمُ الْمَلائِكَـةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾[٢]، وفي الآية الأخرى: ﴿طَيِّبِينَ﴾[٣] فاضطربت اضطراباً بل أعظم ما يكون، وإذا بقوله: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ﴾[٤].

أقول ولا حول ولا قوة إلا بالله وما توفيقي إلا به:

اعلم يا أخي –وفقك الله لكل ما أراد، وهداك إلى سبيل الرشاد– أنه قد بلغ من الظهور عند كل أحد –إلى حد لا يكاد ينكره إلا من كابر عقله وجحد الضرورة– [أن الممكن][٥] ما كون نفسه ولا كونه من هو مثله[٦] في العجز والفقر وعدم الاستقلال والتذوت، وأن صانعه لا بد أن يكون قادراً، عالماً،

---

[١] السجدة: ١١.

[٢] النحل: ٢٨.

[٣] النحل: ٣٢.

[٤] الأنعام: ٦١.

[٥] في النسخة المكتوبة بخط الشيخ رياض البستاني: أنه ما كون نفسه.

[٦] عن الحسين بن خالد، عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليهما السلام: أنّه دخل عليه رجل فقال له: يا بن رسول الله ما الدليل على حدوث العالم؟ فقال: (أنت لم تكن ثمَّ كنت، وقد علمتَ أنّك لم تكوِّن نفسك، ولا كوّنك من هو مثلك) التوحيد، ص٢٩٣ باب إثبات حدوث العالم.

قوياً، غنياً، لا مُعقب لحكمه ولا راد لقضائه[١]، قد تنزه عن صفة خلقه، وعلى مماثلة عباده في ذاته، وصفاته، وأفعاله.

فهو فاعل لما يشاء بما يشاء كيف يشاء، يفعل بلا مباشرة، ويصنع لا باستعمال آلة، إذ كان بريئاً عن مماثلة ما سواه، ولا كذلك غيره لا يفعل إلا بحوله وأمره، ولا يفعل إلا من مادة واستعمال آلة ومباشرة ومعالجة، ولا يقوم شيء إلا بأمره **﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾**[٢]، منه بدء الأشياء وإليه تنتهي **(انتهى المخلوق إلى مثله، وألجأه الطلب إلى شكله)**[٣].

وقد علمت أن الله سبحانه من كمال غناه، وعموم فيضه، وشمول عطاياه، خَلَق خَلْقه على أنواع شتى؛ إعطاءً لكل ذي حق حقه، وسوقاً إلى كل مخلوق رزقه، وإيصالاً إلى كل ما هو أهله ويستحقه.

ولما كانت الملائكة من عباده المكرمين الذين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون[٤] منةً عليهم إبتداءً، مناً منه عليهم لما هم أهله بقابليتهم.

---

[١]) جاء في الدعاء: (مقر بأنك ربي وإليك إيابي، عالم بأنك على كل شيء قدير، تفعل ما تشاء وتحكم ما تريد، لا معقب لحكمك، ولا راد لقضائك) بحار الأنوار، ج٩٢ ص٢٦٨.

[٢]) يس: ٨٢.

[٣]) راجع الخطبة المعروفة بالدرة اليتيمة، كتاب ملحق نهج البلاغة لأحمد بن يحيى بن ناقة الكوفي، ص٣٥.

[٤]) قال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ۞ لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ الأنبياء: ٢٦-٢٧.

فاقتضت الحكمة أن جعلهم حملة أمره وعطاياه، كُلاً على حسب تحمله وقدره؛ إتماماً لنعمه، وإبلاغاً لفضله وكرمه.

فمنهم من له شأن في ذلك، ومنهم من له شأنان، ومنهم من له أكثر على حسب وسع طاقته وقدره، كما قال تعالى: **﴿جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾**[1].

وجعلهم روابط أفاعيله -سبحانه- إلى مخلوقاته ومفاعيله، ووسائط في إيصال فيوضاته وأموره إلى موارده ومحاله من الخلق، والرزق، والإحياء، والإماتة، في الكون والشرع، في الغيب والشهادة، وما يتفرع على هذه الأصول الفعلية ويتبعها من الحفظ، والتدبير، والتقسيم، والتربية، والقبض، والبسط، والتأييد، والتسديد، والإرشاد، والهداية، والتوفيق.

وكانت الأشياء متفاوتة في الرتب من الإنسان، والحيوان، والنبات، والجماد، ومختلفة ما بين جنس، ونوع، وشخص، وكل، وجزء، وكلي، وجزئي وغيرها، وكان لا يقوم شيء من الأشياء في مقاماتها ومراتبها وحدودها الجنسية وغيرها إلا بأمره وإرادته وإقامته.

فصارت الحوامل والروابط مختلفة باختلاف الأشياء؛ جنسية تحتها أنواع من الروابط والملائكة يوصلون الأحكام والأفعال المتعلقة للأشياء النوعية إلى

---

(١) فاطر: ١.

مواردها بأمر رئيسهم الموكل على جنس تلك الأشياء النوعية الرابط الحامل سبحانه إلى هذا الجنس.

وتحت كل واحد من هذه الروابط روابط تصدر بأمر من فوقها الحاكم عليها إلى الأشياء الصنفية، وتحت كل منها أشخاص موكلة على أفراد صنف من الأصناف، كل شخص من أشخاص الملائكة بفرد من الأشياء.

وتحت كل واحد من تلك الأشخاص ملائكة بعدد أجزاء ذلك الفرد المركب، كل ملك منهم وكله الله على جزء من أجزاء المركب ليوصل أمر الله الصادر بواسطة رئيسه وحاكمه الموكل على المركب إلى ما وكل من أجزائه وهكذا.

وكان هذا الرئيس يرجع إلى رئيسه الموكل على صنف هذه الأفراد ليأخذ منه أمر الله سبحانه ويوصله إلى ما وُكِّلَ عليه من أجزاء ذلك الفرد وملائكتها.

وكذلك الرئيس الموكل على الصنف يرجع بأمر الله إلى من فوقه من الملائكة الموكلة بالأنواع، وهو إلى من فوقه مما وكل بالأجناس، وهو إلى من فوقه إلى أن يصل إلى واحد من الملائكة العظام الأربعة ميكائيل، وإسرافيل، وعزرائيل، وجبرائيل عليهم السلام، وهؤلاء الأربعة يرجعون ويصدرون من

الملائكة العالين حملة العرش وأركانه[١]، وهؤلاء من أمر الله الفعلي بواسطة أمره المفعولي[٢].

١) الملائكة العالون: هم الذين لم يسجدوا لآدم عليه السلام كما قال تعالى مخاطباً إبليس: ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنْ الْعَالِينَ﴾، وقد ورد في نصوص الروايات الشريفة أنهم ساداتنا الكرام محمد وآله عليهم السلام، ففي الرواية عن أبي سعيد الخدري قال: كنا جلوسا عند رسول الله إذ أقبل إليه رجل فقال: يا رسول الله أخبرني عن قول الله عز وجل لإبليس: ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنْ الْعَالِينَ﴾، من هم يا رسول الله الذين هم أعلى من الملائكة المقربين؟ فقال رسول الله: أنا وعلي وفاطمة والحسن والحسين، كنا في سرادق العرش نسبح الله، فسبحت الملائكة بتسبيحنا قبل أن يخلق الله عز وجل آدم بألفي عام، فلما خلق الله عز وجل آدم أمر الملائكة أن يسجدوا له، ولم يؤمروا بالسجود إلا لأجلنا، فسجدت الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس أبى أن يسجد، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ أي من هؤلاء الخمس المكتوب أسماؤهم في سرادق العرش. فنحن باب الله الذي يؤتى منه، بنا يهتدي المهتدون، فمن أحبنا أحبه الله وأسكنه جنته، ومن أبغضنا أبغضه الله وأسكنه ناره، ولا يحبنا إلا من طاب مولده) بحار الأنوار، ج٢٥ ص٢ باب: بدو أرواحهم وأنوارهم.

٢) يقول الشيخ الأوحد أحمد بن زين الدين الأحسائي قدست روحه: (واعلم أنا قد أشرنا أنَّ أمر الله الذي به تقوّمت الأشياء يُطلق على شيئين:

أحدهما: فعل الله، وهو المُشار إليه بقوله تعالى: ﴿أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾، وهذا تتقوّم به الأشياء تقوّم صدور، فكل شيء من فعل الله في حال صدوره وبقائه طريّ أبداً، فأول آناته كآخره، إذ وجوده إنما هو شيءٌ بفعل الله، فلا تحقق له في البروز في عالم الأكوان إلا بالفعل، فهو منه كالنهر الجاري من الينبوع .

والآخر: أول مفعول صدر عن الفعل، وهذا تتقوّم به الأشياء تقوّماً ركنياً، كتقوّم السرير وأبناء نوعه بالخشب، والمراد بهذا الوجود: هو الماء الذي جعل منه كل شيء حي، وهو الحقيقة المحمدية صلى الله عليه وآله، فإنّ الأشياء كلها موادها التي تتقوّم بها من أشعتها أو أشعة أشعتها) [شرح الفوائد، ج٢ ص٣٥٠-٣٥١ الفائدة الحادية عشر]. وقال قدس سره: (بأمر الله الفعلي أي المشيئة والإرادة والإبداع)

وهو الله سبحانه القاهر فوق عباده، والقادر على ما أقدرهم عليه، وهو أقرب من كل قريب، أقرب للشيء من نفسه وممن وُكل به من الملائكة الموكلة القريبة والعالية.

وكذلك بعده أمره سبحانه الفعلي والمفعولي فإنهما لا يفوتهما شيء ولا يسبقهما شيء من قربهما من شيء كقربهما من الأشياء، ولا يفعل شيء من الروابط، والوسائط، والأسباب، والمسببات، والعلل، والمعلولات إلا بهما.

فإذا علمت ذلك عرفت أن الله سبحانه هو الفاعل لما يشاء بما يشاء، وهو الذي يتوفى الأنفس حين موتها، ويتوفى التي لم تمت حال يقظة في منامها، فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى **﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾**[1].

ثم [من] كان في خلقه كان بأمره يعمل لا يسبقه بالقول والفعل ولا يعصي الله ما أمره ولا يشاء إلا أن يشاء الله، فكان ذلك أهلاً للعناية ومحلاً لمزيد العطية وهم الملائكة.

[شرح المشاعر،ج٢ص٣٣٣ (مؤسسة الإحقاقي)، جوامع الكلم، ج٣ ص٥٣٥ (مطبعة الغدير)]. وقال: (أمر الله المفعولي الذي هو الماء المسمى بالحقيقة المحمدية) [شرح الفوائد، ج٢ ص ٤٠٧ الفائدة الثانية عشر]. وقال: (أمر الله المفعولي هو الحقيقة المحمدية) [راجع شرح العرشية، ج١ ص٨٦].

[1]) الروم: ٤٠.

وكان هو سبحانه أجل من مباشرة خلقه[١]، وأعلى من أن يمنع عطيته وفضله من أهله، وهو المبتدئ بالنعم قبل استحقاقها[٢] فكيف بمستحقها، وقد وعد سبحانه للشاكرين بالمزيد في قوله تعالى: ﴿و لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[٣]، وهو المنان بالعطيات على أهل مملكته[٤].

فجعلهم مظاهر أفعاله، ومجاري أوامره ومحالها؛ تشريفاً لهم، ومَناً منه عليهم وإظهاراً لكمال قدرته وإتقان صنعه ﴿صُنْعَ اللهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾[٥].

واختار من بينهم أربعة أملاك وهم من الروحانيين، ووكل كل واحد منهم بأمر من الأمور الأربعة التي بها مدار الخلق لا بغيرها، وهي: الخلق، والرزق، والإحياء، والإماتة؛ النازل كل واحد منها من ركن من أركان العرش

---

١) جاء في دعاء الصباح عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: (يا من دل على ذاته بذاته، وتنزه عن مجانسة مخلوقاته) بحار الأنوار، ج٨٤ ص٣٣٩. و قال إمامنا الصادق عليه السلام: (إنه لما أثبتنا أن لنا خالقاً صانعاً متعالياً عنا وعن جميع ما خلق، و كان ذلك الصانع حكيماً متعالياً، لم يجز أن يشاهده خلقه ولا يلامسوه، فيباشرهم ويباشروه) الكافي، ج١ ص١٦٨ باب الاضطرار إلى الحجة.

٢) ورد في الدعاء الشريف: (يا مبتدئاً بالنعم قبل استحقاقها) التوحيد، ص١٧٠ باب أسماء الله تعالى والفرق بين معانيها، ح١٤.

٣) إبراهيم: ٧.

٤) ورد في الدعاء الشريف عن إمامنا علي بن الحسين السجاد عليه السلام قال: (وأنت المنان بالعطيات على أهل مملكتك) مصباح المتهجد، ص٥٨٣ دعاء السحر في شهر رمضان.

٥) النمل: ٨٨.

الذي هو مستوى الرحمانية فصار العرش غيباً في رحمانيته كما صارت العوالم غيباً في عرشه، فأعطى منه كل ذي حق حقه، فحق الرزق أنزله من ركنه الأيمن الأعلى إلى ميكائيل لمناسبة بينهما[1]، فساق به إلى كل مخلوق رزقه، وجعل له أزغاباً وأجنحة كُلية وجزئية عدد شؤونه، وخلق له جنوداً وأعواناً عدد المرزوقين.

وأنزل من أسفله حق الإحياء إلى إسرافيل لما تستحقه، لما بينهما من المناسبة، فأجرى به بأيدي جنوده وأعوانه إلى كل ذي حياة حياته، وله أيضاً أجنحة وزغب بعدد شؤوناته.

وأنزل من ركنه الأيسر الأعلى حق الإماتة إلى عزرائيل وبه أجرى إلى كل ذي روح على أيدي جنوده وأعوانه موته.

وأنزل من أسفله حق الخلق إلى جبرائيل فأجراه به وبجنوده إلى كل مخلوق، ولهما أيضاً زغب وأجنحة عدد شئونه وجنوده.

---

١) يقول الشيخ محمد آل أبي خمسين قدس سره: (فميكائيل إنما سمي بهذا الاسم لكونه مكيلاً للمياه والفيوضات الإلهية على قدر القابليات، وإسرافيل إنما سمي بهذا الاسم لكونه صاحب الصور والموكل بنفخ الأرواح وجذبها والرياح المثمرة، وعزرائيل إنما سمي بهذا الاسم لأنه إذا تجلى للأرواح من وراء الحجب قبضها وعزرها بطبيعته، وجبرئيل إنما سمي بهذا الاسم لكونه جابراً لما كسره الجهل بما ينزل به من الوحي) المنهاج بدرة الابتهاج في بيان معرفة المعراج، مخطوط، ص٦٢-٦٣.

كل واحد من الأربعة سُميت باسم رئيسه، فأعوان عزرائيل مسماة باسم ملك الموت، وفعلها فعله إذ كانت لا تصدر إلا بأمره.

ومنها من هو ملائكة رحمته وهو قوله: **﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ﴾**[1]، ومن هو ملك نقمته وهو قوله تعالى: **﴿الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾**[2].

وهؤلاء الملائكة كلهم رسل من الله يوصلونه بأمره إلى موارده كما في قوله عز من قائل: **﴿اللهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ﴾**[3]، وذلك قوله سبحانه: **﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ﴾**[4]، وكل ذلك يشهد به كثير من الأخبار تلويحاً وتصريحاً.

ومنها ما رواه الطبرسي في احتجاجه مما أجاب به أمير المؤمنين بعض الزنادقة حين قال: لولا ما في القرآن من الإختلاف والتناقض لدخلت في دينكم، وذكر منه آيات كثيرة ظاهرة التناقض.

فأجابه عليه السلام منها واحداً بعد واحد، إلى أن قال: **(فأما قوله: ﴿اللهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾، وقوله: ﴿يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ﴾، و﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾،**

---

[1]) النحل: ٣٢.

[2]) النساء: ٩٧.

[3]) الحج: ٧٥.

[4]) الأنعام: ٦١.

و ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ﴾، و ﴿الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ فهو تبارك وتعالى أجل وأعظم من أن يتولى ذلك بنفسه، وفِعْلُ رسله وملائكته فعله لأنهم بأمره يعملون.

فاصطفى جل ذكره من الملائكة رسلاً وسفرة بينه وبين خلقه وهم الذين قال فيهم: ﴿اللهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ﴾، فمن كان من أهل الطاعة تولت قبض روحه ملائكة الرحمة، ومن كان من أهل المعصية تولت قبض روحه ملائكة النقمة.

ولملك الموت أعوان من ملائكة الرحمة والنقمة، يصدرون عن أمره وفعلهم فعله، وكل ما يأتونه منسوب إليه، و إذا كان فعلهم فعل ملك الموت، وفعل ملك الموت فعل الله لأنه يتوفى الأنفس على يد من يشاء ويعطي ويمنع ويثيب ويعاقب على يد من يشاء، وإنّ فِعْلَ أُمنائه فعله كما قال: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ﴾[1] الحديث. وغيرها مما لا يخفى على المتتبع البصير.

والكلام في الأملاك الثلاثة مثل ما ذكر في ملك الموت عزرائيل حرفاً بحرف بلا تفاوت، فخذ ما آتيتك من الرمز فإنه ينفتح منه أبواب كثيرة.

---

[1]) الاحتجاج، ج١ ص ٣٦٧

[خلق الخير والشر، واختيار العبد في أفعاله]

قال سلمه الله: **ومن الضروري الذي ليس فيه قال ولا قيل أن توفي الأنفس منسوب إلى عزرائيل، وغير خفي عليك قوله تعالى: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللهَ قَتَلَهُمْ﴾[٢]. ومما شاع وذاع لدى البصير والأعمى قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى﴾[٣]. ومع ذلك كله نرى أن قتل النفس منسوب إلى المباشر، بل ويُقتل شرعاً بالمقتول عمداً المباشر، مع أن الأمر الضروري الذي لا شك فيه ولا ريب يعتريه أن الله سبحانه هو الواحد الأحد المتفرد في فعله ولا شريك له فيه، ولا أحد من خلقه في فعل من أفعاله يعينه أو يكفيه، بل ليس لأحد من مطلق خلقه نوع من أنواع الاستقلال والاعتزال عنه سبحانه في فعل من الأفعال.**

فالتبس الأمر على الحقير، وبسؤالي إياكم خرجت من التقصير، وطوقت بذلك عنقك أيها العليم الخبير، وجنابك يجل عن القصور، وحاشاك أن تكون في جواب الحقير من أهل التقصير.

---

١) التوبة: ١٤

٢) الأنفال: ١٧

٣) الأنفال: ١٧.

أقول: قال الله سبحانه في الحديث القدسي: **(أنا الله لا إله إلا أنا خلقت الخلق وخلقت الخير، طوبى لمن أجريته على يديه، أنا الله لا إله إلا أنا خلقت الخلق وخلقت الشر، ويل لمن أجريته على يديه)**[1] .

يعني أنا الواحد الأحد المتوحد في الأنائية، المتفرد في الهوية والمائية، الذي تحيَّر في إدراك كنه وصفه كل فطن لبيب، ووله في وصف صفاته وفعاله كل متوهم وإن دقّ وهمه ولطف ودب كل دبيب، وإليه يتأله كل مألوه، ويلجأ كل لاجىء ومضطر، والذي يتفرد في فعله ويستقل، لا يشاركه أحد في ملكه، ولا ينازعه في سلطانه، يختار من يشاء من عباده ويفعل ما يريد، وهو الذي خلق الأشياء كلها من خير أو شر.

فمن قال أن الشر ليس بمخلوق، أو خلقه غيره سبحانه فقد أشركه في سلطانه وجعل له منازعاً في ملكه، وهو الذي خلق أهل الخير وأهل الشر- وأجرى كُلاً من الخير والشر على يدي أهليها، وبشَّر أهل الخير بقوله: **(طوبى لمن أجريته على يديه)**، وأنذر أهل الشر بقوله: **(ويل لمن أجريته على يديه)**، وذلك التبشير والإنذار لا يحسن إلا بالاختيار من العبد وقبول وميل منه

---

[1]) عن محمد بن مسلم، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: (إن في بعض ما أنزل الله في كتبه أني أنا الله لا إله إلا أنا، خلقت الخير، وخلقت الشر، فطوبى لمن أجريت على يديه الخير، وويل لمن أجريت على يديه الشر، وويل لمن يقول كيف ذا وكيف ذا) الكافي، ج١ ص١٥٤ باب الخير والشر.

وإرادة، وهذا لا يكون إلا بإقدار من الله له على الطرفين من الفعل والترك، وعلى العملين من القبيح والحسن، وباستطاعة من العبد عليهما.

فهناك يصح من الله الأمر والنهي دلالة على طريق الخير والشر وهداية على الصالح من العمل والفاسد، ويحسن تعقيبهما بالترغيب والترهيب، وتأكيدهما بالوعد بالجنة التي هي لذة ماحضة لا شوب فيها، والوعيد بالنار الجامعة لكافة الآلام الماحضة لا يشوبها سرور ولا راحة أبداً.

فنبه سبحانه بقوله : **(طوبى)** أو **(ويل)** على أن فاعل الخير والشر هو العبد يفعل باختياره، وهو قصد ينشأ منه ويصدر عن عِلْم وإرادة وميل، فبذلك يستحق مدحاً وبشرى أو ذماً وتخويفاً.

وأن من قال بأن العبد في أفعاله مجبور، أو مقسور، أو مطبوع، أو مسخر، فقد أحال وتكلم باطلاً وأنكر على الله حكمته وعدله، ونسب القبح إلى فعله، والعبث من إرسال الرسل وإنزال الكتب، وإلى قوله سبحانه في الأمر والنهي والترغيب والترهيب والوعد والوعيد والمدح والذم، على أن العباد لو كانوا في أفعالهم مجبورين مقسورين لكان المسيء منهم أحق بالمدح من المحسن، والمحسن أولى بالذم من المسيء؛ إذ القسر والجبر لا يتصور إلا بإلزام العبد على خلاف محبته وميله، فالمسيء إنما كان مريداً للإحسان ومائلاً إليه وإنما صدرت الإساءة منه بالقسر وإلزام الغير، وكذلك المحسن لو خُلي وميله ما كان يفعل

إلا الإساءة، والإحسان خلاف ميله صدر عنه لا عن محبته وإقباله بل بقسر قاسر وإلزامه على ما لا يحبه.

وكذلك لو كان كل من المحسن والمسيء مطبوعاً في أفعاله لما كان يستحق مدحاً ولا ذماً، ولما كان كل أولى وأحق بشيء منهما من الآخر، وفي المسخر يرجع المدح واللوم إلى المسخِّر -بكسر الخاء- لا غير.

فوقوع المدح من الله سبحانه والوعد بالثواب على المحسن والذم والعقاب منه على المسيء دليل واضح وبرهان لائح على كون العبد في أفعاله مختاراً قادراً على الفعل والترك، يفعل مستطيعاً على تركه [و] مستطيعاً على الفعل، بل لولا كذلك كيف يصح أن [يقال] للمطيع أنه محسن وللعاصي أنه مسيء، بل لا يتحقق معنى الإحسان والإساءة في العبد أصلاً، فيظهر[1] بطلان قوله سبحانه: **(أجريته على يديه)**، [لأنه] رد على من زعم أن العبد في أفعاله وأعماله يفعلها بنفسه من دون قدر من الله سبحانه وقضاء وإرادة، وهذه الطائفة سميت في أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام ما دام الليل والنهار بـ(القدرية) تسمية للشيء باسم نقيضه، وأنهم مجوس هذه الأمة[2]؛ إذ كانوا يعزلون الحق عن ملكه

---

١) في الأصل: فظهر.

٢) ورد عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله: (القدرية مجوس هذه الأمة، إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم) [عوالي اللئالي، ج١ ص١٦٦ف٨]، وعن علي بن سالم، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: (سألته عن الرقى أتدفع من القدر شيئاً؟ فقال: هي من القدر، وقال عليه السلام: إن

ويخلونه ويقولون بالبينونة بينه وبين خلقه؛ بينونة عزلة لا بينونة صفة، وقد قال صادقهم عليهم السلام: **(توحيده تمييزه عن خلقه، وحكم التمييز بينونة صفة لا بينونة عزلة)**[1]، وقال عليه السلام: **(إن الله ليس خلواً عن ملكه، ولا ملكه خلواً منه)**[2]، وقال عليه السلام: **(القدر في العمل كالروح في الجسد)**[3].

وتكرار قوله تعالى: **(أجريته)** في طرفي الخير والشر إبطال ورد على المثنوية[4] القائلة بأن الله خالق الخير والنور، والشيطان خالق الشر والظلمة، وهم يقولون بيزدان واهرمن، زعماً منهم أن الشيء لا يصدر عنه ضده بل الصادر من الخير لا يكون إلا خيراً، ومن الشر لا يكون إلا شراً، وهذا توهم فاسد

القدرية مجوس هذه الأمة، وهم الذين أرادوا أن يصفوا الله بعدله فأخرجوه من سلطانه، وفيهم نزلت هذه الآية ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ۝ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾) [التوحيد، ص٣٨٢].

[1]) بحار الأنوار، ج٤ص٢٥٣.

[2]) عن الإمام أبي جعفر عليه السلام: (لا كان خلواً من الملك قبل إنشاء الملك، ولا يكون منه خلواً بعد ذهابه) أصول الكافي، ج١ ص ٨٨، باب الكون والمكان.

[3]) نقل السيد كاظم الرشتي قدس سره عن الإمام علي بن الحسين السجاد عليه السلام قوله: (القدر في الأفعال كالروح في الجسد) شرح الخطبة الطتنجية، ج١ ص ٤٨٢ شرح قوله عليه السلام: (ابتعثه هادياً مهدياً...).

[4]) طائفة من المجوس يذهبون إلى أن الله تعالى هو النور الأعلى وهو يزدان، وأن الشيطان من جنس الظلمة وهو اهرمن. راجع رسائل المرتضى، ج٢ ص٢٨٤. الملل والنحل، ج١ ص٢٣٣.

ورأي يضر ولا يفيد، إذ ذاك لا يتصور إلا فيما [إذا] كان ذات الشيء هو المصدر، وخيرية المصدر وشريته بإصدار الفاعل خيراً أو شراً، والأمر ليس كذلك؛ لأن المصدر فعل الفاعل وذاته [و] لا يجري عليه ما بفعله أجراه، ولا يوصف بما هو بصنعه أبداه وأنشأه، ولأن الصادر صدر عن فعله شيئاً صالحاً للخير والشر ولا يتميز ولا يتعين إلا بقبوله، وقد قال سبحانه: **(وإذا قال أن الخير من عندي والشر من عند إبليس فقد جحد ربوبيتي، وجعل إبليس شريكاً لي)**[1].

ومثله؛ من قال أن الخير من الله وهو خالقه، والشر خالقه العبد من دون الله، أو قال أن أفعال العبد كلها مخلوقة لله إلى أن تنتهي إلى العزم وميل القلب الذي هو منشأ الأفعال ومنتهاها، وذلك العزم مخلوق للعبد لئلا يلزم الجبر والإلزام في فعله، وهذا أيضاً باطل وشرك على الله سبحانه في ملكه كالأولين، بل الله خالق كل شيء، ولا يكون شيء في الأرض ولا في السماء إلا بمشيئته[2]

[1]) ذكر السيد حسن الشيرازي رحمه الله في كتابه كلمة الله الحديث كاملاً، ص٤٦٥ الحديث ٤٤٦، وقد علق في الأسانيد ص٥٨٧ بهذا التعليق: (هذا الحديث هو الحديث المعروف بـ(الحديث القدسي)، وقد رواه عدد من محدثينا الكبار رحمهم الله، بالإضافة إلى قوة المضمون في نصه تكفي للدلالة على صحته).

[2]) عن أبي عبد الله عليه السلام (لا يكون شيء في الأرض ولا في السماء إلا بهذه الخصال السبعة: بمشيئة، وإرادة، وقدر، وقضاء، وإذن، وكتاب وأجل، فمن زعم أنه يقدر على نقض واحدة فقد كفر) الكافي، ج١ ص١٤٩، باب أنه لا يكون شيء في السماء والأرض إلا بسبعة.

وفعله، ولا يلزمه جبر ولا إلجاء للعبد، إذ خلقه سبحانه قادر العزم [على] الخير والشر ومختاراً يخلق سبحانه كلاً منهما باختياره، وخلق العزم صالحاً للطرفين من الخير والشر لا يتعين لواحد منهما إلا بتعيين العبد واختياره، فافهم وخذ ما آتيتك وكن به ضنيناً.

[آية القتال وحل الإشكال الوارد عليها]

أما قوله تعالى: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللهَ قَتَلَهُمْ﴾[٢]، وأمثالها، فإنك إذا أمعنت النظر وأتقنت ما ذكر من البيان تجد كل ما يتلو من أمثال تلك الآيات وغيرها متوافقة بعضها يبين بعضاً ويفسره، لا تجد فيها اختلافاً ولا منافرة، و قدر أنه هو الغالب على أمره، والقاهر فوق عباده، يفعل ما يشاء بما يشاء كيف يشاء، يرحم من يشاء بما يشاء كيف يشاء، ويعذب من يشاء بما يشاء كيف يشاء، وقال سبحانه في محكم كتابه: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَاراً﴾[٣]، فلما أراد الله سبحانه أن يشفي صدور المؤمنين ويرحمهم، وخسار الكافرين والمنافقين وخزيهم أنزل آية القتال لنبيه صلى الله عليه وآله، وهو قوله تعالى: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ۝ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾[٤] وأمثاله، فبأمرهم للقتال ميّز المنافقين

---

١) التوبة: ١٤.

٢) الأنفال: ١٧.

٣) الإسراء: ٨٢.

٤) التوبة: ١٤- ١٥.

من المؤمنين بأفعالهم فرأيتهم يصدون عن رسول الله صدوداً[١]، وأحوالهم وذلك قوله تعالى: **﴿فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾**[٢]، وأقوالهم مرة يستأذنون من رسول الله صلى الله عليه وآله **﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾**[٣]، و **﴿لا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾**[٤] وتارة: **﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلاَّ فِرَاراً﴾**[٥]، وآخر يقولون: **﴿هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللهُ قُلُوبَهُمْ﴾**[٦]، وطوراً يقولون: **﴿مَاذَا قَالَ آنِفاً﴾**[٧]، وآخر: **﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَاناً فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۞ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً**

---

١) قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ النساء: ٦١.

٢) محمد (صلى الله عليه وآله): ٢٠.

٣) التوبة: ٤٥.

٤) التوبة: ٤٤.

٥) الأحزاب: ١٣.

٦) التوبة: ١٢٧.

٧) محمد (صلى الله عليه وآله): ١٦.

﴿إِلَى رِجْسِهِمْ﴾[١]، وأمثال ذلك مما تنبئ عن خبث بواطنهم وخسرانهم ولهم في الدنيا خزي وفي الآخرة عذاب أليم.

ثم أخزى سبحانه الكفار والمشركين وزادهم خساراً ونكالاً لما أنزل آية القتال وحث المؤمنين عليه، حيث نصرهم وأيدهم على عدوهم إذ كانوا نصروا الله وأطاعوه: **﴿إِنْ تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾**[٢]، وعذبهم بأيدي المؤمنين وهو غني عن العالمين، وهو قوله سبحانه: **﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾**[٣].

فكان المؤمنون قاتلوهم بأمر الله لا من عند أنفسهم، وقتلوهم بإذن الله ورضاه ونصره لهم على عدوهم وإجرائه الخير -وهو قتل الكفار- على أيديهم، فلذا صار قتلهم عذاباً من الله لأعدائهم، وخزياً منه عليهم، وشفاء لصدور قوم مؤمنين، وإذهاباً منه لغيظ قلوبهم؛ كل ذلك فعل الله سبحانه.

فجعل فعلهم فعله إذ كانوا بأمره يعملون؛ التشريعي وهو آية القتال، والتكويني؛ حتميه[٤] وهو قوله عليه السلام: **(لا يكون شيء في الأرض ولا في**

---

[١]) التوبة: ١٢٤-١٢٥.

[٢]) محمد (صلى الله عليه وآله): ٧.

[٣]) محمد (صلى الله عليه وآله): ٤.

[٤]) عن الإمام الرضا عليه السلام قال: (إن لله إرادتين ومشيئتين؛ إرادة حتم، وإرادة عزم، ينهى وهو يشاء، ويأمر وهو لا يشاء، أوما رأيت أنه نهى آدم وزوجته أن يأكلا من الشجرة وشاء ذلك ولو لم يشأ أن

السماء إلا بسبعة؛ بمشيئة، وإرادة، وقدر، وقضاء، وإذن، وأجل، وكتاب، فمن زعم نقض واحدة منها فقد أشرك)[١]، وعزميه وهو قوله عز وجل: **﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾**[٢]، وقوله سبحانه وتعالى في الحديث السابق: **(طوبى لمن أجريته على يديه)**، وكذلك قوله تعالى في الآية الثانية: **﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾**[٣] حيث جعل قتلهم قتله، كما جعل قتلهم خزيه، وعذابه، وشفاءه، وإذهابه.

إلا أنه نفى في الثانية نسبة قتل الكفار إليهم وأثبته إلى نفسه إشارة إلى أن السبب والأصل في قتلهم إرادته ومحبته له، و أنعم على المؤمنين ومنّ عليهم إذ جعلهم محال لمحبته ومجاري لإرادته باختيارهم، وتلك نعمة يمن بها عليهم ولو شاء لأجراه على يدي غيرهم فإنه فعّال لما يشاء.

يأكلا لما غلبت مشيئتهما مشيئة الله تعالى، وأمر إبراهيم أن يذبح إسحاق ولم يشأ أن يذبحه، ولو شاء لما غلبت مشيئة إبراهيم مشيئة الله تعالى) أصول الكافي، ج١ص١٥١ باب المشيئة والإرادة.

[١]) عن أبي عبد الله عليه السلام (ولا يكون شيء في الأرض ولا في السماء إلا بهذه الخصال السبعة: بمشيئة، وإرادة، وقدر، وقضاء، وإذن، وكتاب وأجل فمن زعم أنه يقدر على نقض واحدة فقد كفر) الكافي، ج١ ص١٤٩، باب أنه لا يكون شيء في السماء والأرض إلا بسبعة.

[٢]) الصف: ٤

[٣]) الأنفال: ١٧.

[آية الرمي وحل الإشكال الوارد عليها]

وأما قوله سبحانه: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَّ رَمَى﴾[1] فقد نفى فيه ما أثبت من الرمي لرسول الله صلى الله عليه وآله، ثم نسبه إلى نفسه بقوله: ﴿وَلَكِنَّ اللهَّ رَمَى﴾، وفي الخصال في مناقب أمير المؤمنين عليه السلام وتعدادها قال: (**وأما الخامسة والثلاثون فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وجهني يوم بدر فقال: إئتني بكف حصيات مجموعة في مكان واحد، فأخذتها ثم شممتها، فإذا هي طيبة تفوح منها رائحة المسك، فأتيته بها فرمى بها وجوه المشركين، وتلك الحصيات أربع منها كن من الفردوس، وحصاة من المشرق، وحصاة من المغرب، وحصاة من تحت العرش، مع كل حصاة مئة ألف ملك مدداً لنا، لم يُكرم الله عز وجل بهذه الفضيلة أحداً قبلنا ولا بعدنا**)[2] .

فإثباته سبحانه الرمي لنبيه صلى الله عليه وآله بقوله: ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾ إنما هو لمباشرته إياه، وهو سبحانه منزه عن صفات الخلق، ونفيه الرمي بقوله سبحانه: ﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾ إشاره إلى أنه لا يكون شيء في السماء ولا في الأرض بغير مشيئته، وإرادته، وقدره، وقضائه، ولا يعمل عامل عملاً إلا بإيجاده وخلقه

---

[1] الأنفال: ١٧.

[2] الخصال، ص٥٧٦، ومكان عبارة: (قبلنا ولا بعدنا) جاء: (قبل ولا بعد)، أما عبارة: (قبلنا ولا بعدنا) فقد وردت في نص تفسير الصافي، ج٢ ص٢٨٧ سورة الأنفال.

حين يعمل باختياره، وقوله سبحانه: **﴿وَلَكِنَّ اللهَّ رَمَى﴾** استدراك مما نفى من الرمي كان خيراً محضاً خلقه الله وأجراه على يدي نبيه حين رماه وأراده امتثالاً لأمره سبحانه وإرادته إرادة عزم ومحبة، إذ كان لا يسبقه بالقول وهو بأمره يعمل، وما يشاء إلا أن يشاء الله مشيئة محبة، فإذا شاؤوا شاء الله مشيئة حتم وإمضاء.

فكان رميه صلى الله عليه وآله صادراً عن أمره سبحانه وفق محبته ورضاه، (...)[1] بقدره فقضاه وأمضاه وأيده بنصره وجنود لم يروها، فجعل كلمة الذين كفروا السفلى، وكلمة الله هي العليا[2].

---

[1] كلمة غير واضحة.

[2] إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللهِّ هِيَ الْعُلْيَا﴾ التوبة:٤٠.

[المشيئة الحتمية والعزمية]

وقوله سلمه الله: **ومع ذلك كله ترى أن قتل النفس منسوب إلى المباشر، بل ويُقتل شرعاً بالمقتول عمداً المباشر.**

قد علم حله مما ذكر، ونزيده إيضاحاً دفعاً للالتباس وحسماً لمادة الشبهة والوسواس [فنقول]:

إن الله سبحانه أجل عن المباشرة والممارسة المستلزم للمجانسة، والارتباط المستلزم للاحتياج، والتعدد، والتناهي، والإشارة، والجهة، وغيرها .

ولا شك أن ذلك كله من صفات الحوادث، وهو غني عن العالمين لا يقوم شيء إلا بأمره وإرادته وقدرته، وقضى ربك أن لا يجري له أمر وإرادة إلا على ما تقتضيه حكمته، ومقتضى حكمته أن يجري الأمور بالأسباب والدواعي، وهو قوله عليه السلام: **(أبى الله إلا أن يجري الأشياء بأسبابها)**[1]، وقوله: **(لا يخالف شيء منها محبتك)**[2].

وحتم ذلك على نفسه وهو رب العزة وعلى كل شيء قدير، فخلق الخلق على ما هم عليه من مراتب وجوداتهم وأكوانهم وحدود صورهم وأعيانهم،

---

[1]) قال الإمام الصادق عليه السلام: (أبى الله أن يجري الأشياء إلا بالأسباب) بحار الأنوار، ج٢ ص٩٠ ب١٤.

[2]) ورد في دعاء ليلة الإثنين: (لا يخالف شيء منه محبتك) مصباح المتهجد، ص٤٥١.

والحادث لا يستغني من مدد جديد في كل آن، والمدد لا يأتيه إلا على ما يستأهله ويليق به كما خلقه أولاً على ما هو عليه وأهل له بقبوله حين ما خلقه على نهج التساوق من غير تقدم ولا تأخر، إذ لو كان خلقه للخلق وإمداده إياهم على حسب قدرته سبحانه وعلى ما تقتضيه لما رأيت في الخلق اختلافاً ولا ترتباً بالسببية والمسببية، ولا كون أحدها علة والآخر معلولاً، ولا ذاتاً، ولا صفةً، ولا عالياً، ولا سافلاً؛ إذ قدرته سبحانه نسبتها إلى الجميع على السواء ليست بأقرب من شيء وأبعد عن آخر، بل قربها من شيء عين قربها من الأشياء.

فإذاً يلزمه إما عدم التفاوت والاختلاف في خلقه، والواقع خلافه كما ترى، أو تطرق القبح إلى فعله وصنعه تعالى من لزوم الترجيح من غير مرجح، وتقديم واحد وتأخير آخر من غير داع وموجب، وغيره من المفاسد تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

فالصنع المتقن والأمر المحكم أن يخلق الخلق على وفق حكمته وعلى ما تقتضيه من وضع الأشياء في محالها وإعطائها حقوقها التي تستحقها باختيارها وقبولها وفعلها في ذاتها وسائر مقاماتها، وهو قوله تعالى: **﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾**[1].

---

(1) النمل: ٨٨.

فجعل سبحانه المدد الذي به بقاء العبد ودوامه على حد عمله وضعاً منه للشيء في محله، وجعل كل نفس ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾[1]، والعبد لا يعرف ما له مما عليه إلا بتعليمه من الله سبحانه، وإرشاد وهداية بكتابه وعلى ألسنة أنبيائه وحججه، حيث أمر الناس بما لا يصلحون إلا به من الاعتقادات الصحيحة العقلية، والأعمال الباطنية، والنيات الصادقة، والتوجهات الخالصة القلبية، ومن الأخلاق الحسنة النفسانية، والأعمال والأفعال الشرعية البدنية، ونهاهم عن كل ما فيه فسادهم وهلاكهم من العقائد الفاسدة، والأخلاق الردية، والأعمال والأفعال الباطلة.

وجعل موافقة العبد وامتثاله على ما فيه صلاحه وكماله من أوامره سبحانه محل محبته ومظهر رضاه مناً منه عليه وفضلاً؛ إذ علة خلق الأشياء وغايته العبادة والمعرفة، وهو قوله سبحانه في كتابه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[2]، وقوله عز من قائل: **(فخلقت الخلق لكي أعرف)**[3].

---

[1]) البقرة: ٢٨٦.

[2]) الذاريات: ٥٦.

[3]) ورد في كتاب أسرار الإمامة للشيخ عماد الدين الطبرسي -من علماء القرن السابع الهجري- ص ٣٥ ما هذا نصه: (اشتهر بين الرواة أن داود عليه السلام قال في بعض مناجاته: يا إلهي لم خلقت العالم وما فيه؟ قال الحق تعالى: كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف) ولعل هذا من أقدم المصادر التي خرجت هذا الحديث الشريف، راجع كذلك شرح أصول الكافي، ج١ ص٢٥. رسائل الكركي، ج٣ ص١٥٩.

والمقصود الذاتي والأصلي من خلق الأشياء الطاعة والعبادة؛ لكي يزداد تأهلاً وتعلقاً لفضله وكرمه، إذ نعمه ابتداء، وإحسانه تفضل، ولا يزيده كثرة العطاء إلا جوداً وكرماً[١].

ومكّن الإنسان على المخالفة وترك الامتثال تتميماً لجانب الموافقة والطاعة، إذ الطاعة لا تحصل إلا بتمكين عن خلافها، والقدرة على تركها، حتى يترك باختياره ويعمل باختياره، وأرشد إلى جانب المخالفة والمعصية بالنواهي تتميماً للنعمة وإبلاغاً للحجة ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾[٢]، وبيّن بنهيه عنها أنها ليست مقصودة له سبحانه ولا محبوبة لديه ومرضية، بل معرضة لغضبه وسخطه وانتقامه، وصرح على ذلك في مواضع كثيرة من كتابه منها قوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾[٣]، وفسره بقوله: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[٤].

فعلم من ذلك أن المباشر والفاعل للطاعة والمعصية هو العبد، فيكون بفعله باختياره مطيعاً أو عاصياً، إلا أن العبد لا يعمل شيئاً من الطاعة

---

١) ورد في دعاء أول يوم من شهر رمضان: (ولا تزيده كثرة العطاء إلا جوداً وكرماً) تهذيب الأحكام، ج٣ ص١٠٩.

٢) النساء: ١٦٥.

٣) الإنسان: ٣.

٤) إبراهيم: ٧.

والمعصية حين يعمل باختياره إلا بإرادة من الله يريده إرادة حتم؛ إعطاءً لكل ذي حق حقه، إلا أنه سبحانه يريد المعصية ويخلقها بفعل العبد اختياراً من حيث يحبها ويرضى بها.

فالمطيع بطاعته يوافق أمره سبحانه وإرادته من حيث يحتم **(إذ لا يكون شيء في الأرض ولا في السماء إلا بسبعة)** الحديث، ومن حيث يحب ويرضى، والعاصي بمعصيته لا يوافق أمره وإرادته سبحانه إلا من حيث يحتم على مقتضى اختيار العبد، ويشير إلى الحتمية في قوله سبحانه: **﴿فَمَنْ يُرِدْ اللهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ ۞ وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيماً﴾**[1].

أشار سبحانه أن إرادته ضلال واحد بجعله ضيق الصدر ليست إلا لما به يستحق الإضلال من دواعي عمله وعدم إيمانه بربه بعد بيانه، وذلك قوله تعالى: **﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ﴾**[2]، وشرح ذلك في قوله عز من قائل: **﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُوماً مَدْحُوراً ۞ وَمَنْ أَرَادَ**

[1]) الأنعام: ١٢٥-١٢٦.

[2]) التوبة: ١١٥.

الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً ۞ كُلاًّ نُمِدُّ هَؤُلاء وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً﴾[١].

حيث تبيّن أن الله سبحانه لا يضل ولا يريد أن يضل إلا من يريد العاجلة والضلال بذاته ولسان حقيقته وطينته، فيعجل له في الدنيا ما يشاؤه سبحانه لا ما يشاء العبد، إنما يعجل له تخلية منه سبحانه له وخذلاناً واستدراجاً، وذلك قوله سبحانه: **﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْماً وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾**[٢]، وإنما منع منه ما منع إتماماً للحجة له لعله يرجع عن عتوه وعناده، أو يثبت على ضلاله مع إقامة البينة عليه بعجره وحاجته، ليهلك من هلك عن بينة، أو رحمة وعطوفة للمؤمنين، وهو قوله تعالى: **﴿وَلَوْلا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِنْ فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾**[٣] الآية، وغيرها من الحِكَمِ والأسرار عنده سبحانه.

وكذلك أنه تعالى إنما يريد أن يهدي من اهتدى، فيشرح صدره للإسلام ويشكر سعيه ويزيده من فضله **﴿مَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا**

---

[١]) الإسراء: ١٨-٢٠.

[٢]) آل عمران: ١٧٨.

[٣]) الزخرف: ٣٣.

يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾[١]، **﴿لَيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى ۞ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾**[٢]، وقوله سبحانه: **﴿كُلاًّ نُمِدُّ هَؤُلاء﴾** يعني من يريد العاجلة **﴿وَهَؤُلاءِ﴾** يعني من يريد الآخرة، الآية. توضيح وتبيين لما يحتمل إبهامه وإجماله عند بعض مشوب في الفطرة مسبوق بالشبهة، يعني أن كلاً من الفريقين فقير محتاج لا يملك لنفسه نفعاً، ولا ضراً، ولا موتاً، ولا حياةً، ولا نشوراً، إلا بعطاء من الله غير محظور دائم، إذ كان عجزه وفقره مستمراً غير مقطوع، فلا يستغني أحد منهما في جميع إراداته وأفعاله من إمداد ربه.

وكذلك قوله تعالى: **﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً﴾**[٣]، يعني إذا عزمنا إهلاك قوم بسبب سوء أفعالهم وتمردهم عن أمر ربهم أمرنا مترفيهم ومردتهم أمر اختيار واختبار وابتلاء إتماماً للحجة وإيضاحاً للمحجة لئلا يكون للناس حجة على الله، فأبوا باختيارهم إلا عتواً واستكباراً وتمرداً عما فيه صلاحهم إلى ما فيه فسادهم وهلاكهم، فحق عليها القول ولزم وحتم **﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾**[٤] فالقول الثابت المحتوم هو قوله: **﴿كُنْ﴾** وهو إرادته.

---

١) الإسراء: ١٥.

٢) النجم: ٣٩-٤٠.

٣) الإسراء: ١٦.

٤) يس: ٨٢.

فأهلك سبحانه العصاة لعصيانهم، وما سواهم لرضاهم بفعل المردة كقوم صالح ولوط عليهما السلام، وكتركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع تمكنهم منه كقوم شعيب على نبينا وآله وعليه السلام، وأما من لم يرضَ بعمل الفسقة ونهاهم كصالحي أصحاب السبت فليس من القرية التي حَقَّ عليها القول وأخذها العذاب وهو قوله تعالى: **﴿وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾**.

ومما يشير إلى قسمي الإرادة قوله سبحانه: **﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللهَّ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللهَّ فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً ۞ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنْ اللهَّ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾**[1] فقد نسب أولاً كلاً من الحسنة والسيئة وإصابتها لأحد إلى نفسه سبحانه نسبة إيجاد وإمضاء؛ يعني لا يكون شيء في العالم من حسنة وسيئة ولا يصيب شيء منها أحداً إلا بمشيئته وإرادته سبحانه.

وربما كان يتوهم متوهم أن إصابة كل من الحسنة والسيئة إن أصابتاه نسبتها إلى الله بكونها منه سبحانه نسبة محبة ورضا كما كانت نسبة إليها نسبة إحداث وإمضاء كما توهمها معشر الأشاعرة فقال سبحانه إزاحةً للشبهة وإبانةً للطريقة المستقيمة وإيضاحاً وإتماماً للحجة القويمة: **﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ**

(1) النساء: ٧٨-٧٩.

حَسَنَةٍ فَمِنْ اللهِّ﴾، نعمة مَنَّ بها عليك إذ جعلك من أهلها باختيارك لها وحفظك إياها كما أعطاكها وما غيرتها بسوء اختيارك فأخذتها وقبلتها كما أرادها، وأحدثها إحداث حتم، فأرادها وأوجدها كما اخترتها وحفظتها إرادة عزم ومحبة ورضا، فالحسنة منه وإليه وبه كنور الشمس فإنه بها ومنها وإليها.

وليس كذلك في جانب السيئة إذ كان العبد ما اختار نعمة الله وما حفظها كما خلقها وأعطاها إياه بل غيرها بسوء اختياره فأرادها كما اختارها بغير رضاً منه وحتماً، كما غيرها من غير محبة، فتكون السيئة منسوبة إليه سبحانه إذا كانت قائمة ومحدثه بفعله الحتمي.

فتكون بفعله لا منه ولا إليه بل من العبد إلى العبد، وهو قوله سبحانه: **﴿وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾**، وقوله تعالى: **﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾**(١)، وقوله عز من قائل في الحديث القدسي: **(يا بن آدم أنا أولى بحسناتك منك، وأنت أولى بسيئاتك مني)**(٢)، وفي دعاء الافتتاح: **(لبيك وسعديك، والخير في يديك، والشر ليس إليك)**(٣)، وفي

(١) الشورى: ٣٠.

(٢) الكافي، ج١ ص١٥٧، باب الجبر والقدر.

(٣) الكافي، ج٣ ص٣١٠، باب افتتاح الصلاة.

دعاء نافلة الوتر بعد رفع رأسه من ركوعها: **(إلهي هذا مقام من حسناته نعمة منك، وسيئاته بعمله)**[1].

[1]) مصباح المتهجد، ص١٥٥.

[الاستدلال بالآيات الآفاقية]

وفي الدليل الآفاقي ظل الجدار قبل طلوع الشمس مثلاً لا نور ولا ظل بل ظلمة محضة، فلما طلعت وُجِدَ بها النور، والظل كذلك منهما قائم بها قيام صدور[1] وإشراق، لكن الظل ينسب إلى الجدار بدؤه منه بالشمس وعوده إليه بها، والشمس تخاطب الجدار بلسان الوجود والكون: يا جدار أنا أولى بنورك الذي قام بك قيام عروض[2] منك إذ أنا جعلته نوراً وأجريته عليك وأظهرته فيك على حسب استعدادك وقبولك، فهو مني و إليّ وبي، وأنت أولى بظلك الذي نشأ منك مني، إذ بدؤه منك وعوده إليك، وإن كان لا يقوم إلا باشراقي إليك، إلا أن النور قائم بإشراقي ومن إشراقي الخاص بك، والظل قائم بإشراقي من عكسه ومخالفته وظهره، وهو قوله سبحانه: ﴿**لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ**﴾[3]، فالظل بالجدار ومنه وإليه، لكنه بالشمس صدوراً، والنور بالشمس ومنها وإليها لكنه بالجدار عروضاً وجرياناً، فافهم

---

[1]) يقول الشيخ الأوحد قدس سره: (قيام الصدور: كقيام نور الشمس بالشمس، و معناه قيام الشيء بإيجاد موجدِه بحيث لا يتحقق في مدة أكثر من مدة إيجاده، و ذلك كنور الشمس و كالصورة في المرآة) شرح العرشية، ج١ ص٣١٣.

[2]) يقول الشيخ الأوحد: (تقوم عروض: كتقوم الصبغ بالثوب) شرح العرشية، ج١ ص٣١٤.

[3]) الحديد: ١٣.

إن كنت تفهم وإلا فسلم تسلم فإن المسألة غامضة جداً والمثال مقرب من جهات ومبعد من جهات.

ومن الآيات الآفاقية ما أشار إليه الشاعر:

أرى الإحسان عند الحر ديناً وعند النذل منقصة وذماً

كقطر الماء في الأصداف در وفي فم الأفاعي صار سماً

وذلك أن قطر المطر شيء خلق في كمال الصفاء واللطافة صالحاً لكل ما تقتضيه ميولات القوابل، وهذا مثال الفطرة الأولى الأصلية التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله، ثم بعد ما أنزل إلى القوابل المختلفة باختيارها وقبولها ظهر فيه الاختلاف بالحسن والقبح.

فمنها من حفظه كما ورده وقبله على ما أراد الله من الإعطاء إرادة محبة ورضا، فخلقه الله على حسب قبوله دراً صافياً ذا تلألؤ وبهاء وسناء تشتاقه الأنفس وتحبه القلوب وتلذ الأعين، وقضاه قضاءً حتماً كما وعده وعداً حقاً أنه لا يضيع عمل المحسنين، وهو مثال السعداء والصلحاء، وهو قوله سبحانه: ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾[1].

---

(1) يونس: ٩.

ومنها من أخذه وتلقاه بخلاف رضاه سبحانه، فغيره بسوء اختياره فخلقه الله حتماً خلقاً مغيراً منصبغاً بصبغ محله، ولو شاء سبحانه عدم تغييره لما قدر العبد أن يغيره، ولكن الله وعدهم وعد الحق بقوله: **﴿أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى﴾**(١)، وقوله: **﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ﴾**(٢)، وذلك قوله تعالى: **﴿وَلَوْ شِئْنَا لآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾**(٣)، وتلك سُنة التي قد خلت من قبلكم في أول الأمر أن يخلق الخلق على ما هو عليه لا على ما يقدره سبحانه: **﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَحْوِيلاً﴾**(٤)، وذلك قول الإمام الصادق عليه السلام: (**إن لله مشيئتين وإرادتين إرادة حتم وإرادة عزم، يأمر ولم يشاء وينهى وهو يشاء، نهى آدم عن أكل الشجرة وشاء أن يأكلها، ولو لم يشأ لما غلبت مشيئة آدم مشيئة الله**)(٥).

---

(١) آل عمران: ١٩٥.

(٢) النساء: ١٢٣.

(٣) السجدة: ١٣.

(٤) فاطر: ٤٣.

(٥) عن الإمام الرضا عليه السلام قال: (إن لله إرادتين ومشيئتين؛ إرادة حتم، وإرادة عزم، ينهى وهو يشاء، ويأمر وهو لا يشاء، أوما رأيت أنه نهى آدم وزوجته أن يأكلا من الشجرة وشاء ذلك، ولو لم يشأ أن يأكلا لما غلبت مشيئتهما مشيئة الله تعالى، وأمر إبراهيم أن يذبح إسحاق ولم يشأ أن يذبحه، ولو شاء لما غلبت مشيئة إبراهيم مشيئة الله تعالى) أصول الكافي، ج١ ص١٥١ باب المشيئة والإرادة.

[سر عقوبة القتل وتفاوت العقاب]

فإذا عرفت ما ذكرنا وأتقنته كما تلونا لا يخفى عندك أن الفاعل المباشر إذا لم يكن فعله وفق إرادة الله العزمية يستحق الذم والعقوبة في الدنيا أو الآخرة، ومنه القاتل المباشر لقتل محقون الدم، فعقوبته باختلاف أصناف الحقوق المقتول من مساواته للقاتل في الإسلام والذكورية والحرية وعدمها مختلفة جداً، بيانها موكول إلى مظانها خارج عما نحن بصدده.

وأما عقوبة القتل الواردة على القاتل فتفاوتها بحسب تفاوت مخالفته لمحبة الله وإرادته العزمية، [و] لا بأس أن يشار إليه وإلى سره تبصرة وتذكرة لأولي الألباب .

فإذا قتل مؤمناً متعمداً لإيمانه وكونه آمن بالله ورسوله و أوليائه فجزاؤه جهنم خالداً فيها، إذ كان خالف محبته سبحانه في أصل من أصول مراده ورضاه، و برئ عن ذمته تعالى وأبعد نفسه عن أهلية كرمه ورحمته، فلا يستحق أصلاً إلا لسخطه ونقمته؛ وهو قوله تعالى: **﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا﴾**[1]، وقد ورد في تفسيره في معنى متعمداً أي لإيمانه[2]،

---

[1]) النساء: ٩٣.

[2]) روى الشيخ الكليني أعلى الله مقامه بسنده عن عبدالله بن سنان وابن بكير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سئل عن المؤمن يقتل المؤمن متعمداً أله توبه؟ فقال: (إن كان قتله لإيمانه فلا توبة له، وإن كان قتله

وكذلك من قتل نبياً أو وصياً[١]، كما ورد في تفسير قوله عز من قائل: **﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرائيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً﴾**[٢] الآية، على أحد التفاسير.

ويدل على ذلك أول الآية قوله: **﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ﴾** وهو إشارة إلى قتل قابيل هابيل، وكان معصوماً وصياً لآدم على نبينا وآله وعليهما السلام[٣]، ويشهد به قوله في رثاء ابنه:

تغيرت الأرض ومن عليها ووجه الأرض مغبر قبيح[٤]

لغضب أو لسبب شيء من أمر الدنيا فإن توبته أن يقاد منه، وإن لم يكن علم به انطلق إلى أولياء المقتول فأقر عندهم بقتل صاحبهم، فإن عفوا عنه فلم يقتلوه أعطاهم الدية، وأعتق نسمة، وصام شهرين متتابعين، وأطعم ستين مسكيناً توبة إلى الله عز وجل) الكافي، ج٧ ص٢٧٦. تفسير الصافي، ج١ ص٤٨٤ سورة النساء.

١) نقل عن ابن عباس رضوان الله عليه في تفسير الآية: (معناه من شد على عضد نبي أو إمام عدل فكأنما أحيا الناس جميعاً، ومن قتل نبياً أو إماماً عادلاً فكأنما قتل الناس جميعاً) التبيان، ج٣ ص٥٠٣. بحار الأنوار، ج٧١ ص٤٠٢.

٢) المائدة : ٣٢.

٣) جاء ضمن رواية طويلة عن أمير المؤمنين عليه السلام: (وهو قول الله عز وجل في قصة قابيل قاتل أخيه ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرائيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً﴾) الاحتجاج، ج١ ص٣٧٤ .

٤) بحار الأنوار، ج١٠ ص٧٧ باب ٥ وصدره: تغيرت البلاد.

إذ لا يعلم التغيير والتأثير إلى جميع البلاد والأرض بموت أحد وقتله غير النبي والوصي، ولا شك أن قتل المعصوم من الوصي والنبي عليهما السلام وقتل المؤمن لإيمانه كفر وشرك بالله العظيم؛ إذ حب أولياء الله حبه، وبغضهم بغضه، وإنكارهم إنكاره، ومحاربتهم محاربته، وهكذا بغض المؤمن ومعاداته من حيث إيمانه وتدينه بدين الله بغض وإنكار للدين وربه ومن جاء به، فلا تنافي الآيتان قوله سبحانه وتعالى: **﴿إِنَّ اللهَّ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾**[1]، وقوله سبحانه: **﴿إِنَّ اللهَّ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾**[2].

وإذا قتل مؤمناً لا من جهة إيمانه بل إما خطأ محضاً، أو شبيه عمد، أو عامداً لغرض عرض من أمور الدنيا وقلبه مطمئن بحبه من حيث إيمانه فذلك لا يخلد في النار إن مات مؤمناً .

فجعل الله سبحانه القصاص شفاء لصدور قوم مؤمنين وهم أولياء المقتول، ورحمة للقاتل المؤمن بولاية الاثني عشر عليهم السلام ويوالي أولياءهم ويعادي أعداءهم، إذ جعل العذاب الفاني المنقطع بسرعة وهو قتل القاتل عوضاً عن عذاب الآخرة الذي لا تقوم له السموات والأرض، وأعطاه عز وجل عن الحياة المنقطعة سريعاً المشوبة بأنواع الآلام والأسقام

---

[1]) الزمر: ٥٣.

[2]) النساء: ٤٨.

حياة على تخصص الخطاب بالمؤمنين، وأما غيرهم وهم الظالمون لآل محمد حقهم بمخالفتهم وإنكار ولايتهم فلا يزيدهم إلا خساراً في الدنيا والآخرة .

وكذلك جعل الدية في الخاطىء إما محضاً أو شبيهاً بالعمد رحمة للقاتل وشفاء لأولياء المقتول، إلا أنها في محض الخطأ على عاقلة القاتل من الذكور من طرف أبيه، وفي مشوب العمد على نفسه كما جعل في محض العمد قصاصاً لا غير .

والإشارة إلى سر الاختلاف مجملاً لا بأس بها، وهو أن العامد لما كان الفعل يصدر عنه بقصده وهو فعل القلب كان عاملاً بظاهره وباطنه ومخالفاً لرضاه سبحانه ومحبته بكله، فصار جزاء عمله قتله **﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾**[1]، **﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا﴾**[2] .

ولما كان قتله إنما صدر عنه بسبب العارض من اللطخ أو الخلط بقرينة كونه لا من جهة إيمانه بل لعرض عرض فخص الجزاء بالقتل وما بقي إلى الآخرة.

ففي الحقيقة كان مخالفاً بجسده وظاهر قلبه الناظر إلى جسده، ولو كان من أصل قلبه لكان مخلداً بالنار، بل قلوب الشيعة خُلقت من فاضل طينتهم

---

[1]) النمل: ٩٠.

[2]) الأنعام: ١٦٠.

معصومة تحن إلى مواليهم[١]، ولو كان من ظاهر القلب الأصلي فجزاء عمله في الحشر لا غير.

وأما شبيه العمد؛ لما كان الفاعل فيه ليس قاصداً لمخالفة بقتله، بل كان قاصداً له بأمر غير القتل بآلة ليس من شأنها القتل عادة في محل لا يقتل منه عادة كان القتل ناشئاً فيه من ظاهر الفاعل خاصة دون باطنه، فلو كان جزاؤه القصاص كالعمد ليتساويان ويلزم خلاف الحكمة؛ إذ كان قصاص الظاهر لا يفارق الباطن الذي لا ذنب له، فأبدل عنه الدية فصارت عليه دون عاقلته لكونه قاصداً في الجملة، وذلك أن المال من الشخص بمنزلة ظاهره؛ لأنه لا يقوم إلا به وهو قوله سبحانه: **﴿وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمْ الَّتِي جَعَلَ اللهُ لَكُمْ قِيَاماً﴾**[٢] .

---

١) روي عن مولانا الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنه قال: (رحم الله شيعتنا إنهم أوذوا فينا ولم نؤذ فيهم، شيعتنا منا قد خلقوا من فاضل طينتنا، وعجنوا بنور ولايتنا، رضوا بنا أئمة ورضينا بهم شيعة، يصيبهم مصابنا، وتبكيهم أوصابنا، ويحزنهم حزننا، ويسرهم سررونا، ونحن أيضاً نتألم لتألمهم، ونطلع على أحوالهم، فهم معنا لا يفارقونا ولا نفارقهم؛ لأن مرجع العبد إلى سيده، ومعوله على مولاه، فهم يهجرون من عادانا، ويجهرون بمدح من والانا، ويباعدون من آذانا، اللهم أحي شيعتنا في دولتنا، وأبقهم في ملكنا، اللهم ملكتنا، اللهم إن شيعتنا منا مضافين إلينا فمن ذكر مصابنا وبكى لأجلنا أو تباكى استحى الله أن يعذبه بالنار) الشيعة في أحاديث الفريقين، ص٥١٥ .

٢) النساء: ٥.

وأما في الخطأ المحض؛ إما لعدم التمييز الذي به تحقيق القصد كالمجنون والصبي الذي ما بلغ التمييز، أو لعدم قصده للمقتول لا قتلاً ولا غير .

ولما كان الفاعل ليس يخالف رضاه سبحانه إلا في جوارحه؛ فترتبت عليه الدية لا القتل، ولا على نفسه بل على عائلته تقسم عليهم على حسب عددهم قلة وكثرة وذلك ما يلزم قاتل المؤمن بسبب تعديه على حدود جعلها بينه وبين أخيه المؤمن نفسه.

وأما ما يلزمه في ذلك من جهة مخالفة حقوق الله فكفارة ترتيب أولها تحرير رقبة مؤمنة، ثم صيام شهرين متتابعين، ثم إطعام ستين مسكيناً، وذلك في الخطأ المحض وشبيه العمد، وفي العامد محضاً كفارة جمع.

وبيان حقيقة الأمر فيما ذكر من السر يحتاج إلى ذكر مسألة الخلط واللطخ وكيفيتها ومبدئها من أية رتبة من النزول بدأ، وإلى ذكر أقسام النسب والإضافات، وأنها ما وجدت إلا بالاختيار وقبول من المنسوب والمنسوب إليه والمضاف والمضاف إليه، وإن كلاً منها له فروع وآثار تتبعه، وذلك يخرج بنا عن المقام بذكر المقامات والأدلة فلذا تركناه وربما يجر الكلام [إلى] ما لا ينبغي أن يقال؛ إذ من العلم ما يُحتمل ومنه ما لا يُحتمل ومن الناس من يَحتمل ومنهم من لا يحتمل.

[التماس واعتذار]

وقوله: **فالتبس الأمر على الحقير، وبسؤالي إياكم خرجت من التقصير، وطوقت عنقك أيها العليم الخبير، وجنابك يجل عن القصور، وحاشاك أن تكون في جواب الحقير من أهل التقصير.**

فأقول: إن القصور مكانتي ومكاني، والتقصير خصلتي وشأني، اللهم لا تؤاخذني بما يقولون، و اغفر لي ما لا يعلمون، واجعلني خيراً مما يظنون[١].

نعم هو سلمه الله امتثل في شأنه هذا قول الصادق عليه السلام: **(أحسنوا ظنونكم لإخوانكم)**[٢]، وقول علي بن محمد الهادي عليه السلام: **(أحسن الظن ولو بحجر يطرح الله فيه سره فتنال حظك منه)** فقال السائل: ولو بحجر ؟ فقال عليه السلام: **(أما ترى الحجر الأسود)**[٣].

---

[١]) ورد من ضمن وصايا النبي صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السلام: (يا علي إذا أثني عليك في وجهك فقل: اللهم اجعلني خيراً مما يظنون، واغفر لي ما لا يعلمون، ولا تؤاخذني بما يقولون) بحار الأنوار، ج٧٤ ص٦٥.

[٢]) روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: (أحسنوا ظنونكم باخوانكم تغتنموا بها صفاء القلب ونماء الطبع) بحار الأنوار، ج٧٢ ص١٩٦.

[٣]) عن المعمر بن غوث السنبسي عن الإمام الحسن بن علي العسكري عليهما السلام أنه قال: (أحسن ظنك ولو بحجر يطرح الله شره فيه فتتناول حظك منه، فقلت: أيدك الله حتى بحجر! قال: أفلا ترى حجر الأسود) بحار الأنوار ج٥٣ ص٢٥٤

[أسباب الاختلاف الظاهري في الآيات الكريمة]

قال سلمه الله: **فلقد عرفت ما ذكرنا من الآيات، وغير خفي عليك ما يماثلها من الأخبار والروايات، فما كيفية الاتفاق بين كل ما تقدم من القرآن وبين ما ورد من نظير ذلك عن أولياء الرحمن؟**

فإنك المرجع في هذه الآن دون من سواك من أبناء الزمان، فمنوا علينا ببيان المعنى الجامع، وأوضحوا لنا بالدليل القاطع والبرهان الساطع، وأنت تعلم بأن من قتل نفساً فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً، فكن أنت الثاني لا الأول، رفعك الله إلى المقام الأفضل.

أقول ولا قوة إلا بالله: قال الله سبحانه: **﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾**[1]، والآية الشريفة فيها جواب جميع ما استشكلت فيه وبيان معضله وفتح مقفله مما يتراءى من القرآن من الاختلاف مع ما فيها من الأسرار [التي] لا تحصى، ورموز تدق خفاءً عن فهم أرباب الذكاء، وهي المحكمات المرجوع إليها في كشف الشبهات [التي] يعتمد عليها.

---

(١) آل عمران: ٧.

والإشارة إلى بعض ما فيها من الرموز، أن الناس منهم من يميل عن الحق إلى الباطل ويبتغي الفتنة والفساد بين الناس بإظهار الشكوك والشبهات ووضع البدع والتشريعات، ومنهم من يثبت على الحق والطريقة القويمة، ويعدل بالحق، وينفي عن الدين تحريف الغالين و إبطال المبطلين وانتحال المنتحلين[١]، ويرمي بالأدلة الواضحة شياطين الشكوك والشبهات، ويسد ويحفظ ثغور قلوب العجزة والضعفاء بالبينات والمحكمات.

ولا شك أن كلاً من الفريقين لا يتمكن من عمله إلا بتمكين من الله سبحانه الذي يعبّر عنه بتخلية السرب[٢]، والتيسير لما خلق له[٣]، والاستطاعة الإمكانية ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيّ عن بينة .

وهذا التمكين لا يكون إلا بأمر من الله أمر تكويني بإعطاء القدرة والقوة له بالتصرف في الأسباب والآلات وجعلها قابلة للتصرف والاستعمال كما

---

[١]) عن الإمام الصادق عليه السلام قال: (فإن فينا أهل البيت في كل خلف عدولاً ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين) الكافي، ج١ ص٣٢ باب صفة العلم وفضله.

[٢]) عن علي بن سباط قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن الاستطاعة، فقال: (يستطيع العبد بعد أربع خصال: أن يكون مخلى السرب، صحيح الجسم، سليم الجوارح، له سبب وارد من الله عز وجل، قال: قلت: جعلت فداك فسرها لي، قال: أن يكون العبد مخلى السرب، صحيح الجسم، سليم الجوارح، يريد أن يزني فلا يجد امرأة ثم يجدها، فإما يعصم فيمتنع كما امتنع يوسف، أو يخلى بينه وبين إرادته فيزني فيسمى زانياً، ولم يطع الله باكراه ولم يعص بغلبة) التوحيد، ص٣٤٨ باب ٥٦.

[٣]) ورد عن النبي صلى الله عليه وآله: (اعملوا فكل ميسر لما خلق له) التوحيد، ص٣٥٦ باب ٥٨.

يريد العبد بعد بيان أنها ما خلقت إلا للخير والتوصل إلى رضاه أولاً وبالذات، وأن صرفها إلى غيره لا يوافق مراده سبحانه وإنما خلقه ثانياً وبالعرض تتميماً للتكليف وإثباتاً للاختيار وإلزاماً للحجة.

وكذلك لا يكون كمال التمكين إلا بأمر من الله سبحانه في التشريع والتدوين لثبوت التطابق بين العالمين والتصادق بين الكتابين لتكون الحجة ألزم والمحجة أوضح وأقوم، فمن ثم أنزل الكتاب محكمات ومتشابهات كعالم التكوين، والكتاب الأكبر كما ورد في تأويل الآية الشريفة أن الآيات المحكمات أمير المؤمنين وبنوه عليهم السلام، وأخر متشابهات الأول والثاني وأخواتهما من أئمة الضلال[1].

فالذين آمنوا اتبعوا الحق في المحكم ورد المتشابه إليه ببيان من عنده علم الكتاب، وهو قوله تعالى: **﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ﴾**[2]، وذلك أي المحكم والمتشابه المبين به هي الكلمة الطيبة التي مثلها **﴿كَشَجَرَةٍ**

---

[1]) عن عبدالرحمن بن كثير عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ قال: (أمير المؤمنين عليه السلام والأئمة ﴿وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ قال فلان وفلان ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ أصحابهم وأهل ولايتهم ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ أمير المؤمنين عليه السلام والأئمة) الكافي، ج١ ص٤١٤ باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية.

[2]) النساء: ٥٩.

طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ۞ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾، وهو قوله سبحانه: **﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾**[1] اتباع أولياء الله في القول والفعل والاعتقاد.

وكونها ثابتة وراسخة؛ لأنها من الله بدأت وبرضاه وعليه أسست وأصلت، وكون فرعها في السماء؛ لما كانت جالبة إلى رضاه ومحبته وحاوية لمن تمسك بفرع من فروعها إلى دار كرامته وجناته التي محلها ومكانها كل منها في باطن واحد من السموات، وجنة عدن هي باطن الكرسي، وسقفها عرش الرحمن، وأكلها وثمرها هي العلوم والخيرات، وهي عيون غزيرة جارية بأمر الله لا نفاد لها، وهو قول الصادق عليه السلام: **(ذهب من ذهب إلينا إلى عيون صافية تجري بأمر الله لا نفاد لها)**[2] الحديث.

وأما الذين في قلوبهم زيغ إلى الباطل نشأ من مرض النفاق والشك والريب أو الجهل وهو قوله: **﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾**[3]، **﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾**[1]، إذ

---

[1]) فاطر: ١٠. ورد في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ قال: (ولايتنا أهل البيت، وأهوى بيده على صدره فمن لم يتولنا لم يرفع الله له عملاً) الكافي، ج١ ص٤٣٠ باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية.

[2]) الكافي، ج١ ص١٨٤ باب معرفة الإمام والرد إليه.

[3]) الصف: ٥.

بالمحكمات لا يسعهم إلا الإقرار كما أقر الأولون وليسوا منهم، أو الإنكار وبه لا يتمكنون عما يريدون من الفتنة أول الأمر وإن كانوا من أهله، ولا يريدون درك مقصودهم إلا بزخرف القول والتأويل من عند أنفسهم، ولا يكون ذلك إلا في المتشابهات، وهو سبحانه أنزل متشابهات الآيات لإبراز ما في السرائر من المستجنات واستنطاق الطبائع بطيب الكلمات أو بخبث المزخرفات **﴿مَا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنْ الطَّيِّبِ﴾**(٢) انظر كيف جعل الطيب أصلاً ثابتاً وجعل الخبيث خارجاً زائلاً، إذ المؤمن الطيب من الشجرة الطيبة، وغيره من الخبيثة المجتثة ما لها من قرار تزول بأدنى تحريك.

وأما المؤمن فقد مدحه سبحانه في كتابه بأبلغ مدح عند المتشابه بقوله عز من قائل: **﴿اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللهِ﴾**(٣) الآية، وقوله: **﴿فَبَشِّرْ عِبَادِي ۞ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾**(٤) الآية .

---

١) ال عمران: ٧.

٢) آل عمران: ١٧٩.

٣) الزمر: ٢٣.

٤) الزمر: ١٧-١٨.

ألا ترى أصحاب الضلالة والآراء الفاسدة على تشتت فرقهم ومذاهبهم يتشبثون بمتشابهات القرآن يأولونها على مذاقهم من عند أنفسهم من غير أن يثبتوا ويرجعوا إلى المحكمات وأهلها ليخرجونهم[1] من الظلمات إلى النور ورضوا بأن يكونوا مع الخوالف فطبع الله على قلوبهم فحق عليهم قوله سبحانه: **﴿وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدًى وَلا كِتَابٍ مُنِيرٍ ۝ ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾** إلى قوله: **﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ﴾**[2].

وقد مر بعض من الآيات المتشابهات التي تمسك بها طائفة الأشاعرة في إثبات مذهبهم الفاسد واعتقادهم الكاسد من القول بالجبر بأن العباد ليس لهم في أفعالهم اختيار إن شاؤوا فعلوا وإن شاؤوا تركوا، أو يختار المهتدي منهم الهداية لنفسه والضال منهم الضلالة، بل الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء من قبيل قوله سبحانه: **﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ﴾**[3] **﴿وَمَنْ يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ**

---

1) في النسخة الخطية: ليخرجهم.

2) الحج: ٨-١٠.

3) الزمر: ٣٧.

مِنْ هَادٍ﴾[١]، وقوله تعالى: **﴿مَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُرْشِداً﴾**[٢] وأمثالها.

وكذلك طائفة المعتزلة المسماة بالقدرية لإنكارهم القدر يثبتون على خلاف ما ذكر من الآيات مما نسب الفعل فيه إلى العبد من أمثال قوله سبحانه: **﴿مَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾**[٣]، وغيره.

وقد مر بيان الجمع مستوفي ليس لأحد فيها غبار ريب إلا من كابر وأنكر الضروري، وهو أن نسبة الأفعال إليه سبحانه توصيفاً ونفياً للتعطيل وبينونة عزلة، وفي نسبتها إلى العبد تنزيهاً عن المباشرة والتشبيه وإثباتاً لبينونة صفة بأنه لا يقوم شيء إلا بفعله وإرادته[٤] إرادة عزم.

وإذا لاحظت القرآن بعين التحقيق والبصيرة تجد أكثر ما يرى فيه ظاهراً من الاختلاف من هذا الباب وهو عين الحق والصواب، وتركه ينافي الحكمة وفصل الخطاب إن في ذلك لذكرى لأولي الألباب، وذلك أحد وجوه ما يوجد فيه من الاختلاف ظاهراً.

---

١) الزمر: ٣٦.

٢) الكهف: ١٧.

٣) الإسراء: ١٥.

٤) في النسخة الخطية: إرادة.

ومنها بيان مرتبة أوليائه وخلفائه، وإظهار شأنهم لمن جهل حقهم واتبع غيرهم من غير بصيرة، وإلزام الحجة على من تقدم عليهم وألحد في أسمائهم عناداً وحسداً لما علم سبحانه من تبديل المبدلين ما صرح به من أسماء أوليائه وخلفائه وتحريف الكلم عن مواضعه.

ومعلوم أن القرآن شفاء ورحمة[١]، وأنه يهدي للتي هي أقوم[٢]، ولا شك أن الهداية بالقول والفعل أتم وأكمل، فلا يجوز أن يتركه ويكتفي بواحد منهما لاستلزام ترجيح المرجوح على الراجح، فأنزل الله سبحانه كتابه [على] ثلاثة أقسام:

قسم يفهمه كل من يعرف لغة العرب، فبذلك كمال الدين وتمام النعمة للمؤمنين، وإلزام الناس على اتباع سبيل المؤمنين، وذلك من قبيل قوله سبحانه: **﴿مَنْ يُطِعْ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَّ﴾**[٣]، وقوله: **﴿مَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فانتهوا﴾**[٤].

---

١) قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنْ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَاراً﴾ الإسراء: ٨٢.

٢) قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً﴾ الإسراء: ٩.

٣) النساء: ٨٠.

٤) الحشر: ٧.

والثاني لا يفهمه من الناس إلا من صفى ذهنه ودق حسه، وسائر الناس منه في غطاء لا يفهمه إلا ببيان ممن يعلمه، فيكون داخلاً في قوله: **﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ﴾**[1] الآية.

والثالث لا يعرفه بعد الرسول صلى الله عليه وآله إلا أهل بيته وأوصياؤه الذين هم خلفاؤه؛ ليضطر كل من ادعى مقامهم حسداً وعناداً وتسمى بأسمائهم افتراءً و إلحاداً ولا يمكنه إلا الرجوع إليهم و التماس فاضل ما لديهم، وهذا هداية وبيانه فعلاً وحالاً بعد بيانه وتبيينه وصفاً ومقالاً بقوله: **﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّي إِلاَّ أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾**[2]، وهذه الآية من القسم الأول الذي لا يجهلها من له أدنى شعور وتمييز، وذلك قول أمير المؤمنين عليه السلام في جواب الزنديق في حديث طويل: **(ثم إن الله جل ذكره لسعة رحمته، ورأفته بخلقه، وعلمه بما يحدثه المبدلون من تغيير كتابه، قسم كلامه ثلاثة أقسام، فجعل قسماً منه: يعرفه العالم والجاهل، وقسماً لا يعرفه إلا من صفى ذهنه، ولطف حسه، وصح تمييزه ممن شرح الله صدره للإسلام، وقسماً لا يعرفه إلا الله وأمناؤه؛ الراسخون في العلم، وإنما فعل الله ذلك لئلا يدعي أهل الباطل من المستولين على ميراث**

[1] النساء: ٥٩.

[2] يونس: ٣٥.

رسول الله صلى الله عليه وآله من علم الكتاب ما لم يجعله الله لهم، وليقودهم الاضطرار إلى الائتمار لمن ولاه أمرهم فاستكبروا عن طاعته، تعززاً وافتراءً على الله عز وجل، واغتراراً بكثرة من ظاهرهم، وعاونهم، وعاند الله عز وجل ورسوله، فأما ما علمه الجاهل والعالم من فضل رسول الله في كتاب الله فهو قول الله: ﴿مَنْ يُطِعْ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَّ﴾، وقوله: ﴿إِنَّ اللهَّ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ ولهذه الآية ظاهر وباطن فالظاهر قوله: ﴿صَلُّوا عَلَيْهِ﴾، والباطن قوله: ﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ أي سلموا لمن وصاه واستخلفه، وفضله عليكم، وما عهد به إليه تسليماً، وهذا مما أخبرتك: أنه لا يعلم تأويله إلا من لطف حسه، وصفى ذهنه، وصح تمييزه، وكذلك قوله: ﴿سَلامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ﴾ لأن الله سمى به النبي صلى الله عليه وآله بهذا الاسم حيث قال: ﴿يس ۝ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ۝ إِنَّكَ لَمِنْ الْمُرْسَلِينَ﴾ لعلمه بأنهم يسقطون قول: سلام على آل محمد كما أسقطوا غيره، وما زال رسول الله صلى الله عليه وآله يتألفهم، ويقربهم، ويجلسهم عن يمينه وشماله، حتى أذن الله عز وجل في إبعادهم بقوله: ﴿وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً﴾، وبقوله: ﴿فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ۝ عَنْ الْيَمِينِ وَعَنْ الشِّمَالِ عِزِينَ ۝ أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ۝ كَلاَّ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ﴾،

وكذلك قول الله عز وجل: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ ولم يسم بأسمائهم وأسماء آبائهم وأمهاتهم)[١] انتهى .

ولا ريب أن هذا النوع من الاختلاف مما يجب في الحكمة مراعاته، ويجلها إهماله، ويستلزم النقص في إتمام الحجة وإيضاح المحجة تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

ومنها أي وجوه ظاهر الاختلاف ما أوقعوه من الكتاب بعد فقد النبي من إسقاط ما يدل على فضل ذريته وتقديمهم والتسليم لهم والرد إليهم بالمتابعة والقبول، وحذف أسماء أعدائه مع آبائهم والقدح فيهم، ومن تبديل حرف إلى حرف كما في قوله: **﴿لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ﴾**[٢]، وكان النزول: (لقد تاب الله بالنبي على المهاجرين والأنصار)[٣]، ومن تقديم كلمة وتأخير أخرى كقوله: **﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ**

---

١) الاحتجاج، ج١ ص٣٧٦-٣٧٧.

٢) التوبة: ١١٧.

٣) راجع كتاب الاحتجاج، ج١ ص٩٨.

﴿كِتَابُ مُوسَى إِمَاماً وَرَحْمَةً﴾[١] الآية، وكان نزولها ويتلوه شاهد منه إماماً ورحمة ومن قبله كتاب إلى آخرها[٢].

وإنما فعلوا ذلك إثباتاً للإمام على الكتاب حتى يتمكنوا من تأويل قوله سبحانه: **﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾**[٣] وأمثاله إلى الكتاب وذلك كثير.

وإنما غيّروا الأولى إلى ما ترى إثباتاً للذنب عليه، ونفياً للعصمة والطهارة عنه، ليجعلوا لأنفسهم مدخلاً ومساغاً في أمر الخلافة مع عكوفهم على عبادة الأصنام برهة من الزمان، ويلهم أفلا يرون قوله تعالى في جواب إبراهيم عليه السلام: **﴿لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾**[٤].

نعم، أصمهم الله وأعمى أبصارهم عن هذه وأمثالها؛ ليكشف عن فضائح أعمالهم القبيحة وقبائح فعالهم ويحكم آياته للناس، ويجعل ما فعلوا من التحريف فتنة للذين كفروا بربهم في ترك أوليائه أن يرجعوا إليهم ويسلموا لهم.

---

[١]) هود: ١٧.

[٢]) في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: (إنما نزل أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه إماماً ورحمة ومن قبله كتاب موسى) تفسير القمي، ج١ ص٨.

[٣]) يس: ١٢.

[٤]) البقرة: ١٢٤

وهذا القسم من الاختلاف كثير أشرنا إلى نوعه إجمالاً واكتفينا به عن التفصيل، ومن هذا ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً، وذلك قوله تعالى: **﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللهُ آيَاتِهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾**[1]، وفي تفسير الآية وجوه وردت ثلاثة نذكر منها وجهين يناسبان المقام وهو:

أنه[2] إذا تمنى مفارقة الأعداء المنافقين، أو تمنى بمعنى قرأ كما في مدح قراءة النبي صلى الله عليه وآله عن حسان بن ثابت:

تمنى كتاب الله أول ليلة   تمني داود الزبور على رسل[3]

والأُمنية هو الكتاب المنزل إليه، ألقى الشيطان الإنس المعرض لعداوته ما يريد من حذف مثالب أعدائهم وأسمائهم، وإسقاط مدائح أوليائه وأوصيائه، والنص لأسمائهم، وتبديل كلماته وتحريفها، أو شياطين الجن يوحي إلى أوليائهم من شياطين الأنس ما ألقى فيه وهو قوله سبحانه: **﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ۝ وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ**

---

[1] الحج: ٥٣.

[2] في النسخة الخطية: أن.

[3] بحار الأنوار، ج٢ ص٨٩.

الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾[١] وذلك إنما يريدون ليطفؤا نورالله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون.

وإتمام نوره، وإحكامه آياته إنما هو بإبقاء ما فيه الكفاية في إثبات الحق، وإبطال الباطل، وإظهار ما فعلوه، وبوجوب الحافظ المبين الناطق الذي عبر عنه بالراسخون في العلم في الآية السابقة، وبالشجرة الطيبة في أخرى[٢]، وبالأرض في قوله سبحانه: **﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ﴾**[٣]، كما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام في تفسير قوله تعالى: **﴿أَنزَلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً رَابِياً وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ﴾**[٤] الآية، وهو قوله: (**﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ﴾ فالزبد في هذا الموضع كلام الملحدين**

---

[١]) الأنعام: ١١٢-١١٣.

[٢]) قال تعالى: ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ۞ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ إبراهيم: ٢٣-٢٤. عن عمرو بن حريث قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله: ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ قال: فقال: (رسول الله صلى الله عليه وآله أصلها، وأمير المؤمنين عليه السلام فرعها، والأئمة من ذريتهما أغصانها، وعلم الأئمة ثمرتها، وشيعتهم المؤمنون ورقها، هل فيها فضل؟ قال: قلت: لا والله. قال: والله إن المؤمن ليولد فتورق ورقة فيها، وإن المؤمن ليموت فتسقط ورقة منها) الكافي، ج١ ص٤٢٨ باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية.

[٣]) الرعد: ١٧.

[٤]) الرعد: ١٧.

الذين أثبتوه في القرآن، فهو يضمحل ويبطل ويتلاشى عند التحصيل، والذي ينفع الناس منه فهو التنزيل الحقيقي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والقلوب تقبله، والأرض في هذا الموضع هي محل العلم وقراره)[١]، وفي مقام آخر من الرواية بعد ذكر بعض الرموز الدالة على ما أحدثه المنافقون في الكتاب يقول: **(وإنما جعل الله في كتابه هذه الرموز التي لا يعلمها غيره وغير أنبيائه وحججه في أرضه، لعلمه بما يحدثه في كتابه المبدلون من إسقاط أسماء حججه منه وتلبيسهم ذلك على الأمة، ليعينوهم على باطلهم، فأثبت فيه رموزاً وأعمى قلوبهم وأبصارهم لما عليهم في تركها، وترك غيرها من الخطاب الدال على ما أحدثوه فيه، وجعل أهل الكتاب المقيمين به والعالمين بظاهره وباطنه من شجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها؛ أي يظهر مثل هذا العلم لمحتمليه في الوقت بعد الوقت.**

وجعل أعدائها أهل الشجرة الملعونة الذين حاولوا إطفاء نور الله بأفواههم فأبى الله إلا أن يتم نوره، ولو علم المنافقون لعنهم الله ما عليهم من ترك هذه الآيات التي بينت لك تأويلها لأسقطوها مع ما أسقطوا منه.

ولكن الله تبارك اسمه ماض حكمه بإيجاب الحجة على خلقه كما قال الله تعالى: ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾ أغشى أبصارهم، وجعل على قلوبهم أكنة عن

---

[١]) بحار الأنوار، ج٨٩ ص ٤٤.

تأمل ذلك فتركوه بحاله وحجبوا عن تأكيده الملتبس بإبطاله، فالسعداء ينتبهون عليه، والأشقياء يعمون عنه، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور)[1]، انتهى.

وإنما ذكرته مع طوله لما فيه من الكفاية لأهل الهداية والدراية، وإثبات حجة تامة لأرباب الغباوة والغواية، وهذا كله تفسير قوله سبحانه في آخر الآية: **﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ۞ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾**[2]، والظالمون الذين ظلموا أولياء الله الذين جعلهم طريقاً ومسيراً وقدّر لهم السير والسلوك في هذا الطريق تقديراً خالصاً عن الغث والهلاك ومأموناً في الغيب والشهادة والحضور والغيبة عن الفساد والضلال أدبروا عنه وقالوا: **﴿رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾**[3] فجعلهم أحاديث وفرقهم بعد سفرهم باتباع أهوائهم وآرائهم كل ممزق فصاروا في شقاق بعيد، وإن الذين آمنوا ليهديهم الله إلى صراط مستقيم من التأويل بالرجوع إلى المحكمات والإنابة إلى

---

[1]) الاحتجاج، ج١ ص٣٧٠. بحار الأنوار، ج٩٠ ص١١٩ ب١٢٩.

[2]) الحج: ٥٣-٥٤.

[3]) سبأ: ١٩.

الراسخين في العلم وقد مدحهم الله بقوله: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾[1]، ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلاَّ مَنْ يُنِيبُ﴾[2].

وذلك الاختلاف اختبار للنفوس وامتحان وابتلاء وفتنة وبيان لأهل الحق والباطل لابد منه ما دامت الدولة الشيطانية دائرة رحاها على قطبها ما بقي الاختلاط بين المؤمن والكافر في الأصلاب والأرحام وهو قوله عزوجل: ﴿آلم ۞ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ۞ ﴾[3].

فإذا تعطلت وانقلبت باضطراب قطبها، وتزيلت الأصلاب والأرحام، حان حين زواله وتدور الأفلاك كما كانت تدور يوم خلق السموات والأرض من الاستقامة والاعتدال الطبيعي، اللهم عجل فرج آل محمد صلى الله عليه وآله وفرجنا يا أرحم الراحمين.

وتظهر الدولة الحقة بالأحكام الواقعية، والكتاب المنزل من لدن حكيم حميد الذي لا اختلاف فيه ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

---

[1]) البقرة: ٢٦٩.

[2]) غافر: ١٣.

[3]) العنكبوت: ١-٣.

[و] لولا خوفي عما من الخروج وعدناه في أول الكتاب من الاقتصار في الجواب على ما يحل به ما في السؤال من الإشكال، مع ما أنا عليه من ضيق المجال لأطلت في المقال بنقل كثير مما وقع فيه التحريف من الآي القرآنية حذفاً، وتغييراً، وتقدماً، وتأخراً، وتأولاً، وتفسيراً، ولذكرت عنده ما يدل على كونه من فعل المفترين دلالة من نفس الآية أو سائر الآيات، ولكن فيما ذكرنا كفاية وذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

ألا ترى قوله سبحانه: **﴿فَيَوْمَئِذٍ لا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنسٌ وَلا جَانٌّ﴾**(١) كيف يلزمه ارتفاع السؤال عن الأعمال، وهو خلاف ما عليه الضرورة من الدين التي عليها المدار، وبها يميز بين الصحيح والسقيم في تأويل الآي والأخبار ما وافقها من القول يؤخذ وما خالف فهو ساقط عن درجة الاعتبار، وروي عن الرضا عليه السلام إن نزوله: **(لا يُسئل منكم عن ذنبه إنس ولا جان)**(٢) والمخاطبون هم الشيعة، وكذلك غيرها.

---

(١) الرحمن: ٣٩.

(٢) عن إمامنا الرضا عليه السلام: (فيومئذ لا يسئل منكم عن ذنبه إنس ولا جان؛ والمعنى أن من اعتقد الحق ثم أذنب ولم يتب في الدنيا عذب عليه في البرزخ ويخرج يوم القيامة وليس له ذنب يسأل عنه) [بحار الأنوار، ج٧ ص٨١]، وفي تفسير القمي: (﴿فَيَوْمَئِذٍ لا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ﴾ قال: منكم من الشيعة. ﴿إِنسٌ وَلا جَانٌّ﴾ قال: معناه: أنه من تولى أمير المؤمنين صلوات الله عليه، وتبرأ من أعدائه عليهم لعائن

[أسباب الاختلاف الظاهري في الروايات الشريفة]

وأما اختلاف الروايات فمنه ما نشأ منهم عليهم السلام من إطلاق، وتقييد، وعام، وخاص، ومحكم، ومتشابه[١]، وذلك منهم رحمة ولطف وهو قوله عليه السلام: **(نحن نوقع الخلاف بينكم)**[٢]، وقوله عليه السلام: **(إنا لا ندخلكم إلا فيما يصلحكم)**[٣]، وقوله صلى الله عليه وآله: **(اختلاف أُمتي رحمة)**[٤] على أحد المعاني.

الله، وأحل حلاله، وحرم حرامه، ثم دخل في الذنوب ولم يتب في الدنيا عذب بها في البرزخ، ويخرج يوم القيامة وليس له ذنب يسئل عنه يوم القيامة) [تفسير القمي، ج٢ ص٣٤٥ سورة الرحمن].

١) للإستزادة يراجع القارئ الكريم كتب أصول الفقه للوقوف على الاصطلاحات والمباحث المذكورة.

٢) لم أجد الرواية بعينها، ولكن وجدت من الروايات ما يشير إلى هذا المعنى وهو قول الإمام الصادق عليه السلام: (ولو أذن لنا لعلمتم أن الحق في الذي أمرناكم، فردوا إلينا الأمر، وسلموا لنا، واصبروا لأحكامنا، وارضوا بها، والذي فرق بينكم فهو راعيكم الذي استرعاه الله خلقه، وهو أعرف بمصلحة غنمه في فساد أمرها، فإن شاء فرق بينها لتسلم، ثم يجمع بينها ليأمن من فسادها وخوف عدوها في آثار ما يأذن الله، ويأتيها بالأمن من مأمنه، والفرج من عنده...إلخ) بحار الأنوار، ج٢ ص٢٤٧ ب٧٩.

٣) عن داود بن فرقد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (إذا حدثوكم بحديث عن الأئمة فخذوا به حتى يبلغكم عن الحي، فإن بلغكم عنه شيء فخذوا به، ثم قال: إنا والله لا ندخلكم فيما لا يسعكم) مختصر بصائر الدرجات، ص٩٤.

٤) الاحتجاج، ج٢ ص١٠٥.

وإجمال ذلك كما ذكرنا أن عالم التشريع على طبق التكوين؛ إذ كان وجه الإيجاد وغايته فيهما واحد، وكل منهما روح في مقام والآخر جسده وبالعكس في مقام، ويجري على كل ما يجري على الآخر، فكما في التكوين خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وكان قادراً أن يخلقها [في] أقل من طرفة عين كما قال سبحانه: **﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾**[١] أو هو أقرب، وإنما فعل ذلك إرشاداً للعباد على التأني والأناة وجعلها أمثالاً لأوليائه وخلفائه، فكذلك في التشريع أنزل الله الفرائض والأحكام شيئاً [فشيئاً]؛ قيدهم أولاً بالإقرار بالوحدانية والربوبية والشهادة لها بقوله: **(قولوا لا إله إلا الله تفلحوا)**[٢]، ثم بالإقرار بالنبوة، ثم بالصلاة، ثم الصوم، ثم الحج، ثم الجهاد، ثم الزكاة، ثم الصدقات، ثم الولاية وهو قوله تعالى: **﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ﴾**[٣].

وكذلك في تحريم الخمر حيث أظهره متدرجاً أولاً بقوله: **﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً وَرِزْقاً حَسَناً﴾**[٤]، ثم بقوله سبحانه: **﴿يَسْأَلُونَكَ عَنْ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ**

---

[١]) القمر: ٥٠.

[٢]) بحار الأنوار، ج١٨ ص٢٠٢.

[٣]) سبأ: ٤٦. عن الباقر والصادق عليهما السلام في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ﴾ قال: (الولاية) بحار الأنوار، ج٢٣ ص٣٩١ ب٢٢.

[٤]) النحل: ٦٧.

فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾[1]، ثم أنـزل فيـه: **﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾**[2] الآية، ثم أكد وصرح بقوله: **﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ﴾**[3] الآية. وهكذا في سائر الأحكام كل بحسبه.

فعلم سبحانه وبين بياناً فعلياً في التكوين والتشريع أن المداراة في الأمور والأناة فيها و إثباتها بإظهارها إجمالاً ثم تفصيلاً والتدرج في مراتب التفصيل أتقن صنعاً، وأحكم فعلاً، وأشد تمكيناً للمكلف من القبول، وأقرب تمكناً واستعداداً منه للإقبال إليه وتلقيه، و أرشد عباده إلى ذلك بألسنة أوليائه، وجعله مسلكاً وطريقةً قويمة في إبلاغ الحجة، والإعذار والإنذار لحججه، ليتخذوا هذا المثال الذي ألقاه وكتبه في كتاب التدوين والتكوين بقلم صنعه وحكمته، وهو تأويل قوله سبحانه: **﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنْ الْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنْ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ۝ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي**

---

[1]) البقرة: ٢١٩.

[2]) المائدة: ٩٠-٩١.

[3]) الأعراف: ٣٣.

سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً﴾[١] الآية، وقوله تعالى: **﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً﴾**[٢] الآية.

فمن ثم أنزل سبحانه كتابه في وقت بعد وقت، وشأن بعد شأن، وواقعة بعد واقعة؛ إذ كان أثبت لقلوب الناس، وأجلب لها إلى الحق أن تقبله، وأدخل لها استيناساً واستمالة أن لا تنفر منه، و أوفق مداواة لها من أمراض الجهل، والكبر، والنفاق و أمثالها.

فاقتضت الحكمة أن تورد الأحكام مطلقة وعامة ليستعدوا للامتثال ويتهيؤوا للعمل فيثابوا بذلك؛ فبعض منها يبقى في إطلاقه فيكون أوسع للمكلف وأمهل، وبعضها يقيد وقت العمل فيمتثل بغير كلفة ولا مشقة.

وكذلك بمحكم الآيات والأخبار تثبت الحجة، وبمتشابهها تُمَيَّز الفطرة وتُستنطق الطبيعة.

فهذا الاختلاف في الروايات كالآيات محض الرحمة وعين الحكمة، وإهماله إخلال لها لا يناسب ولا يليق لأفعال حجج الله كفعله سبحانه .

وكذلك الأحكام الصادرة في مقام التقية حفظاً للطائفة الحقة أن يؤخذوا برقابهم ويفنوا عن آخرهم فتبقى الأرض خالية عمن يعبده ويسبحه ويحمده،

---

[١]) النحل: ٦٨- ٦٩.

[٢]) الفرقان: ٦٣.

فتخلوا عن الغاية علة الإيجاد وهي العبادة، فترتفع عن الأرض وتسيخ بأهلها بارتفاع العبادة فيها، وهذا هو السر والحكمة في أمر التقية ما دامت دولة الفاسقين موجودة .

نعم بقي شيء من أقسام الاختلاف في الأخبار وهو ما دسه المدسون فيها من التحريف، والتغيير، والوضع، والزيادة، والنقصان، وهي في ذلك كالآيات من دون فرق وتفاوت كما هو منصوص الكتاب في قوله: **﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ﴾** ولا محدث **﴿إِلاَّ إِذَا تَمَنَّى﴾**[١] والمحدث هو الوصي والولي؛ فلذا حذفوه من الكتاب كما روي عن الصادق عليه السلام[٢]، وهو قوله عليه السلام: **(وما منا إلا وعليه رجل يكذب)**[٣] وآخر **(كثر علينا الكذابة)**[٤]، وذلك أمر ارتفع عنا تكليفه إذ كان الله سبحانه وعد بإزالته ونسخه بقوله: **﴿فَيَنْسَخُ اللهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللهُ آيَاتِهِ﴾**[٥]، وقد

---

[١]) الحج: ٥٢.

[٢]) وردت عدة روايات في ذلك راجع بحار الأنوار، ج٢٦ ص٧٩ باب أنهم عليهم السلام محدثون.

[٣]) ورد في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: (إنا أهل بيت صادقون لا نخلو من كذاب يكذب علينا ويسقط صدقنا بكذبه علينا عند الناس) بحار الأنوار، ج٢ ص٢١٧ باب ٢٨.

[٤]) قال أمير المؤمنين عليه السلام: (وقد كذب على رسول الله صلى الله عليه وآله على عهده حتى قام خطيباً فقال: أيها الناس قد كثرت عليَّ الكذابة فمن كذب عليّ متعمداً فليتبوء مقعده من النار) الكافي، ج١ ص٦٢.

[٥]) الحج: ٥٢.

فعل ذلك في ألسنة أوليائه بتأسيس قواعد محكمة وأصول متقنة من عرضها على[1] الكتاب، ثم السنة، ثم باشتهاره بين الأصحاب فأمر بأخذه وترك ما هو الشاذ النادر، ثم بملاحظة ما يوافق مذهب العامة فيترك وما يخالفه فيؤخذ، أو ما هو عند قضائهم وأحكامهم معمول به ومرغوب فيه فيترك ويؤخذ بخلافه، وبعد فقدان ذلك كله يخير فيهما فيتسع للمكلف أن يأخذ بأيهما شاء[2]، وهذا

---

[1]) في النسخة الخطية: إلى.

[2]) وروى داود بن الحصين، عن عمر بن حنظلة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (قلت: في رجلين اختار كل واحد منهما رجلاً فرضيا أن يكونا الناظرين في حقهما، فاختلفا فيما حكما وكلاهما اختلفا في حديثنا، قال: الحكم ما حكم به أعدلهما وأفقههما وأصدقهما في الحديث وأورعهما، ولا يلتفت إلى ما يحكم به الآخر. قال: قلت: فإنهما عدلان مرضيان عند أصحابنا ليس يتفاضل واحد منهما على صاحبه، قال: فقال: ينظر إلى ما كان من روايتهما عنا في ذلك الذي حكما به المجمع عليه أصحابك فيؤخذ به من حكمنا ويترك الشاذ الذي ليس بمشهور عند أصحابك، فإن المجمع عليه حكمنا لا ريب فيه، وإنما الأمور ثلاثة، أمر بين رشده فمتبع، وأمر بين غيه فمجتنب، وأمر مشكل يرد حكمه إلى الله عز وجل، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: حلال بين، وحرام بين، وشبهات بين ذلك، فمن ترك الشبهات نجى من المحرمات، ومن أخذ بالشبهات ارتكب المحرمات وهلك من حيث لا يعلم. قلت: فإن كان الخبران عنكم مشهورين قد رواهما الثقات عنكم؟ قال: ينظر فما وافق حكمه حكم الكتاب والسنة وخالف العامة أخذ به. قلت: جعلت فداك وجدنا أحد الخبرين موافقاً للعامة والآخر مخالفاً لها بأي الخبرين يؤخذ؟ قال: بما يخالف العامة فإن فيه الرشاد. قلت: جعلت فداك فإن وافقهما الخبران جميعاً ؟ قال: ينظر إلى ما هم إليه أميل حكامهم وقضاتهم فيترك ويؤخذ بالآخر. قلت: فإن وافق حكامهم وقضاتهم الخبران جميعا؟ قال: إذا كان كذلك فأرجه حتى تلقى إمامك فإن الوقوف عند الشبهات خير من الاقتحام في الهلكات) من لا يحضره الفقيه، ج٣ ص١١.

باب واسع في ترجيح الأخبار وتمييزها وتنقيحها قل ما يخرج شيء منها لا يرجح.

على أن العلماء رضوان الله عليهم جعلهم الله مؤيدين مسددين إذا أتعبوا أنفسهم وأسهروا لياليهم في تمييزها وإخراج ما فيها من الموضوعة وإثبات صحيحها وجيدها، وما ظهرت عندهم قرائن الاعتبار بتلقي كل خلف عن سلف عن الأئمة الأطهار عليهم السلام، وكان بعض من الأصحاب عرضوا على الأئمة عليهم السلام بعد ما ضبط وكتب وصححوه وقرروه، وأخذ الأصحاب في هذه الأصول والكتب مصونة من التحريف والتغيير غنية عن مراعاة جهات السند والسبيل.

على أن حفظة الدين ومن استرعاهم أمر خلقه وجعل طالبي الحق رعاياهم وأنعامهم وأغنامهم بمرأى منهم ومسمع قادرين على ردهم وردعهم وإيقافهم على المحجة بالبينات الواضحة القولية والفعلية والتقريرية، وأسسوا قواعد وأصولاً محكمة متقنة حاوية لفنون الأحكام والفروع وهو قوله عليه السلام: **(علينا أن نلقي الأصول وعليكم أن تفرعوا)**، وفي آخر: **(علينا إلقاء الأصول وعليكم التفريع)**[1].

---

[1]) عن الإمام الرضا عليه السلام قال: (علينا إلقاء الأصول إليكم وعليكم التفرع) بحار الأنوار، ج٢ ص٢٤٥ ب٢٩.

ومما ذكروا من القواعد قول الكاظم عليه السلام بعد ما سأله الرشيد أن يكتب شيئاً يرجع إليه الناس في أمور دينهم يخرجهم من عمى الضلالة فكتب عليه السلام ما معناه: **(أمور الأديان اثنان؛ أمر لا اختلاف فيه وهو إجماع الأمة على الضرورة التي يضطرون إليها والأخبار المجتمع عليها المعروض عليها كل شبهة والمستنبط منها كل حادثة، وأمر يحتمل الشك و الإنكار، فما ثبت لمنتحليه من كتاب مستجمع على تأويله أو سنة عن النبي صلى الله عليه وآله لا اختلاف فيها، أو قياس تعرف العقول عدله فهذا أمر له اختلاف فيه لا يسع خاصة الأمة وعامها إلا الرد إليه والتسليم له، وما ليس فيه كتاب مجمع على تأويله ولا سنة نبي لاختلاف فيها ولا قياس تعرف العقول عدله فيسع خاص الأمة الرد عليه و الإنكار له، فما وضح لك بيانه اصطفيته، وما خفي عليك برهانه نفيته، وهذا حكم كل شيء من العرش إلى أرش الخدش)**[1].

---

[1] نقل هنا نص الرواية: عن محمد بن الزبرقان الدامغاني، عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: قال لي الرشيد: أحببت أن تكتب لي كلاماً موجزاً له أصول وفروع يفهم تفسيره ويكون ذلك سماعك من أبي عبدالله عليه السلام، فكتبت: (بسم الله الرحمن الرحيم، أمور الأديان أمران: أمر لا اختلاف فيه وهو إجماع الامة على الضرورة التي يضطرون إليها، والأخبار المجتمع عليها المعروض عليها كل شبهة والمستنبط منها كل حادثة، وأمر يحتمل الشك والإنكار وسبيل استيضاح أهله الحجة عليه فما ثبت لمنتحليه من كتاب مستجمع على تأويله، أو سنة عن النبي صلى الله عليه وآله لا اختلاف فيها، أو قياس تعرف العقول عدله ضاق على من استوضح تلك الحجة ردها ووجب عليه قبولها والإقرار والديانة بها

اعلم أنك لا ترى مسألة من مسائل الدين الأصلية الإعتقادية إلا وفيه إحدى الثلاث السابقة بل إما ضرورية، أو راجعة إليها بها توزن الأخبار المختلفة ظاهراً، وبها يجمع بينها ويرتفع ما فيها وهو الميزان الأعدل الأوفق، لولاه لما كانت الحجة قائمة، والشريعة كاملة، والنعمة تامة، إليها يرد المفَرط الغالي ويلحق المفْرط القالي.

ومالم يثبت لمنتحليه به حجة من كتاب مستجمع على تأويله أو سنة عن النبي صلى الله عليه وآله لا اختلاف فيها، أوقياس تعرف العقول عدله وسع خاص الأمة وعامها الشك فيه والإنكار له كذلك هذان الأمران من أمر التوحيد فما دونه إلى أرش الخدش فما دونه، فهذا المعروض الذي يعرض عليه أمر الدين، فما ثبت لك برهانه اصطفيته، وما غمض عنك ضوؤه نفيته، ولاقوة إلا بالله، وحسبنا الله ونعم الوكيل) بحار الأنوار، ج٢ ص٢٤٠ باب ٢٩

[بيان معنى الأمر بين الأمرين]

قال سلمه الله: **وأن يكون جوابكم على سبيل التفصيل المرضي لأرباب الكمال، لا على سبيل الإبهام الموسوم بالإجمال، وأن يكون الجواب من جراب النور، فيزداد[١] الالتباس والحيرة، وإن هذا الجواب مشروط فيه قبول العقل السليم مع موافقة النقل المستقيم.**

ثم ليكن معلومكم -أزاد الله علومكم- أن سائلكم قلبه مريض، ولا ترتفع شبهته وإن جئتموه بالجواب الطويل العريض إلا بعد تفضلكم وإحسانكم عليه بإظهار معنى الأمر بين الأمرين لا جبر ولا تفويض[٢]، ولقد علمت وعلم المؤمنون أن أهل الدعوى من أهل كل زمان كثيرون ولكن الواصلين إلى الحق قليلون؛

خليلي قطاع الفيافي إلى الحمى قليل وأما الواصلون قليل

نسأل الله أن يجعل أعلام الحق بكم قائمة، وبراهينه بسببكم قاطعة حاسمة، وأن يمن علينا وعليكم بحسن الخاتمة. انتهى إلى هنا.

---

١) هكذا جاء في النسخة المكتوبة بخط الشيخ رياض طاهر.

٢) عن محمد بن يحيى عمن حدثه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (لا جبر ولا تفويض، ولكن أمر بين أمرين، قال: قلت: وما أمر بين أمرين؟ قال: مثل ذلك رجل رأيته على معصية فنهيته فلم ينته فتركته ففعل تلك المعصية فليس حيث لم يقبل منك فتركته كنت أنت الذي أمرته بالمعصية) الكافي، ج١ ص١٦٠باب الاستطاعة.

أقول: أما التفصيل في الجواب بحيث لا يبقى لأحد مجال تطرق لقيل وقال فذلك أمر مشكل، بل لا يبعد أن يقال محال، نعم أهل الإنصاف من أرباب الكمال يقنعون في المقال على ما يقتضيه المقام والحال في بيان المرام من رفع غشاوة الالتباس والإبهام ولو على طريق الإجمال في تمييز مداخل الشكوك والشبهات، ويتضح مناهل العلم والإيقان بواضح البينات ولائح الدلالات لينتفع به طالبوا الحق واليقين غير مائلين في أمور الدين عن النهج القويم المستقيم، متمسكين بقوله سبحانه: **﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾**[1]، والذي أوردته في هذه الوريقات ليس إلا الحق الصريح ومحض التصحيح، وما أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله.

وما ذكرت في جواب المسائل إلا مسألة القدر وثم ما بين الأمرين من الأمر، لما فهمت أنها منشأ الشبهة والإشكال للسائل وغيره فيمن جهل إذ هو مقام توحيده في أفعاله وهو مظهر المقامات الثلاث الأُخر للتوحيد.

فهو للعارف السالك سبل ربه ذللاً باقتفاء أثر ولاته، واتباع قصد نجاته، واقتداء نور هداته، أوسع مما بين السماء والأرض.

ولغيره الماشي مشية المرح في الأرض ضنك المعاش، وضيق المسلك في الطول والعرض، يشق الأقدام لصلابته وحدته، ويطل الأنظار والأبصار

---

(1) الاسراء: ٣٥.

لدقته وطول مده ومدته، وكل ذلك لمن أخلد إليه وتثاقل، وذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾[١]، وقوله سبحانه: ﴿مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ﴾[٢].

وأما من نفر في سبيل الله الذي لا يوصل إليه إلا به، وهو السبب المتصل بين السماء والأرض[٣]، ورفع نفسه عن التثاقل إلى أرض إنيته والخلود إليها باتباع هواه، كان ممن شاء الله أن يرفعه؛ فيكون نظره إلى الله لا إلى الصراط، حتى يكل ويتفرق ويكون اعتماده واتكاله على الحبل الممدود والسبب المتصل لا عليه حتى يقل ويشق، فمنهم من يمر عليه كالبرق الخاطف، ومنهم كالريح العاصف، ومنهم كالطير، ومنهم كالجواد المسرع[٤]، على اختلاف تمسكهم بالعروة الوثقى وترفعهم عن التثاقل والخلود إلى الهوى، وهم: ﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً ۞ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ

---

[١]) الأعراف: ١٧٦.

[٢]) التوبة: ٣٨.

[٣])ورد في دعاء الندبة: (أين السبب المتصل بين أهل الأرض والسماء) إقبال الأعمال، ج١ ص٥٠٩ فصل ١٨.

[٤]) عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (الناس يمرون على الصراط طبقات، والصراط أدق من الشعر، ومن حد السيف، فمنهم من يمر مثل البرق، ومنهم من يمر مثل عدو الفرس، ومنهم من يمر حبواً، ومنهم من يمر مشياً، ومنهم من يمر متعلقاً قد تأخذ النار منه شيئاً وتترك شيئاً) بحار الأنوار، ج٨ ص٦٤ باب ٢٢.

سُجَّداً وَقِيَاماً﴾[١]، **﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً﴾**[٢]، **﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً ۞ أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلاماً ۞ خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً﴾**[٣]، جعلنا الله وإياكم منهم وفي زمرتهم.

ولما كان فيما مضى من بيان معنى **(لا جبر ولا تفويض)**[٤] أو **(لا قدر بل أمر بين الأمرين)** كفاية وافية وتذكرة شافية لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً، فتركنا إعادتها مرة أخرى لما ذكرناها مراراً عديدة بطرق شتى، إلا أني أذكر شطراً مما ورد في هذا الباب من الروايات فيه شفاء لما في الصدور وتذكرة للمتقين.

منها ما رواه الطبرسي في احتجاجه أنه اتصل بأمير المؤمنين علي عليه السلام أن قوماً من أصحابه خاضوا في التعديل والتجريح فخرج حتى صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: **(أيها الناس إن الله تبارك وتعالى لما خلق خلقه أراد أن يكونوا على آداب رفيعة، وأخلاق شريفة، فعلم أنهم لم يكونوا كذلك إلا بأن يعرفهم ما لهم وما عليهم، والتعريف لا يكون إلا بالأمر**

---

[١]) الفرقان: ٦٣-٦٤.

[٢]) الفرقان: ٧٢.

[٣]) الفرقان: ٧٤-٧٦.

[٤]) الكافي، ج١ ص١٦٠ باب الاستطاعة.

والنهي، والأمر والنهي لا يجتمعان إلا بالوعد والوعيد، والوعد لا يكـون إلا بالترغيب، والوعيد لا يكون إلا بالترهيب، والترغيب لا يكون إلا بما تشتهيه أنفسهم، وتلذ أعينهم، والترهيب لا يكون إلا بضد ذلك.

ثم خلقهم في داره وأراهم طرفاً من اللذات ليستدلوا به على ما ورائهم من اللذات الخالصة التي لا يشوبها ألم، ألا وهي الجنة، وأراهم طرفـاً مـن الآلام ليستدلوا به على ما ورائهم من الآلام الخالصة التي لا يشوبها لـذة، ألا وهـي النار، فمن أجل ذلك ترون نعيم الدنيا مخلوطاً بمحنهـا، وسرورهـا ممزوجـاً بكدرها وهمومها) .

قيل: وحدّث الجاحظ بهذا الحديث، فقال: هـو جمـاع الكـلام الـذي دوّنـه الناس في كتبهم، وتحاوره بينهم.

قيل ثم سمع أبو علي الجبائي بذلك فقال: صدق الجاحظ هذا ما لا يحتمله الزيادة والنقصان)[1].

وفيه ما رواه عن علي بن محمد العسكري عليهما السلام في رسالته إلى أهـل الأهواز في نفي الجبر والتفويض أنه قال: **(روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: سأله رجل بعد انصرافه من الشام فقال: يا أمير المؤمنين أخبرنـا عـن خروجنا إلى الشام أبقضاء وقدر؟**

---

[1]) الاحتجاج، ج١ ص ٣٠٩.

فقال عليه السلام: نعم يا شيخ ما علـوتم تلعـة ولا هبطـتم بطـن واد إلا بقضاء من عند الله وقدر.

فقال الرجل: عند الله أحتسب عنائي [يا أمير المؤمنين]، والله ما أرى لي من الأجر شيئاً.

فقال علي عليه السلام: بلى فقد عظم الله لكـم الأجـر في مسـيركم وأنـتم ذاهبون، وعلى منصرفكم وأنتم منقلبون، ولم يكونـوا في شيء مـن حـالاتكم مكرهين ولا إليه مضطرين.

فقال الرجل: وكيف لا نكون مضطرين والقضاء والقدر ساقانا، وعـنهما كان مسيرنا ؟ !

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: لعلك أردت قضاءً لازماً، وقـدراً حـتماً، ولو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب، وسقط الوعد والوعيد، والأمـر مـن الله والنهي، وما كانت تأتي من الله لائمة لمذنب، ولا محـمدة لمحسن، ولا كان المحسن أولى بثواب الإحسان من المذنب، ولا المذنب أولى بعقوبة الذنب من المحسن، تلك مقالة إخوان عبدة الأوثان، وجنود الشيطان، وخصماء الرحمن، وشهداء الزور والبهتـان، وأهـل البغـي والطغيـان، هـم قدريـة هـذه الأمـة ومجوسها.

إن الله تعالى أمر تخييراً، [ونهى تحذيراً]، وكلف يسيراً، ولم يُعص مغلوباً، ولم يُطع مكرهاً، ولم يرسل الرسل هزلاً، ولم ينزل القرآن عبثاً، ولم يخلق السموات والأرض وما بينهما باطلاً، ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار، ثم تلا عليهم: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ﴾)[١] الحديث.

وروي أن الرجل قال فما القضاء والقدر الذي ذكرته يا أمير المؤمنين؟

قال: **(الأمر بالطاعة، والنهي عن المعصية، والتمكين من فعل الحسنة، وترك المعصية، والمعونة على القربة إليه، والخذلان لمن عصاه، والوعد والوعيد، والترغيب والترهيب، كل ذلك قضاء الله في أفعالنا، وقدره لأعمالنا، وأما غير ذلك فلا تظنه، فإن الظن له محبط للأعمال.**

فقال الرجل: فرجت عني يا أمير المؤمنين فرج الله عنك)[٢].

وروي أنه سُئل عليه السلام عن القضاء والقدر فقال: **(لا تقولوا وكَلَهُمْ الله إلى أنفسهم فتوهنوه، ولا تقولوا أجبرهم على المعاصي فتظلموه، ولكن قولوا الخير بتوفيق الله، والشر بخذلان الله، وكل سابق في علم الله)**[٣].

---

[١]) الاحتجاج، ج١ ص ٣١٠، وما بين المعكوفتين يوجد في المخطوط، لكنه لا يوجد في نص كتاب الاحتجاج بل في نص كتاب التوحيد للشيخ الصدوق ص٢٩٦- ٢٩٧ باب القضاء والقدر والفتنة .

[٢]) المصدر السابق.

[٣]) المصدر السابق.

وروي أن عباية ربعي الأسدي سأل أمير المؤمنين عليه السلام عن الاستطاعة التي بها نقوم ونقعد ونفعل؟

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: **(سألت عن الاستطاعة تملكها من دون الله، أو مع الله؟**

فسكت عباية، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: قل يا عباية. قال: وما أقول؟

قال: إن قلت إنك تملكها من دون الله قتلتك، وإن قلت تملكها مع الله قتلتك.

قال: فما أقول يا أمير المؤمنين؟

قال: لا تقول إنك تملكها من دون الله، ولكن تقول تملكها بالله الذي يملكها من دونك).

ثم قال عليه السلام: **(فإن آتاك كان ذلك من عطائه، وإن يسلبكها كان ذلك من بلائه، هو المالك لما ملكك، والقادر لما عليه أقدرك، أما سمعت الناس يسألون عن الحول والقوة حين يقولون: لا حول ولا قوة إلا بالله؟**

قال عباية: وما تأويلها يا أمير المؤمنين؟

قال: لا حول لنا عن معاصي الله إلا بعصمة الله، ولا قوة لنا على طاعة الله إلا بعون الله.

قال: فوثب عباية وقبل يديه ورجليه)[١]. وأمثالها أكثر من أن تحصى، ويفسر بعضها بعضاً.

وإجمال ذلك أن العبد إن استقل في أفعاله مفوضاً إليه في أعماله يعمل بنفسه من دون إرادة من الله فهو تملك من العبد للاستطاعة من دون الله، وعزله سبحانه عن ملكه، ونسبة إهمال إليه تعالى في ملكه، وكونه مغلوباً في معاصي العبد، ومن دان به فقد كفر، وقال الرضا عليه السلام: **(إن الله لم يُطَعْ بإكراه، ولم يُعْصَ بغلبة، ولم يهمل العباد في ملكه)**[٢]، وهو قول الصادق عليه السلام لما سُئل هل أجبر الله العباد على المعاصي؟

(فقال: هو أعدل من ذلك.

فقال: فهل فوض إليهم؟

فقال: هو أعز وأقهر لهم من ذلك)[٣].

ومن دان أن الله أجبر العبد في أفعاله وكلفه بما لا يطيق، فقد نسب الظلم إليه سبحانه والجور، وأخرجه عن العدل والحكمة، ونسب الضعف والاحتياج إليه سبحانه، وهو قوله عليه السلام في الدعاء: **(وإنما يحتاج إلى**

---

[١]) بحار الأنوار، ج٥ ص٥٧، علماً أنه يوجد بعض الاختلاف في ألفاظ الرواية، فراجع.

[٢]) التوحيد، ص٣٦١.

[٣]) بحار الأنوار، ج٥ ص٥٤.

الظلم الضعيف)[1] . ويلزمه أن يرسل الرسل هزواً، وينـزل القـرآن عبثـاً، وأن يأمر وينهى ويرغب ويرهب لغواً ولهواً، وأنه خلق السموات والأرض باطلاً، **﴿ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾**[2].

ولا شك أن ذلك مقالة إخوان عبـدة الأوثـان، وجنـود الشـيطان، وأهـل البغي والطغيان، وشـهداء الـزور والبهتـان، وأن ذلـك يسـتلزم وصـفه بكـل صفات وأسماء سوء، وتنزيهه عن صفاته وأسمائه الحسنى، تعالى الله عـن ذلـك علواً كبيراً، **﴿وَللهِّ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾**[3].

فيجب على من آمن بالله وبرسله وكتبـه واليـوم الآخـر أن ينـزه ربـه عـن الإهمال، والانعزال عن ملكه، والعجز، والمغلوبية في عصيان خلقه باعتقاد أنـه لا يكون شيء في الأرض ولا في السماء إلا بسبعة **(بمشـيئة، وإرادة)** الحـديث، وأنه لا يقدر على نقض واحدة، لأن من زعم أنـه يقـدر عـلى نقـض واحـدة – بالمهملة والمعجمة–فقد كفر كما في رواية، وفي أُخرى: ومن زعم غير ذلك فقـد

[1] مصباح المتهجد، ص ١٩٥.

[2] ص: ٢٧.

[3] الأعراف: ١٨٠.

كذب على الله أو رد عليه[١]، وفي ثالثة: **(ومن زعم أن الخير والشر بغير مشيئة الله فقد أخرج الله من سلطانه)**[٢] وغيرها .

وأنه لا يكون من المكلف حركة ولا سكون في فعل ولا عمل في غيب ولا شهود إلا بهذه الخصال المذكورة إذ كان الله لا يخلو عن ملكه ولا ملكه يخلو منه.

ويجب عليه أيضاً أن يعتقد أن الله لا يجبر عبده على شيء من الطاعات والمعاصي والأفعال بما يكرهه عليه أو يخلقه فيه بغير احتياج وإرادة وقبول من العبد، إذ كان يلزمه حينئذ ما ذكر من المفاسد وغيرها .

بل الله سبحانه يخلق فعل العبد باختياره وإرادته وقبوله، وذلك لا يكون إلا بالاستطاعة التي لا يملكها إلا بالله وهو يملكها بدونه، وهي لا تحصل إلا باجتماع أمور خمسة، وهي التي من حصولها تحقق المنزلة بين المنزلتين:

الأولى: صحة الخلقة لئلا يعزم المكلف على الفعل فلا يتمكن منه إذا أعوزته الآلة إما بعدمها أو بفسادها أو بعدم صلوحها لضد ذلك الفعل، إذ وجود الضد لذي الضد من تمام قابليته.

---

١) عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام قال: (لا يكون شيء في السموات ولا في الأرض إلا بسبع: بقضاء، وقدر، وإرادة، ومشيئة، وكتاب، وأجل، وإذن، فمن زعم غير هذا فقد كذب على الله، أو رد على الله) الكافي، ج١ ص١٤٩ باب أنه لا يكون شيء في السماء والأرض إلا بسبعة.

٢) أصول الكافي، ج١ ص١٥٨ باب: الجبر والقدر.

والثاني: تخلية السرب؛ أي الطريق بأن لا يكون لـه صـاد عـما يشـتهيه مـن الفعل فيكون غير مختـار، وذلـك بـأن لا يحجبـه مـن حجـب الجـلال والقهـر حجاب يسبب تخليه من المدد وخذلانه.

والثالث: المهلة في الوقت بأن يكون وقت الفعل الذي يميل إليه يسـع كـل ما يحتاج إليه الفاعل في الفعل مـن الحركـات والسـكنات، والوقـت أعـم مـن الزمان[1] والدهر[2] والسرمد[3].

والرابع: الزاد والراحلة، أما الـزاد فـالقوت المسـتلزم عدمـه لهـدم البـدن وتحلل القوى والآلات فهو شرط البقاء والحياة، فزاد الصدر العلم وبه حياته، وحياة القلب باليقين، والفؤاد بالمعرفة، وأما الراحلـة فشرـط في قطـع المسـافة

---

[1]) قال الشيخ الأوحد قدس سره في تعريفه: (ظرف الأجسام وعالم الشهادة والارتسام أولها جسم الكل ومحدد الجهات وآخرها الأرض المعروفة) جوامع الكلم (حجري)، الرسالة التوبلية م ١ ص١٦٩.

[2]) يقول الشيخ الأوحد الأحسائي في تعريفه: (وقت للمجردات عن المادة العنصرية والمدّة الزمانية، سواءً كان مجرداً عن الصور مطلقاً كالعقول، أم عن الصور التامة كالأرواح، أم غير مجرد كالنفوس، وهو قار الذات، بمعنى أن فيه التعاقب والتمايز والترقيّ والهبوط في كل من الثلاثة: العقول، الأرواح، النفوس، إلا أن ذلك في العقول معنى، وفي الأرواح رقيقة، وفي النفوس صورة) الرسالة الوعائية، ص٣٠.

[3]) يعرفه الشيخ الأوحد قدس سره بقوله: (السرمد: وقت الفعل المسمى بالمشيئة، والإرادة، والإبداع، والإختراع ومكانه الإمكانات الراجحة) الرسالة الوعائية، ص ٢٧.

التي يتوقف عليها الفعل، فراحلة الصدر مثاله وحسه المشترك، وراحلة القلب نفسه وخياله، وراحلة الفؤاد عقله وقلبه.

والخامس: السبب المهيج للفاعل على الفعل، وحقيقته ميل تحرك الشهوة التي تركبت في الإنسان، يعني ميل وجوده إلى بعض كمالاته، أو ميل ماهيته إلى بعض كمالاتها على التعاقب لا الاجتماع فإنه محال.

فلما خلق سبحانه خلقه بفاضل فضله ومنّه على ما هم عليه، وأعطاهم هذه الشروط الخمسة كُلاً بحسبه تفضلاً منه ونعمة، وما أراد من خلقهم وإعطائهم لها إلا معرفته، فصاروا بها متمكنين ومستطيعين على المعرفة أو العبادة، فعرفهم ما لهم مما عليهم بالأمر والنهي متبوعين بالترغيب والترهيب بالوعد والوعيد، إتماماً لتمكينهم واستطاعتهم التي ملكهم إياها، وهو المالك لما ملكهم والقادر على ما أقدرهم عليه، تأكيداً عليهم وتسهيلاً لهم من التأدب بالآداب القدسية والأخلاق الرفيعة الروحانية والمعارف الربانية.

فمن أراد واختار ما أراد الله سبحانه من خلق الخلق خلقه على طبق محبته ورضاه وزاده توفيقاً على المراد، وهو المقصود بالأصالة من الخلق والتمكين، وهو قوله سبحانه في الحديث القدسي: **(من أقبل إليَّ شبراً أقبلت إليه ذراعاً،**

ومن أقبل إليَّ ذراعاً أقبلت إليه باعاً)[١]، وفي آخر: **(من تقدم إليَّ شبراً تقدمت إليه سبعين شبراً)** وهو السر في تضاعف الحسنات إلى عشرة، أو سبعين، أو سبعمائة، أو أزيد على قدر مراتب العاملين، إذ هو المقصود بالأصالة لله سبحانه، وهو الحق والكلمة الطيبة كشجرة طيبة وهو العامل بالفضل.

ومن اختار خلاف ما أراده سبحانه من المعاصي خلقه باختياره ويجازيه بعدله واحداً بواحد **﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا﴾**[٢]، وذلك هو معنى الأمر بين الأمرين والمنزلة بين المنزلتين؛ يعني أن الله سبحانه هو الخالق لأفعال العباد باختيارهم حين اختيارهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر، والعبد هو الفاعل لها حقيقة بإمداد الرب وعطائه **﴿كُلاًّ نُمِدُّ هَؤُلاء وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً﴾**[٣].

فالمطيع سالك طريق الفضل والرحمة فيتصف بمقتضاها، والعاصي سالك طريق العدل والنقمة فيتصف بمقتضاها **﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾**[٤]، **﴿إِنْ كُلُّ مَنْ**

---

[١]) روي عن النبي صلى الله عليه وآله قال: (إن الله تعالى يقول: من تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً، ومن تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً، ومن أتاني مشياً أتيته هرولة) عوالي اللئالي، ج١ ص٥٦ الفصل الرابع.

[٢]) الأنعام: ١٦٠

[٣]) الإسراء: ١٨-٢٠.

[٤]) الأنعام: ١٣٩.

فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً﴾[١]، **﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾**[٢]، **﴿وَللهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً﴾**[٣]، ومعنى الكره إلزامها ما قبلت من حكمه وطلبت من قِسَمه.

هذا هو الحق في بيان الأمر بين الأمرين من دانه يتجه على الجادة، ومن انحرف ومال عنه إلى مختلف الأقوال كالقول بالجبر في بعض الأفعال والتفويض في البعض الآخر، أو بالجبر في المغيبات والمجردات والتفويض في المحسوسات، أو القول بالتركيب منهما وغيرها فقد وقع في مضلة، وهو قول أمير المؤمنين عليه السلام: **(اليمين والشمال مضلة، والطريق الوسطى هي الجادة)**[٤]، **﴿وَعَلَى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾**[٥]، وهذا صراط ربك مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله[٦].

---

[١]) مريم: ٩٣.

[٢]) النمل: ٨٧.

[٣]) الرعد: ١٥.

[٤]) الكافي، ج٨ ص٦٨.

[٥]) النحل: ٩.

[٦]) قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ الأنعام: ١٥٣.

بقي شيء في المقام ذكره وهو أنه سبحانه يخلق الخير ويجريه على يدي عبده باختياره، وهكذا الشر باختيار العبد وقبوله يجريه على يديه ويخلقه، وقد نرى كثيراً من العباد يختارون أشياء من الخير والشر ولا يصلونها أو لا يريدونها وهم واقعون فيها، فأقول:

أولاً: إن الله سبحانه لا يلزمه أن يعطي كل ما يريد العبد ويطلبه، بل إن آتاه فبعطائه وإن لم يؤته فبعدله.

وثانياً: إن العبد ليس كلما طلب وجد، بل إن وجد ما يطلبه من الخير أو لم يجد وحفظ ووقى عما يحذره من الشر أو لم يوقَ فبتوفيق من الله وفضله للمؤمن يستأهله بإيمانه وفي غيره كذلك بخذلانه وعدله وذلك بما قدمت يداه **﴿بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾**[1].

وقد أسلفنا فيما مضى من البيان والتفصيل فيما نحن بصدد بيانه ما يبرد الغليل ويشفي العليل . نسأل الله أن يهدينا وإياكم إلى سواء السبيل، وأن يخرجنا من ظلمات الوهم ويكرمنا بنور الفهم.

قد وقع الفراغ من إنشائها أثناء مجاورتي في تربة خامس أصحاب الكساء عليهم وعلى أبنائهم آلاف التحية والثناء، في اليوم الثاني من أيام السنة الثامنة والسبعين بعد الألف والمائتين، مصلياً مستغفراً ١٢٧٨هـ.

---

(١) المؤمنون: ٧١.

استنسخت من نسخة كتبت على نسخة الأصل في الكويـت في [الحسـينية] الجعفرية صباح يوم ٢ صفر ١٣٩١هـ.

(٦)

الرسالة السادسة

رسالة في الحقيقة المحمدية

[تمهيد]

بِسْمِ اللهِّ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين، والصلاة على محمد وعترته الميامين من آله.

وبعـــــد؛ فيقول الحقير الفقير محمد باقر بن محمد سليم التبريزي -تجاوز الله عما سلف مما جنت أيديهما من جلي أو خفي-: أنه قد ورد إليّ مسألة قد تصعّبت على الأفهام، ودان بالقصور عن نيلها كثير من الأعلام، وكنت أحب ورودها في وقت غير ما أنا عليه من تشتت البال، وتفرق الخيال بالحل[1] و الارتحال؛ لأعطيها أدنى ما يليق لها من حقها؛ ليتضح الحال ويرتفع الإشكال، لكن ليس كلما لا يُدرك له التفصيل يُترك منه الإجمال، فأتيت بالميسور إذ لا يسقط بالمعسور، جاعلاً السؤال كالمتن، والجواب كالشرح تسهيلاً للأمر، مستعيناً بمن إليه يرجع الأمر.

---

[1] في المخطوطة: بحل.

[إشكاليات في أولية الحقيقة المحمدية]

قال سلمه الله: **إن قلنا أن الحقيقة المحمدية صلى الله عليه وآله هي الواسطة بين الحق والخلق يصدر عنها[١] ما يصدر من فيوضات في الكون والإمكان؛ فلا يخلو إما أن تكون محدودة بالأولية فيلزمه انقطاع الفيض قبلها، وهذا ما لا يجوز؛ إذ لا تعطيل لفيض الله سبحانه؟ أو لا تُحد بالأولية وتكون لا أول لها فيلزم تعدد القدماء، وإن كان يندفع المحذور الأول؟**

أقول ولا قوة إلا بالله: إن الحكماء كافة قد اتفقوا على أن أول شيء خُلِق هو واحد يشهد أن موجده واحد، حتى قالوا فيه ما قالوا: أن الواحد لا يصدر عنه إلا الواحد[٢]، وهذا الكلام فيه ما فيه إلا أن مفاده أن الصادر الأول واحد مُسلم تُصدّقه العقول المستقيمة والآيات في الآفاق والأنفس من انتهاء كل كثرة إلى وحدة كل بحسبه من أقسام الوحدات، فتنتهي جميعها [إلى الوحدة] الحقيقية التي هي آية الوحدة الحقة الذات المقدسة سبحانه وتعالى ودليلها وسبيلها.

---

[١] في الأصل: عنه.

[٢] للاستزادة راجع البارقة (٩) من رسالة البوارق للمصنف.

ثم لا يخفى على أحد أن جميع المسلمين متفقون على أن نبينا صلى الله عليه وآله أول الكائنات وأشرفها وأعظمها والأخبار بذلك متواترة معنى لا تكاد تُحصى[1].

ثم إن الإمامية قد أجمعوا على أن الأئمة عليهم السلام نفسه يجري عليهم ما يجري عليه إلا النبوة.

فالصادر الأول الذي يُسمَّى عند أهل الشرع بـ(الحقيقة المحمدية) لما كان واحداً -إذ كان آية الواحد الأحد- يجب أن يكون واسطة بين الحق والخلق لإيصال الفيض إلى من سواه، وإلا يلزم تعدده ووجود شيء في رتبته يصدر من المبدأ كصدوره، وهذا خلاف ما عليه العقلاء فضلاً عن الحكماء والعلماء، وخلاف النصوص المتضافرة عن الأئمة عليهم السلام. فلأجل ذلك سمّوه بـ(الحقيقة) لكونه أصيلاً ثابتاً، وسائر الموجودات مجازات لا تتقوم بل ولا تصح إلا بالانتساب إليه والاستناد عليه، ولا يصل إلى موجود ذرة من فيوضاته إلا وذلك الفائض الأول هو السبب له والسبيل إليه، سواء كان في الكون أم الإمكان، إلا أن الإمكان من حيث أنه لا ذكر للأشياء هناك إلا بالصلوح فلا تعدد للأشياء، إذ لا تعين ولا تميز بينها.

---

[1] وردت روايات كثيرة في أن أول ما خلق هو نور الحبيب المصطفى وآله النجباء صلى الله عليهم أجمعين، راجع بحار الأنوار ج٢٥ أبواب خلقهم وطينتهم. مستدرك سفينة البحار ج٢ ص١٣.

[و] قد تصعب على الأوهام تصور معنى الواسطة في هذا المقام حتى ذهب جمع إلى كون الأشياء في الإمكان على حد سواء لا تقدم فيه للأشياء ولا تأخر، وهذا صحيح باعتبار أنه ليس هناك شيء يتمايز ويشار إليه حتى يوصف بالتقدم ونحوه، بل صلوح صرف لا يتميز إلا بالتعلق، ولا تعلق فلا تميز فلا تقدم فلا واسطة.

نعم؛ إذا نظرت إلى الأشياء نظر اعتبار واستبصار رأيت الأمر واضحاً بلا حجاب ولا غبار، وذلك مثل السراج وأشعته، والشمس ونورها؛ فإن الشعاع إنما هو في رتبة الشعاع لا في رتبة السراج، كما أن السراج صلوحه وكونه في مرتبة العلّية والتأثير للأشعة، وكذلك الفاعل وأفعاله، والمؤثر وآثاره، والموصوف وصفاته، بل كل شيئين بينهما ترتب بالتقدم والتأخر لا يكون لشيء منهما صلوح ووجود إلا في رتبة كونه.

وكان الله سبحانه هو الفاعل لما يشاء كيف يشاء، إلا أنه لا يفعل إلا على ما تقتضيه الحكمة؛ وهو ما ينبغي أن يكون الشيء عليه، والأثر لا يكون على ما هو عليه إلا بكونه أثراً وشعاعاً للغير، والمؤثر كونه على ما ينبغي ليس إلا أن يكون مؤثراً ومنيراً لأثره وكذلك صلوحه، إلا أن الصلوح في كل رتبة يشمل لأهل هذه الرتبة كافة ليس بينها تفاوت ولا خصوصية، فإذا دخل في الكون

يخص ببعضها، وكلما يزداد في وجوده تقيداً يزداد تعيناً وتمييزاً عن أهل رتبته وأبناء نوعه وجنسه.

فإذا علمت ما ذكر -من كون الصادر أولاً واحداً لا تعدد فيه؛ فإذاً يكون واسطة بين الحق والخلق في إيصال الفيوضات- عرفت أن قوله سلّمه الله: **فلا يخلو إما أن تكون محدودة** ...إلخ. تعيّن إشكاله ويسهل حَلّه ودفع محذوره؛ بأنه محدود بالأولية لكونه مصنوعاً مسبوقاً بصانعه وإلا لم يكن مصنوعاً مخلوقاً فيتعدد القديم؛ وهذا جحود بالله العظيم.

وكونه محدوداً بها أنها مساوقة معه، بوجوده وجدت الأولية والقبلية الإمكانية، وبغير وجوده لا أول في الإمكان ولا قبل إلا فعله سبحانه المتقدم له رتبة لأنه علة له ومساوق له في الظهور لا فرق بينهما ولا فصل في الظهور والتّعرف والمعرفة والتعريف.

فمن ثم ترى إطلاق الحقيقة المحمدية على الفعل بجهتيه جهة المفعولية و[جهة] نفسه التي به يفعل ويخلق، كما يطلق على الصادر الأول باعتبارين له؛ اعتبار من ربه واعتبار من نفسه، لكمال التوافق والتحاوي والتساوق بينهما، وقيام جميع الأشياء بهما إذ هما أمر الله الذي يقوم كل شيء به، وهو قوله

سبحانه: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾[١]، وقول الصادق عليه السلام: **(كل شيء سواك قام بأمرك)**[٢].

أما الفعل فهو نور الله الذي به نورت الأنوار وتحققت وقامت بشعاعه قيام تحقق[٣]، فليس يسبقهما شيء؛ إذ لا شيء ولا سبق ولا مسبوق إلا بهما.

نعم قد سبقهما من أحدثهما سبقاً لا كيف له ولا حد، وهو سبحانه لا يسبقه حال حالاً فيكون أولاً قبل أن يكون آخراً، أو يكون ظاهراً قبل أن يكون باطناً[٤]، بل أوليته عين آخريته، وظاهريته عين باطنيته، فليس هناك إلا ذاته تعالى لا شيء معه، فلا فيض ولا من يفاض عليه؛ إذ الفيض إما ذاته فهو هو، وإما غيره فإذاً صنعه وخلقه وهو قول الرضا عليه السلام: **(إنما الله**

---

١) الروم، ٢٥.

٢) بحار الأنوار، ج٨٧ ص١٤٨ ، دعاء آخر ليوم السبت.

٣) يقول الشيخ الأوحد قدس سره: (قيام التحقق كقيام الانكسار بالكسر؛ بمعنى أنه لا يتحقق لا في الخارج و لا في الذهن إلا مسبوقاً بالكسر لأنه انفعال الكسر لفعل الفاعِل، إذ لا تعقل الصفة قبل الموصوف، و قد نطلق على هذا أعني القيامَ الثالث القِيام الركني بمعنى أن الانكسار في الحقيقة مادته من نفس الكسر من حَيْثُ هُوَ هو لا من حيث فعل الكاسر، و ذلك كقيام السرير بالخشب قياماً ركنيّاً لأن الخشب هو ركنه الأعظم الذي تقوم به، و الركن الثاني الأسفل الأيسر هو الصورة فلَكَ أن تقول أنه تَقوم بالخشب التقومَ الركني و أن تقول أنه تقوّم بالخشب تَقَوّمَ التحقق) شرح العرشية، ج١ ص٣١٤.

٤) قال مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: (الحمد لله الذي لم تسبق له حال حالاً فيكون أولاً قبل أن يكون آخراً ويكون ظاهراً قبل أن يكون باطناً) بحار الأنوار، ج٤ ص٣٠٨ ب٤ ح٣٧.

وخلقه)[١]، وقول الصادق عليه السلام: **(حق وخلق، لا ثالث بينهما، ولا ثالث غيرهما)**[٢]، فهو دائم باق في عالم الخلق لا ينقطع أبداً ولا يخرج منه إلى الحق أبداً؛ **(رجع من الوصف إلى الوصف، ودام الملك في الملك)**[٣]، فكل شيء في رتبته بحسبه فيض وجوهر يقوم به شيء آخر، ومفاض عليه يتقوم بما هو فوقه بذاته أو بشعاعه إلى أن ينتهي إلى الحقيقة المحمدية صلى الله عليه وآله فتقوم الأشياء جميعاً فيضاً كان أو مفاضاً عليه، مدداً كان أو ممداً بفاضلها وشعاعها بواسطة أو وسائط، وهي تنتهي إلى فعله و إحداثه سبحانه، أحدثها بغير واسطة شيء، ولا من شيء، ولا لشيء، وهي تنطبق وتساويه وتحاويه من غير زيادة ولا نقصان، إلا أنها عبده وخلقه رتقها وفتقها بيده بدءها منه وعودها إليه[٤]؛ **(انتهى المخلوق إلى مثله، وألجأه الطلب إلى شكله)**[٥].

---

١) قال الإمام الرضا عليه السلام: (إنما هو الله عز وجل وخلقه لا ثالث بينهما ولا ثالث غيرهما) عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج٢ ص١٥٦.

٢) لم أجدها بنصها والذي وجدت هو قول الإمام الرضا عليه السلام: (إنما هو الله عز وجل وخلقه لا ثالث بينهما ولا ثالث غيرهما) عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج٢ ص١٥٦.

٣) الخطبة المعروفة بالدرة اليتيمة، كتاب ملحق نهج البلاغة لأحمد بن يحيى بن ناقة الكوفي، ص٣٨.

٤) إشارة إلى الزيارة الرجبية الصادرة من الناحية المقدسة عجل الله فرجه، والتي جاء فيها (وَمَقَامَاتِكَ، الَّتِي لا تَعْطِيلَ لَهَا فِي كُلِّ مَكَانٍ، يَعْرِفُكَ بِهَا مَنْ عَرَفَكَ، لا فَرْقَ بَيْنَكَ وبَيْنَهَا إِلّا أَنَّهُم عِبَادُكَ وَخَلْقُكَ، فَتْقُهَا وَرَتْقُهَا بِيَدِكَ، بَدْؤهَا مِنْكَ وَعَوْدُهَا إِلَيْكَ) مصباح المتهجد ص٨٠٣. إقبال الأعمال ج٣ ص٢١٤.

٥) جزء من الخطبة المعروفة بالدرة اليتيمة، تقدم تخريج المصدر.

وليس وراءه إلا الذات وحده، لا وقت، ولا قبل، ولا بعد، ولا فيض، ولا شيء حتى يقال يلزمه تعطيل الفيض، إذ الذات سبحانه لا يجوز أن يكون فيضاً لما يلزمه أن يكون مُفاضاً عليه؛ لما يجب بينهما من وجود المناسبة والاتحاد في الرتبة، فيلزمه تكثّر الجهات وتعدد النسب والحيثيات [من] المقارنة والاجتماع والاتحاد اللازمة للحدوث والفقر الممتنع من الأزل.

فتبين من ذلك أن الفيض خَلْقُه وصنعه ولا تعطيل له من بدء الخلق إلى ما لا نهاية له في الإمكان، والواسطة والسبيل في ذلك كله هي الحقيقة المحمدية صلى الله عليه وآله بالله.

فلما تناهت سلسلة الإمكان والحدوث فلا شيء حتى يكون فيضاً أو ما يفاض به أو عليه فلا يصدق إذاً تعطيل، والواجب منزه عن جميع ما يجوز في الإمكان ويصح له، بل هو الله الأحد الصمد[1].

فإذاً لا محذور في كون الحقيقة [المحمدية] واسطة في إيصال جميع الفيوضات؛ [و] لا [يلزم منه] تعدد القدماء -لكونها حادثة؛ عبداً مُكرماً استخلصه في القِدَم على سائر الأمم، وجعله السبب الأقوم، والسبيل

---

[1] قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ۝ اللهُ الصَّمَدُ﴾ التوحيد، ١-٢.

الأعظم[١] في إيصال الفيوضات في ذرات الكائنات، به فتح الله وبه يختم[٢]-، ولا تعطيل للفيض إذ به فتح الفيض وما يفاض عليه والإفاضة، وهو مستمر باقٍ لا يتناهى في الإمكان ولا ينقطع أبداً، وقبله موجده وهو الأزل تعالى عن الفيض والإفاضة إذ هما من صفات الأفعال، فمن يزعم أن الله لم يزل فياضاً فليس بموحد، كمن يزعم أنه لم يزل شائياً مريداً[٣]، إذ الإفاضة والفياضة والمشيئة والإرادة من صفات الأفعال، فيصح[٤] أن يقال أفاض ولم يفض، كما يصح شاء ولم يشأ، فافهم.

[١] وردت الكثير من الروايات الشريفة في هذا المعنى ومنها ما في الزيارة الجامعة الكبيرة: (أنتم السبيل الأعظم والصراط الأقوم) من لا يحضره الفقيه، ج٢ ص٦١١.

[٢] ورد في الزيارة الجامعة الكبيرة: (بكم فتح الله وبكم يختم) المصدر السابق.

[٣] عن سليمان بن جعفر الجعفري قال: قال الرضا عليه السلام (المشيئة والإرادة من صفات الأفعال فمن زعم أن الله عز وجل لم يزل مريداً شائياً فليس بموحد) بحار الأنوار، ج٤ ص ١٤٥ ب٤.

[٤] في المخطوطة: يصح.

[مناقشة الأمثلة المضروبة للحقيقة المحمدية]

قال: **والذي مثّلوا به في المقام من أنها كالشمس وشعاعها، وكالسراج وأشعته، لا ينطبق [على] المطلوب، إذ الشمس إفاضتها للشعاع دائمة لا تنقطع، والشعاع يتجدد بتجدد الفيض والمدد، فإذاً لا تكون حقيقة واحدة بل تتعدد. بينوا آجركم الله بحيث لا يبقى لأحد شك ولا شبهة فإنها من أهم المطالب وأعظم المسائل، والسلام.**

أقول: إن أرادوا بالتمثيل أن الحقيقة من الله سبحانه كالشعاع من الشمس فهذا باطل لوجوه:

الأول: أنه سبحانه لا يدخل تحت الأمثال، إذ هو الذي أحدث الأمثال، وأوقع بينها المماثلة، فبمماثلته بين الأشياء عرف أن لا مثل له، وبمضادته بينها عرف أن لا ضد له، وبمقارنته عرف أن لا قرين له[1]، تعالى عن ضرب الأمثال له والصفات المخوقة علواً كبيراً.

الثاني: أنه يلزم أن يكون الذات عز وجل مصدراً يصدر عنه شيء، فيلزمه المناسبة والارتباط وتغير الحالتين؛ حالة قبل صدوره وحالة بعده، والافتراق

[1] قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: (بتشعيره المشاعر عرف أن لا مشعر له، وبمضادته بين الأمور عرف أن لا ضد له وبمقارنته بين الأشياء عرف أن لا قرين له) نهج البلاغة، ج٢ ص١٢٠.

والاقتران، ولا شك أن ذلك كله من صفات الحوادث لا تجوز على القديم سبحانه.

الثالث: أن قوماً ذهبوا إلى أنه سبحانه فاعل بالإيجاب لا بقصد منه وإرادة، ويمثلون بالشمس أنها موجدة للأشعة وفاعلة لها إيجاباً وليس لها أن لا توجدها[1]، وآخرون يقولون بأنه فاعل بالاختيار إلا أنه ليس اختياره بمعنى إن شاء فعل وإن شاء ترك؛ بل بمعنى إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل، ليس له في ما فعل أن لا يفعله، وفيما لم يفعل أن يفعله، فيكون الاختيار منه تابعاً لمشيئته وهي أحدية التعلق لا تتعلق إلا بأحد الطرفين من الفعل والترك، [و] لا يجوز له فعل ما ترك ولا ترك ما فعل، ويتمثلون بالشمس في إيجاد أشعتها؛ فكما لا يمكن لها أن لا توجدها فكذلك الحق لا يجوز تعدد تعلق إحداثه .

وأنت خبير بأن ذلك جميعاً خارج عن جادة الحق والدين، مخالف عن طريقة سيد المرسلين صلوات الله عليه وآله أجمعين، ونقص في شأن الواجب عز وجل لا يقبله من يعقل.

نعم لو أريد بالتمثيل أن الحقيقة شعاع صدر من فعله سبحانه وقام به قيام صدور فالشمس مثال للفعل دون الذات **(إنما تحد الأدوات أنفسها، وتشير**

---

[1] في المخطوطة: يوجدها.

الآلات إلى نظائرها)[١]، **(انتهى المخلوق إلى مثله، وألجأه الطلب إلى شكله)**[٢] لكان صحيحاً سالماً عما مَرَّ من المفاسد، إذ لا بأس بورود ما كان هناك يرد من المماثلة للذات سبحانه، وكونها مصدراً يستلزم الافتراق والاجتماع وغيرها مما ذكر، إذ الشمس إنما تكون مثالاً وآيةً لفعله تعالى ودليلاً له تنتهي إليه كما بدأت منه، وهو قوله عليه السلام: **(علة ما صنع صنعه وهو لا علة له)**[٣]، وهو المخلوق [الذي] ينتهي إليه سائر الخلق عوداً واستمداداً، إذ كان هو المبدأ إيجاداً وإمداداً.

فالفعل وما عنه صدر [يجمعهما] وصف المخلوقية فيتماثلان في ذلك وهو قوله عليه السلام: **(انتهى المخلوق إلى مثله)** و **(دام الملك في الملك)**[٤] إلا أن الفعل مخلوق بنفسه والأشياء مخلوقة به؛ كما قال الصادق عليه السلام: **(خلق الله المشيئة بنفسها، وخلق الأشياء بالمشيئة)**[٥]، فلأجل ذلك لا محذور في كونه مصدراً للأشياء وتقوم به قيام صدور، وإن كان يلزمه اختلاف الحالتين وغيره مما ذكر إذ هذه من صفات الخلق والفعل من جملته قد اتصف بها.

---

[١]) الاحتجاج، ج١ ص٣٠٥.

[٢]) تقدم تخريجه.

[٣]) جزء من الخطبة اليتيمية لأمير المؤمنين عليه السلام. تقدم تخريج المصدر.

[٤]) تقدم تخريجه.

[٥]) الكافي، ج١ ص١١٠، باب الإرادة وأنها من صفات الفعل.

نعم لا يجوز للفعل أن تكون الأشياء تصدر عنه إلجاءً واضطراراً، إذ الاختيار في سائر الخلق أثر لاختياره وآية له، كما أن الشيء أثره وآيته فكما أن الاختيار في الأثر تام قابل للطرفين إن شاء فعل وإن شاء ترك فهو في علته أقوى وأتم؛ **﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾**[1].

واختيار الفعل أثر اختيار الله سبحانه ودليل عليه، فكلما ترى في العالم من قدرة واختيار فهو أثر اختياره وقدرته خَلَقه وجعله آيةً ودليلاً عليه **(صفة استدلال عليه لا صفة تكشف عنه)**[2] [فـ]تبصر وأتقن.

ثم لو أريد من التمثيل بالسراج والشمس أن الحقيقة صلى الله عليه وآله سراج للعالم وأهله وشمسه وهما منها كالأشعة من الشمس والسراج فهذا مما يشهد به العقل والنقل صريحاً من قوله عز من قائل: **﴿وَدَاعِياً إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً﴾**[3]، وقوله: **﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾**[4]، وقول أمير المؤمنين عليه السلام فيما رواه طارق بن شهاب في وصف الإمام عليه السلام: **(الإمام هو السراج الوهاج، والسبيل والمنهاج، والبحر العجاج، والماء الثجاج)**، وفي موضع آخر منه: **(الإمام هو الشمس الطالعة على العباد بالأنوار**

---

[1] يس: ٨٢.

[2] جزء من الخطبة اليتيمية لأمير المؤمنين عليه السلام.

[3] الأحزاب، ٤٦.

[4] النور، ٣٥.

فلا تناله الأيدي والأبصار)، وفي آخر منه: **(وشمس مشرقة في قلوب العارفين)**[1] انتهى.

فعلى هذا يطابق المطلوب والمدعى من كون الحقيقة شيئاً واحداً من غير تعدد ولا تكثر تصدر به ومنه جميع ما أراد الله من أحكام العباد [في] المبدأ والمعاد بحذافيرها مع ما هو عليه من الاختلاف والكثرات كما أن الشمس مع وحدتها تراها تصدر منها الأشعة الغير المتناهية وتقوم بها وتستمد منها دائماً بلا انقطاع ولا زوال، والسراج يفيض دائماً لأشعته بإضاءته ويمدها ويقومها وهي تستمد منه على الاستدامة، وكل جزء منها مع دوام الاستمداد والمدد باقٍ على حال وحدته لا يتعدد، كما أن السراج أبداً في كل وقت يحتاج إلى مدد

---

[1] حديث طارق بن شهاب عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام من الأحاديث النورانية المهمة والتي تعطي المؤمن الموالي زخماً معرفياً حول مقامات المعصومين عليهم السلام، وهو حديث طويل مما جاء فيه قوله عليه السلام: (فالإمام هو السراج الوهاج، والسبيل والمنهاج، والماء الثجاج،... والسحاب الهاطل، والغيث الهامل، والبدر الكامل، والدليل الفاضل، ... فهم الجنب العلي، والوجه الرضي، والمنهل الروي، والصراط السوي، الوسيلة إلى الله، والوصلة إلى عفوه ورضاه، سر الواحد والأحد، فلا يقاس بهم من الخلق أحد، فهم خاصة الله وخالصته، وسر الديان وكلمته، وباب الإيمان وكعبته، وحجة الله ومحجته،... وقدرة الرب ومشيئته، وأم الكتاب وخاتمته، وفصل الخطاب ودلالته) إلى آخر الرواية الشريفة، راجع كتاب مشارق أنوار اليقين للشيخ البرسي قدس سره، ص ٢٠٤-٢٠٩، بحار الأنوار، ج٢٥ ص١٧١، باب جامع في صفات الإمام وشرائط الإمامة.

جديد وهو يجري عليه بغير انقطاع، والسراج سراج كما كان لا يتعدد ولا يتكثر بطول الإمداد واستمرار المدد.

والسر في ذلك أن المدد مع دوامه وعدم انقطاعه ليس بحيث يجري كالنهر الجاري في كل آن يتجدد ويذهب ما كان فيه ولا يعود، بل يتبدل وينتقل[١]، [فلو] كان كل ثانٍ غير الأول، فإذاً يلزمه التعدد والتكثر المستلزم اختلاف الحكم اللازم عليه قبح التكليف، المستلزم بطلان الثواب والعقاب والجنة والنار وإرسال الرسل وإنزال الصحف والكتب، المستلزم قبح الإيجاد، فيلزمه نفي الإيجاد والوجود، وهو خلاف الواقع الموجود، بل المدد فائض على الدوام والاستمرار كالنهر المستدير يمد الشيء بما له ويعود إليه ما ذهب منه بطور ألطف وأعلى.

فالذاهب منه ما كان له والعائد إليه هو ما ذهب منه يذهب ويرجع، فالشيء هو هو لا يتكثر ولا يتعدد بدوام المدد، هو المطيع أو العاصي فيثاب أو يعاقب، هو الجاني فيقتص منه أو يؤخذ [منه] الدية، وهو السارق فيضمن ويحد، وهكذا سائر الأحكام فإنها تتعلق به ولو طال الوقت بخلاف ما لو قيل

---

١) للزيادة حول هذه المسألة بالامكان المراجعة إلى ما كتبه استاذ المصنف آية الله المعظم المولى الميرزا حسن الشهير بكوهر في كتابه القيم مخازن جواهر أسرار التنزيل، المخزن السادس.

بتجدد الشيء وتعدده لطول الإفاضة والمدد كالنهر الجاري المستطيل فإنه يستلزم بطلان جميع ذلك كما ذكرنا.

فالشيء لا يستغني من المدد ولو آناً ما، إذ لو جاز ذلك لجاز استغناؤه عنه أبداً فإذاً يخرج عن الإمكان، وهذا بطلانه غني عن البيان.

وكل شيء مدده من سنخه ورتبته على حسب استعداده وقبوله باختياره، فما ترى من التكاليف الشرعية من العقائد والأخلاق والأحكام الظاهرية كلها إنما جعلها تتميماً للقابلية، وأشباحاً جاذبة للأرواح الوجودية، ورابطةً بين القابليات ومقبولاتها، وباباً للإمدادات الكونية، **﴿لَيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى ۞ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾**[١] **﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾**[٢] **﴿وَلا تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾**[٣].

كلما يجد المكلف من رخاء وشدة وضيق وسعة وسقم وعافية وغيرها من الأحوال الدنيوية والبرزخية والأخروية كلها منه إليه **﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾**[٤]، **﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾**[٥]، **﴿بَلْ أَتَيْنَاهُمْ**

---

[١]) النجم، ٣٩-٤٠.

[٢]) الأنعام، ١٣٩.

[٣]) يس، ٥٤.

[٤]) البقرة، ٢٨٦.

[٥]) الإسراء، ٧.

بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾[١]، **﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ۞ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ۞ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۞ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ۞ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ۞ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ۞ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾**[٢].

فإذا نظرت إلى الآيات والأخبار بعين التحقيق والبصيرة رأيتها ظاهرة فيما ذكر من غير شبهة فيها ولا ستر، وهاتان الكلمتان من قوله سبحانه **﴿لِلْيُسْرَى﴾** و **﴿لِلْعُسْرَى﴾** شاملتان لجميع ما ذكر من أحوال العوالم الثلاثة؛ إذ اللام فيهما للجنس والجميع دائر بين الأمرين من اليسر والعسر . جعلنا الله وإياك ممن يجعل عاقبة أمره يسراً خيراً.

تم بالخير بيد ممليه عصر سلخ شهر شوال المكرم من شهور سنة ثمانين بعد الألف والمائتين حامداً مصلياً مستغفراً، ١٢٨٠هـ.

كتبه أقل الخليقة، بل لا شيء في الحقيقة الفقير المسكين، تراب أقدام الميرزا المرحوم أعلى الله مقامه ورفع في الخلد أعلامه والمؤمنين، الواثق برب الولي محمد سليل المرحوم عباس علي التبريزي غفر الله له ولوالديه.

---

[١] المؤمنون، ٧١.

[٢] الليل، ٤-١٠.

(٧)

الرسالة السابعة

رسالة في جواب السيد خليل بن علوي آل عبد الرؤوف البحراني

[تمهيد]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة على سيد الأنبياء محمد وآله الطاهرين.

أمـا بعد؛ فيقول العبد الأثيم الفقير محمد باقر بن محمد سليم التبريزي الأسكوئي القراجه داغي: أنّه قد وردت إليّ مسائل من السيد الأجل، العارف، النبيل، ذي الشأن الجليل، جناب الحاج سيد خليل بن علوي آل عبد الرؤوف البحراني[1] -عامله الله بلطفه الجميل- أراد جوابها، فامتثلتُ وسارعتُ إليه، على ما أنا عليه من تشتت البال واختلال الأحوال، آتياً[2] بالميسور إذ كان لا يسقط بالمعسور وإلى الله عاقبة الأمور.

---

[1]) ترجم له الحاج محمد علي التاجر في كتابه منتظم الدرين ترجمة جاء فيها: (ذو الشرف الأصيل، والنسب النبيل، والفضل الجليل، السيد خليل ابن السيد علوي ابن السيد هاشم آل السيد عبد الرؤوف الحسيني الجد حفصي البحراني المتوفى نحو سنة ١٣٠٠ ونيف، كان أديباً شاعراً نحوياً عروضياً، له ديوان شعر يقع في أربعة آلاف بيت في المديح والرثاء والهجاء والغزل والنسيب وأغراض شتى، وجل مديحه ورثائه في أهل البيت عليهم السلام ... كما أن له قدرة وإبداعاً في صياغة البنود التي تفرد بتعاطيها وممارستها بعض الأدباء من المتأخرين الذين لا يبلغون عد الأصابع وهي فن جميل من فنون النظم المستقل بخصائصه) منتظم الدرين، ج٢ ص٢٠.

[2]) في نسخة (أ): أتيت.

[المسألة الأولى: الإجماع أقسامه وحجيته]

قال سلمه الله: **ما يقول شيخنا في الإجماع السكوتي[1] والإجماع اللازم وما الفرق بينهما؟**

أقول: الإجماع هو الاتفاق من المؤمنين على أمر؛ الكاشف عن دخول الإمام عليه السلام فيهم قولاً أو فعلاً أو تقريراً، بحيث لا يشك في دخوله، فلذلك هو الحجة، لا مطلق الاتفاق كما يقوله العامة، والذي لا يقول بحجيته من الخاصة كبعض من أهل الأخبار ليست مخالفته للآخر إلا في عدم تحقق موضوعه، والعلم به[2] وهو الاتفاق الكاشف عن الدخول، فيقول كيف يمكن استعلام حالهم وفاقاً أم خلافاً ومنهم من لا يعرف شخصاً أو مكاناً، ومنهم من لا يعرف له قول ولا كتاب، ومنهم من لا يمكن الوصول إليه وإلى كتابه لبعده، فكيف يعرف الاتفاق حتى يتبين دخوله عليه السلام؟

وهذه شبهة واهية عند التحقيق، لا يشك في وقوعه من له ممارسة في أخذ الأحكام من أدلتها بضرس قاطع، إذ يرى أن أكثرها لا تتم إلا بالإجماع ولو في

---

[1]) يعرفه صاحب المعجم الأصولي: (حينما يفتي جماعة من الفقهاء بأمر فيطلع سائر الفقهاء على تلك الفتوى فلا يعلقون عليها بالنفي أو الإيجاب فإن ذلك يعبر عن قبولهم لمضمونها وهذا هو ما يسمى الإجماع السكوتي) المعجم الأصولي، ج١ ص٥٣.

[2]) لا توجد في نسخة (ب).

بعض الشروط والأسباب والأركان، والطاعن فيه تراه أحياناً يضطر إليه ولا يجد مفراً إلا إليه.

فالإجماع أنواع؛ نوعان لا خلاف في حجيته، والتدين به ضرورة الإسلام وضرورة المذهب، وسائر الأنواع من الإجماع المركب[1] والبسيط[2] [و] المحصل[3] عموماً وخصوصاً والمحكي والإجماع السكوتي لكل منها عند قائلي حجيته شروط في تحققه والعمل به.

والأولان منها لا خلاف في اعتبارهما ممن يقول به، والثلاثة الأخيرة كثرت فيها الأقوال بين نفي وإثبات وتفصيل، أما الأخير وهو السكوتي، والثالث وهو الإجماع البسيط المحصل اللذان هما محل السؤال فكلاهما حجتان عندنا بعد ما تحققا وتبينا.

---

[1]) هو اتفاق آراء العلماء على رأي بحيث يكون الاتفاق مستفاداً من المدلول الإلتزامي للآراء المختلفة لهؤلاء العلماء على أن يكون هذا اللازم ناشئاً عن تبني كل واحد لرأيه بمعنى أنه لو لم يكن كل واحد متبنياً للرأي المعين لكان من الممكن أن لا يبني على اللازم. المعجم الأصولي، ج١ ص٥٨.

[2]) الإجماع البسيط: وهو اتفاق آراء العلماء على رأي بحيث تتم استفادة هذا الاتفاق بواسطة المدلول المطابقي لقول كل واحد منهم، ولا يختلف الحال في صدق الاجماع البسيط بين اتفاقهم على الاثبات أو النفي. المعجم الأصولي، ج١ ص٤٩.

[3]) الإجماع المحصل: وهو الإجماع المحرز وجداناً والذي ينشأ عن تتبع الفقيه لآراء العلماء في مسألة من المسائل والوقوف بعد ذلك على اتفاقهم عليها. المعجم الأصولي، ج١ ص٥٧.

ولما كان المدار في حجية الإجماع مطلقاً [أن يكون كاشفاً عن قول الإمام](١) عليه السلام، وطرقه ليست واحدة بل مختلفة بحسب اختلاف(٢) الأنواع غير الأولين، ففي الإجماع البسيط المحقق العام، فمن مارس العلماء وتسامع منهم مسألة أو طالع كتبهم في تلك المسألة فرآهم على قول واحد مع كثرتهم واختلاف طرق مذاقاتهم يقطع أن هذا القول قول متبوعهم الذي هو مرجعهم، وإن كان لم يدرك منهم ومن كتبهم الجميع بل الأكثر، [بل لو كان فيهم رأي](٣) من يخالفهم وهو معلوم النسب لم يتزلزل في اعتقاده أنه قول رئيسهم عليه السلام، وهذا الإجماع لمحصله لازم الاتباع بحيث لو رأى رواية معتبرة تخالفه فهو مُقدم عليها، ولو أمكن من الحمل يحملها عليه من غير عكس.

وأما الإجماع السكوتي فهو ما يحصل فيه العلم بقول الإمام عليه السلام من طريق السكوت؛ بأن يفتي عالم بفتوى هي في مرأى ومسمع من سائر العلماء فسكتوا وما تعرضوا لها بردها ولا بفتوى على خلافها، فلو[كانت هذه](٤) الفتوى زيادة في الدين أو نقيصة لوجب على الحجة عليه السلام أن

(١) في (ب): الكشف عن قول الإمام.

(٢) لم ترد في (ب).

(٣) في (ب): بل لو كان رأى فيهم.

(٤) في المخطوطتين: كان هذا.

يردهم إلى محجة الحق أو يتم نقيصتهم لقوله عليه السلام: **(لا تخلو الأرض من حجة كيما إن زاد المؤمنون ردهم وإن نقصوا أتمه لهم)**[1].

وهذه القاعدة جارية في جميع أنواع الإجماع، قالعة لمادة التشاجر والنزاع، ولو في الإجماع المشهوري الذي قد كثر فيه [القيل والقال][2] لكن حجيته بشروطه لا ينبغي أن يتوقف فيها، كيف ورواية ابن حنظلة صريحة فيها، وهو قوله عليه السلام: **(خذ ما اشتهر بين أصحابك واترك الشاذ النادر فإن المجمع عليه لا ريب فيه)**[3].

[1] الكافي، ج١ ص١٧٨، باب أن الأرض لا تخلو من حجة.

[2] في (ب): القال والقيل.

[3] راجع نص الرواية في البحار، ج٢ ص ٢٤٥.

[المسألة الثانية: الواجب التخييري والكفائي]

قال سلمه الله: **وما الفرق بين واجب الاختيار وواجب الشرط؟ وما معناهما؟**

أقول: الظاهر أن مراده منهما الواجب التخييري والواجب الكفائي، وهو لبعده عن مخالطة العلماء [وقلة حضوره في مجالس بحثهم][1] غاب عن خاطره ألفاظ ما يسأل عنه المعروفة بينهم فعبر عما في ذهنه من الإجمال بما يفيد المطلب[2] ولو على اللغة، فنقول:

أن الواجب التخييري: ما تكثر وتعدد فيه المكلف به، والمكلف معين خُيِّر في إتيان أحد الشيئين أو الأشياء بأيهما عمل خرج من عهدة التكليف.

والواجب الكفائي: ما تعدد فيه المكلف والمراد من التكليف فيه حصول المأمور به في الخارج، كأحكام الميت من الغسل والكفن والصلاة والدفن، من أي واحد من المكلفين حصل يسقط عن الآخرين والعامل يكفي عن التارك مؤونة التكليف، وكل من المخاطبين في تركه يعاقب إن لم يقم به أحد منهم وإلا فلا عقاب، وهذان بخلاف الواجب العيني فإن المكلف والمكلف به فيه واحد لا تعدد فيه أصلاً.

---

[1] في (ب): وأن يحضر في مجالس بحثهم.

[2] لم ترد في (أ).

[المسألة الثالثة: سر طهارة ابن الزنا بعد سبعة آباء]

قال: **وما العلة أن ابن الزنا لا ينجب إلا بعد سبعة أبطن**[1]**؟**

أقول: الوارد في الرواية [أن] ولد الزنا لا يطهر إلى سبعة آباء[2]؛ سره وعلته: أن الطهارة والنجابة مثل سائر الكمالات المقصودة من خلقة الخلق لا تتحقق إلا بموافقة رضا الله ومحبته، ولا تحصل إلا بما شرع لهم من دينه وسنته، والمقصود بالذات من الخلقة هو الإنسان وهو قوله سبحانه: **(يا بن آدم خلقتك لأجلي؛ وخلقت الأشياء لأجلك، ولا تضيع ما خلقته لأجلي فيما خلقته لأجلك)**[3] هي.

وكل شيء له باطن وظاهر لا يتم أحدهما إلا بالآخر، والإنسان باطنه عقله ونفسه اللذان بهما قوامه وتعينه عما سواه، وظاهره جسده وبدنه من نطفة وعلقة ومضغة وعظم ولحم، فإذا انعقدت نطفته على خلاف محبة الله ورضاه ووضعت لا على شريعة نبيه صلى الله عليه وآله ولا على طريقة وليه صلوات

[1] في المخطوطة (ب) هذا السؤال هو السؤال الخامس.

[2] وردت في هذا المجال عدة روايات منها قول الإمام الصادق عليه السلام: (لا تغتسل من البئر التي تجتمع فيها غسالة الحمام فإن فيها غسالة ولد الزنا وهو لا يطهر إلى سبعة آباء) الكافي ج٣ ص١٤، باب ماء الحمام.

[3] لم أجد الرواية كاملة وإنما صدر الحديث فقط وهو: (عبدي خلقت الأشياء لأجلك، وخلقتك لأجلي) الجواهر السنية، ص٣٦١.

الله عليه وآله قصرت عن رتبة من حاز مراتب الموافقة كمالاً بجميع مراتبه، ونقصت عن حد النجابة بطيب الولادة بحيث ما تكون به في غيبه وشهادته من السبعة المذكورة، وتلك الخباثة والنجاسة المعنوية تمنعها عن سلوك طريق الرشاد في الأعمال والأحوال والاعتقاد منعاً لا يبلغ به حد الإلجاء ولا يخرجه عن سعة الاختيار إلى مضيق الاضطرار، مثله كمثل من اشتد[١] عليه العطش وأحضر لديه الماء بلا مانع يمنعه فإنه يختار شربه على تركه المقدور عليه المختار فيه وذلك لقوة مقتضى الشرب وهو شدة العطش وضعف ما يقتضي تركه، وكذلك ولد الزنا في اختيار الضلالة على الهدى ولو ختم بخير بما سبقت إليه العناية من الرحمن لا يدخل الجنة بل يدخل الطبقة السابعة السفلى من الحظائر، وإنما النجاسة كونه ووجوده لا يطهر في مراتب وجوده السبعة المذكورة إلا بجريانه على نهج الموافقة لرضا الله ومحبته إلى سبعة أظهر بأن يتكون في انعقاد وجوده بعقد صحيح، فمن يولد من ولد الزنا بنكاح فيه رضا الله يطهر منه مرتبة ويصعد في الحظائر طبقة، وفي ولد ولده يطهر مرتبتان ويترقى في الصعود درجتين، وهكذا في كل ظهر يزيد طهارة بماء الموافقة لمحبة الله يزيد درجة يرتقيها بقدم قلة ما يمنعه من ثقل الكثافة إلى أن يصل ظهر السابع وهو الأب السابع آخر من تعدى إليه من كثافة النجاسة الزنا، إن وفق بالسعادة

---

١) في النسخة (أ): اشتدت.

وختم بخير يسكن في أعلى طبقات الحظائر، ثم ينجب ولده بمن من الله عليه ويسكن في الجنان إن مات بالإيمان كسائر النجباء من أفراد الإنسان في أي درجة منها يجزى[1] بعمله، فتبصر.

---

(١) في المخطوطتين: تجزى.

[المسألة الرابعة: شرح الرواية الشريفة: (لا تحيط به الأوهام كما لا تحيط به العقول، بل تجلى لها بها، وبها امتنع عنها، وإليها حاكمها)]

قال: **وما معنى كلام الإمام عليه السلام في قوله: (لا تحيط به الأوهام، بل تجلى لها بها، وبها امتنع عنها)[١]؟**

أقول: عبارة الإمام عليه السلام كما وردت هي هكذا: **(لا تحيط به الأوهام كما لا تحيط به العقول، بل تجلى لها بها، وبها امتنع عنها، وإليها حاكمها)**[٢].

ومعناها من حيث أنها مما نشأت عن العقل الكل -وورد أن الكلام دليل عقل المتكلم- لا تحيط به العقول الجزئية وأوهام الناس القاصرة وأين الثريا من يد المتناول.

نعم من أنس كلمات أهل العصمة، ومارس فيها مستنيراً بنور ما فيها من الحكمة، ظهر له منها من مرادهم على قدر صفاء باطنه، وحسب مقابلة مرآة عقله بما أشرق من عقلهم عليهم السلام من الاستقامة والدوام من غير

---

[١] ترتيب هذا السؤال في المخطوطة (ب) هو السابع.

[٢] الاحتجاج، ج١ ص ٣٠٥.

اضطراب ولا انحراف، ويصل إليه بعض وجوه ما أرادوا عليهم السلام من كلماتهم من سبعين وجهاً[١]، فنقول:

قوله عليه السلام: **(لا تحيط به الأوهام، كما لا تحيط به العقول)**:

بيان لقوله سبحانه: **﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾**[٢]، وذلك أن الأبصار يراد منها جميع المدارك الظاهرة والباطنة من عقل فما دونه، وما فوقه وهو الفؤاد[٣].

فالأوهام في قوله عليه السلام: **(لا تحيط به الأوهام، كما لا تحيط به العقول)**، إن كانت يراد منها الأفئدة فـ(كاف) **(كما لا تحيط)** تكون للتشبيه؛ يعني أن الأفئدة والعقول في عدم إدراكه سبحانه على حد سواء، فلا يحيط به

---

١) ورد في هذا المعنى روايات كثيرة، وقد عقد الصفار قدس الله نفسه في بصائر الدرجات باباً في أن الأئمة يتكلمون على سبعين وجهاً كلها المخرج ويفتون بذلك، ومنها ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: (إني لأتكلم على سبعين وجهاً لي في كلها المخرج) بصائر الدرجات، ب٩ ص٣٤٨ .

٢) الأنعام، ١٠٣.

٣) عن أبي هاشم الجعفري، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: سألته عن الله هل يوصف؟ فقال: (أما تقرأ القرآن؟ قلت: بلى. قال: أما تقرأ قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ قلت: بلى. قال: تعرفون الأبصار؟ قلت: بلى. قال: ما هي؟ قلت: أبصار العيون. فقال: إن أوهام القلوب أكبر من أبصار العيون، فهو لا تدركه الأوهام وهو يدرك الأوهام) تفسير البرهان، ج٤ ص١٥ تفسير سورة الأنعام.

فؤاد أحد من الخلق ولو كان أفضلهم خاتم النبيين وآله صلوات الله عليهم أجمعين فكيف لعقولهم فما دونها.

ولو أريد منها ما دون العقول من باطن المشاعر فـ(الكاف) فيه للتعليل، من قبيل قوله عليه السلام: **(اللهم صلِّ على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم)**[1]. يعني أن مشعراً من المشاعر لا يدركه إحاطة، إذ العقل أعلاها فهو لا يدركه فكيف بغيره عن ذلك.

فقوله عليه السلام: **(بل تجلى لها بها)**، استدراك لما يستفاد من سابقه من امتناع معرفته، لامتناع الإحاطة به، إذ المعرفة فرع الإحاطة، فاستدرك فقال بل المعرفة المقصودة من الخلقة والغاية كما في قوله سبحانه: **(كنت كنزاً مخفياً فأحببتُ أن أعرف فخلقتُ الخلق لكي أُعرف)**[2]، وكذا في الآية **﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾**[3]؛ أي ليعرفون، وهي بعد امتناع الإدراك والإحاطة لا يمكن إلا بتعريف وتوصيف منه سبحانه نفسه لعباده ليعرفوه كما

---

[1]) وسائل الشيعة، ج٧ ص ١٩٧، باب كيفية الصلاة على محمد وآله عليهم أفضل الصلاة والسلام.

[2]) ورد في كتاب أسرار الإمامة للشيخ عماد الدين الطبرسي -من علماء القرن السابع الهجري- ص ٣٥ ما هذا نصه: (اشتهر بين الرواة أن داود عليه السلام قال في بعض مناجاته: يا إلهي لم خلقت العالم وما فيه؟ قال الحق تعالى: كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف)، ولعل هذا من أقدم المصادر التي خرجت هذا الحديث الشريف، راجع كذلك شرح أصول الكافي، ج١ ص٢٥. رسائل الكركي، ج٣ ص١٥٩.

[3]) الذاريات، ٥٦ .

وصف به نفسه. وذلك التعريف لا يكون إلا ممكناً لما كان للممكن فتجلى سبحانه للأوهام بإحداث الأوهام كما في الخطبة: **(الحمد لله المتجلي لخلقه بخلقه)**[١].

فخلقُهُ للأوهام بعد أن لم تكن [عبارة عن] تجليه لها بأنَّ لها خالقاً مُحْدِثاً فعرّف نفسه ووصف بأنْ أحدثها، فهي بإيجاده لها عُرِفَ أنّ لها مُوجداً، فلولا إيجاده لم توجد فلم يُعرف لما لم يُوصَف، فلمّا وجدت عرفت المُوجِد إذ كان وصف نفسه لها بالإيجاد، وهو لا يظهر للأوهام إلا بوجود الأوهام، فصار التجلي لها بها لا بذات الموجد ولا بنفس الإيجاد، فقوله هذا إثبات لمعرفة الخالق تنزيهاً لفعله عن العبث، وإثبات بأن المعرفة إنما تكون بنفس الأوهام: **(من عرف نفسه فقد عرف ربه)**[٢].

فهذا تنزيه لله سبحانه أن يتجلى بذاته، أو بذات فعله، كما يصفه بالأول طائفة تقول بـ(وحدة الوجود)، وأخرى تصفه بالثاني وتقول بـ(وحدة الموجود)[٣]، تعالى الله عما يصفون علواً كبيراً.

قوله عليه السلام: **(وبها امتنع عنها)**:

---

١) نهج البلاغة ج١ ص ٢٠٦. بحار الأنوار ج٣٤ ص٢٤٠ ب٣٣.

٢) عوالي اللئالي ج٤ ص١٠٢. بحار الأنوار ج٢ ص٣٢ ب٩ ر٢٢.

٣) تقدم في البارقة التاسعة تعليقة حول وحدة الوجود وكلمات علمائنا حولها فراجع.

تنزيه بعد توصيف، لأن توحيده سبحانه حاجز بين البحرين؛ بحر التوصيف الذي شرقه التشبيه، وبحر التنزيه الذي غربه التعطيل، فالتوحيد توصيف يخرجه عن التعطيل، وتنزيه يخرجه عن التشبيه له بشيء من خلقه، وذلك أنّ وصفه سبحانه نفسه لخلقه يطابق الموصوف، فخلق الأوهام تعريفاً لها بأنَّ لها خالقاً خلقها، والأوهام لها وسم العبودية، وذل المخلوقية والإمكان وهو الفقر والفاقة وعدم التذوت والاستقلال في أصل ذاتها وتحققها لا تفارقها.

فإذا نظرت الأوهام إلى نفسها من حيث أنها وصف لمن أوجدها، وأثر لفعله، ونور له، يدل على المنير الموصوف المؤثر عرفت بها ربها.

وإذا نظرت إلى ما هي عليه من صفات الحدوث ذكرت ولم تذكر فيها امتنع ربها منها، إذ كلها موجودة بإجرائه عليها، فلا يجري عليه ما هو أجراه، وهذا معنى قول الرضا عليه السلام: **(ما يمتنع في الخلق يجب في خالقه، وما يجب في الخلق يمتنع في خالقه)**[1]، فتبصر لتصل بالرمز إلى الكنز ولا تغفل.

قوله عليه السلام: **(وإليها حاكمها)**:

---

[1]) ورد في الرواية عن الإمام الرضا عليه السلام: (فكل ما في الخلق لا يوجد في خالقه، وكل ما يمكن فيه يمتنع من صانعه) وهي خطبة طويلة جليلة في التوحيد، راجع كتاب التوحيد، ص٤٠.

إشارة إلى قوله تعالى: **﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾**[1]، وذلك بأنه سبحانه يجعل الأوهام حكماً بينه وبينها، فيقيم الحجة بالآيات البينات فيها عليها، في إثبات كل حق أراده منها من عقائد، وأخلاق، وأحكام، وإبطال كل باطل منها، وهو قوله سبحانه: **﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾**[2]. أي موجود في غيبتك وحضرتك كما في الرواية[3].

فيثبت على الأوهام كل ما أراد منها من فعل كل حسن، وترك كل قبيح، ويلزمها على التكليف به، فهي من حيث أنها حكم بينها وبين ربها يحكم بما هو الواقع من إثبات وإلزام، ثم **﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ ۞ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾**[4]، خذها قصيرة من طويلة وكن من الشاكرين.

---

[1]) الأنعام، ١٤٩.

[2]) فصلت، ٥٣.

[3]) قال الإمام الصادق عليه السلام: (العبودية جوهرةٌ كنهها الربوبية فما فُقد في العبودية وُجد في الربوبية، وما خفي في الربوبية أُصيب في العبودية، وقال الله عز وجل: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ أي موجود في غيبتك وحضرتك) تفسير الصافي، ج٤ ص٣٦٥، سورة فصلت.

[4]) الزلزلة، ٨.

فكلامهم عليهم السلام معصوم الكلام، إذ الكلام دليل عقل المتكلم، فكلامهم عليهم السلام جامع بلا نهاية، يحكي كلام الله المجيد، خذ منه ما شئت لما شئت إن كنت بصيراً، ومانعٌ بلا غاية بحيث لا تجد في منعه عما لا يراد قصوراً.

[المسألة الخامسة: محاذير كلام السيد المرتضى قدس سره]

قال سلمه الله تعالى: **(وما معنى كلام الإمام عليه السلام في قوله: ومعنى الإله المنعم، وليس إلهاً للعرض، والجوهر، لأنهما لا يحتاجان إلى مدد)**[1].

أقول: هذا الكلام ليس من الإمام عليه السلام بل كلام السيد المرتضى علم الهدى[2] -أقال الله عثرته- حيث حذى في ذلك حذو بعض الحكماء أن الأشياء [في وجودها وصدورها][1] تحتاج إلى المدد لا في بقائها.

---

١) هذه هي المسألة الثامنة والأخيرة في النسخة (ب). وجدت عبارة للشيخ الطوسي رحمه الله فيها هذا المعنى، يقول رحمه الله في تفسيره: (الثاني: أن أصله إله فأدخلت عليه الألف واللام ثم خففت الهمزة وأدغمت احدى اللامين في الأخرى فقيل: الله وإله معناه يحق له العبادة، وإنما يحق له العبادة لأنه قادر على خلق الأجسام واحيائها والإنعام عليها بما يستحق به العبادة، ولذلك يوصف فيما لم يزل بأنه إله، ولا يجوز أن يكون إلهاً للأعراض ولا للجوهر لاستحالة أن ينعم عليها بما يستحق به العبادة، وهو إله الأجسام حيوانها وجمادها لأنه قادر على أن ينعم على أن ينعم على كل جسم بما معه العبادة) إلى أن قال: (ومن قال إنه إله للجماد فقد أخطأ لما قلناه من أنه عبارة عمن يستحق العبادة وهو أنه قادر على أصول النعم) تفسير التبيان، ج١ ص٢٧.

٢) هو أبو القاسم علي بن الحسين بن موسى بن محمد، ولد في رجب، من أهم أساتذته الشيخ المفيد، ومن أهم تلامذته الشيخ الطوسي والشيخ الحلبي، له العديد من الكتب والرسائل وأجوبة المسائل منها: تنزيه الأنبياء، والانتصار، والذريعة في أصول الشريعة، توفي لخمس بقين من شهر ربيع الأول سنة ست وثلاثين وأربعمائة. [الكنى والألقاب، ج٢ ص٤٨٠. معجم المؤلفين، ج٧ ص٨١].

وبعض آخر يثبت الاحتياج إلى المدد فيما ثبت فيه التجدد والتبدل بالفعل كالحيوانات والنباتات، وآخر منهم زاد إليهما الجمادات لما زعم فيه من التجدد بالقوة كملا صدرا[٢] وأتباعه، وتبعهم المرتضى في الجوهر الفرد والعرض زعماً منه أنهما بسيطان لا يحتاجان إلى الرزق وإنما يحتاج إليه غيرهما، لتركيبه فلا يبقى مركباً إلا بإنعام المنعم عليه من نعمه.

وكل هذه الأقوال خارجة عن جادة الاعتدال اليمين والشمال مضلة، والطريق الوسطى -أي المعتدلة- هي الجادة، وهو أن ما سوى الله ممكن، وكل ممكن زوج تركيبي، لا يستغني عن المدد في بقائه باعتبار أجزائه، وما بينهما من النسب والربط وباعتبار تركبه ففي كل منها فقير في بقائه كما في إيجاده.

---

[١] لا توجد في المخطوطة (أ).

[٢] تقدمت ترجمته.

[المسألة السادسة: حكم افتضاض البكر]

قال سلمه الله تعالى: **ما الحكم فيمن فض بكراً حرةً ببنانه متعمداً قبل التسع وبعد التسع، وما الحكم في الأمة فضها بالبنان قبل التسع وبعده[١] ؟**

أقول: افتضاض البكارة وإزالتها لا فرق في حكمه بين أن يكون قبل التسع أو بعده إن كان من غير الزوج والسيد، [و] يجب على المفتض للحرة مهر نسائها الأبكار ولسيد الأمة إرش بكارتها؛ وهو التفاوت ما بين قيمتها بكراً و ثيباً، وكذلك لا فرق في الافتضاض وإزالة البكارة ببنان كانت أو غيرها في وجوب المهر كملاً أو الأرش، نعم يتفاوت الحكم في الزوج قبل التسع فتحرم إزالتها بالبنان أو الغشيان، وبعد التسع تحرم إن فضها بغير الغشيان، وفي كل ذلك لا تحرم على الزوج.

---

[١] هذا هو السؤال الثالث في (ب).

[المسألة السابعة: الشبق في الحج]

قـال: وما حكم الشبق[١] في الحج[٢] ؟

أقـول: إن كان يضطر إلى الجماع بحيث [أنه] من تركه يتضرر ويمرض فلا شيء عليه فيكتفي بما يدفع الضرورة، وإن كان شبقه لم يبلغ إلى حد الضرورة أو لم يكتف في دفعها بحدها فحكمه حكم عامد لا عذر له، فيفسد حجه وعليه إتمام عمله وبدنه والحج من قابل إن كان قبل المشعر، وإلا فلا يفسد حجه وعليه بدنه واستئناف الطواف إن كان قبل انتصاف طواف النساء، وإن كان بعده فلا شيء عليه إلا الاستغفار وإتمام الطواف.

---

١) الشبق هو: شدة الميل إلى الجماع. مجمع البحرين، ج٢ ص٤٧٧.

٢) هذا هو السؤال الرابع في النسخة (ب).

[المسألة الثامنة: عدة الممسوخ زوجها]

قال سلمه الله: وما الحكم في إمرأة مسخ زوجها تعتد بأي عدة[1] ؟

أقول: إن مسخ إلى حيوان تعتد عدة الطلاق، وإن مسخ إلى نبات أو جماد تعتد عدة الوفاة

وهذا آخر ما أورد من السؤال، فأوردنا الجواب على الاستعجال لضيق المجال عن بسط المقال والحمد لله أولاً وآخراً.

قد فرغ من كتابته مَمليه، عصر الأربعاء، نصف ثاني الربيع من السنة الثالثة والتسعين بعد الألف والمائتين حامداً مصلياً مستغفراً سنة ١٢٩٣هـ.

[تمت كتابتها على يدي الحقير الفقير تراب أقدام الميرزا أعلى الله مقامه ورفع في الخلد أعلامه وطاب ثراه وجعل الجنة مأواه ...[2]، آمين][3].

---

[1]) السؤال السادس في النسخة (ب).

[2]) كلمة غير واضحة.

[3]) لا توجد في النسخة (أ).

(٨)

الرسالة الثامنة

رسالة في جواب السيد محمد بن السيد ناصر

في شرح الدعاء الوارد عن الإمام الحجة عجل الله فرجه الشريف:

(وَبِمَقَامَاتِكَ، الَّتِي لا تَعْطِيلَ لَهَا فِي كُلِّ مَكَانٍ، يَعْرِفُكَ بِهَا مَنْ عَرَفَكَ، لا فَرْقَ بَيْنَكَ وبَيْنَهَا إِلّا أَنَّهُم عِبَادُكَ وَخَلْقُكَ، فَتْقُهَا وَرَتْقُهَا بِيَدِكَ، بَدْؤهَا مِنْكَ وَعَوْدُهَا إِلَيْكَ).

[تمهيد]

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله حمداً كبيراً كثيراً، والصلاة على نبيه محمد المرسل شاهداً ونذيراً وداعياً إليه بإذنه وسراجاً منيراً، وعلى آله الذين عصمهم الله من الزلل والفتن، وطهرهم من الدنس، وأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

أمـا بعد؛ فيقول العبد الأثيم محمد باقر بن محمد سليم التبريزي -عفى الله عن جرائمهما-: أنه قد سألني السيد الأنجد الأمجد السيد محمد بن المبرور المغمور في رحمة ربه الغافر السيد ناصر -أخذ الله بيمناه إلى ما يتمناه من حبه ورضاه-، وأراد مني البيان وكشف المراد لقول الإمام الحُجّة عجّل الله فرجه و عليه السلام في دعاء خرج عن الناحية المقدسة وهو قوله عليه السلام: **(وَبمَقَامَاتِكَ، الَّتِي لا تَعْطِيلَ لَهَا فِي كُلِّ مَكَانٍ، يَعْرِفُكَ بِهَا مَنْ عَرَفَكَ، لا فَرْقَ بَيْنَكَ وبَيْنَهَا إلّا أنَّهُم عِبَادُكَ وَخَلْقُكَ، فَتْقُهَا وَرَتْقُهَا بِيَدِكَ، بَدْؤهَا مِنْكَ وَعَوْدُهَا إلَيْكَ)**[1] الدعـاء.

---

[1]) روى الشيخ الطوسي رضوان الله عليه في مصباح المتهجد نص هذا التوقيع، وقد نقله عنه السيد ابن طاووس في الإقبال فقال: ومن الدعوات في كلِّ يومٍ من رجب ما رويناه أيضاً عن جدّي أبي جعفر

الطوسي رضي الله عنه، فقال: أخبرني جماعة عن ابن عياش قال: ممّا خرج على يد الشيخ الكبير أبي جعفر محمّد بن عثمان بن سعيد رضي الله عنه من الناحية المقدَّسة، ما حدَّثني به خير بن عبد الله، قال: كتبتُه من التوقيع الخارج إليه:

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم. أُدع في كلّ يومٍ من أيّام رجب:

اللّهُمَّ إنِّي أسْأَلُكَ بِمَعَانِي جَمِيعِ مَا يَدْعُوكَ بِهِ وُلاةُ أمْرِكَ، المَأْمُونُونَ عَلَى سِرِّكَ، المُسْتَبْشِرُونَ بِأمْرِكَ، الواصِفُونَ لِقُدْرَتِكَ، المُعْلِنُونَ لِعَظَمَتِكَ. أَسْأَلُكَ بِمَا نَطَقَ فِيهِم مِنْ مَشِيئَتِكَ، فَجَعَلْتَهُمْ مَعَادِنَ لِكَلِمَاتِكَ، وَأرْكاناً لِتَوْحِيدِكَ، وَآيَاتِكَ وَمَقَامَاتِكَ، الَّتِي لا تَعْطِيلَ لَهَا فِي كُلِّ مَكَانٍ، يَعْرِفُكَ بِهَا مَنْ عَرَفَكَ، لا فَرْقَ بَيْنَكَ وبَيْنَهَا إلّا أَنَّهُم عِبَادُكَ وَخَلْقُكَ، فَتْقُهَا وَرَتْقُهَا بِيَدِكَ، بَدْؤهَا مِنْكَ وَعَوْدُهَا إلَيْكَ، أعْضَادٌ وأشْهَادٌ، وَمُنَاةٌ وَأذْوادٌ، وَحَفَظَةٌ وَرُوَّادٌ، فَبِهِمْ مَلأْتَ سَمَاءَكَ وَأرْضَكَ حَتَّى ظَهَرَ أنْ لا إلهَ إلّا أنْتَ، فَبِذَلِكَ أسْأَلُكَ وَبِمَوَاقِعِ العِزِّ مِنْ رَحْمَتِكَ وبِمَقَامَاتِكَ وعَلامَاتِكَ أنَ تُصَلِّيَ عَلى مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ، وأنْ تَزِيدَنِي إيمَاناً وَتَثْبِيتاً، يَا باطِناً فِي ظُهُورِهِ، ويَا ظاهِراً فِي بُطُونِهِ وَمَكْنُونِهِ، يَا مُفَرِّقاً بَيْنَ النُّورِ والدَّيْجُورِ، يَا مَوْصُوفاً بِغَيْرِ كُنْهٍ، وَمَعْروفاً بِغَيْرِ شِبْهٍ، حَادَّ كُلِّ مَحْدُودٍ، وَشَاهِدَ كُلِّ مَشْهُودٍ، وَمُوجِدَ كُلِّ مَوْجُودٍ، وَمُحْصِيَ كُلِّ مَعْدُودٍ، وَفَاقِدَ كُلِّ مَفْقُودٍ، لَيْسَ دُونَكَ مِنْ مَعْبُودٍ، أهْلَ الكِبْرِيَاءِ وَالجُودِ. يَا مَنْ لا يُكَيَّفُ بِكَيْفٍ، وَلا يُؤَيَّنُ بِأيْنٍ، يَا مُحْتَجِباً عَنْ كُلِّ عَيْنٍ، يَا دَيْمُومُ يَا قَيُّومُ، وعَالِمَ كُلِّ مَعْلُومٍ، صلِّ عَلى عِبَادِكَ المُنْتَجَبِينَ، وَبَشَرِكَ المُحْتَجِبِينَ وَمَلائِكَتِكَ المُقَرَّبِينَ، وبُهْمِ الصَّافِّينَ الحَافِّينَ، وَبَارِكْ لَنَا فِي شَهْرِنَا هَذا المُرَجَّبِ المُكَرَّمِ وَمَا بَعْدَهُ مِنَ الأشْهُرِ الحُرُمِ، وَأسْبِغْ عَلَيْنَا فِيهِ النِّعَمَ، وَأجْزِلْ لنَا فِيهِ القِسَمَ، وأبْرِرْ لنَا فِيهِ القَسَمَ، بِاسْمِكَ الأعْظَمِ الأجَلِّ الأكْرَمِ الَّذي وَضَعْتَهُ عَلى النَّهَارِ فَأضَاءَ وَعَلى اللَّيْلِ فَأظْلَمَ، وَاغْفِرْ لنَا مَا تَعْلَمُ مِنَّا وَمَا لَمْ نَعْلَمُ، وَاعْصِمْنَا مِنَ الذُّنُوبِ خَيرَ العِصَمِ وَاكْفِنَا كَوَافِيَ قَدَرِكَ، وَامْنُنْ عَلَيْنَا بِحُسْنِ نَظَرِكَ، وَلا تَكِلْنَا إلى غَيْرِكَ، وَلا تَمْنَعْنَا مِنْ خَيْرِكَ، وَبَارِكْ لنَا فِيمَا كَتَبْتَهُ لَنَا مِنْ أعْمَارِنَا، وَأصْلِحْ لنَا خَبِيئَةَ أسْرَارِنَا، وَأعْطِنَا مِنْكَ الأمَانَ، واسْتَعْمِلْنَا بِحُسْنِ الإيمَانِ، وَبَلِّغْنَا شَهْرَ الصِّيَامِ، ومَا بَعْدَهُ مِنَ الأيَّامِ والأعْوَامِ، يَا ذا الجَلالِ والإكْرَامِ) مصباح المتهجد ص٨٠٣ في أدعية شهر رجب. إقبال الأعمال ج٣ ص٢١٤. بحار الأنوار ج٥٩ ص٣٩٢ الدعاء الذي خرج من الناحية المقدسة.

إنّه لعمري قد ظن السراب ماء، والتراب سماء، ما أنا وما خطري في جنب بحر ضّل فيه السوابح، إلا أنه قد امتثل بقوله عز وجل: **(أحسنوا ظنكم ولو بحجر)**[١] و**(أنا عند ظن عبدي)**[٢]، وظني به سبحانه عظيم؛ أنه لا يخيب من كرمه سائل، ولا يندم آمل، وإن كان النازل يجري على حسب القوابل، فأسرعت إلى إجابته وإنجاح طلبته وبالله المستعان وعليه التكلان .

اعلم أن بيانه على ما هو عليه كما ينبغي له لا يمكن إلا لمن قاله؛ إذ هو كلام من عجز عن وصفه تعبير القالة، والكلام دليل لعقل من قاله، ولا يمكننا أن نأتي في بيانه إلا بما أتوا به من رشح ما يطفح منهم عليهم السلام.

ومنه ما لا يقدر العالِم أن يفسّره؛ إذ من العِلْم ما يُحتمل ومنه ما لا يحتمل، ومن الناس من يحتمل ومنهم من لا يحتمل، فلنأتِ بما هو الميسور من حيث الوقت والحضور من الأهل، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

---

١) عن المعمر بن غوث السنبسي، عن الإمام الحسن بن علي العسكري عليهما السلام أنه قال: (أحسن ظنك ولو بحجر يطرح الله شره فيه فتتناول حظك منه، فقلت: أيدك الله حتى بحجر! قال: أفلا ترى حجر الأسود) بحار الأنوار ج٥٣ ص٢٥٤.

٢) عن الإمام الرضا عليه السلام قال: (أحسن الظن بالله فإن الله عز وجل يقول أنا عند ظن عبدي بي إن خيراً فخيرا وإن شراً فشرا) الكافي، ج٢ ص٢٧ باب حسن الظن بالله عز وجل.

[الفرق بين المقامات والمعاني]

قوله عليه السلام: **(وَمَقَامَاتِكَ، الَّتِي لا تَعْطِيلَ لَهَا فِي كُلِّ مَكَانٍ، يَعْرِفُكَ بِهَا مَنْ عَرَفَكَ)**...الخ، عطف على ما في قوله السابق: **(أَسْأَلُكَ بِمَا نَطَقَ فِيهِم مِنْ مَشِيئَتِكَ، فَجَعَلْتَهُمْ مَعَادِنَ لِكَلِمَاتِكَ، وَأَرْكاناً لِتَوْحِيدِكَ، وَآيَاتِكَ وَمَقَامَاتِكَ**...إلخ). فإنه عطف على (ما) بواسطة آياتك أو بدونها على الاختلاف عند النحاة تقديره: وأسألك بآياتك وبمقاماتك، والعطف يقتضي المغايرة ولو بالعموم والخصوص، فلا بد أولاً من بيان الفرق بينها وبين المعاني التي في أول الدعاء من قوله عليه السلام: **(اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِمَعَانِي جَمِيعِ مَا يَدْعُوكَ بِهِ وُلاةُ أَمْرِكَ، المَأْمُونُونَ عَلَى سِرِّكَ، المُسْتَبْشِرُونَ بِأَمْرِكَ، الواصِفُونَ لِقُدْرَتِكَ، المُعْلِنُونَ لِعَظَمَتِكَ)**، وما يراد من كل منها في معاريض المقال ليتضح الحال في تقريب الجواب من السؤال.

ولا يخفى أن (المعنى) له استعمالات:

مرة يُطلق على ما يراد من اللفظ؛ سواء كان منطوقاً صريحاً أو غير صريح، أم مفهوماً بأنواعه، أم مصداقاً، وهذا أحد ما يراد في المقام من قوله: **(أَسْأَلُكَ بِمَعَانِي جَمِيعِ مَا يَدْعُوكَ بِهِ وُلاةُ أَمْرِكَ**...الخ)؛ أي أسألك بكل ما يدل عليه من المعاني [من] كل ما تدعى[1] به من الدعوات والأسماء والصفات اللفظية.

---

[1]) في (ب): يدعى.

وأخرى يُطلق ويراد منه لب الشيء وما يقصد من وضع الشيء وخلقه من بين الأشياء، ويقال له عند الحكماء (المادة المعنوية)، وعند أهل الشرع (العقل) كما في رواية كميل عن أمير المؤمنين عليه السلام بعد ما بيّن النفوس الأربع قال: **(العقل وسط الكل)**[1]، وفي رواية الأعرابي عنه عليه السلام حين سأله عن العقل بعد بيان الأنفس الأربع قال: **(العقل جوهر بسيط درّاك محيط يعرف الأشياء من جميع جهاتها ويعرف الشيء قبل كونه وهو علّة الموجودات ونهاية المطالب)**[2] انتهى.

فالعقل أول مقصود بالخلقة من الأشياء ومعتنى بشأنه كما في الرواية: **(أول ما خلق الله العقل)**[3]، وأخرى: **(لما خلقه الله وقال له: أقبل فأقبل، ثم قال له: أدبر فأدبر، فقال سبحانه: ما خلقت خلقاً أحبّ إليّ منك، ولا أكملتك إلا فيمن أحب، بك أثيب وبك أعاقب)**[4] نقلته بالمعنى. وهذا المعنى يحتمل إرادته هنا على وجه يأتي الإشارة إليه إن شاء الله.

وتارة يُطلق ويُراد به ما لا يقوم إلا بالغير، وهو اسم معنى كالمصادر، في مقابل اسم عين القائم بنفسه كأسماء الفواعل، وذلك مثل زيد وأسمائه وصفاته

---

[1]) التفسير الصافي، ج٣ ص١١١ سورة الحجر.

[2]) شرح المشاعر، ص٦٧٣، الأسفار، ج٧ ص ٢٦٢ الهامش.

[3]) شرح أصول الكافي للمازندراني، ج ١ ص٢٠٢، كتاب العقل والجهل.

[4]) راجع نص الرواية في الكافي، ج١ ص ١٠ ، كتاب العقل والجهل.

الفعلية من قيامه، وقعوده، ونومه، ويقظته، وأكله، وشربه، وجميع مصادر أفعاله، كلها معاني زيد مأخوذ في ذاتها الانتساب والاستناد إلى زيد، بحيث لا تحقق لها ولا وجود إلا بهذه النسبة؛ فإنها ظهورات أفعال زيد لها بها، بخلاف أسماء الفواعل من قائم، وقاعد، ونائم، ويقظان، وآكل، وشارب، وأمثالها فإنها كلها ظهورات زيد بفعله لهذه الصفات بنفسها ولغيرها بها، فلذا يقال للصفات المذكورة أنها معاني زيد؛ أي معاني أفعاله، وللمشتقات المذكورة أنها أسماء زيد؛ أي تحكي زيداً وإن كانت مشتقة من المعاني، ومن أجل ذلك صارت أسماء أعيان؛ أي قائمة بنفسها، في مقابل أسماء المعاني القائمة بها، فإن القيام والقعود يقومان بالقائم والقاعد وإن كانا يشتقان منهما[1] .

---

[1]) يقول آية الله المعظم الشيخ محمد آل أبي خمسين أعلى الله مقامه: (لأن المعنى له ثلاث إطلاقات:

الأول: ما يدل عليه اللفظ مطلقاً.

الثاني: ما لا يقوم بذاته بل بغيره، كاسم المعاني مثل العلم والقدرة وغير ذلك من المصادر: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِمَعَانِي جَمِيعِ مَا يَدْعُوكَ بِهِ وُلاةُ أَمْرِكَ، الْمَأْمُونُونَ عَلَى سِرِّكَ)

والثالث: ما يقابل الصورة وهي الكليات) مفاتيح الأنوار، ج٢ ص١٣٨-١٣٩.

[معاني الله تبارك وتعالى]

فإذا نسبت المعاني بهذا المعنى إلى الله ويقال: (معاني الله) يراد منها أول ما صدر عن فعله من جمال، وجلال، وعظمة، وبهاء، وسناء، ومجد، ومَن، وعزة[1]، وأمر، وحق وهكذا، وهذا المعنى مما يراد في المقام، وذلك هو الأمر الذي به قام ما سوى الله سبحانه؛ وهو الحقيقة المحمدية[2] صلى الله عليه وآله، وهو الحدائق الباكورة في جنان الصاقورة التي روح القدس أول من ذاق منها[3]، وهو الماء الذي منه حياة كل شيء[1]، وهذا هو المراد من قول علي بن

---

[1]) في المخطوطة (ب): عز

[2]) يقول الشيخ الأوحد أحمد بن زين الدين الأحسائي قدس سره: (الحقيقة المحمدية لها عندنا إطلاقان: وقد نطلقها ونريد بها المقامات التي هم اسم الفاعل، كـ(القائم) الذي هو اسم فاعل القيام، والقائم مركب في الحقيقة من فعل متقوِّم بفاعله تقوُّم صدور ومن أثر فعل، وهو القيام الذي هو الحدث، وهذا المقام أعلى ما يحصل في الإمكان الراجح) إلى أن يقول: (وقد نطلقها ونريد بها أثر المشيئة الكونية، وهو أول صادر من مشيئة الله، وهو الوجود، وهو الماء الذي جعل منه كل شيء حي، وهو العنصر الأول لكل محدث، وهو نور الأنوار، والمادة الأولى التي خلق الله كل شيء من شعاعها، وهي بمنزلة القيام) شرح الفوائد ج١ ص٢٨٥-٢٨٦ الفائدة الثالثة.

[3]) يشير إلى الرواية الواردة عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام: (قد صعدنا ذرى الحقائق بأقدام النبوة والولاية، ونوّرنا السبع الطرائق بأعلام الفتوة، فنحن ليوث الوغى، وغيوث الندى، وفينا السيف والقلم في العاجل، ولواء الحمد والعلم في الآجل، وأسباطنا خلفاء الدين، وحلفاء اليقين، ومصابيح الأمم، ومفاتيح الكرم، فالكليم أُلبس حلّة الاصطفاء لما عهدنا منه الوفاء، وروح القدس في جنان

الحسين عليهما السلام: **(يا جابر عليك بالبيان والمعاني)**، ثم قال: **(أما البيان فهو أن تعرف الله أنه ليس كمثله شيء فتعبده ولا تشرك به شيئاً، وأما المعاني فنحن معانيه؛ ونحن عينه، ونحن حكمه، ونحن أمره، ونحن حقّه**...الخ**)**[٢].

فالبيان مقام أسماء الفواعل التي هي أسماء أعيان، لا يُراد منها إلا الباري عز وجل، نحو؛ عالِم، قادر، حي، عزيز، عظيم، كبير، جليل، جميل، فإنه ليس يقصد من هذه الأسماء وأمثالها إلا الذات القائمة بنفسها لنفسها في نفسها، وهو مقوم ما سواها بما سواها كلاً بالفعل صدوراً[٣]، وبأظلته -أي مادته وصورته- تحققاً[٤].

الصاقورة، ذاق من حدائقنا الباكورة، وشيعتنا الفئة الناجية، والفرقة الزّاكيـة، صاروا لنا ردءاً وصوناً، وعلى الظلمة إلباً وعوناً، وسينفجر لهم ينابيع الحيوان بعد لظى النيـران) بحار الأنوار، ج٢٦ ص٢٦٤.

[١]) يقول الشيخ الأوحد قدس سره: (إنَّ الماء الأول الذي هو أول صادرٍ من المشيئة الكونية، وهو الحقيقة المحمدية صلى الله عليه وآله، وهو الوجود، والعنصر الذي منه خلق الله كل شيء، أي من شعاعه، وبه حيي كل شيء؛ لأنه الماء، وبه قوام كل شيء، لأنه أمر الله الذي قام به كل شيء قيام تحقق يعني قياماً ركنياً) شرح الفوائد ج٢ ص١٩٠-١٩١ الفائدة الثامنة.

[٢]) راجع نص الرواية في مشارق أنوار اليقين للشيخ رجب البرسي، ص٢٨٦.

[٣]) يقول الشيخ الأوحد قدس سره: (قيام الصدور: كقيام نور الشمس بالشمس، و معناه قيام الشي ء بإيجاد موجدِه بحيث لا يتحقق في مدة أكثر من مدة إيجاده، و ذلك كنور الشمس و كالصورة في المرآة) شرح العرشية، ج١ ص٣١٣.

[٤]) يقول الشيخ الأوحد قدس سره: (قيام التحقق كقيام الانكسار بالكسر؛ بمعنى أنه لا يتحقق لا في الخارج و لا في الذهن إلا مسبوقاً بالكسر لأنه انفعال الكسر لفعل الفاعِل، إذ لا تعقل الصفة قبل

وأول ما سواها وأقربه وأشرفه معاني هذه الأسماء من عِلْم، وقدرة، وحياة، وعزة، وكبرياء، وجلال، وجمال ونظائرها، وهي معاني الله سبحانه التي قال عليه السلام فيها: **(فنحن معانيه)**[1].

وفي البيان الذي هو موضوع علم التوحيد قال: **(نحن أسماء الله الحسنى التي لا تُستقصى فضائلنا ولا تُستحصى)**[2]، ومحمول هذا الموضوع ومسائله هو المعاني[3] فهو ما قاله أمير المؤمنين عليه السلام: **(معرفتي بالنورانية معرفة الله،**

الموصوف، و قد نطلق على هذا اَعْنِي القيامَ الثالث القِيام الركني بمعنى أن الانكسار في الحقيقة مادته من نفس الكسر من حَيْثُ هُوَ هو لا من حيث فعل الكاسر، و ذلك كقيام السرير بالخشب قياماً ركنيّاً لأن الخشب هو ركنه الأعظم الذي تقوم به، و الركن الثاني الأسفل الأيسر هو الصورة فلَكَ أن تقول أنه تَقوم بالخشب التقومَ الركني و أن تقول أنه تقوّم بالخشب تَقَوّمَ التحقق) شرح العرشية، ج١ ص٣١٤.

[1]) سبق تخريجه.

[2]) ورد في الرواية عن معاوية بن عمار، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ قال: (نحن والله الأسماء الحسنى التي لا يقبل الله من العباد عملاً إلا بمعرفتنا) بصائر الدرجات، ج١ ص١٤٣، باب النوادر. وورد في الرواية أنه سأل يحيى بن أكثم أبا الحسن عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ ما هي؟ فقال: (هي عين الكبريت، وعين اليمن، وعين برهوت، وعين الطبرية، وحمة ماسيدان، وحمة إفريقية، وعين باجوران، ونحن الكلمات التي لا تدرك فضائلها ولا تستقصى) بحار الأنوار، ج٤ ص١٥١ ب ٦.

[3]) يشير المصنف قدس الله نفسه إلى كليات مقامات أهل البيت عليهم السلام التي هي أربع مقامات هي: البيان، والمعاني، والأبواب، والإمامة وقد تقدم بيانها في هوامش رسالة الشيخ علي آل قرين فراجع.

ومعرفة الله معرفتي بالنورانية)[١]، وتحت هذه المعاني معاني الأشياء التي هي رشحات تظهر منها نازلاً.

فأول ما ينعقد من تلك الرشحات العقل الكل؛ وهو عقل نبينا صلى الله عليه وآله كما روي: **(أول ما خلق الله عقلي)**[٢]، لأن مقام الخلق مقام الانعقاد والانجماد وهو غير مقام الأمر **﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾**[٣]، وهذا العقل قائم بالأمر الذي هو أول المفعولات قيام الصيغ المختلفة بالأمر الواحد وهو المصدر، وبالأمر الذي هو الفعل قيام الشعاع بالمنير، وهذا رشح كلي لا يرشح من الحقيقة المحمدية غيره، وعقول سائر الخلق منه آثار وأشعة بواسطة أو وسائط لا أجزاء وأفراد.

فيكون معنى الدعاء: إني أسألك بمعاني ما يدعوك به ولاة أمرك من الأسماء الحسنى، إذ دعوته[٤] سبحانه لا تكون إلا بها وهو قوله: **﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾**[٥]، وقوله: **﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيّاً مَا تَدْعُوا فَلَهُ**

---

[١] بحار الأنوار، ج٢٦ ص١ باب نادر في معرفتهم صلوات الله عليهم بالنورانية.

[٢] في عوالي اللئالي للشيخ ابن أبي جمهور الأحسائي، ج٤ص٩٩: (أول ما خلق الله العقل).

[٣] الأعراف، ٥٤.

[٤] إلى هنا تنتهي المخطوطة (ب).

[٥] الأعراف، ١٨٠.

الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾[1]، والأسماء معانيها هي التي اشتقت الأسماء منها وقامت بها في عالم الوصف والظهور الكوني كاشتقاقها من المصادر وقيامها بها في الظهور والوصف اللفظي في كل عالم بحسبه، إلا أن معنى كل اسم [شأن] من شؤون الحقيقة المحمدية صلى الله عليه وآله، وهي جامعها وكلها كما قال عليه السلام: **(ونحن معانيه)**؛ لأن كل واحد من الأربعة عشر عليهم السلام مظهر ذاتي للحقيقة، وهي ظاهرة في كل منهم بذاتها وكنهها.

فهم عليهم السلام كل منهم جامع لجميع معانيه سبحانه من قدرة وعظمة وغيرها، فلذا وصف عليه السلام ولاة الأمر بقوله: **(الْمَأْمُونُونَ عَلَى سِرِّكَ، الْمُسْتَبْشِرُونَ بِأَمْرِكَ، الواصِفُونَ لِقُدْرَتِكَ، الْمُعْلِنُونَ لِعَظَمَتِكَ)** بأنهم مواضع جميع أسراره، ومحاط جميع أموره، ومجاري قدرته التي قهر بها كُلَّ شيء، وخضع وذل لها كُلُ شيء، ومجالي عظمته التي ملأت كُلَّ شيء، وهم أسماؤه التي ملأت أركان كل شيء ومعانيه كذلك، وهو قوله عليه السلام في أثناء الدعاء: **(فَبِهِمْ مَلأْتَ سَمَاءَكَ وَأَرْضَكَ حَتَّى ظَهَرَ أَنْ لا إلهَ إِلَّا أَنْتَ)**.

---

[1] الإسراء، ١١٠.

[معنى نطق المشيئة في محمد وآله عليهم السلام]

ولما كانت الأسماء ومعانيها لا وجود لها إلا بفعل الله واختراعه لا من شيء فأشار عليه السلام إلى ذلك بقوله: **(وأسألك بما نطق فيهم من مشيئتك)**.

يُحتمل أن تكون (مِنْ) بيانية فالمعنى: أسألك بمشيئتك التي نطقت فيهم بإحداث حقائقهم التي هي معاني الحق وصفاته التي منها ظهرت أسماؤه وقامت وتحققت.

ويحتمل أن تكون [مِنْ] ابتدائية فمعناه: أسألك بما ظهر وصدر من مشيئتك حين خلقتهم قبل كل مبروء ومذروء، وهو أنك جعلتهم معادن لكلماتك التكوينية فإنها مظاهر ومتعلقات لوجوه المشيئة -التي هي الكلمة التي انزجر لها العمق الأكبر[1]-، فوجوهها أيضاً كلمات كلية خاصة لهم ولا تتعلق[2] بغيرهم إلا بالوجوه الشعاعية، ولكلماتك الكونية لأنهم الكلمات

[1] يشير إلى ما ورد في دعاء السمات: (وبكلماتك التي تفضلت بها على أهل السماوات والأرض وأهل الدنيا والآخرة، وبرحمتك التي مننت بها على جميع خلقك، وباستطاعتك التي أقمت بها على العالمين، وبنورك الذي خر من فزعه طور سيناء، وبعلمك وجلالك وكبريائك وعزتك وجبروتك التي لم تستقلها الأرض وانخفضت لها السماوات و انزجر لها العمق الأكبر) مصباح المتهجد، ص٤١٨، دعاء السمات.

[2] في النسخ المخطوطة: يتعلق.

التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر[1]، وكلما في الكون من الكلمات من نبي أو وصي أو غيرهما كلمات ناقصة لا تتم في الوجود إلا بما نشأ من الكلمات الأولى من نورها.

فهو في الأنبياء كُلّي إضافي، فهم الكلمات الكلية الإضافية، وما تحت الأنبياء كلمات جزئية بالنسبة إليهم وإن كانت إلى ما تحتها إضافية وهكذا إلى آخر مراتب الوجود، كل واحد كلمة مركبة من حروف تناسبها ناقصة عند كلمات فوقها، [وهي] أشعة لها إلى أن تتناهى إلى كلمات ليست في الكون كلمات فوقها.

فهي كلمات تامات مركبات من الحروف العاليات التي أعلاها ما نطق به المشيئة أولاً، وهو حرف الوجود والحقيقة، وهذا معدن لسائر الحروف ولبها، وهي تنزلات له قشرية[2]، ومعدن لكلماته التامة وأعظم أركانها، ولكلماتك

---

[1]) عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: (من قال هذه الكلمات فأنا ضامن أن لا يصيبه عقرب ولا هامة حتى يصبح: أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما ذرأ ومن شر ما برأ ومن شر كل دابة هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم) من لا يحضره الفقيه، ج١ ص ٤٧١.

[2]) التنزل القشري في قبال التنزل الأثري و (التنـزل القشري عبارة عن تفصيل المجمل، وذلك التفصيل عبارة عن ظهور حدودها الكامنة في رتبة الإجمال، فالتفصيل كامنٌ في الإجمال كمون الحروف في المداد، وكمون المداد في العفص والزاج، وليس الأثرُ كامناً في المؤثر، وإلا لكان الأثر مؤثراً والمؤثر أثراً وهذا خلف ... وبالجملة مرادنا بالتنـزل القشري هو أنه لم يكن أحدهما أثراً والآخر مؤثراً، ويسمى هذا النوع

التعريفية والوصفية، وهي الأسماء المشتقة من المعاني المركبة من صفات الفعل التعلقية وآثاره، فتكون تلك المعاني والصفات العليا معادن لأسماء الله العظام المعنوية، والأسماء الحسنى التي تظهر في الأسماء اللفظية، كما أن الصفات والمعاني المعنوية تظهر في مصادرها اللفظية.

وقد عرفت أن مقام أسماء الفاعل مقام البيان مقامات التوحيد تختلف على حسب الأسماء ومراتب تنزيه العارفين وتجريدهم في الوجدان عن حقائقهم التي هي أركان للأسماء؛ **(يُسّبح الله بأسمائه جميعُ خَلْقِه)**[1] ويوحده ويمجده.

فمنهم من يعرفه سبحانه بظهوره في حقائقهم من حيث أنها أثر فعله سبحانه فيستدل بها على المؤثر الموجد من حيث الإيجاد والتأثير.

ومنهم من يرى الظاهر فيها من حيث الظاهر، ومنهم من يراه مجرداً عن قيد الحيثية، ومنهم من يرى باطناً من حيث الباطن، ومنهم من يشاهد الباطن لا بقيد الحيثية، ومنهم من لا يرى إلا الظاهر مجرداً عن نظر الباطن والظاهر.

فكل ذلك مقامات الظهور بالأسماء في حقائقهم ظهوراً لا نهاية له ولا تعطيل في كل مكان.

من التنـزل بتنـزل الشيء في السلسة العرضية) المخازن للميرزا حسن كوهر قدس سره، ص١٣٧-١٣٨ الجوهر الخامس من المخزن الثالث.

(١) مصباح المتهجد، ص ٢٨٩، من أعمال يوم الجمعة.

[الفرق بين الآيات والمقامات]

وقد أشار إلى ذلك بقوله عليه السلام: **(وَآيَاتِكَ وَمَقَامَاتِكَ، الَّتِي لا تَعْطِيلَ لَهَا فِي كُلِّ مَكَانٍ)** سواء عطفنا على توحيدك أي جعلتهم أركاناً لآياتك ومقاماتك، أو على ما نطق فيهم يعني أسألك بآياتك ...الخ، كما ذكرناه سابقاً فإنه لا يختلف المراد من الآيات والمقامات على حسب العطفين وإن كان فيهما فرق من جهات أُخر في البين، فإن الآيات ما يُرى فيها ذو الآيات والمقامات ما ظهر فيها صاحب المقام[1]. وفي هذا المقام يُراد منهما ما يحكي الحق عز وجل ويدل عليه من آثار فعله وصفاته ومن أسمائه.

ولا يمكن أن يُراد مقامات للذات الأزل وهي ظهورات الذات؛ لاستلزامه الكثرة، والتعدد، والتغير، والانتقال وأمثالها مما يمتنع في الأزل، وإن كان يمكن للممكن أن يكون لذاته مقامات هي ظهورات ذاته في ذاته، والآية لا تكون إلا في غير مراتب الذات ولو في الإمكان، ولا فرق بينهما من تلك الجهة إذ المراد من الآية والمقام هنا ليس إلا الممكن والوصف الفعلي إلا أن الآية يُستدل بها على ما فوقه ممن أوجدها، والمقام ما ظهر العالي فيه من غير التفات إلى صفة وفعل فضلاً أن يستدل بهما عليه، وهذا هو قوله عليه السلام:

---

[1] ورد في هامش المخطوطة (أ): (المقامات والعلامات التي لا تعطيل لها في كل مكان وهي اسم الفاعل كالقائم اسم لفاعل القيام).

(إن الله أجل أن يُعَرَفَ بخلقه بل الخلق يُعرَفون به)[١]، وقوله: **(بك عرفتك وأنت دللتني عليك ودعوتني إليك)**[٢]، وقوله: **(اعرفوا الله بالله)**[٣]، وقوله: **(يا من دلّ على ذاته بذاته)**[٤]، وأمثال ذلك كثيرة إذ كلها من ما يبين معرفته سبحانه بالمقامات التي لا يُرى فيها غير الظاهر فيها، بخلاف الآيات فإن فيها الاستدلال بها وهي أدلة وهو قوله عليه السلام: **(دليله آياته، ووجوده إثباته)**[٥]، وقوله عز وجل: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ**﴾[٦]، ونظائره في الكتاب والأخبار مما لا تحصى.

فالآيات مقام الظهور الدال على الظاهر، والمقامات رتبة الظاهر في مراتبه، وهي أعلى مرتبة من مرتبة الآيات التي هي أعم من المعاني على المعنى الثالث وهو المعنى المصدري القائم بالغير وهو الفاعل وفعله قيام صدور بلا توسط شيء بينه وبين فعل الفاعل.

---

١) راجع نص الرواية في التوحيد ص ٢٢٦، باب أنه عز وجل لا يعرف إلا به.

٢) إقبال الأعمال ج١ ص١٥٧.

٣) التوحيد، ص ٢٢٦ باب أنه عز وجل لا يعرف إلا به.

٤) بحار الأنوار، ج ٨٤ ص ٣٣٩، دعاء الصباح لأمير المؤمنين عليه السلام.

٥) الاحتجاج، ج١ ص ٢٩٩.

٦) آل عمران، ١٩٠.

فذكر عليه السلام على النظم الطبيعي في الصعود حيث أتى أولاً بالمعاني؛ وهي معاني الأفعال صادرة منها بلا واسطة، ثم بالمشيئة من حيث نطقها في المعاني بالإصدار وجعلها معادن للكلمات تعريفية كانت أم تكوينية أم كونية كما مرت إليه الإشارة، وأركاناً لها للتوحيد الذي هو الغاية والمقصود بالأصالة من الخلقة، ثم ذكر الآيات التي تشارك ما سبق في كونها في مقام الظهور إلا أنه أشمل لصدقها على المعاني وما فوقها من المشيئة وما تحتها إذ كلها أدلة على إثبات الباري تعالى، ثم أتى بالمقامات مقامات الظاهر بها لا يتناهى التي لا تخرج عن المراتب الأربع؛ الظاهر من حيث الظاهر أولاً بهذه الحيثية، والباطن مقيداً بحيثية الباطن أم لا.

[العبادة والمعرفة]

فهذه المقامات لا تعطيل لها في كل مكان يعرفه بها من عرفه، إذ المعرفة والعبادة هما الغاية في الخلقة لقوله تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾[١]، وقوله: **(كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أُعرف فخلقت الخلق لكي أُعرف)**[٢] ، وقوله عليه السلام: **(أول عبادة الله معرفته)**[٣] يدل على أن الغاية كما في الآية هي العبادة، والمعرفة أولها في أول المراتب أي الفؤاد؛ كما أن اليقين عبادة القلب، والعلم عبادة الصدر، وسائر الأعمال عبادة البدن جميعاً أو لكل جارحة عبادة خاصة.

والعبادة لا تكون إلا ببيان من المعبود، وبتعريف منه نفسه لعباده، ليعرفوه ويعبدوه، وأول بيان ووصف منه لكل شيء في التكوين إحداث حقيقة الدال على محدثه، فحقيقته أثر الإحداث، والأثر من حيث الأثرية آية الإحداث ومثاله وصفته العليا، والإحداث آية للمحدث وصفته فيستدل بالأثر وفي

---

[١]) الذاريات، ٥٦.

[٢]) ورد في كتاب أسرار الإمامة للشيخ عماد الدين الطبرسي -من علماء القرن السابع الهجري- ص ٣٥ ما هذا نصه: (اشتهر بين الرواة أن داود عليه السلام قال في بعض مناجاته: يا إلهي لم خلقت العالم وما فيه؟ قال الحق تعالى: كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف) ولعل هذا من أقدم المصادر التي خرجت هذا الحديث الشريف، راجع كذلك شرح أصول الكافي، ج١ ص٢٥، رسائل الكركي، ج٣ ص١٥٩.

[٣]) التوحيد، ص ٣٤ باب التوحيد ونفي التشبيه.

الأثر من حيث الأثرية على المؤثر المحدث وهذا مقام **(ما رأيت شيئاً إلا وقد رأيت الله بعده أو معه)**[١].

ثم إذا قوى نظر العبد في كشف سبحات الجلال تجلّى له الجبار له به فيراه ظاهراً متجلياً قبل أن يلتفت إلى تجلي وما تجلى له وهذا مقام **(ما رأيت شيئاً إلا وقد رأيت الله قبله)**[٢].

ثم كلما قوى بصره واشتد نظره بمحو موهومات الحجب والستور صعد في مقامات السرور بالنظر إلى ذلك النور إلى ما لا يتناهى **(كلما رفعت لهم علماً وضعت لهم حلماً، ليس لمحبتي غاية ولا نهاية)**[٣].

فكل هذه مقامات الحق عز وجل كما في الدعاء: **(تعرفتَ إليّ في كل شيء حتى لا أجهلك في شيء فأنت الظاهر في كل شيء)**[٤].

١) ينقل عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: (ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله قبله وبعده ومعه وفيه) مسند الإمام علي عليه السلام، ج١ ص١٥٠.

٢) شرح أصول الكافي للمازندراني، ج٥ ص٨٣ .

٣) في الحديث القدسي: (ليس لمحبتي علم ولا غاية ولا نهاية وكلما رفعت لهم علماً وضعت لهم علماً) الجواهر السنية، ص١٩٣.

٤) دعاء عرفة للإمام الحسين عليه السلام، بحار الأنوار، ج٩٥ ص ٢٢٥ أعمال خصوص يوم عرفة.

[معنى قوله عليه السلام:

(الَّتِي لا تَعْطِيلَ لَهَا فِي كُلِّ مَكَانٍ)]

ففي كل شيء ومكان له مقامات لا تعطيل لها، إذ كان ليس للفيض تعطيل، إلا أن المقامات في كل من الأشياء غير التي في غيره، إلى أن تنتهي كلها إلى أول ما صدر عن الفعل الذي يسعه ويحويه بحيث لا يزيد منه ولا ينقص في التأثير والتأثر وهو قوله سبحانه: (ما وسعني أرضي ولا سمائي بل وسعني قلب عبدي المؤمن)[1].

فتلك الحقيقة المباركة معناه سبحانه، وآيته، ووصفه، ومثاله، كل ما سواها من المعاني والآيات والأوصاف والأمثال أشعة منها وآثار، والظاهر إنما يظهر على حسب المظاهر بقدر تحملها بقابليتها، فكما أن جميع الأشياء لا وجود لها ولا تحقق إلا بتلك الحقيقة وإشراق أشعتها إذ هي أمره المفعولي والمشيئة

---

[1]) ورد في عوالي اللئالي ج٤ ص٧ ح٧ بهذه الصيغة: (لا يسعني أرضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن)، وفي بحار الأنوار، ج٥٥ ص٣٩ بهذه الصيغة: (لم يسعني سمائي ولا أرضي، ووسعني قلب عبدي المؤمن).

أمره الفعلي وقال سبحانه فيهما: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾[1]، وقال عليه السلام: (كل شيء سواك قام بأمرك)[2].

كذلك المقامات الظاهرة في تلك الحقيقة في ظهورها لها بها لا يخلو منها شيء ولا مكان أصلاً، إذ لا يوجد مقام في مقام أبداً إلا بهذه المقامات الأولى العليا، إذ كلها من تجلياتها وإشراقاتها، لا تقوم ولا تتحقق إلا بالأولى، فهذه شمولها في جميع الأشياء والأمكنة والأزمنة والرتب شمول أمر الله الفعلي والمفعولي[3]، إلا أن شمول الأول إصداري والثاني ركني عضدي، في رتبة

---

[1] الروم، ٢٥

[2] بحار الأنوار، ج٨٧ ص ١٤٨، دعاء آخر ليوم السبت

[3] يقول الشيخ الأوحد أحمد بن زين الدين الأحسائي قدست روحه: (واعلم أنا قد أشرنا أنَّ أمر الله الذي به تقوّمت الأشياء يُطلق على شيئين:

أحدهما: فعل الله، وهو المُشار إليه بقوله تعالى: ﴿أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾، وهذا تتقوّم به الأشياء تقوّم صدور، فكل شيء من فعل الله في حال صدوره وبقائه طريّ أبداً، فأول آناته كآخره، إذ وجوده إنما هو شيءٌ بفعل الله، فلا تحقق له في البروز في عالم الأكوان إلا بالفعل، فهو منه كالنهر الجاري من الينبوع .

والآخر: أول مفعول صدر عن الفعل، وهذا تتقوّم به الأشياء تقوّماً ركنياً، كتقوّم السرير وأبناء نوعه بالخشب، والمراد بهذا الوجود: هو الماء الذي جعل منه كل شيء حي، وهو الحقيقة المحمدية صلى الله عليه وآله، فإنّ الأشياء كلها موادها التي تتقوّم بها من أشعتها أو أشعة أشعتها) [شرح الفوائد، ج٢ ص٣٥٠-٣٥١ الفائدة الحادية عشر]. وقال قدس سره: (بأمر الله الفعلي أي المشيئة والإرادة والإبداع) [شرح المشاعر،ج٢ص٣٣٣ (مؤسسة الإحقاقي)، جوامع الكلم، ج٣ ص٥٣٥ (مطبعة الغدير)].

الأربعة عشر معصوماً بذاته وعين مادته، وفي سائر الرتب بشعاعه وشعاع شعاعه وهكذا.

وشمول المقامات من حيث الحكاية شمول بلا كيف، لا كشمول شيء لشيء، وإنه من حيث هو عال قريب من حيث أنه بعيد دخوله عين خروجه وهكذا.

فلا تعطيل لها في كل مكان لا يخرج من حيطة هيمنته شيء، بخلاف غير هذه المقامات فإنها من حيث جميعها لا تعطيل لها في أمكنته تحت الرتبة الأولى كلها فيقع في إزاء كل من الأمكنة مقام من المقامات لا جميعها.

نعم في مراتب نزول الحقيقة الأولى مقامات كلية لا غناء لشيء من الأشياء عنها وهي العقل و الروح و النفس و الطبيعة أركان العرش الباطني الغيبي، الأولان منها أيمنان أعلى وأسفل يقال لهما الروح من أمر الله[1] أو الثاني خاصة،

وقال: (أمر الله المفعولي الذي هو الماء المسمى بالحقيقة المحمدية) [شرح الفوائد، ج٢ ص ٤٠٧ الفائدة الثانية عشر]. وقال: (أمر الله المفعولي هو الحقيقة المحمدية) [راجع شرح العرشية، ج١ ص٨٦].

[1]) ورد في دعاء إمامنا السجاد عليه السلام في الصلاة على حملة العرش: (والروح الذي هو من أمرك) [بحار الأنوار، ج٥٦ ص٢١٧]، يقول الشيخ الأوحد الأحسائي قدس سره: (المراد بالروح من أمر الله هو العقل الكلي ... وهو عقله صلى الله عليه وآله في قوله صلى الله عليه وآله: (أول ما خلق الله العقل)، وقول الصادق عليه السلام: (وهو أول خلقٍ من الروحانيين عن يمين العرش)) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة، ج٣ ص٣٦٣ (طبعة مكتبة العذراء)، ص٣٣٠ (مطبعة السعادة)، شرح فقرة: (وإلى جدكم بعث الروح الأمين).

ويقال للأول روح القدس[1]، والأخيران منها أيسران أعلى وأسفل يقال لهما الروح على ملائكة الحجب[2]، وهي أوائل العلل من الوجود المقيد[3] وكل ما تحت الرتبة الأولى من الأنبياء، والإنسان، والملك، والجن، والحيوان، والنبات، والجماد، بجميع ما لهم، ومنهم، وعنهم، وإليهم، جميع ذلك ينتهي إلى هذه الأركان بواسطة أو وسائط بالشعاعية والأثرية فلا تعطيل لها في كل مكان ما تحتها.

---

[1]) النبأ، ٣٨. في تفسير علي بن إبراهيم قال: حدثني أبي عن ابن أبي عمير عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال: (هو ملك أعظم من جبرئيل وميكائيل، كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله وهو مع الأئمة عليهم السلام) تفسير القمي، ج٢ ص٢٦ تفسير سورة الإسراء. بحار الأنوار، ج٢٥ ص ٤٧ ح١ باب الأرواح التي فيهم وأنهم مؤيدون بروح القدس .

[2]) ورد في دعاء إمامنا السجاد عليه السلام في الصلاة على حملة العرش: (والروح الذي هو على ملائكة الحجب) [بحار الأنوار، ج٥٦ ص٢١٧] ويعرفه الشيخ الأوحد أحمد بن زين الدين الأحسائي: (و المراد بملائكة الحجب الكروبيّون، و هم شيعة علي و أهل بيته عليهم السلام من الخلق الأول؛ أي من عالم الغيب جعلهم اللهّ خلف العرش) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة، ج٣ ص٣٦٠ (طبعة مكتبة العذراء)، ص٣٢٧ (مطبعة السعادة)، شرح فقرة: (وإلى جدكم بعث الروح الأمين).

[3]) يقول الشيخ الأوحد في تعريف الوجود المقيد: (وأما الوجود المقيد ... فهو الذي يتوقف في وجوده وإيجاده على شيءٍ غير نفسه، يعني يتوقف في وجوده على مادةٍ هي أثر للسابق عليها وهو المشيئة. والأثر هنا هو أول صادرٍ عن المشيئة المسمى بالماء الأول، والنفس الرحماني، والحقيقة المحمدية صلى الله عليه وآله، ويتوقف في إيجاده على المادة والقابلية، التي هي الصورة، وعلى الفعل والوقت، والكم والكيف، والرتبة والجهة والمكان) شرح الفوائد ج٢ ص١٠٨ الفائدة السادسة.

والأسماء المربية لها الظاهرة فيها من البديع، والرحمن، والباعث، والباطن، تأثيرها فيما ذكر وعدم تعطيلها في كل مكان منها بطريق أولى، إذ الأركان الأربعة لا تؤثر إلا بمدد وإجراء من الأسماء الأربعة، بل ليس إلا تأثير الأسماء بالأركان فهي في الشمول وعدم التعطيل فيما تحته لاحقة بالأسماء والمقامات السابقة .

ثم الأسماء المربّية لما تحت أركان العرش الغيبي من المادة إلى التراب نازلاً ومنه إلى الجامع صاعداً كلها مقاماته سبحانه، وهي كليات إضافية لا تعطيل لها في ما ذكر في الرتبة الأولى وفيما تحتها من رتب الأنبياء فنازلاً .

ففي كل شيء له آية تدل على أنه واحد[1]

فهو ظاهر له بالواحدية في ذاته، وصفاته، وأفعاله، وعبادته، ووصف نفسه للعبد بإحداثه وصفاً شفاهياً واضحاً جلّياً، وعرف نفسه له بأنه لا رب سواه ليس كمثله شيء فتعبده ولا تشرك به شيئاً وذلك قوله عليه السلام: **(تجلّى لها بها)** إشارة إلى التوصيف، **(وبها امتنع منها)** إشارة إلى التنزيه، **(وإليها حاكمها)**[2] إشارة إلى بيان ما أراده من العباد، وهو قوله عزّ من قائل: ﴿**سَنُرِيهِمْ**

---

[1]) البيت منسوب لأبي العتاهية؛ إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان العنزي. راجع ديوانه المطبوع، ص١٢٢ .

[2]) قال سيد الموحدين أمير المؤمنين عليه السلام: (تجلى لها بها، وبها امتنع عنها، وإليها حاكمها، إنما تحد الأدوات أنفسها، وتشير الآلات إلى نظائرها) الاحتجاج، ج١ ص٣٠٥.

آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيد﴾[١]؛ **(أي موجود في غيبتك وحضرتك)**[٢]، فلا سبيل لأحد إلى معرفته سبحانه إلا بوصفه وتعريفه، ولا شيء أقرب إلى العبد بعد ربه غير نفسه وذاته، فوصف نفسه له بأن أوجده لا من شيء فيرى نفسه فقيراً لا يملك لنفسه شيئاً، فيرى هناك من هو غني عن كل شيء من كل جهة، أغنى كل شيء بسعة رحمته إيجاداً وإمداداً، فيعرفه بأنه موجده، ومُمُدّه، ومعينه، ومغنيه، وأنه فاعل ما يشاء بما يشاء كيف يشاء، وأنه حي، موجود، سميع، بصير، قادر، عالم، كل ذلك عين ذاته لا مغايرة بينها وبين الذات، ولا هي فيما بينها متغايرة؛ إذ المغايرة والتغاير والكثرة كلها من الإمكان والفقر، جارية فيها بإجرائه فكيف يجري عليه ما لا وجود له إلا بإجرائه وتحته.

---

[١]) فصلت، ٥٣.

[٢]) تفسير الصافي، ج ٤ ص٣٦٥، سورة فصلت.

[معنى قوله عليه السلام:

(لا فَرْقَ بَيْنَكَ وبَيْنَهَا)]

والأسماء كلها قدسية كانت أم إضافية أم خلقية وإن كانت حادثة إلا أنها لما كانت مقامات تعريفه وتوصيفه نفسه لعباده وما يمكن أن يُعرف إلا بها صارت لا فرق بينه وبينها في التعريف والتعرف والمعرفة، فما عرف سبحانه نفسه إلا بها، وما أراد أن يُتعرف إلا بها، وما عرفه أحد إلا بها، إذ كان لا يمكن إلا بها، وبدون المعرفة كان الخلق لخلوه عن الفائدة لغواً عبثاً لا يلائم الحكمة، فما بقي إلا المعرفة بوصفه لا بنفسه إذ **(كل معروف بنفسه مصنوع)**[1] فلا فرق إذن بين مقامات الوصف وبينه سبحانه، يعرفه بها من عرفه، معرفتها معرفة الله، ومعرفة الله معرفتها، وهو قول أمير المؤمنين عليه السلام: **(معرفة الله يا سلمان ويا جندب معرفتي بالنورانية، ومعرفتي بالنورانية معرفة الله)**، وفي الزيارة الجامعة الصغيرة: **(من عرفكم فقد عرف الله، ومن جهلكم فقد جهل الله)**[2].

[1] نهج البلاغة، ج٢ ص١١٩ من خطبة له في التوحيد وهي من جلائل الخطب.

[2] الزيارة الجامعة الكبيرة، من لا يحضره الفقيه، ج٢ ص٦١١، مستدرك الوسائل، ج١٠ ص٤٢٠.

[مثال الصورة المرآتية]

والأمثال المضروبة في الآفاق من الله كثيرة في كل منها يلاحظ فيه التقريب وإن كان مبعداً من جهات لصغر عالم المثال وضيقه، والمطلب بعيد عن الإحاطة عال عن المنال.

فمنها الصورة المرآتية إذا تجلى الشاخص لها بها فهي صفته ومثاله وآيته يُستدل بها عليه في لحاظ .

وفي آخر أعلى تراه ظاهراً فيها وما تطلب أن تراه من الشاخص من أحواله العارضة من صفرة الوجه وحمرته وصفائه وكدره ترى كلها في الصورة، فتصفه بأنه مشرق متجل لها بها ومحدثها بمقابلته، وأمثالها من الأسماء الفعلية المشتقة من صفاته الفعلية، وهي مقامات الشاخص الظاهرة في الصورة، بالصورة الداخلة فيها لا بممازجة، الخارجة عنها لا بمزايلة.

وله مقامات فوقها ظهرت بوساطتها في الصورة وهي أنه شيء موجود جسم، إنسان، حيوان، نبات، جماد، معدن مثلاً، وهذه أسماء ذاته ومقاماته الظاهرة بوساطة أسمائه وصفاته الفعلية في الصورة التي هي أثره من حيث نفسه ومثاله وآيته من حيث وجوده وهذه في جهة توصيفه.

أما تنزيهه فينزه الشاخص عن كل ما يراه في الصورة؛ أن الشاخص شيء لا كصورة المرآة؛ لأنها شيء بمقابلته وإرادته، والشاخص بالنسبة إليها شيء

بحقيقة الشيئية، وجوده وشيئيته ليست مستفادة كوجود الصورة، وإن كان هو عند علته كالصورة عنده إلى أن تنتهي إلى فعل الله سبحانه، فإنه شيء بنفسه ثابت، والأشياء لا ثبوت لها ولا شيئية إلا بإثباته وتشييئه، وهو (وهي)[1] أيضاً عند بارئه تعالى هكذا، فإنه سبحانه شيء بحقيقة الشيء ولا شيء غيره إلا بجعله شيئاً، مشيئة كانت أو غيرها.

فالصورة المرآتية لا تعرف الشاخص، وكذلك كل من يعرفه بها لا يعرفه إلا بمقاماته المذكورة بأنه مشرق متجل لها بها، ومحدثها بمقابلته وأمثالها، لا فرق بين الشاخص وبين مقاماته هذه في التعريف، إذ ما عَرَّف نفسه إلا بها، والتّعرف إذ ما تعرف بالكنه بصعود الصورة إليه أو بنزوله إليها حتى يتمكن من معرفته بالكنه، وكلاهما محالان فلا تعرف إلا بوصف منه، والمقامات وصفه ومعرفته، لأنه لا سبيل للصورة إلى معرفته إلا بها، نعم كما لا معرفة لها إلا بتوصيف من الشاخص نفسه للصورة، كذلك تنزهه ببيان منه بأن المقامات عباده وخلقه لا تملك لنفسها ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً، فتقها بإيجادها وإبقائها وجعلها سُبُلَ معرفته، ورتقها بتحديدها، وجعل دلالتها عليه خاصة بيد الشاخص، إذ بدؤها منه بإحداثه الذي هو يده،

[1]) كلا الكلمتين مثبت ضمن النص في النسخة المخطوطة (أ).

وعودها إليه بإمداده لها وإبقائه لها، فحين بدئها عائدة إليه، وفي عودها بدأت منه.

تـــنـــبـــيـــه :

لا يخفى عليك ما في الفقرات من تأنيث الضمير إلا في قوله: **(إلّا أنّهُم عِبَادُكَ وَخَلْقُكَ)**، وقوله: **(فَبِهِمْ مَلأْتَ سَمَاءَكَ وَأَرْضَكَ حَتَّى ظَهَرَ أنْ لا إلهَ إلّا أنْتَ)** حيث أتى فيهما بضمير الجمع العقلاء، إشارة إلى أن المقامات لها من حيث ظهور الذات وغيبوبة الصفات تحت ظهورها واندكاك إنيتها في جنب نورها شأن غير شأن ظهور إنيتها، فإن الأول مقام الوصل و الجمع والسكون، والثاني مقام الفصل والفرق والحركة، والأول لا يرى فيه إلا الذات، فإن الذات غيّبت الصفات، والثاني أن الظهور والظاهر والمظهر كلها غير الذات، وغيرها ليس إلا الإمكان، وهو الملك والوصف، **(رجع من الوصف إلى الوصف، ودام الملك في الملك)**[1]، **(كنهه تفريق بينه وبين خلقه، وغيوره تحديد لما سواه)**[2]، ومعلوم أن التوحيد بدونها لا يصح أصلاً كما ورد في رواية: **(الجمع بلا تفرقة زندقة، والتفرقة بلا جمع تعطيل، والجمع بينهما هو**

---

[1]) قال أمير المؤمنين عليه السلام: (رجع معنى الوصف في الوصف وعمي القلب عن الفهم، والفهم عن الإدراك، والإدراك عن الاستنباط، ودوام الملك في الملك، وانتهى المخلوق إلى مثله، وألجأه الطلب إلى شكله، وهجم به الفحص إلى العجز، والبيان على الفقد، والجهد على اليأس، والبلاغ على القطع، فالسبيل مسدود، والطالب مردود) جزء من الخطبة المعروفة بالدرة اليتيمة، راجع كتاب ملحق نهج البلاغة لأحمد بن يحيى بن ناقة الكوفي، ص٣٨.

[2]) عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج٢ ص١٣٦، خطبة الإمام عليه السلام في التوحيد.

التوحيد)، وفي أخرى: **(من عرف الفصل من الوصل، والحركة من السكون، فقد وقع على القرار في التوحيد)**[١].

---

[١]) نقل السيد الجزائري في الأنوار النعمانية الرواية بهذه الصيغة: روي عن الصادق عليه السلام: (من عرف الفصل من الوصل، والحركة من السكون، فقد بلغ مبلغ القرار في التوحيد) الأنوار النعمانية، ج٤ ص٣٧، نور في بعض التراكيب المشكلة والأخبار الدقيقة والمسائل الفقهية وغيرها.

[قبس من مقاماتهم عليهم السلام]

وفي زوايا كل خبايا من الأسرار لا تزداد من البيان إلا غموضاً، فإنَّ السر لا يفيد إلا السر، وإنما [المقصود] الإشارة بالرمز إلى الكنز، والتعرض باختصار المقال إلى بعض ما يُراد من معنى بعض فقرات الدعاء الواردة في بيان الفرق بعد الجمع، وتقريبه من الأفهام بطور الإجمال، وأنت لا تشك أن أخبارهم عليهم السلام بعضها يفسر بعضاً، ويفسر ما سمعت من الروايات في المقام قول الصادق عليه السلام: **(إن لنا مع الله حالات نحن فيها هو، وهو فيها نحن، وهو هو، ونحن نحن)**[1] نقلته بالمعنى.

فإن الحالات الأولى؛ أي كونه سبحانه إياهم، وكونهم إياه، كالحديدة المحماة بالنار، يُراد منها المقامات في الدعاء والآيات والمعاني؛ أي الأسماء والصفات والمثل الأعلى وهو الوصل.

والثانية مقام الفرق؛ أي الخلق والعبودية، وهما غير الحق والرب، ففي رتبة الفرق لهم عليهم السلام شؤون مَنَّ الله بها عليهم، ومَنَّ على جميع الخلق بهم فجعلهم (أعضاداً)، و (أشهاداً)، و (مناةً)، و (أذواداً)، و (حفظةً)، و (رواداً)، فبهم ملأ سماءه وأرضه حتى ظهر توحيده سبحانه.

---

[1]) الكلمات المكنونة، ص١٧٤.

وذلك بأن الله حكم أن لا يخالف شيء من الأشياء محبته[١] ولا مُعقب لحكمه، وأحب أن لا يجريها إلا بالحكمة التي هي أن يضع الأشياء مواضعها على ما هي عليه من مقتضيات الأسباب **(أبى الله إلا أن يجري الأمور بأسبابها)**[٢]، والأسباب تكوينية وتكونية، والمسببات عالية وسافلة، وأعلاها وأوسعها وأصفاها وأقواها وهو أحب أن يقدم وأولى بالسبب، وإليه الإشارة في باطن قوله تعالى: **﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾**[٣].

فلما مسته نار المشيئة صار مثلاً لنور الله، مصباحاً يضيء بأمر الله ما أراده الله، وهو قلب العبد المؤمن في قوله سبحانه: **(ما وسعني أرضي ولا سمائي بل وسعني قلب عبدي المؤمن)**[٤]، وهو المراد من قوله عز وجل في مفهومه: **﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً﴾**[٥].

---

[١]) ورد في دعاء ليلة الإثنين: (لا يخالف شيء منه محبتك) بحار الأنوار، ج٨٧ ص١٦٩.

[٢]) قال الإمام الصادق عليه السلام: (أبى الله أن يجري الأشياء إلا بالأسباب) بحار الأنوار، ج٢ ص٩٠ ب١٤.

[٣]) النور، ٣٥.

[٤]) سبق تخريجه.

[٥]) الكهف، ٥١.

مفهومه أن الهادين الذين هم محاط نظره سبحانه من خلق العالَم خلقهم الله قبل كل مذروء ومبروء، أنواراً ألهمها تمجيده، وأنطقها بتسبيحه وتحميده، إذ كانوا أهلا لذلك لخاصتهم وخلتهم، **(إذ لا يختص من يشوبه التغيير، ولا يخالل من يلحقه التظنين، فجعلهم الحجج على كل معترف له بملكة العبودية، وسلطان الربوبية، وجعلهم تراجمة مشيئته، وألسن إرادته)**[١].

ولا شك أن العلة في الأشياء ليست إلا مشيئته وإيجاده **(علة ما صنع صنعه وهو لا علة له)**[٢].

إلا أنهم عليهم السلام محاله؛ يترجمونه على كل شيء على ما هو عليه بحسب قابليته، فهم لأجل ذلك علل فاعلية.

ولأجل أنهم من شدة صفاء نورهم وجمالهم، لنورهم وجمالهم نور وجمال، وله أيضاً جمال، وله جمال، وهكذا اتخذهم أعضاداً لخلقه، فخلق لهم نوراً فجعله مادة نوعية لمن تحتهم برتبة وهم الأنبياء عليهم السلام لكل منهم حصته منها هي مادته وكل على حسب إقباله لذلك النور صُور بصورة وَحَدْ.

---

١) راجع نص الخطبة كاملاً في بحار الأنوار، ج٩٤ ص١١٢.

٢) جزء من الخطبة اليتيمية لأمير المؤمنين عليه السلام، تقدم تخريج المصدر.

فهم عليهم السلام من تلك الجهة علل مادية[١]، وعلل صورية[٢]، إذ كان شعاعهم علّة لموادهم وصورهم.

وهكذا في الرتبة الثالثة نور نورهم علّة مادية وصورية للأناسي بلا تفاوت، إلا أن رتبة الأنبياء لقرب حقيقتهم من المبدأ وشدة صفاء نورهم ما كانت فيها ظلمة أصلاً إذ كلها إقبال ليس فيها إدبار أصلاً، وإن كان الإقبال بحسب الأفراد مختلفاً شدةً وضعفاً.

وهذه الرتبة لبعدها عن المبدأ ضعف نورها وكدر فظهرت الظلمة، فأهلها بين مقبل على حد الكمال، ومدبر من دون إقبال، وبينهما على اختلاف، فنور نورهم مادة نوعية للمقبل الموافق، وصورته على حسب إقباله تختلف، وعكس ذلك النور مادة للمدبر المخالف، وعلى قدر مخالفتهم جرت صورهم.

---

[١]) يقول الشيخ الأوحد: (وهم العلة المادية لأن جميع الخلق خُلقوا من شعاع أنوارهم وذلك الشعاع قائم بأنوارهم قيام صدور) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة، ج١ ص١٩٦ (كرمان)، ص٢٣٣ (العذراء) شرح فقرة: (السلام على الدعاة إلى الله).

[٢]) يقول الشيخ الأوحد: (وهم العلة الصورية ، لأن كل فَرد من جميع الخلائق من الغيب والشهادة ومن الجواهر والأعراض فصورته إن كان طيباً من أنوار هياكلهم أو من أنوار هياكل هياكلهم وهكذا) إلى أن يقول: (وإن كان خبيثاً فصورته من عكس أنوار هياكلهم) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة، ج١ ص١٩٦ (كرمان)، ص٢٣٣ (العذراء) شرح فقرة: (السلام على الدعاة إلى الله).

فهم عليهم السلام أعضاد لخلق الموافق من حيث يحبه الله، وهو جهة النور، ولخلق المخالف من حيث يكرهه الله، وهو جهة الظلمة، وهكذا في المراتب النازلة من الحيوان، والنبات، والجماد، أما الملك والجن فهما كذلك وذلك وإن كان فيها تفصيل ليس يناسب المقام.

فهم في جميع هذه المراتب أعضاد لأهلها من حيث أن شعاعهم بلا واسطة أو بها لا تقوم مادة أهل كل رتبة وصورتهم إلا به .

وأعضاد أنها من حيث أن فعل الله يتعلق على إيجاد الأنوار حقائق المراتب السافلة عنهم بواسطة العقل الكلي و الروح والنفس والطبيعة الكلية اللائي هن من مقامات نزول الحقيقة المحمدية صلى الله عليه وآله، فلولا هذه الأربعة أوائل جواهر العلل ما وُجد شيء مما تحتها، إذ هي محال استواء الرحمن برحمانيته في قوله: ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾[1].

---

[1] طه، ٥.

فأعطى منها كل ذي حق حقه على السواء، فمن تلك الجهة علل فاعلية[١]، فأعضاد وأشهاد، إذ لا يغيب شيء من علله الفاعلية والمادية والصورية.

(وَمُنَاةٌ): أي مُقّدرون من حيث كونهم علّة فاعلية، أو مبتلون، أو مبتلى بهم من جانب العلّة المادية والصورية.

(وَأَذْوادٌ): يمنعون المقبل على حسب إقباله عن كل شر، والمدبر على قدر إدباره عن كل خير.

---

[١] يقول الشيخ الأوحد: (هم العلة الفاعلية لأنهم في ذلك محل مشية الله) [شرح الزيارة الجامعة الكبيرة، ج١ ص١٩٦ (كرمان) ص٢٣٣ (العذراء)، شرح فقرة: (السلام على الدعاة إلى الله)]. ويقول الميرزا موسى الحائري الإحقاقي قدس سره: (فظهر أن مراده [أي الشيخ الأوحد] من العلة الفاعلية في أي محل أطلقها عليهم عليهم السلام هو كونهم محال المشيئة التي هي العلة حقيقة لا غيرها، وعلاقة التجوز، وهي علاقة الحال والمحل موجودة، لا أنهم حقيقةً هم العلة الفاعلية كما توهم من لم يُحِط خبراً بمقاصده وكلماته قدس سره؛ إذ هو صرَّح بكفر من قال بذلك في شرح التبصرة في مبحث نجاسة سؤر الكفار وإلحاق الغلاة بهم، وحمل الأخبار الدالة على عدم جواز إطلاق العلة الفاعلية عليهم عليهم السلام على ذلك ، أي إطلاقها حقيقة) إحقاق الحق، المقالة الخامسة، الفصل الرابع، ص٢٥٨.

(وَحَفَظَةٌ): لأعيانهم عن التغير حتى لا يغيروا ما بأنفسهم، ويحفظونهم عن أمر الله حتى يرد أمر الله. ويحفظون أعمالهم وأحوالهم وأقوالهم لهم حتى يجاوزوا بها إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

(وَرُوَّادٌ): لما حفظوا ما للخلق وما عليهم، ينزلون بكل منازل يستحقونها من ثواب وعقاب وجنة ونار.

(فَبِهِمْ مَلأْتَ سَمَاءَكَ وَأَرْضَكَ حَتَّى ظَهَرَ أَنْ لا إِلَهَ إِلّا أَنْتَ): والمراد من السماء والأرض كل ما سواهم من عالَم وآدم كما أشار إليه سبحانه في قوله: **﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً﴾**.

إذ نفى الشهادة منهم، وإشهاده تعالى إياهم على خلق السموات والأرض لا يدل على نفي الإشهاد على خلق أنفسهم، لأن نفي الإشهاد على الأعلى لا يستلزم نفي إشهاده على الأدنى وهو أنفس المضلين إلا بالتصريح عليه بقوله: **﴿وَلا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ﴾** بعكس مفهوم الآية في الهادين.

فإذا ثبت إشهاد الله سبحانه إياهم على خلق السموات والأرض يلزمه سبقهم عليهما إذ المعدوم لا حكم له فلا بد من سبقهم حتى يشهدون.

فأثبت سبحانه بالمفهوم إشهادهم على خلق أنفسهم قبل كل خلق سواهم من عال ودان، ومقبول وقابل، ألف ألف دهر لقول أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته الكاهلية: **(كنا بكينونته قبل الخلق والتمكين وقبل مواقع صفات التمكين في التكوين كائنين غير مكونين أزليين أبديين منه بدأنا وإليه نعود)**[1] الخطبة.

فهم المقصود والغاية[2] للإيجاد خلقهم الله لنفسه، ثم خلق الأشياء لهم كما في قولهم عليهم السلام: **(نحن صنائع الله والخلق بعد صنائع لنا)**[3] أو **(صنائعنا)**[1] على الروايتين.

---

[1]) الهداية الكبرى، ص٤٣٣ ب١٤

[2]) يقول مولانا الشيخ محمد آل أبي خمسين الأحسائي قدس سره: (اعلم يا أخي أن كون محمد وآل محمد علة غائية للموجودات له معنيان: أحدهما: أن الموجودات بأسرها خُلِقت لأجلهم ولمنافعهم كما أفصحت به الروايات المستفيضة عن صفوة البرية منها الحديث القدسي: (خلقتك لأجلي وخلقت الخلق لأجلك)، وحديث آخر مثله في الدلالة وهو: (لولاك لما خلقت الأفلاك) ... وثانيهما: أن مرجع الخلائق إليهم وحسابهم عليهم كما أشار إليه تأويل قوله تعالى: (إنا إلينا إيابهم، ثم إنا علينا حسابهم) ... أما الزيارات فمنها قول الهادي عليه السلام في الجامعة: (إياب الخلق إليكم وحسابهم عليكم وفصل الخطاب عندكم) نجاة الهالكين، ص١٠٥- ١٠٦ . وبالإمكان المراجعة لكتب علماء مدرسة الشيخ الأوحد في شرح مسألة العلل الأربع.

[3]) يقول أمير المؤمنين عليه السلام: (نحن صنائع ربنا، والناس بعد صنائع لنا) نهج البلاغة، ج٣ص٣٢ من كتاب له إلى معاوية.

فأشهدهم على أنفسهم في خلقهم لنفسه، بأن وصف نفسه وعرّفه لهم بهم وصفاً لا غاية له في الإمكان ولا نهاية فعرفوه كما وصف فلذا قال صلى الله عليه وآله: **(ما عرفناك حق معرفتك وما عبدنا حق عبادتك)**[٢] فإن الله قضى على نفسه ألا يقوم أحد بحقه . وهذا حكم لا يختلف في أول الموجودات وآخر النهايات، كل بحسبه، لا يقوم بحقه، إلا أنهم عليهم السلام قاموا على ما أراد أن يقام من علة الخلقة من معرفة وعبادة كما يمكن بالفعل دون غيرهم، ففتح الله بهم الوجودين؛ التكوين وشرعه، والتشريع وكونه.

ثم ملأهما بهم بأن جعل أنوارهم وأنوار أنوارهم عللاً مادية في كل مقام، وهيئات أعمالهم عللاً صورية، وجعلهم أشهاداً ومناةً يقدّرون على ما شهدوا من استعدادهم بأعمالهم، فيمنعون عنهم ما لا يليق بهم، ويحفظون لهم ما لهم وعليهم، فيوردونهم على ما حفظ منهم حتى ظهر أن لا اله إلا الله.

إذ لولا وجودهم في كل عالم كما عرفت، وتصرفهم بأمر الله كما سمعت، لما كان عالم ولا موجود، ولما اخضر للشرع والإسلام عود، فما ظهر التوحيد وما يلزمه من الأمر والنهي والوعد والوعيد في كل عالم بحسبه إلا بهم، وهذا

---

[١]) عن الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف: (نحن صنائع ربنا، والخلق بعد صنائعنا) بحار الأنوار، ج٥٣ ص١٧٨، التوقيع الذي خرج فيمن ارتاب فيه عجل الله فرجه الشريف.

[٢]) بحار الأنوار، ج٦٨ ص٢٣، معنى الشكر وأن له أركان ثلاثة .

معنى ما في الدعاء: **(اللهم إني أسألك بحقك على محمد وآل محمد، وبحق محمد وآل محمد عليك)**[١].

ولا تلتفت إلى قول من يقول أن العلة الغائية للشيء ما يتقدمه للتصور ويتأخر عنه في الوجود، فإن ذلك شأن من لا يقدر الوصول إلى مقصوده إلا بتوسل وعلاج، وأما القادر الذي لا راد لأمره ولا معقب لحكمه إنما يقول للشيء كن فيكون، فلا يخلو خلقه عن غاية، بل الغاية هي أول الخلق، حتى لا يكون الخلق عبثاً خلاف الحكمة، فلا أحد إلا وهم عليهم السلام أقدم منه و أسبق، وحقه سبحانه عليهم أعظم أن خلقهم كذلك، وحقهم على الله أنهم أدوا من الله ما أراد أن يأدوا، فأقامهم في سائر عالمه في الأداء مقامه[٢].

تم في سابع عشر من صفر سنة ١٢٩٣ بيد منشيه، وتم كتابته بيد الأحقر مير زين العابدين بن مير يوسف الأسكوئي في شهر رجب ١٣٢٣.

---

١) ورد في ضمن أعمال مسجد الكوفة هذا المقطع من الدعاء: (فأسألك اللهم يا عظيم بحقك على محمد وآله الصادقين، وبحق محمد وآله الصادقين عليك) بحار الأنوار، ج٩٧ ص ٤١٤.

٢) عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: (وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، استخلصه في القدم على سائر الأمم على علم منه، انفرد عن التشاكل والتماثل من أبناء الجنس، وانتجبه آمراً وناهياً عنه، أقامه في سائر عالمه في الأداء مقامه؛ إذ كان لا تدركه الأبصار ولا تحويه خواطر الأفكار) مصباح المتهجد ص٥٢٤. بحار الأنوار ج٩٤ ص١١٣ ح٨.

(٩)

الرسالة التاسعة

رسالة في جواب الشيخ محمد العيثان الأحسائي

حول معنى (جف القلم)

[تمهيد]

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة على سيد خلقه، والسادة من بعده محمد وآله الطاهرين.

أما بعد؛ فإنه قد كتب إليَّ شيخنا الأجل الأمجد، والولي الموفق المسدد، العالم العامل الزكي، التقي الورع الصفي، اللوذعي اليلمعي[1]، ذو الذهن الوقاد، والفهم السريع لإدراك السداد والرشاد، المولى المؤتمن والمعتمد، جناب الشيخ محمد بن جناب الشيخ عبد الله بن الشيخ علي بن عيثان[2] -أخذه الله بيمناه إلى غاية مناه من محبته ورضاه- مسائل صعبة مستصعبة قد تحيّر في حل إشكالها لبه، وضاق بحرمانه عن نيلها قلبه، يريد تذليلها بزمام البيان، وتسهيلها[3]

[1]) هكذا جاء في كلا المخطوطتين، ويمكن أن تكون: الألمعي.

[2]) آية الله المعظم الشيخ محمد بن الشيخ عبدالله العيثان الأحسائي، ولد سنة (١٢٦٠هـ) في بلدة القارة بالأحساء، وتتلمذ على يد والده ثم هاجر للنجف الأشرف وكربلاء المقدسة، ومن أهم أساتذته هناك آية الله الشيخ محمد طه نجف، وآية الله الميرزا محمد باقر الحائري الأسكوئي، و آية الله السيد محمد مهدي القزويني. له العديد من المؤلفات منها؛ دليل الحيارى في الرد على النصارى، وشرح رضاعية السيد مهدي القزويني، وشرح الشهاب الوامض في أحكام الفرائض، وأجوبة مسائل الشيخ حسين الصحاف في الحكمة. توفي سنة (١٣٣١هـ)، في الأحساء، وبها دفن. راجع أعلام هجر، ج٤ ص٤٣٧.

[3]) في نسخة (ب): يسهلها.

بتقريب الأمثال لركوب الأذهان، فسارعت إلى ذلك سالكاً فيه أخصر المسالك، آتياً كلامه كالمتن وقولي كالشرح، إذ كان أقرب للفهم، معتصماً بذمام ولي البدء والختم.

[جفاف القلم في نص السيد الرشتي قدس سره]

قـــال: **إلى جناب مولانا، وأُستادنا، وشيخنا، وعمادنا؛ الميرزا محمد باقر سلمه الله تعالى، وأعلى رتبته، ورفع في الدارين درجته بمحمد وعترته.**

وبعد؛ مولانا تعلم أن ما أفاده سيدنا أعلى الله مقامه[1] من بيان (جفاف القلم) غير واف بالمرام، ولا رافع للنقض والإبرام وضرورة العقول والآيات، كما هو نص الروايات بأن القلم غض طري لا يعتريه الدثور ولا يعرضه الفتور؟

---

[1]) المقصود هو آية الله المقدس السيد كاظم بن السيد قاسم بن السيد أحمد بن السيد حبيب المدني الحسيني أباً، والموسوي أماً، والرشتي مولداً، والكربلائي مسكناً ومدفناً، ولد قدس سره في رشت عام (١٢١٢هـ)، ومن مشائخه في الرواية: الشيخ الأوحد أحمد بن الشيخ زين الدين الأحسائي قدس سره، والعلامة السيد عبد الله شبر، والملا علي البرغاني، والشيخ موسى بن الشيخ جعفر كاشف الغطاء. له مصنفات عجيبة في الحكمة والفقه والأصول والعلوم الغريبة منها: شرح الخطبة الطتنجية طبع مؤخراً في ثلاث مجلدات، واللوامع الحسينية في الحكمة الإلهية، وشرح آية الكرسي صنفه وهو ابن عشرين سنة طبع في ثلاث مجلدات وهو لم يتم، جمعت أغلب رسائله في مجلدين ضخمين بعنوان (مجموعة الرسائل) طبع في إيران طبعة حجرية، توفي مسموماً من قبل نجيب باشا والي بغداد وهو راجع من زيارة العسكريين عليهما السلام إلى الكاظمية، وكان ذلك في (١١) ذي الحجة عام (١٢٥٩هـ) وعمره الشريف (٤٧)، وقد جهزه وصلى عليه تلميذه الميرزا حسن كوهر بوصية منه، ودفن في الحرم المطهر تحت أرجل الأنصار في الحضرة الحسينية بكربلاء المقدسة. راجع دليل المتحيرين بقلم السيد، مقدمة تفسير آية الكرسي بتحقيق الشيخ عبد المنعم العمران.

أقـــول: أراد سلمه الله مما أفاده السيد -قدس روحه ونور ضريحه- في بيان حديث **(جف القلم)** ما قاله في اللوامع الحسينية في خامس إشراقات الثانية عشر منها، من قوله رحمه الله: (فلما كان الحق سبحانه وراء ما لا يتناهى بما لا يتناهى فيما لا يتناهى، كانت الأشياء كلها حاضرة لديه وموجودة عنده، لا يفقده في ملكه[١]، وملكوته[٢]، وجبروته[٣]، ولاهوته[٤]، وإمكانه، فليس عنده تقدم ولا تأخر، ولا أولية ولا آخرية، ولا ظهور ولا بطون، ولا ارتباط ولا نسبة، لا قبل الخلق ولا بعد الخلق ولا مع الخلق، والأزمنة الثلاثة إنما تعتبر بالنسبة إلى المخلوقين المربوبين، وهو معنى قوله عليه السلام: **(علمه به قبل**

---

١) يقول الشيخ الأوحد قدس سره: (عالم الملك؛ أعني عالم الأجسام، وأعلاه محدد الجهات ومحدبه مساوق في الوجود للزمان والمكان) شرح الفوائد، ج٢ ص٢٠ الفائدة الخامسة.

٢) يقول الشيخ الأوحد قدس سره: (عالم الملكوت؛ والمراد به عالم النُّفوس، أعني الصور الجوهرية، وعالم الأرواح متردِّد بين العالمين، وبرزخ بين الاثنين الجبروت والملكوت، يستعمل مع كل منهما باعتبارين. وهذا العالم أهله جواهر مقداريَّة، أي: ذوات مجردة إلا عن الصورة، وصورها نفوس الصور المثالية المحسوسة) شرح الفوائد ج٢ ص ٢٠ الفائدة الخامسة.

٣) يقول الشيخ الأوحد قدس سره: (عالم الجبروت؛ وهو عالم العقول، وهو عالم المعاني، والمراد بالمعاني: المعاني الاصطلاحية الخاصة، وهي المجردة عن المادة العنصرية والصورة المثالية، أعني المرتبطة بالمادة العنصرية والمدة الزمانية، لا التجرد المطلق) شرح الفوائد ج٢ ص ١٥ الفائدة الخامسة.

٤) يقول الشيخ الأوحد قدس سره: (عالم اللاهوت: أعني الوجود الراجح؛ وقته السرمد) شرح العرشية، ج٣ ص٢٢٦.

كونه [كعلمه به بعد كونه])[1]، وقوله: **(لا كان خلواً من الملك قبل إنشاء الملك، ولا يكون منه خلواً بعد ذهابه)**[2]؛ فإن القبلية والبعدية راجعة إليها وإلينا.

فإن ما يكون[3] بعد ألف سنة لم يكن عندنا الآن زمانه، لأنا لم نصل وإنا[4] سائرون إلى الآخرة ولا بد أن نصل إليه أحياءً وأمواتاً، لأنّا في سفينة المكان، وهي في آخر الزمان، فهو يسير بنا ونحن قاعدون، أما أشعرت أن أمس الماضي كان هو يومنا، ويومنا هذا والأمس هو عندنا، فسار بنا نهر الزمان عن يومنا حتى كان أمس إلى غدنا حتى كان يومنا .

فالمستقبل عندنا لم يكن وكان عند الله سبحانه في وقته ومكانه وحدوده **﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً ۞ وَنَرَاهُ قَرِيباً﴾**[5] فالمراد من قبل إنشائه كالغد عندنا، و بذهابه كأمس عندنا؛ لا أن المراد أنه يذهب أين يذهب **﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ**

[1]) عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: (كان الله عز وجل ولا شيء غيره، ولم يزل عالماً بما يكون، فعلمه به قبل كونه كعلمه به بعد كونه) الكافي، ج١ ص ١٠٧، باب صفات الذات. وما بين المعكوفتين لم يرد في الطبعة الحجرية.

[2]) أصول الكافي، ج١ ص ٨٨، باب الكون والمكان.

[3]) في الطبعة الحجرية من اللوامع: ما سيكون.

[4]) في الطبعة الحجرية من اللوامع: ونحن.

[5]) المعارج، ٦-٧.

آمِناً﴾[١]، وليس حيث لم يدخله عادماً، وليس حيث لم يعدم أزلاً، فالحق حق على ما هو عليه في القدم، والخلق خلق على ما هو عليه في الحدوث، والحق خلو من خلقه، وخلقه خلو من الحق سبحانه[٢]، مع أنه مع كل شيء لا يفقده شيء ولا يفقد هو شيئاً، وليس حيث لم يفقد يوجد في ذاته تعالى وتقدس، بل كما قال موسى عليه السلام: **﴿عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنْسَى﴾**[٣]، و **﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ﴾**[٤]، وقال عيسى عليه السلام: **﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾**[٥]. أثبت العلم المتعلق من قوله تعالى: **﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً ۞ إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾**[٦] وهو ما شاء أن يحيطوا به في قوله تعالى: **﴿وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾**[٧].

---

[١]) آل عمران، ٩٧.

[٢]) عن مولانا الإمام الصادق عليه السلام قال: (إن الله تبارك وتعالى خلو من خلقه وخلقه خلو منه) التوحيد، ص١٠٥.

[٣]) طه، ٥٢.

[٤]) ق، ٤.

[٥]) المائدة، ١١٦.

[٦]) الجن، ٢٧.

[٧]) البقرة، ٢٥٥.

والعلم الأول هو الشمس المضيئة في قعر بحر القدر لا ينبغي أن يطلع عليها إلا الواحد الفرد فمن تطّلع عليها فقد ضاد الله في ملكه، ونازعه في سلطانه، وباء بغضب من الله، ومأواه جهنم وبئس المصير[1].

ومنه أُمر نبينا صلى الله عليه وآله بالاستزادة في قوله تعالى: **﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾**[2]، ومنه حصل له التحير **(اللهم زدني فيك تحيراً)**[3]؛ لأنه بحر لا ساحل له، وبه بدت القدرة، بل هو عين القدرة الظاهرة في قوله: **(بدت**

[1] إشارة إلى الرواية الواردة عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال في القدر: (ألا إن القدر سرّ من سرّ الله، وستر من ستر الله، وحرز من حرز الله، مرفوع في حجاب الله، مطوي عن خلق الله، مختوم بخاتم الله، سابق في علم الله، وضع الله العباد عن علمه، ورفعه فوق شهاداتهم ومبلغ عقولهم، لأنهم لا ينالونه بحقيقة الربانيّة، ولا بقدرة الصمدانية، ولا بعظمة النورانية، ولا بعـزّة الوحدانية، لأنّه بحر زاخر خالص لله عزّ وجلّ، عمقه ما بين السماء والأرض، عرضه ما بين المشرق والمغرب، أسود كالليل الدامس، كثير الحيات والحيتان، يعلو مرّة ويسفل أخرى، في قعره شمس تضيء، لا ينبغي أن يطّلع إليها إلاّ الله الواحد الفرد، فمن تطلّع إليها فقد ضادّ الله في حكمه، ونازعه في سلطانه، وكشف عن سرّه وستره، وباء بغضب من الله، ومأواه جهنم وبئس المصير) بحار الأنوار، ج٥ ص٩٧ ر٢٣، باب القضاء والقدر والمشيئة.

[2] طه، ١١٤.

[3] شرح العرشية، ج١ ص٤٠١.

قدرتك يا إلهي ولم تبد هيئة فشبهوك)[١]، وهو العلم السابق الذكر الأول للأشياء **﴿بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ﴾**[٢])[٣]. انتهى.

لله دره من مورد[٤]؛ كلاماً[٥] ما أوفاه وأكفاه، وبيان ما أجمعه وأنفعه، فلذا نقلته بطوله ولمسيس الحاجة إليه في حل ما سأل عن مشكله وإنجاح مأموله، وإن كان بعيد الغور لا يُدرك كسائر الأشياء بطور، بل له مشعر قد حرمه الأكثر.

فليعلم أولاً أن لا تزاحم بين قوله عليه السلام: **(جف القلم بما هو كائن)**[٦] ونحوه، وقوله: **(القلم رطب طري)** وأمثاله، إذ الجفاف ليس إلا عما لا يجري عليه القلم مما لا ينبغي أن يجري عليه ولا يليق، وإلا أن لا يجري على ما يجري مما تقتضيه الحكمة فهو رطب طري فيما جف به وعليه، وجاف فيما

---

١) بحار الأنوار، ج٨٤ ص١١٠، فيما يقرأ في الوتيرة والدعاء بعدها.

٢) المؤمنون، ٧١.

٣) اللوامع الحسينية، اللمعة الثانية عشر، الإشراق الخامس ص ٢٦٦، الطبعة الحجرية.

٤) في المخطوطة (ب): ما أورده من مورد.

٥) في المخطوطة (ب): كلام.

٦) مشارق أنوار اليقين للبرسي ص٢١١. شرح أصول الكافي ج٨ ص١٧. وورد كذلك بصيغة (جف القلم بما فيه) علل الشرائع ج٢ ص٣٤٨ ب٥٧. بحار الأنوار ج٢٨ ص٤٩ ر١٤.

جرى عليه طرياً، فلا تنافي بينهما عند من عرف المرام فيراه لا يتطرق عليه من نقض ولا إبرام، وستقف على ذلك فيما نورده من الكلام.

[بين رواية: (جف القلم)، و رواية: (لم يكن الله خلواً من الملك)]

قــال: **ورواية (لم يكن الله خلواً من الملك قبل إنشائه)**[١] **موافقة في المعنى لحديث الجفاف، والمرجو من مزيد شفقة مولانا أن يعجل بالجواب حتى يتبين الحق والصواب؟**

أقـــول: لا شـك في موافقـة الروايـة لروايـة[٢] جفـاف القلـم؛ وإنـما الإشكال في فهم المراد منهما؛ فإن الله خلو من خلقه وخلقه خلو منه قبل الخلق وبعده ومعه كما في رواية: **(كان الله ولم يكن معه شيء)**[٣] [و] الآن على ما عليـه كان، وذلك أنه سبحانه لا يسبقه حال حالاً فيكون متغيراً محـدثاً، وقولـه عليـه السلام: **(لم يكن الله خلواً من الملك قبل إنشاء الملـك)** صريـح في أن الملـك لا

---

١) أصول الكافي، ج١ ص ٨٨، باب الكون والمكان، وعن الإمام الباقر عليه السلام: (لا كان خلواً من الملك قبل إنشاء الملك، ولا يكون منه خلواً بعد ذهابه).

٢) لا توجد في المخطوطة (ب).

٣) الفصول المهمة، ج١ ص١٥٤.

يكون إلا بعد الإنشاء وتحته، فليس قبله وفوقه إلا المالك كما تشهد به ضرورة الآيات والروايات والعقول المستنيرة بنورها.

وأما الإنشاء الذي هو المشيئة؛ هو العلم السابق والذكر الأول كما في الرواية[1]، وهو في ذاته بسيط لا جزء له، ولا حد، ولا نهاية، ولا جهة، ولا رتبة، ولا كم، ولا كيف، ولا إطلاق، ولا تقيد، ولا وضع، ولا نسبة، ولا شيء مما في الإمكان، إذ الكل إنما به كان، وهو قبل الكان والمكان، بريء عن الحدود والأقطار، وهو فوق حس كل متوهم[2]، وهذا أول ظهور للقديم الأزل بالكينونة التي في قوله سبحانه: **(كنت كنزاً مخفياً ...إلخ)**[3]، وفي قوله

---

[1]) في المخطوطة (ب): رواية.

[2]) ورد في الرواية الشريفة عن علي بن محمد، عن صالح بن أبي حماد، عن الحسين بن يزيد، عن الحسن بن علي ابن أبي حمزة، عن إبراهيم بن عمر، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: (إن الله تبارك وتعالى خلق اسماً بالحروف غير متصوت، وباللفظ غير منطق وبالشخص غير مجسد والتشبيه غير موصوف وباللون غير مصبوغ، منفي عنه الأقطار، مبعد عنه الحدود، محجوب عنه حس كل متوهم، مستتر غير مستور فجعله كلمة تامة على أربعة أجزاء معاً ليس منها واحد قبل آخر، فأظهر منها ثلاثة أسماء لفاقة الخلق إليها وحجب منها واحدا وهو الاسم المكنون المخزون...الخ) أصول الكافي، ج١ص١١٢ باب حدوث الأسماء.

[3]) ورد في كتاب أسرار الإمامة للشيخ عماد الدين الطبرسي -من علماء القرن السابع الهجري- ص ٣٥ ما هذا نصه: (اشتهر بين الرواة أن داود عليه السلام قال في بعض مناجاته: يا إلهي لم خلقت العالم وما فيه؟ قال الحق تعالى: كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف) ولعل هذا من أقدم المصادر التي خرجت هذا الحديث الشريف، راجع كذلك شرح أصول الكافي، ج١ ص٢٥، رسائل الكركي، ج٣ ص١٥٩.

عليه السلام: **(الحمد لله الذي لا من شيء كان)**[١] ونظائره، وهنا ذكر الواجب سبحانه نفسه بالوجوب والقدم والأزل وبكل ما يجوز عليه، إذ كل ما يجوز عليه يجب له، وذكر غيره بالامتناع إذ لا شيء سواه، وهو العلم إذ لا معلوم، والقدرة إذ لا مقدور[٢]، والقدرة البادية ولم تبد هيئة[٣]، والعلم الذي لا يحيطون

---

١) قال أمير المؤمنين عليه السلام: (الحمد لله الواحد الأحد الصمد المتفرد الذي لا من شيء كان ولا من شيء خلق ما كان) الغارات، ج٢ ص٧٣٣.

٢) علي بن إبراهيم، عن محمد بن خالد الطيالسي، عن صفوان بن يحيى، عن ابن مسكان، عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: (لم يزل الله عزوجل ربنا والعلم ذاته ولا معلوم، والسمع ذاته ولا مسموع، والبصر ذاته ولا مبصر، والقدرة ذاته ولا مقدور، فلما أحدث الأشياء وكان المعلوم وقع العلم منه على المعلوم، والسمع على المسموع، والبصر على المبصر، والقدرة على المقدور، قال: قلت: فلم يزل الله متحركاً؟ قال: فقال: تعالى الله إن الحركة صفة محدثة بالفعل، قال: قلت: فلم يزل الله متكلماً؟ قال: فقال: إن الكلام صفة محدثة ليست بأزلية كان الله عز وجل ولا متكلم) أصول الكافي، ج١ ص١٠٧، باب صفات الذات.

٣) روي أن الإمام السجاد عليه السلام كان في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم إذ سمع قوماً يشبهون الله بخلقه، ففزع لذلك وارتاع له، ونهض حتى أتى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله فوقف عنده، ورفع صوته يناجي ربه، فقال في مناجاته: (إلهي بدت قدرتك، ولم تبد هيئة، فجهلوك وقدروك بالتقدير على غير ما أنت به، شبهوك وأنا بريء يا إلهي من الذين بالتشبيه طلبوك، ليس كمثلك شيء، إلهي ولن يدركوك، وظاهر ما بهم من نعمة دليلهم عليك لو عرفوك، وفي خلقك يا إلهي مندوحة أن يتأولوك، بل ساووك بخلقك، فمن ثم لم يعرفوك، واتخذوا بعض آياتك رباً، فبذلك وصفوك، فتعاليت يا إلهي عما به المشبهون نعتوك) بحار الأنوار، ج٣ ص٢٩٣ ب١٣.

بشيء منه[١]، وهذا بكل جهتيه جهة مفعوليته وجهة بنفسه في قوله عليه السلام: **(خلق المشيئة بنفسها)**[٢] هو العلم الذي أحاط بكل شيء قبل كل شيء ومعه وبعده ولا يحيط بشيء منه شيء إلا بما شاء، والإنشاء هو الإيجاد الذي لا يظهر إلا بمتعلق يوجد به، وذلك هو الإمكان، إذ الواجب هو الذي أوجد الإنشاء بنفسه ثم يوجد به [الأشياء]، والممتنع ما لا يتعلق به القدرة لما ليس فيه صلوح فلا عبارة عنه ولا إشارة، والإمكان أول محدث بالإنشاء الذي ليس يزيده ولا ينقص عنه ولا يتقدم عليه ولا يتأخر عنه إلا من حيث الرتبة، فبينهما كمال التساوق والتحاوي، فلذلك ليس للإمكان نهاية ولا غاية ولا قبل ولا بعد كالإنشاء، وهو قبل كل شيء وبعده، محيط بكل شيء ولا يحيط به شيء إلا بما شاء، وهو العلم إذ لا معلوم كوناً بل ليس هناك إلا أن الأشياء مذكورة بالعلم دون العين، وهو ما في قوله عليه السلام: **(علم، وشاء، وأراد ...إلخ)**، وقوله: **(فبعلمه كانت المشيئة)**، وقوله: **(العلم أول، والمشيئة ثانية...إلخ)**[٣].

---

١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ﴾ البقرة، ٢٥٥.

٢) الكافي، ج١ ص١١٠، باب الإرادة.

٣) ورد في الرواية عن معلى بن محمد قال: سئل العالم عليه السلام كيف علم الله؟ قال: (علم وشاء وأراد وقدر وقضى وأمضى، فأمضى ما قضى، وقضى ما قدر، وقدر ما أراد، فبعلمه كانت المشيئة، وبمشيئته كانت الإرادة، وبإرادته كان التقدير، وبتقديره كان القضاء، وبقضائه كان الإمضاء، والعلم متقدم على المشيئة، والمشيئة ثانية، والإرادة ثالثة، والتقدير واقع على القضاء بالإمضاء فلله تبارك وتعالى البداء فيما

وفي هذا المقام ليس يخلو من الملك لذكر[١] جميع الأشياء فيه بالإمكان والصلوح بتمكين الله سبحانه، وهو الملك المتأبد بالدوام والخلود[٢]، وهو قبل إنشاء الملك الذي هو الكون والعين، وهو رتبة العلم إذ معلوم، والقدرة إذ مقدور وهكذا[٣]، وهو الملك الذي استعلى علواً سقطت الأشياء دون بلوغ أمده[٤]، إذ جزئي من ذلك الملك يسع جميع ما في عالم الكون بمشيئته سبحانه،

علم متى شاء، وفيما أراد لتقدير الأشياء، فإذا وقع القضاء بالإمضاء فلا بداء، فالعلم في المعلوم قبل كونه، والمشيئة في المنشأ قبل عينه، والإرادة في المراد قبل قيامه، والتقدير لهذه المعلومات قبل تفصيلها وتوصيلها عياناً ووقتاً، والقضاء بالإمضاء هو المبرم من المفعولات، ذوات الأجسام المدركات بالحواس من ذوي لون وريح ووزن وكيل وما دب ودرج من إنس وجن وطير وسباع وغير ذلك مما يدرك بالحواس فلله تبارك وتعالى فيه البداء مما لا عين له، فإذا وقع العين المفهوم المدرك فلا بداء، والله يفعل ما يشاء، فبالعلم علم الأشياء قبل كونها، وبالمشيئة عرف صفاتها وحدودها وأنشأها قبل إظهارها، وبالإرادة ميز أنفسها في ألوانها وصفاتها، وبالتقدير قدر أقواتها وعرف أولها وآخرها، وبالقضاء أبان للناس أماكنها ودلهم عليها، وبالإمضاء شرح عللها وأبان أمرها وذلك تقدير العزيز العليم) الكافي، ج١ ص١٤٨، باب البداء.

١) في المخطوطة (ب): لذكرى.

٢) ورد من دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام بعد صلاة الليل: (اللهم يا ذا الملك المتأبد بالخلود، والسلطان الممتنع بغير جنود ولا أعوان) مصباح المتهجد، ص١٨٨.

٣) لا توجد في المخطوطة (أ).

٤) ورد من دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام بعد صلاة الليل: (واستعلى ملكك علواً سقطت الأشياء دون بلوغ أمده) مصباح المتهجد، ص١٨٨

وهو باقٍ على ما هو عليه من الصلوح ولا يتناهى ولا ينتهي إلى شيء إلا إلى مشيئته، وهو كما قال عليه السلام في الدعاء: **(ولا يبلغ أدنى ما استأثرت به [من ذلك] أقصى نعت الناعتين)**[1]، وهذا هو العلم المستثنى منه في قوله عز من قائل: **﴿وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾**[2]، وهذا وما قبله من المشيئة بحسب ذاتها قبل تعلقها بالإمكان بجهتيها هما اللذان لا يحاط بشيء منهما إلا بما شاء إخباره أو إيجاده، وهما من علمه الذي هو ذاته سبحانه من كمالهما بين سائر الصفات وسائر مراتب العلوم كيدك منك كما في رواية[3]، وذلك لانتساب[4] كلها وافتقارها إليهما من غير عكس.

---

[1]) مصباح المتهجد، ص ١٨٨، من دعائه عليه السلام بعد صلاة الليل.

[2]) البقرة، ٢٥٥.

[3]) عن زكار بن يحيى الواسطي قال: كنت عند الفضيل بن يسار أنا وحرير، قال: فقال له حرير: يا أبا علي إن زكاراً يحب أن يسمع الحديث منك في العلم، قال: فأقبل علي بن فضيل فقال: ما لك وللخصومة؟ قال: قلت: لم أرد بهذا الخصومة، قال: فقال: كنت أنا وحمران قال فقال أبو عبد الله عليه السلام: (يا حمران كيف تركت المتشيعين خلفك؟ قال: تركت المغيرة وبيان البيان يقول أحدهما العلم خالق ويقول الآخر العلم مخلوق. قال: فقال لحمران: فأي شيء قلت أنت يا حمران؟ قال: فقال حمران: لم أقل شيئاً. قال: فقال: أبو عبد الله عليه السلام: أفلا قلت ليس بخالق ولا مخلوق، قال: ففزع لذلك حمران، قال: فقال: فأي شيء هو؟ قال: فقال: هو من كماله كيدك منك) [الأصول الستة عشر من الأصول الأولية، ص٢٩٠، كتاب درست بن أبي منصور]، ونقلها الشيخ الصدوق عليه الرحمة بهذه الصيغة: عن حمران بن أعين عن أبي جعفر عليه السلام في العلم، قال: (هو كيدك منك) التوحيد، ص١٣٤ باب العلم.

[4]) في المخطوطة (ب): الانتساب.

وفي هاذين المقامين لا امتياز بين جهتي[١] القدرة والحكمة لما هي عليه من البساطة، إلى أن تتعلق المشيئة الكونية بتكوين الأشياء من الحصص الإمكانية.

فأول كائن بها منها الحقيقة التي هي المقصودة بالأصالة من الخلقة وهي المحبة الحقيقية، ومحلها التي لا تظهر المراتب السابقة إلا بها وفيها، ولا التي بعدها إلا بها ومنها، و هو[٢] قوله عليه السلام في وصفها: **(نور أشرق من صبح الأزل فيلوح على هياكل التوحيد آثاره)**[٣]، وهنا أول مقام امتاز به وفيه الحكمة عن القدرة وظهر بينهما الفرق، إذ قبلها في المشيئة نفسها ومتعلقها الإمكان المتحاوي المتساوق معها كانتا متطابقتين لا تزيد إحداهما عن الأخرى ولا تنقص؛ فإن القدرة غير الذات ليست إلا الفعل الذي ليس إلا بنفسه فهي هو وهو هي، وكذلك هو الحكمة لا غير، ثم الذي لا يظهر الفعل من جميع جهاته إلا به وهو الإمكان الكلي هو قدرة بتمامه ومتعلقها، وحكمة كذلك إذ هو مقتضى الإمكان الأشرف وبطلان الطفرة في الخلق.

---

[١]) في المخطوطة (ب): جهتين.

[٢]) لا توجد في (ب).

[٣]) نور البراهين، ج١ص٢٢١.

فلما أراد الله سبحانه إحداث الكون تعلق أمره الفعلي وهو قوله: ﴿ كُنْ ﴾[١] -بلا نطق ولا كيف- بإيجاد الوجود الذي هو أمر الله المفعولي والحقيقة المحمدية صلى الله عليه وآله[٢]؛ فجرى هناك فعله الذي هو القدرة على مقتضى الحكمة؛ أي على حسب قابلية عالم الكون، فإنه ما كان يستأهل للوجود ولا يتحمل إشراق شمس الإيجاد إلا من وراء حجاب بينه وبينها كمال المناسبة في الصفاء واللطافة والشدة والقوة وكمال الاستعداد والقابلية في

---

[١] يس، ٨٢.

[٢] يقول الشيخ الأوحد أحمد بن زين الدين الأحسائي قدست روحه: (واعلم أنا قد أشرنا أنَّ أمر الله الذي به تقوّمت الأشياء يُطلق على شيئين:

أحدهما: فعل الله، وهو المُشار إليه بقوله تعالى: ﴿أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾، وهذا تتقوّم به الأشياء تقوّم صدور، فكل شيء من فعل الله في حال صدوره وبقائه طريّ أبداً، فأول آناته كآخره، إذ وجوده إنما هو شيءٌ بفعل الله، فلا تحقق له في البروز في عالم الأكوان إلا بالفعل، فهو منه كالنهر الجاري من الينبوع .

والآخر: أول مفعول صدر عن الفعل، وهذا تتقوّم به الأشياء تقوّماً ركنياً، كتقوّم السرير وأبناء نوعه بالخشب، والمراد بهذا الوجود: هو الماء الذي جعل منه كل شيء حي، وهو الحقيقة المحمدية صلى الله عليه وآله، فإنّ الأشياء كلها موادها التي تتقوّم بها من أشعتها أو أشعة أشعتها) [شرح الفوائد، ج٢ ص٣٥٠-٣٥١ الفائدة الحادية عشر]. وقال قدس سره: (بأمر الله الفعلي أي المشيئة والإرادة والإبداع) [شرح المشاعر،ج٢ص٣٣٣ (مؤسسة الإحقاقي)، جوامع الكلم، ج٣ ص٥٣٥ (مطبعة الغدير)]. وقال: (أمر الله المفعولي الذي هو الماء المسمى بالحقيقة المحمدية) [شرح الفوائد، ج٢ ص ٤٠٧ الفائدة الثانية عشر]. وقال: (أمر الله المفعولي هو الحقيقة المحمدية) [راجع شرح العرشية، ج١ ص٨٦].

أسرع ما يكون من الاستضاءة[١] كما في قوله سبحانه: **﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾**[٢].

وتلك الحقيقة المباركة بجميع مراتبها النازلة إلى الجسم في ذرياتها الأربعة عشر صلوات الله عليهم أجمعين هي الحجاب الأكبر[٣]، ولا يستأهل شيء -لنقص قابليته وقصورها للذكر[٤]- في الوجود إلا تحت ذلك الحجاب بلا واسطة أو بها، والقدرة لا نقص فيها ولا قصور أن تفعل ما تشاء كيف تشاء ولكن **(أبى الله إلا أن يجري الأمور بأسبابها)**[٥]، فلا يخالف شيء من

---

١) في المخطوطة (ب): للإستضائة.

٢) النور، ٣٥.

٣) ورد في الأحاديث والزيارات الشريفة إطلاق (الحجاب) على رسول الله وأهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين، ومنها ماروي في الكافي عن بريد العجلي قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: (بنا عبد الله، وبنا عرف الله، وبنا وحد الله تبارك وتعالى، ومحمد حجاب الله تبارك وتعالى) [الكافي، ج١ ص١٤٥ باب النوادر من كتاب التوحيد]، و في الزيارة الرجبية التي خرجت من الناحية المقدسة: (وصلى الله على محمد المنتجب، وعلى أوصيائه الحجب) [المزار، ص٢٠٣]، وورد في زيارة الإمام الحجة عجل الله فرجه الشريف: (السلام عليك يا حجاب الله القديم الأزلي) [بحار الأنوار، ج٩٩ ص٩٨].

٤) إلى هنا تنتهي المخطوطة (أ)، والتي هي النسخة الأصلية للرسالة.

٥) عن أبي عبدالله عليه السلام قال: (أبى الله أن يجري الأشياء إلا بأسباب، فجعل لكل شيء سبباً، وجعل لكل سبب شرحاً، وجعل لكل شرح علماً، وجعل لكل علم باباً ناطقاً عرفه من عرفه وجهله من جهله ذاك رسول الله صلى الله عليه وآله ونحن) أصول الكافي، ج١ص١٨٣باب معرفة الإمام والرد إليه.

الأشياء محبته[1]، وهو ضربها على طبق الحكمة ليكون دليلاً للمعرفة على ما ينبغي بإيضاح المحجة ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ﴾[2].

فالأسباب منها أمري ومنها خلقي؛ والأول فعلي ومفعولي، وآخر مقامات الأمر المفعولي رتبة الزيت الذي يكاد يضيء ولو لم تمسسه نار وهي القابلية المحمدية[3]، وبعده مقام المصباح الذي هو القلم[4] الجاري على ما تقتضيه الحكمة، وهو غض طري أبداً وقد جف عن كل ما ليس مقتضاها.

---

[1]) ورد في دعاء ليلة الإثنين: (لا يخالف شيء منه محبتك) بحار الأنوار، ج٨٧ ص١٦٩. مصباح الكفعمي ص١١١.

[2]) النساء، ١٦٥.

[3]) يقول الشيخ الأوحد قدس سره: (قابليتهم الطاهرة الزاهرة وهي الزيت الذي يكاد يضيء ويسلم إلى الله تعالى في كل شيء ولو لم تمسسه نار) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة، ج٢ ص١٤٠ (كرمان)، ص١٦٨ (مكتبة العذراء)، شرح فقرة: (والحق معكم).

[4]) يقول الشيخ الأوحد قدس سره: (مقام الأبواب، و باطن الظاهر، و سر لا يفيده إلا سر، و السفارة إلى الله، و ترجمة وحي الله، و بيانه: أنه إذا وقع الماء الأول على أرض الجرز و البلد الميت، و بعبارة أخرى إذا استضاء الزيتُ عن النار، و بعبارة أخرى إذا وقعت الدلالة من الكلمة التي انزجر لها العمق الاكبر على المعنى الميت في قلب العبد المؤمن ظهر على العبارة الأولى الزرع و النبات الطيب، و على الثانية المصباح، و على الثالثة المعنى، و المراد من الزرع و النبات و المصباح و المعنى شيء واحد و هو الاسم الذي أشرقت به السماوات و الأرضون، و هو المعبر عنه عند أهل الاشراق بالعقل الكلي، و عند أهل الشرع بالقلم و العقل المحمدي، و قد يطلق عليه الروح المحمّدي) شرح الزيارةالجامعة الكبيرة، ج١ ص ٢٦ (كرمان)، ص٤٥ (مكتبة العذراء)، شرح فقرة: (وموضع الرسالة).

فلا يخفى عليك ما بين رواية: **(لم يكن الله خلواً من الملك قبل إنشائه)**، ورواية: **(جف القلم بما هو كائن)** من اختلاف المورد، إذ القلم ابتداء عالم الخلق وجريانه فيما تحته وجفافه عما تحته من الخلق، والملك الذي فيه الهيئة إما فوقه أو أعم منه أو أخص، وسيأتيك إن شاء الله البيان في محله فترقب.

[الاحتمالات الواردة في معنى الملك القديم]

قال: **فأقول في تقرير الإشكال: أن الملك القديم الذي لم يكن الله خلواً منه وجف القلم به إما يراد به الإمكان خاصة، أو الكون خاصة، أو هما معاً.**

وعلى الأول لا بد من التجوز في حديث جف القلم بإسقاط المضاف؛ أي جف القلم بإمكان ما هو كائن، وعلى هذا يكون الله خالياً من الملك الأكواني وليس عالماً بكونه قبل كونه؛ إذ العلم المتعلق بالمعلوم ولا معلوم جهل محض لا ترضون به للواجب تعالى، والشق الثاني لا يراد يقيناً.

وأما الثالث[1] فباطل لوجهين؛ أحدهما التناقض في الرواية؛ لأن قوله عليه السلام: (لم يكن خلواً من الملك) يدل على وجود الملك الكوني، وقوله عليه السلام: (قبل إنشائه) يدل على عدم وجوده، فإنه ما لم ينشأ لا يكون موجوداً، والثاني لزوم التعطيل في الابتداء وبطلان الاختراع ؟

---

[1] في هذا الموضع من المخطوطة (ب)، جاءت كلمة: (الثاني) بدلاً عن (الثالث)، ولكن باكمال الرسالة والفقرات المقطعة في الرسالة وجدناها كتبت (الثالث) في النصوص اللاحقة، وهو الأصح، فلاحظ.

أقــول: المراد من الملك القديم الذي في الدعاء[١] هو المشيئة، ومتعلقها المطابق لها [وهو] الإمكان، فإنهما اللذان يتحقق بهما الملك والقبلية والأولية والسبق، ويظهر بهما المالك القادر العالم، إذ لولاهما لما كان للملك والقبل ذكر، إذ لا مذكور ولا ذكر إلا والمذكور معه.

وهذه القبلية عين البعدية، والأولية نفس الآخرية، وهذا هو الملك الذي لم يكن الله خلواً منه وإن لم يوجد الأكوان، فإن الإمكان شامل لكل ما في الكون من الحقائق، والأجناس، والأنواع، والأصناف، والأشخاص، والأعراض، والأمثال، والأوضاع، والترتيب، والنسب، وزيادة على ذلك بما لا يتناهى فيما ذكر كلها، بحيث يكون ما تريد مما في الكون كله بجميع جهاته عنده كالقطرة في البحر والذرة في القفر، فالإمكان بهذه الحالة مُحدث بالمشيئة وقائم بها إيجاداً وإمداداً، توجده لا من شيء، ويمده به له من غير نهاية ولا غاية له في الإصدار والإبقاء.

فهذه المشيئة هي التي الأقدم[٢] في قوله: (**اللهم إني أسألك باسمك العظيم، وملكك القديم**)[١] لا يبعد أن يراد من الاسم المشيئة، ومن الملك

---

١) ورد في عدة أدعية عن المعصومين عليهم السلام قولهم: (وملكك القديم) مصباح المتهجد، ص٩٩ ما يستحب أن يقال في آخر سجدة من النوافل، وكذلك ص٢٢٨ من المصدر المذكور في أدعية صلاة الصبح.

٢) هكذا جاء في النسخة المخطوطة، ويحتمل أنها: القديم.

الإمكان إن كان فعيل للمبالغة، وإن كان فعيل صفة فالملك يشمله والحقيقة المحمدية صلى الله عليه وآله، إذ إليها الإشارة في قوله تعالى: **﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلَى﴾**[٢]، وكل ذلك فوق مقام القلم فإنه أول عالم الخلق، وهو قوله عليه السلام: **(أول ما خلق الله القلم)**[٣]، و **(أول ما خلق الله العقل)**[٤]، و **(روح القدس في جنان الصاقورة ذاق من حدائقنا الباكورة)**[٥].

---

١) إقبال الأعمال، ج٢ ص٢١٧، من دعاء آخر في يوم عيد الأضحى.

٢) طه، ١٢٠.

٣) عن أبي عبدالله عليه السلام قال: (أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، فكتب ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة) تفسير القمي، ج٢ ص١٩٨ تفسير سورة سبأ.

٤) شرح أصول الكافي للمازندراني، ج ١ ص٢٠٢، كتاب العقل والجهل.

٥) بحار الأنوار، ج٢٦ ص٢٦٥.

[الوجوه الواردة في معنى جفاف القلم]

فيكون جفاف القلم بما هو كائن له وجوه:

أحدها: جفافه وانحصاره في جريانه بما هو كائن فيما سبق في علمه الذي لا يحيطون بشيء منه إلا بما شاء، وهو الملك الذي لا يخلو منه قبل جريان القلم على مجريه ومعه وبعده، ومجريه هو الملك الثاني في قوله عليه السلام: **(لم يكن الله خلواً من الملك قبل إنشاء الملك)**، وذلك أنه سبق في علمه أنه لا يخالف شيء من الأشياء محبته، وهو سبحانه أحب أن لا يخلق شيئاً إلا على وجه الحكمة؛ إذ به تحصل المعرفة التي هي الغاية من الخلقة، والحكمة أن يوضع الشيء في ما يليق به وينبغي له ويقتضيه على حسب الأسباب، وهو قوله تعالى: **﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾**[1]، والضمير في خلقه يرجع إلى الشيء، وقوله عليه السلام: **(أبى الله إلا أن يجري الأمور بأسبابها)**[2]، وذلك هو الذي كان ووضع عليه الكائنات من الترتب بين الأسباب والمسببات على ما عليه الاقتضاءات، فجف القلم عن كلما لم يسبق عليه العناية في علمه سبحانه الذي يخالف وضع الحكمة دائماً أبداً، وهو رطب طري بجريانه على طبق الحكمة واقتضاء الأسباب للمسببات، فيكون مجرى القلم

---

[1] طه، ٥٠.

[2] تقدم تخريجه.

فيما تحته منحصراً في إمكانات طابقت الحكمة، وجفافه عما لا يطابقها من الإمكانات الغير المتناهية؛ فعلى هذا المعنى ليس من الشقوق المذكورة في كلامه.

نعم لو أريد من القلم المشيئة فهي الكونية[١] التي أجرت الأكوان والأعيان وسائر المراتب على حسب الاستعدادات والقابليات ولم تجرها على خلافها وإن كان في الإمكان.

الثاني: أن يكون القلم الذي هو أول مكون، وأول عالم الخلق والجبروت، كتب بأمر الله على اللوح المحفوظ ما أمره من أمر الكائنات من الكليات والجزئيات كما تقتضيه المقتضيات وتسأله ألسن القابليات، ثم ختم على فمه فلا يجري أبداً على غير ما كتب في اللوح، فإنه قد جف عنه بما هو

---

[١]) يقول الشيخ الأوحد أعلى الله مقامه: (إن الإمكان ... هو متعلّق المشيّة الإمكانية والتعين الأول ظهرَتْ به لأنه شرط لظهورها وهو إمكانات جميع الممكنات ما كان وما يكون وما لا يكون، والمشيّة واحدة ، ففي الرتبة الأولى تُسمَّى بالإمكانيّة لتعلّقها بالإمكانات وهي العلم الذي لا يُحيطون بشيء منه كما في الآية الشريفة، وتسمّى في الرتبة الثانية بالكونية لتعلّقها بالأكوان وهي العلم الذي يحيطون به في قوله تعالى: ﴿إِلاَّ بِمَا شَاءَ﴾، فليس المشيّة مشيّتين إحداهما إمكانية والثانية كونية ليجب تغايرهما، والمكان مكانان، فتعلقها بالأولى تعلق الإمكان وبها حدث الإمكان لأنه تعالى أمكن بها هذا الإمكان الراجح الوجود وهذا هو خزائن كل شيء ... وتعلقها بالثانية تعلق الكون أي الوجود وبها في هذا المقام أخرج ما شاء من تلك الخزائن وألبسها حلة الوجود) جوامع الكلم، ج٢ ص٧٥ (الطبعة الحجرية)، ج٢ ص٣٦١ (مطبعة الغدير).

مكتوب فيه مما كان وما يكون وما هو كائن، إذ ليس في عالم الجبروت والملكوت ما في عالم الناسوت[١] من اختلاف الأحكام باختلاف الأمكنة والأزمنة، فإنه ليس عند ربك ماضٍ ولا حال ولا استقبال، إذ الكل حاضر عنده في وقت وجوده ومكان حدوده بلا تفاوت بالتقدم والتأخر وغيرهما مما بين الأشياء في أنفسها من الترتب، بل كل ما في ما تحته من العوالم حاضر عنده بلا انتظار إذ كان لا يحجبه التوقف إلى أدوار وأكوار ولا ترتب أطوار بل كلٌّ في وقته ومكانه ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة **﴿قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنسَى﴾**[٢].

فظهور العوالم السابقة على اللوح والقلم من الحقيقة برتبتها والإمكان والفعل بمراتبه في عالم الخلق لا يكون إلا بهما، فصح أن يقال جف القلم عن كل ما في العوالم بما هو كائن تحت اللوح؛ إذ القلم الذي هو العقل الكلي الذي هو علة الموجودات ونهاية المطالب[٣] يجري دائماً في الأشياء بواسطة اللوح

---

[١]) اصطلاح مرادف لعالم الملك.

[٢]) طه، ٥٢.

[٣]) روي عن أمير المؤمنين عليه السلام: (العقل جوهر بسيط دراك محيط، يعرف الشيء من جميع جهاته، ويعرف الشيء قبل كونه، وهو علة الموجودات ونهاية المطالب) العقل والجهل في الكتاب والسنة، ص٢١.

الذي هو النفس[1] الكلية الإلهية التي منها بدأت الموجودات وإليها تعود بالكمال[2]، فهو حين بما جف القلم جار رطب طري، فافهم.

الثالث: أن يكون المراد من قوله عليه السلام: **(جف القلم بما هو كائن)** بيان موضع من الخلق ليس لله فيه البداء إذ لا يمكن فيه؛ وهو الذي نزل من سماء الأسباب ونبت في بطون أرض المعدات بعد إتمام القابليات، ثم خرج من بطون الأمهات وصار موجوداً كائناً، فكتب في الصفحة الأولى من اللوح التي لا يمكن فيه البداء لأنه دخل في الكون فلن يخرج منه أبداً **﴿فَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً﴾**[3]، وإذا وقع بالإمضاء القضاء فلا بداء[4]، لأن الشيء إذا دخل في الكون فلا يتطرق إليه عدم الكون؛ إذ النقيضان لا يجتمعان في آن واحد، نعم

---

[1]) في المخطوطة (ب): نفس.

[2]) إشارة إلى رواية أمير المؤمنين عليه السلام مع الأعرابي حول النفوس ومما جاء فيها: (فقال: يا مولاي، وما النفس الإلهية الملكوتية؟ قال عليه السلام: قوة لاهوتية، وجوهرة بسيطة، حية بالذات، أصلها العقل، منه بدئت، وعنه وعت، وإليه دلت وأشارت، وعودها إليه إذا كملت وشابهته، ومنها بدئت الموجودات، وإليها تعود بالكمال، فهي ذات الله العليا، وشجرة طوبى، وسدرة المنتهى، وجنة المأوى، من عرفها لم يشق أبداً، ومن جهلها ضل سعيه وغوى) .الكلمات المكنونة، ص١٣٠ كلمة فيها إشارة إلى تعدد النفس في ذاتها.

[3]) آل عمران، ٩٧.

[4]) ورد في الرواية عنهم عليهم السلام: (فإذا وقع القضاء بالإمضاء فلا بداء) الكافي، ج١ ص١٤٨، باب البداء. قد نقلنا الرواية كاملة في تعليقات سابقة، فراجع.

يصير البداء في بقائه وامتداده بأن يجيء في آن آخر أو يتغير في بعض ما يتعلق به من ذاتياته وحدود ماهيته وسائر مضافاته، فكونه بعد ما كان في الصفحة الأولى من اللوح لا يحتمل التغير، ونفس الشيء في بقائه وامتداده مكتوب في الصفحة الثانية التي يمكن فيها المحو إلا أن الحكمة تقتضي عدمه، أو الثالثة التي فيها المحو والإثبات، فإذا مُحي يكتب محوه في الأولى كإثباته، والمثبت نفسه إما يكتب في الثانية أو الثالثة كما ذكر.

فجفاف القلم خاص بالكائن من حيث كونه إما قبل دخوله في الكون الخارجي، و [إما] بعده ففيه البداء، بأن لا يتم في كونه أو ينقص في استمراره بأي نحو كان من النقصان **﴿إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾**[1].

---

(1) فصلت، ٣٩.

[مناقشة فروض الشيخ العيثان أعلى الله مقامه]

فإذا أتقنت ما ذكرناه في معنى الملك وجفاف القلم عرفت ما في كلامه من التشقيق بقوله: **(إما يراد به الإمكان خاصة، أو الكون خاصة، أو هما معاً...إلخ)**؛ فإن الملك في قوله عليه السلام: **(لم يكن الله خلواً من الملك قبل إنشائه)** يصح فيه التشقيق وتجري الشقوق جميعاً، فقوله: **(لم يكن الله خلواً من الملك)** فعلى معنى عدم فاصل بين الواجب والممكن من زمان ممدود أو عدم محدود كما توهمه بعض من أهل الحدود، وقوله: **(قبل إنشائه)** فعلى تأويل نفي أزليّته بأنه وإن كان ليس بينه وبين الواجب فصل بوقت أو عدم موجود أو متوهم، ولا يلزمه أن يكون أزلاً بل هو حادث بإيجاد الأزل عز وجل، وهذا المعنى يجري في الإمكان والكون معاً على الحقيقة والواقع، وفي الظاهر لا يبعد أن يؤخذ الملك بمعنى الإمكان إذ كان لا يخلو منه وقت ولا مكان، ويؤخذ من ضميره في **(قبل إنشائه)** الكون على سبيل الاستخدام، ويستأنس بذلك من كلمة **(قبل)** الظاهر في وجود الوقت وليس إلا وقت الإمكان إذ بدونه لا قبل ولا بعد.

وفي رواية: **(جف القلم بما هو كائن)** لا تجري فيها من الشقوق إلا الثاني الذي قال فيه: **(والشق الثاني لا يراد يقيناً)** هى.

وهو أن يراد من متعلق الجفاف الكون خاصة، فإن الكائن هنا بقرينة القلم لا يراد منه إلا ما تحته، فإن جفافه لا يتصور إلا فيما يمكن أن يجري فيه وليس إلا ما تحته، والقلم إما هو المعروف الذي هو أول عالم الخلق كما هو الظاهر، أو المشيئة الكونية على احتمال؛ فعلى الوجهين يكون الكائن الذي جف به ما تحته وهو الكون ولا الكون ولا غير.

والمعنى أن المشيئة الكونية أو القلم قد خصا بإجراء ما تحتهما من الكائنات لمطابقتها مقتضى الحكمة وجفا عما سواهما مما لا تقتضيه الحكمة، و إن مثلهما القدرة إذ مقتضاها هو الملك القديم الحاضر في الإمكان ومشيئته، وهما فوق ما يراد بالقلم، فلا يصح أن يقال جف القلم بإمكان ما هو كائن، إذ كيف جف القلم بما هو فوقه بمراتب وهو ما وجد إلا به، أم كيف ينسب جفافه بالإمكان مع وجود الإمكان[1] المفهوم من قوله ما هو كائن فظهر من ذلك ما في قوله: (**وأما الثالث: فباطل لوجهين؛ أحدهما التناقض في الرواية؛ لأن قوله عليه السلام: (لم يكن خلواً من الملك) يدل على وجود الملك الكوني، وقوله عليه السلام: (قبل إنشائه) يدل على عدم وجوده فإنه ما لم ينشأ لم يكن موجوداً، والثاني لزوم التعطيل في الابتداء وبطلان الاختراع**).

---

[1]) تكررت كلمة (مع وجود الإمكان) ثلاث مرات في المخطوطة، ولعله سهو من الناسخ.

إذ الثالث هو مراد الملك في الرواية الإمكان والكون معاً، ومن جفاف القلم جفافه بهما، وقد عرفت أن الجفاف بالنسبة إلى الإمكان مما لا يمكن ولا يتصور إلا في الكون، وعرفت أن الملك فيها يراد منه الإمكان والكون معاً في أولها وآخرها، ويحتمل إرادة الإمكان من لفظه والكون من ضميره كما مر[١] أن المراد من عدم الخلو منه انتفاء الفعل بوقت أو عدم -موجود أو متوهم- المتخلل بين الله وبينه وهو لا ذكر له مطلقاً إلا بإنشاء الله تعالى وإيجاده فلذا صار ملكاً، فانظر هل ترى فيما بين الفقرتين من تناقض أو منافرة.

نعم؛ إنما نشأ الاشتباه من لفظة **(قبل إنشائه)** الظاهر في تأخر إنشائه فيلزمه أن لا يكون موجوداً ولو في وقت ما، فيتراءى بينهما المنافرة والمناقضة، وأبين لك رفع الاشتباه والإشكال بالمثال حسماً لمادة القيل والقال، فأقول:

لو كان شيء من الزمان والزمانيات يوجد بعد ألف سنة، مثل أن يولد لزيد بعد أولاد مترتبة وظهور[٢] متكثرة ولد صفته كذا وكذا مع أن وجوده منوط على آباء قبله ما وجدوا بعد وما تعلق بهم الإيجاد فكيف بمن ترتب بهم، فهل يعلمه سبحانه أم لا؟

---

[١] في المخطوطة (ب): مروا.

[٢] هكذا في النسخة المخطوطة، ويحتمل أن تكون: ظهورات.

أما الثاني فلا ريب لكل ذي شعور في بطلانه، والضرورة قاضية بأنه يعلمه، فكيف يعلمه قبل إيجاده وإيجاد وقته الذي يولد فيه؟

فإن قلتَ أن القبلية والبعدية إنما [هي] بين الأشياء بعضها بالنسبة إلى بعض بحسب الترتب والتوقف في وجوداتها وماهياتها وأوقاتها، وأما نسبتها إلى علمه سبحانه نسبة واحدة بلا ترتب ولا تفاوت فيعلم آخر الأوقات وما فيها كما يعلم أولها وما فيه بلا اختلاف حيث ولا جهات إذ كان لا يحجبه وقت عن وقت.

قلتُ: هذا هو الحق، فكما لا يحجبه زمان عن زمان ولا مكان عن مكان فكذلك لا تحجبه رتبة عن رتبة، فأول المخلوقات وآخرها في علمه على حد سواء، يرى كل شيء في وقت حدوثه بإحداثه كلاً في رتبة وجوده ومكان حدوده.

فيكون المعنى لم يكن خلواً من الملك الإمكاني والكوني قبل إنشاء الأكوان الملزومة بالترتب والتعاقب بحسب الأوقات والسببية والمسببية والعلية والمعلولية، وهي تستلزم القبلية والبعدية بينهما بالنسبة من بعضها إلى بعض وبالنسبة إلى الغير من الخلق، وعند المالك كل منها حاضر عنده في وقته ومكانه يعلمه في وقته حين وجوده لا قبله ولا بعده، وإلا لكان جهلاً لعدم

المطابقة بين العلم والمعلوم، حين وجوده لا يكون إلا حين تعلق الإحداث به على حسب ما تقتضيه المقتضيات الذي عليه يجري القلم دون غيره.

فإذاً لا منافرة بين طرق الرواية كما لا يلزمه إبطال الابتداع ولا التعطيل في الاختراع، وكيف والقلم دائماً رطب طري جار على ما جف به عن ما سواه، فتأمل فإنه دقيق.

وهذا ما قاله السيد قدس سره في ما تقدم من كلامه من قوله رحمه الله: (فلما كان الحق سبحانه وراء ما لا يتناهى بما لا يتناهى فيما لا يتناهى، كانت الأشياء كلها حاضرة لديه وموجودة عنده، لا يفقده في ملكه، وملكوته، وجبروته، ولاهوته، وإمكانه) .

أقول: لا يفقده الملكيات في ملكه، وما من الملكوت في ملكوته، وما من عالم الجبروت في جبروته، وأهل اللاهوت في لاهوته، والإمكانيات في إمكانها، ولا يفقد شيئاً منها بنفسه وبنوعه وبما فوقه من العوالم إلى أن ينتهي إلى الإمكان، فلا يفقد شيئاً من الأشياء فيه وفي العوالم النازلة قبل إنشائها ومعه وبعده بلا تفاوت.

قال رحمه الله: (فليس عنده تقدم ولا تأخر، ولا أولية ولا آخرية، ولا ظهور ولا بطون، ولا ارتباط ولا نسبة، لا قبل الخلق ولا بعد الخلق ولا مع الخلق، والأزمنة الثلاثة إنما تعتبر بالنسبة إلى المخلوقين المربوبين، وهو معنى

قوله عليه السلام: **(علمه به قبل كونه [كعلمه به بعد كونه])** ، وقوله: **(لا كان خلواً من الملك قبل إنشاء الملك، ولا يكون منه خلواً بعد ذهابه)** ؛ فإن القبلية والبعدية راجعة إليها وإلينا).

ثم يأتي بمثل توضيحاً للمطلب إلى أن يقول: (فالمراد من قبل إنشائه كالغد عندنا، و بذهابه كأمس عندنا؛ لا أن المراد أنه يذهب أين يذهب **﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً﴾**[1]، وليس حيث لم يدخله عادماً، وليس حيث لم يعدم أزلاً، فالحق حق على ما هو عليه في القدم، والخلق خلق على ما هو عليه في الحدوث، والحق خلو من خلقه، وخلقه خلو من الحق سبحانه...إلخ).

فانظر بعين البصيرة والتبصر في كلامه قدس سره راجعاً فيما تستشكل فيه إلى ما سبق مما سطرنا هل ترى فيه من قصور في إفادة المطلوب.

---

[1]) آل عمران، ٩٧.

[مناقشة الردود على الفرض الثالث من فروض الشيخ العيثان]

قال: **فإن قلتم نختار الشق الثالث ولا تناقض ولا تعطيل، والمراد أن الأكوان موجودة في محالها وأوقاتها بحدودها ومحيزاتها وهو تعالى عالم بها كذلك وقد جف القلم بها كما علمها، والمراد من قوله عليه السلام: قبل كونها وإنشائها [أي] قبل تنزلها من رتبة إلى مرتبة وعالم إلى عالم وإظهار بعضها لبعض، وهذا التنزل والإظهار هو الابتداع والاختراع الذي لا تعطيل فيه، وهو القلم الغض الطري الذي لا يجف.**

قلتُ: هذا التفصيل ليس بصحيح لأن التنزل والإظهار إن لم يكونا وجودين كوناً فلا اختراع ولا ابتداع ضرورةً، وإن كانا وجودين كوناً فجعل الأول مُلكاً لم يكن الواجب خلواً منه دونهما ترجيح بلا مرجح، وإن كان الكل مُلكاً لم يكن الواجب خلواً منه وقد جف القلم به، فأين وقوف محمد وآله صلوات الله عليهم على باب الوجود، وأين زيادة العلم في قوله: ﴿رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾.

أقول: قوله (**فإن قلتم نختار الشق الثالث ولا تناقض ولا تعطيل**)، فحق؛ فإن ثالث الشقوق وهو إرادة الملك الإمكاني والكوني معاً في قوله عليه السلام: (**ما كان الله خلواً من الملك قبل إنشائه**) له معنيان:

الأول: أن يؤخذ في كل طرف الحديث كل منهما؛ يعني لم يكن خلواً من الملك الإمكاني والكوني قبل إنشائهما.

الثاني: أن يحمل لفظه على الإمكاني وضميره على الكوني؛ بمعنى أن الله لا يخلو من الملك الإمكاني قبل إنشاء الكوني وإيجاده.

وعلى كلا المعنيين لا تناقض بينهما ولا تعطيل يلزمه، إذ تصور الخلو من الملك إنما نشأ من توهم الفصل بوقت أو عدم بينه وبين المالك، وقد عرفت بطلان ذلك التوهم، وأن الفصل مطلقاً ممتنع فكذلك تصور الخلو فقوله عليه السلام ونفيه الخلو إنما هو لدفع التوهم بثبوته، فالمنفي هو الثبوت المتوهم كما في نفي الشريك ولا شريك له، وضرورة العقول تحكم أن الملك لا يكون ملكاً إلا بإنشاء المالك له، فالملك مسبوق بمالكه دائماً، وهو سابق له سبقاً بما لا يتناهى، فهي قبله وبعده بما لا يتناهى، فعلى هذا المعنى لا يتفاوت الإمكان والكون في كونهما ملكاً مسبوقاً بمالكه لا كمسبوقية شيء بشيء، إذ المالك سابق لهما لا كسبق شيء بشيء، بل سابق سبقاً أزلياً بلا كيف، وله حمل الملك على الإمكان وإيجاده اللذين هما الملك القديم، وصيغة فعيل للمبالغة مثل عليم وقدير؛ أي ملك لا يقدم عليه من الملك شيء، وحمل ضميره على الكون يكون مثل قوله عليه السلام: **(علمه به قبل كونه كعلمه به بعد كونه)** فإن هذا العلم هو الإمكان الذي لا يحيطون بشيء منه إلا بما شاء، وهو الملك القديم الذي لا

يخرج شيء من حيطته قبل كونه وبعد كونه، إذ الكون بجملتـه عنـده كـذرة في قفر أو قطرة في بحر إنشاءً كان أم منشأ، فـالاختراع والابتـداع دائـماً في الكـون جاريان بلانهاية كل يوم هو في شأن.

قوله: **والمراد أن الأكوان موجودة في محالها وأوقاتها بحدودها ومحيزاتها وهو تعالى عالم بها كذلك وقد جف القلم بها كما علمها.**

فيه إجمال كيف تكون موجودة وما تعلق بها إنشاء وإيجاد، وإنـما المـراد وجود الأكوان كل منها في أوقات وجوده وأمكنة حـدوده عنـد ربهـا قبـل أن تكون موجودة عند نفسها وعند الغير، إذ ذلك لا يكون إلا بإيجـاد الله وإنشـائه على حسب ترتبها بأوقاتها وحدودها حتى تكون موجـودة بهـا، والـرب تعـالى ليس عنده اسـتقبال ولا انتظـار ولا رفـع مـانع ولا اسـتكمال، والأشـياء قبـل الإنشاء وبعده عنده على حد سواء، والقلم جف بها وجـرى كـما علمهـا حـين جريانه ربها، والمراد من قولـه عليـه السـلام: **(قبـل كونهـا وإنشـائها)**[1] لـيس منحصراً بتنزلها من مرتبة إلى مرتبة وعالم إلى عالم وإظهـار بعضـها لـبعض، بـل المراد من قبل كونها عدم دخولها في الكون أصلاً ثم بعد الـدخول فيـه قبـل أن يجري في مراتبه وعوالمه وبعد تمامه قبل أن يظهـر لغـيره إذ كـل ذلـك حجـاب

[1] في قول الإمام عليه السلام: (لم يكن الله خلواً من الملك قبل إنشائه) و (علمه به قبل كونه كعلمه به بعد كونه).

لمحتجب، والرب تقدس وتعالى أن يحجبه شيء عن شيء، ورتبة عن رتبة، وعالم عن عالم، والتنزل إنما هو لنفس الشيء، والإظهار بالنسبة إلى الغير، والواجب سبحانه منزه عن كل ما عليه الممكنات، مبائن بجميع ما أحدث في الصفات، فهو عز وجل مالك قبل الكون ومعه وبعده على حد واحد.

قوله: **قلتُ: هذا التفصيل ليس بصحيح لأن التنزل والإظهار إن لم يكونا وجودين كوناً فلا اختراع ولا ابتداع ضرورةً، وإن كانا وجودين كوناً فجعل الأول مُلكاً لم يكن الواجب خلواً منه دونهما ترجيح بلا مرجح، وإن كان الكل مُلكاً لم يكن الواجب خلواً منه وقد جف القلم به.**

إن ما فصلت من حصر القبلية في الكون والإنشاء بالتنزل من رتبة إلى رتبة وعالم إلى عالم وبإظهار بعضها لبعض ليس بصحيح في حصره، فإنه ليس خلواً من ملكه قبل وجوده في عالم من العوالم وبعد وجوده قبل أن ينزل في رتبة ورتبة وقبل أن يظهر لشيء غيره وبعدهما، كما لا يصح تعليله بأن التنزل والإظهار إن لم يكونا وجودين كوناً فلا اختراع ولا ابتداع ضرورة.

أولاً: بأن ما أحدث بالمشيئة فهو اختراع وبالإرادة فابتداع، ولا شك أنك سمعت قوله عليه السلام: **(لا يكون شيء في الأرض ولا في السماء إلا بسبعة؛ بمشيئة، وإرادة، وقدر، وقضاء، وإذن، وأجل، وكتاب، فمن زعم**

نقض واحدة منها فقد أشرك)[1] أو **(كفر)** أو **(ليس بموحد)**[2] على اختلاف الروايات، ولا ريب في مشيئته التنزل والإظهار فلا يخلو من اختراع ولا ابتداع ضرورة.

وثانياً: أن كونهما وجودين كوناً وعدمه ما يريد منها؟ إن كان يريد أن التنزل والإظهار من المصادر التي هي الأمور النسبية الاعتبارية لا من الأعيان الموجودة الخارجية حتى يصلح فيهما الاختراع والابتداع والأمور الاعتبارية مما لا يصلح لهما فهذا مما يخالف التحقيق[3] في المصدر أنه هو الأصل الجاري في المشتقات، والمفعول الأول المطلق الذي به قيام سائر المفاعيل، والحقيقة التي بها ظهر الحق وعرف كما في رواية كميل حين سأل أمير المؤمنين عليه السلام عن الحقيقة قال: **(كشف سبحات الجلال من غير إشارة)** إلى آخر الفقرات،

---

[1]) عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (ولا يكون شيء في الأرض ولا في السماء إلا بهذه الخصال السبعة: بمشيئة، وإرادة، وقدر، وقضاء، وإذن، وكتاب وأجل فمن زعم أنه يقدر على نقض واحدة فقد كفر). وعن الإمام الكاظم عليه السلام: (لا يكون شيء في السماوات ولا في الأرض إلا بسبع: بقضاء وقدر وإرادة ومشيئة وكتاب وأجل وإذن فمن زعم غير هذا فقد كذب على الله أو رد على الله عز وجل) الكافي، ج١ ص١٤٩، باب أنه لا يكون شيء في السماء والأرض إلا بسبعة

[2]) عن مولانا الإمام الرضا عليه السلام: (المشيئة والإرادة من صفات الأفعال، فمن زعم أن الله لم يزل مريداً شائياً فليس بموحد) التوحيد، ص٣٣٨ باب المشيئة والإرادة.

[3]) توجد رسالة للشيخ الأوحد أحمد بن زين الدين الأحسائي قدس سره بعنوان الرسالة الاعتبارية، ناقش فيه هذه المسألة فراجع.

وهو الصادر الأول عن الفعل، وما تحته تعيناته، بل هـو الاخـتراع والابتـداع؛ لأنه أول فعل وانفعال ومقبول وقابل، فالتنزيل والتنـزل والإظهـار والظهـور أولهما اختراع وثانيهما ابتداع، وكل منهما ومـا تحـتهما إلى آخـر مراتـب الوجـود ملكه سبحانه لم يكن خلواً منه قبل إنشائه وبعده ومعه على حد سواء، فتأمل.

وإن كان يريد أن التنزل والإظهار إن لم يكونا داخلـين في الكـون بعـد، بـل لم يخرجـان مـن الإمكـان فـلا اخـتراع ولا ابتـداع؛ لأنهـما في الكـون دون الإمكان[1]، وإن كانا خرجا منه إلى الكون ودخلا فيه فهما أيضاً ملك كالإمكـان فلا ترجيح إذاً للإمكان أن لا يخلو منه ويخلو من ملـك آخـر، وإن لم يخـلُ مـن الكل فقد جف القلم به ففيم يجري؟ .

فأقــول: قبل إنشاء الأشياء وإخراجها من بحر الإمكان إلى سـاحل الكون وتنزيلها في مراتب ظهوراً وإظهاراً لم يكن الله خلواً من ملـك الإمكـان إذ ليس بينه وبين الواجب فصل موهوم ولا إمداد محدود، ولا خلو مـن ملـك الكون، إذ ليس للواجب انتظار ولا استقبال، فحين إخـراج كـل مـن الأشـياء بمشيئته الكونية إلى رتبة الكون يكون الاختراع والابتداع، ويوضع كل في رتبة وقته على حسب حدوده وإمكانه بإنشاء الله وإيجـاده، وإن كـان لا؛ لم يخـلُ مـن الملك الكوني قبله إيجاد كما لا يخلو بعد إيجاده فقد جف القلم بما هـو في ملكـه،

---

[1]) قد تكون العبارة هكذا: (لأنهما في الإمكان دون الكون) فحصل تقديم وتأخير من الناسخ، والله اعلم

ويجري بالإنشاء عليه في ملكه، فلا يلزمه محذور أصلاً، ومن هذا يحل الإشكال فيما قال:

[معنى وقوف محمد وآله على باب الوجود، وزيادة العلم]

فأين وقوف محمد وآله صلى الله عليه وآله على باب الوجود، وأين زيادة العلم في قوله: ﴿رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾، وأين عدم معرفتهم بتكوين ما يمكن تكوينه إلا بعد التكوين كما قال تعالى: ﴿وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ ؟

أقــول: قد تقدم بما ذكرنا في معنى جفاف القلم، وأنه رطب طري، وأنه في مرتبة الكون مطلقاً أو خاص بعالم الخلق الذي أوله العقل، وأن علمه الحادث الذي لا يحيطون بشيء منه إلا بإحداثه في الكون أو بإخباره هو الإمكان وإيجاده الذي به إحداثه ونفس الإيجاد الذي بها خلق الله، وهذه المقامات الثلاثة فوق مقام القلم بمعنييه فلا جريان له ولا جفاف، إذ الإيجاد نفسه هما الاسم الذي استقر في ظله فلا يخرج منه إلى غيره[1]، والإمكان هو

[1] يقول الشيخ الأوحد قدس سره: (والاسم الذي استقر في ظله فلا يخرج منه إلى غيره ... مأخوذ من الدعاء عنهم عليهم السلام، والمراد أن الفعل اسمه تعالى، ومعنى استقر في ظله تعالى أي أنه أقامه بنفسه فهو الاسم وهو الظل، والضمير في ظله يجوز أن يعود إلى الله أي استقر في ظل الله تعالى، وظل الله هو ذلك الاسم. ويجوز أن يعود الضمير إلى ذلك الاسم والمراد من ظله نفسه كما في الحديث: (يُمسك الأشياء بأظلتها)، ويكون المعنى على الاحتمالين واحد. ومعنى عدم خروجه منه إلى غيره أنه لا تتكون منه الأشياء كما يذهب إليه ضرار وأصحابه وكثيرٌ من الصوفية بأن الأشياء مركبة من وجود وهو مشيئة

البحر العميق، والعمق الأكبر[١] الذي ليس القلم وما جرى فيه وما جف به إلا من بعض موجاته وظهوراته، فهو محيط بها قبل كونها ومعه وبعده من غير تقدم وتأخر وترتب في إحاطته بأحوالها الثلاث في الكل وأجزائه وفي الكلي وأفراده في كل رتبة من الرتب الثمان بحسبها، بل القبلية والبعدية رتبة و وقتاً في نفس الأكوان في حد ذاتها وبالنسبة إلى غيرها على حسب ما ذكرت بمشيئته الكونية، وهي باب الوجود وهو أول صادر منها بلا واسطة وصار سبيلاً لجميع الكائنات في الإصدار والإمداد، والمدد بشعاعه للمواد وهيئته للصور.

والغاية والمراد من الإيجاد وهو حقيقة محمد صلى الله عليه وآله الواقفة على باب التكوين، [و] ما يبرز من خفاء الإمكان شيء على شهود الكون والوجود إلا فيهم وبهم ولهم وعنهم، فيزدادون علماً بالعيان دائماً وإلا لنفد ما عندهم، وهذا ما يحدث بالليل والنهار من الشؤونات ﴿**كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ**﴾[٢]، وهو أخص وأشرف علومهم إذ كان لا يحتمل البداء والمحو

الله، ومن ماهية وهي الإنية، ولو كان كذلك لخرج منه إلى غيره. فافهم الإشارة) شرح الفوائد، ج١ ص٢٨٩-٢٩٠ الفائدة الثالثة.

[١]) ورد في دعاء السمات المستحب قراءته يوم الجمعة: (وبعلمك وجلالك وكبريائك وعزتك وجبروتك التي لم تستقلها الأرض وانخفضت لها السماوات وانزجر لها العمق الأكبر) راجع كتب الأدعية ومنها المصباح للكفعمي، ص٤٢٥. مصباح المتهجد، ص٤١٨، دعاء السمات.

[٢]) الرحمن، ٢٩.

والإثبات، دون علمهم بأخبار ما يمكن قبل بروزه فإن لله فيه البداء على ما تقتضيه الحكمة في القضاء، فلا يجري القضاء بالقلم في كل ما يجري إلا على وجه الحكمة جرياً بالدوام والثبات أو بالمحو والإثبات، وكل ذلك في علمه السابق الإمكان وما فوقه، يعلم كلاً منها في وقت وجوده ومكان حدوده على حسب ما تقتضيه القابليات وأسباب الوجودات والماهيات قبل أن يوجد كما يعلمه بعد وجوده وظهوره لنفسه ولغيره، ألا ترى قوله عز من قائل في رد ما يتمناه أهل النار من قولهم: **﴿يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبَ﴾**[1].. الخ، **﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾**[2]، فإنه سبحانه أخبر عما يأتي قبل وجوده، وعما يصدر عنه على فرض وجود مقصودهم، مع أنه مما لا يكون أبداً، وإن كان مما يمكن أن يكون فكيف بما يمكن ويكون من المكونات، إذ لا تحجبه الأزمنة والأوقات والأمكنة والجهات، ولا يتفاوت عنده الفرضيات والواقعيات، نعم لا يكون شيء في الأرض ولا في السماء إلا بمشيئته، ولا يكون شيء إلا وهم عليهم السلام السبب والسبيل[3]؛ لما مضى في سابق علمه أن لا يجري الأمور إلا

---

[1]) الأنعام، ٢٧.

[2]) الأنعام، ٢٨.

[3]) وردت الكثير من الروايات الشريفة في هذا المعنى ومنها ما في الزيارة الجامعة الكبيرة: (أنتم السبيل الأعظم والصراط الأقوم) من لا يحضره الفقيه، ج٢ ص٦١١.

بالأسباب في الإيجاد والإمداد في البقاء والنفاد في المبدأ والمعاد، وعلى ذلك يجري قلم الصنع بالمداد وجف عما سواه لا من عاكف ولا من باد.

خذها فهي قصيرة من طويلة، بها إن وفقت لفهمها إلى كنوز الأسرار تصيب.

[خاتمة الرسالة]

قـــال: **والحاصل المرجو من جنابكم الشريف أن تزيلوا ظلمة الجهل عنا بأنواركم الساطعة، وإشراقاتكم اللامعة، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.**

إليكم يشد الرّحل في كل معضل ... وليس سواكم ألقه من مؤمـــــل

يبين خفايا عن مطالب جمـــــة ... ويظهر غوراً من صعاب المسائل

فبيّن لنا كي نهتدي ببيانكـــــم ... حديث جفاف قاله خير قـــائل

إذ الكريم جواد سرمداً أبـــــداً ... واليبس وصف في العبيد الأراذل

أقول: هذه كلمات نقشت بها صدره؛ لما به من حسن ظن مثيب بخالص المحبة، تكشف عن حسن السريرة، وإلا فموردها في معزل عن معانيها، ولعمرك قد ظن السراب ماء وزعم التراب سماء، وأنا أقول: اللهم لا

تؤاخذني بما يقولون، واجعلني خيراً مما يظنون، واغفر لي ما لا يعلمون[1]، نعم قال عليه السلام: **(أحسن الظن ولو بحجر)**[2] الحديث، وقال عز وجل في القدسي: **(أنا عند ظن عبدي)**[3]، فالسائل بحسن ظنه لربه يستحق جزيل نواله ومنه من أي باب أتاه ويقصد بفضله ينال مناه **(أنا الله لا إله إلا أنا خلقت الخلق وخلقت الخير... طوبى لمن أجريته على يديه)**[4]، والسلام.

---

[1]) ورد من ضمن وصايا النبي صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السلام: (يا علي إذا أثني عليك في وجهك فقل: اللهم اجعلني خيراً مما يظنون، واغفر لي ما لا يعلمون، ولا تؤاخذني بما يقولون) مستدرك سفينة البحار، ج١ ص٥٣٢ .

[2]) عن المعمر بن غوث السنبسي عن الإمام الحسن بن علي العسكري عليهما السلام أنه قال: (أحسن ظنك ولو بحجر يطرح الله شره فيه فتتناول حظك منه، فقلت: أيدك الله حتى بحجر! قال: أفلا ترى حجر الأسود) بحار الأنوار ج٥٣ ص٢٥٤.

[3]) عن الإمام الرضا عليه السلام قال: (أحسن الظن بالله فإن الله عز وجل يقول أنا عند ظن عبدي بي إن خيراً فخيراً وإن شراً فشر) الكافي، ج٢ ص٧٢ باب حسن الظن بالله عز وجل.

[4]) ورد في الرواية عن معاوية بن وهب قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: (إن مما أوحى الله إلى موسى عليه السلام وأنزل عليه في التوراة: أني أنا الله لا إله إلا أنا، خلقت الخلق وخلقت الخير وأجريته على يدي من أحب، فطوبى لمن أجريته على يديه وأنا الله لا إله أنا، خلقت الخلق وخلقت الشر وأجريته على يدي من أريده، فويل لمن أجريته على يديه) الكافي، ج١ ص١٥٤، باب الخير والشر.

قد وقع الفراغ من إملائها عصر الخميس الأول من شهر الربيع الأول، من السنة الخامسة بعد التسعين بعد الألف والمائتين، حامداً مصلياً مستغفراً سنة ١٢٩٥هـ.

تمت كتابتها بعون الله الملك الوهاب يوم الخميس لثمانية عشر جمادى الثاني من شهور ١٣٢٣ هجرية.

(١٠)

الرسالة العاشرة

أجوبة مسائل أهالي قره باغ

مسائل قره باغ[١]

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مسألة [١]:

هل في علم الإمام عليه السلام تجدداً وسيولة؟ أم أنه عليه السلام أحاط بالإمكان والكون دفعة واحدة و أصبح بذلك مستغنياً عن التجدد؟

جواب:

قال الرضا عليه السلام: **(حق وخلق لا ثالث بينهما، ولا ثالث غيرهما)**[٢].

ومعنى الحق: هو الوجود الثابت بنفسه، أي أنه ليس بمستفاد من الغير، ولا قائم بالغير؛ فهو إذاً جامع لجميع الكمالات، لأن الفقدان عدم، والعدم مع الوجود بذاته لا يجتمعان.

ووجود في ذاته: بمعنى أنه لا ينتهي إلى حد أو نهاية، وجميع الكمالات فوق التناهي بما لا يتناهى.

---

[١] الرسالة مترجمة عن الفارسية، ترجمها الفاضل الشيخ محمد علي داعي الحق الكربلائي.

[٢] لم أجدها بنصها والذي وجدت هو قوله عليه السلام: (إنما هو الله عز وجل وخلقه لا ثالث بينهما ولا ثالث غيرهما) عيون أخبار الرضا عليه السلام،ج٢ ص١٥٦ .

ووجود لذاته: بمعنى أنه غير محتاج، بل هو مُحتَاجٌ إليه مطلقاً.

والخلق: وجود بالغير في أصل الوجود، فهو ليس مالكاً بقاء ذاته وصفاته وآثاره آناً بنفسه إلا بإبقاء الله تعالى وإرادته، فهو لم يكن موجوداً إلا بإيجاده سبحانه وتعالى.

ووجود في الغير: أي أن له نهاية فهو مُحاط ومحدود، وكل موجود في غيره معلول[1].

ووجود للغير: أي أن المقصود من وجوده ليس هو بذاته، بل هو مملوك لمعرفة المالك وطلب رضاه وتحصيل محبته وقد خُلِقَ من أجل هذا؛ **(فخلقت الخلق لكي أعرف)**[2].

فبعد الحق كل شيء في الكون محتاج وممكن، لم يكن شيئاً إلا بعطاء الله تعالى، ولا يملك أحدٌ شيئاً إلا بعطائه وكرمه سبحانه وتعالى، ولم يكن له البقاء لا لنفسه ولا لمنسوباته والمضافات إليه إلا بإبقاء الحق تعالى له، و إذا فُرِض أن

[1]) ورد في خطبة الإمام الرضا عليه السلام في التوحيد قوله: (وكل قائم في سواه معلول) عيون أخبار الرضا، ج٢ ص١٣٥ خطبة الإمام الرضا عليه السلام في التوحيد.

[2]) ورد في كتاب أسرار الإمامة للشيخ عماد الدين الطبرسي -من علماء القرن السابع الهجري- ص ٣٥ ما هذا نصه: (اشتهر بين الرواة أن داود عليه السلام قال في بعض مناجاته: يا إلهي لم خلقت العالم وما فيه؟ قال الحق تعالى: كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف) ولعل هذا من أقدم المصادر التي خرجت هذا الحديث الشريف، راجع كذلك شرح أصول الكافي، ج١ ص٢٥، رسائل الكركي، ج٣ ص١٥٩.

ذرة من الموجودات في آن من الآنات في وجودها أو في مضافاتها وصفاتها وأفعالها وآثارها غير محتاجة -بالغير وللغير وفي الغير- لخرجت من دائرة الإمكان، وهي أيضاً في حال خروجها من الإمكان لا تكون الواجب الحق؛ لأن أصل وجودها من الغير، فيلزم من هذا إثبات ثالث، وهو الذي نفاه الإمام عليه السلام بقوله: **(لا ثالث بينهما ولا ثالث غيرهما)**، وهذا الثالث هو غيرهما، لأن الممكن فقير محض، والحق الواجب غني مطلق، وهذا ليس فقيراً محضاً ولا غنياً مطلقاً، ومن أجل هذا يكون بين بين، وكل من قال بوجود هذا فيكون مصداقاً لأولئك الأشخاص الذين نوه القرآن الكريم عنهم بقوله: **﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ﴾**[1] ، ونهى تعالى عن هذا بقوله: **﴿وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انتَهُوا خَيْراً لَكُمْ﴾**[2].

فقد عُلم مما تقدم أن الممكن لا يكون مستغنياً، ولا يجوز أن يكون كذلك، وإن كان أول الكائنات وأشرف المخلوقات، ليس في ذلك شك، بل هو محل ضرورة.

فالإمام عليه السلام ممكن قائم في وجوده وبقائه بإبقاء الله تعالى له وعطائه ولطفه، وكل شيء يكون في ذاته من العلم والقدرة وسائر الصفات

---

[1]) سورة المائدة، ٧٣.

[2])سورة النساء، ١٧١.

فهي ليست من ذاته الشريفة نفسها، بل كلها نعم من أنعم الله تعالى وفيوضاته، وهي بدون عطاء الله تعالى محال أن تتحقق، فالاستغناء محال، فالسيولة والتجدد دائماً متصلان.

و أما قولكم: **أم أنه عليه السلام أحاط بالإمكان والكون دفعة واحدة و أصبح بذلك مستغنياً عن التجدد؟**

فإن كان علمه عليه السلام يحيط بالإمكان والكون دفعة واحدة، فيلزم منه أن يكون وجوده واجداً -دفعة واحدة- للأوقات المتصلة السيّالة من الزمان[1] والدهر[2] والسرمد[3]، وكلها تكون مجتمعة في وجوده الشريف ليكون عالماً بجميع الأحكام ولوازمها، ويلزم من هذا ما ذكرنا سابقاً من وجود ثالث غير الواجب والممكن، لأنه عليه السلام غير واجب، والممكن بلا مدد محال أن يكون موجوداً فضلاً عن بقاءه، وهذا الفرض وهو وجود ثالث باطل

[1]) قال الشيخ الأوحد: (ظرف الأجسام وعالم الشهادة والارتسام أولها جسم الكل ومحدد الجهات وآخرها الأرض المعروفة) جوامع الكلم، الرسالة التوبلية م ١ ص١٦٩.

[2]) يقول الشيخ الأوحد الأحسائي: (وقت للمجردات عن المادة العنصرية والمدّة الزمانية، سواءً كان مجرداً عن الصور مطلقاً كالعقول، أم عن الصور التامة كالأرواح، أم غير مجرد كالنفوس، وهو قار الذات، بمعنى أن فيه التعاقب والتمايز والترقيّ والهبوط في كل من الثلاثة: العقول، الأرواح، النفوس، إلا أن ذلك في العقول معنى، وفي الأرواح رقيقة، وفي النفوس صورة) الرسالة الوعائية، ص٣٠ .

[3]) يعرفه الشيخ الأوحد قدس سره بقوله: (السرمد: وقت الفعل المسمى بالمشيئة، والإرادة، والإبداع، والإختراع ومكانه الإمكانات الراجحة) الرسالة الوعائية، ص ٢٧ .

بالضرورة كما ذكرنا. فالاستغناء للممكن- وإن كان في ذرة من ذرات ذاته و صفاته هو خلاف الإمكان.

مسألة [٢]:

هل إمداد الأئمة عليهم السلام يكون منهم وإليهم، وبالنسبة لهم (جفَّ القلم)[١]، أم هو غير هذا؟

جواب:

في كل الأشياء التي تحتاج إلى المدد إما أن يكون المدد من شيء خاص به وليس له أي دخل بالغير، أو يكون من شيء وصل إليه وعبر عنه، ولكنه تغير وتلطف نوعاً ما ويرجع إليه مرة ثانية، ففي هذه الصورة يصح القول بأن الله تعالى يمد جميع الأشياء في هذا الكون بنفسها؛ بمعنى أنه حكيم يضع الأشياء في محلها اللائق بها، وينشئها في مجالها الخاص بها، وإلا لزم الترجيح بلا مرجح، وهذا قبيح في فعل الفاعل العاقل، فضلاً عن كون الفاعل هو القادر المطلق والغني المطلق والحكيم على الإطلاق، وهذا بديهي البطلان، بل هو دليل العجز والحاجة والظلم، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. وفي هذا المعنى تكون

---

١) ورد هذا المعنى في الروايات الشريفة بصيغتين:

الأولى: (جف القلم بما هو كائن) مشارق أنوار اليقين للبرسي ص٢١١. شرح أصول الكافي ج٨ ص١٧.

الثانية: (جف القلم بما فيه) علل الشرائع ج٢ ص٣٤٨ ب٥٧، بحار الأنوار ج٢٨ ص٤٩ ر١٤.

جميع الممكنـات متسـاوية دون فـرق بينهـا، سـواء أكانـت أول المخلوقـات أم غيرها.

أجل .. أول المخلوقات دائماً هو الأول، ووقته أول الأوقات من الدهر والزمان وهكذا السرمد يكون له وجه؛ بمعنى أنه في جميع الأوقات يكون في مقام المؤثرية والإشعاع وهو وقت ذلك الوجود الشريف بواسطة واحدة، أو بوسائط عدة.

وهكذا يكون محله ومكانه أول الأماكن من الإمكان والكـون؛ بمعنـى أن شعاعيته ومـدده هـو أول الامـداد وأعلاهـا وأشرفهـا، فهـو مشـع لسـائر الإمدادات والممكنات، فهو يمدها ويشـع عليهـا، لأن الله تعـالى جعـل ذلـك الوجود الإمكاني في أول مراتب الإمكان، وجعل كونه وخلقه في أعلى مقامات الكون والمكان، ووسمه بوسم المخلوقية، وطبـع عـلى جبينـه علائـم العبوديـة والرقيّة، ليكون دائماً فقيراً ومحتاجاً إليه: **(الفقر فخري وبه أفتخـر)**[1]، **(كفـاني فخراً أن أكون لك عبداً)**[2]. والغنى والاستغناء بالنسبة له محال، ويطلب دائـماً الرزق من الله تعـالى في كـل مقـام، وأن الله تعـالى يرسـل الـرزق مـن الموضـع

---

[1] قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (الفقر فخري وبه افتخر) عوالي اللئالي ج١ ص ٣٩. بحار الأنوار ج٦٩ ص٣٩.

[2] قال أمير المؤمنين عليه السلام: (كفاني فخراً أن أكون لك عبداً) بحار الأنوار ج٣٨ ص٣٤٠.

الخاص به والمتصل بفيضه، وهو تعالى ينزل المدد بلا انقطاع، وليس لأحد نصيب في ذلك أو شركة معه تعالى سبحانه عن ذلك علواً كبيراً؛ لأن رتبته تعالى لا يصل إليها أحد، وليس لأحد إليها طريق؛ بمعنى أنه منهم وإليهم يصلهم المدد بغير مدد أي شيء من الرتبة والوقت والمكان.

والمدد يكون من سنخ ذلك الشيء، فالذوات من سنخ الذوات، والصفات والأفعال يكون أيضاً من سنخهما ويكون منها وإليها، لا بمعنى أنه يجتمع المدد فيها دفعة واحدة، ورزقها يكون جزءاً نابعاً منها وعائداً إليها، فهذا كفر بالله العظيم، و قول بأنه معزول عن ملكه سبحان الله الملك الحق المبين، وهنا يكون قد **(جف القلم)**، ومعناه: أن إمكان الممكن وحقيقته الذاتية قد ثبت في لوح الإمكان فقره وحاجته إليه وبالنسبة له يكون التغيير والتبديل محالاً؛ بمعنى أن يخرج الممكن من دائرة إمكانه إلى دائرة الواجب أو الممتنع، وهو ممتنع بالضرورة، وان أياً من العقلاء ممن تكون له ذرة من التمييز لا يقبل بذلك ولا يجوّزه أبداً **(مستشهداً بحدوث الأشياء على أزليته، وبما وسمها به من العجز على قدرته، وبما أضطرها إليه من الفناء على دوامه)**[1]. وفي هذا المقام لا يكون أي تفاوت فيما بين الإمام عليه السلام وسائر الأنام.

(1) التوحيد ص ٦٩، عيون أخبار الرضا عليه السلام ج١ ص ١١١.

وبعد ذلك فقد **(جف القلم)** بالنسبة للأشياء التي خلقها وفق حكمته، وألبسها حلة الوجود بلطفه، وحسب قابليتها و إستعداداتها وقد اختلف بعضها عن بعض، لتوفر بعض الشروط في قسم جعله متميّزاً له هويته الخاصة، لعدم وجود موانع أو منافيات فيه وأوجد كل شيء على ما هو عليه، وكما ينبغي أن يكون، لتحصل الغاية المنشودة من الإيجاد وهي المعرفة بوحدانيته تعالى ووجوده جل وعلا: **(كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أُعرف، فخلقت الخلق لكي أعرف)**[١]، **(لا يخالف شيء منها محبتك)**[٢].

بمعنى أن الله تعالى خلق الأشياء وأتقن صنعها لتكون معرِّفاً له ودليلاً على وجوده تعالى، وقد أعطى كل ذي حق حقه، ووضع كل شيء موضعه حسب لياقته و استحقاقه وقابلياته، فجعل من الممكنات من هو أول المخلوقات، والمظهر الجامع للإحداث والصادرات، فكان بحسب القابلية مورداً لقوله تعالى: ﴿**يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ**﴾[٣] فأصبح مصدر الإشراقات لجميع الأشعة والأنوار و الأعضاد والأشهاد[٤]

---

[١]) تقدم تخريجه.

[٢]) ورد في دعاء ليلة الإثنين: (لا يخالف شيء منه محبتك) مصباح المتهجد، ص٤٥١.

[٣]) سورة النور، ٣٥.

[٤]) إشارة إلى ما ورد في دعاء رجب عن الإمام الحجة بن الحسن عليهما السلام: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِمَعَانِي جَمِيعِ مَا يَدْعُوكَ بِهِ وُلاةُ أَمْرِكَ، الْمَأْمُونُونَ عَلَى سِرِّكَ، الْمُسْتَبْشِرُونَ بِأَمْرِكَ، الواصِفُونَ لِقُدْرَتِكَ، الْمُعْلِنُونَ

لكافة القابليات، ولم يكن ليصل إلى هـذا المقـام إلا بتفضّـل الله تعـالى ورحمتـه وعدله وحكمته التي خص بها رتبة المعصومين الأربعة عشر عليهم السلام.

وجفّ القلم فلم يكن لأي مخلوق في الإمكان أن يصـل إلى هـذا المقـام الرفيع، بل جعل القلم مـا سـواهم تحـت رتبـتهم، يسـتلهم النـور مـن شـعاع أشعتهم، وهكـذا الحـال بالنسـبة إلى مـن سـواهم تكوينـاً وتشـريعاً ووجـوداً وشرعاً، وقد طبع ذلك وقهره فلا يمكن تغييره وتبدله.

والخلاصة: (جفَّ القلم) بمعنى ما ذكرناه مع احتياج الممكن المطلـق، وهو غير منافٍ لما بيّناه إلا في نظر من لا يعرف تمامـاً معنـى (جـفّ القلـم) ولم يميّز مورده تمييزاً كاملاً، وليس هنا في هذه العجالة مقام تفصيل هـذا المطلـب. فهذا الإجمال كافٍ لتنبيه الغافلين.

لِعَظَمَتِكَ. أَسْأَلُكَ بِمَا نَطَقَ فِيهِم مِنْ مَشِيئَتِكَ، فَجَعَلْتَهُمْ مَعَادِنَ لِكَلِمَاتِكَ، وَأَرْكاناً لِتَوْحِيدِكَ، وَآيَاتِكَ وَمَقَامَاتِكَ، الَّتِي لا تَعْطِيلَ لَهَا فِي كُلِّ مَكَانٍ، يَعْرِفُكَ بِهَا مَنْ عَرَفَكَ، لا فَرْقَ بَيْنَكَ وبَيْنَهَا إلّا أَنَّهُم عِبَادُكَ وَخَلْقُكَ، فَتْقُهَا وَرَتْقُهَا بِيَدِكَ، بَدْؤهَا مِنْكَ وَعَوْدُهَا إِلَيْكَ، أَعْضَادٌ وأَشْهَادٌ، وَمُنَاةٌ وَأَذْوادٌ، وَحَفَظَةٌ وَرُوَّادٌ، فَبِهِمْ مَلأْتَ سَمَاءَكَ وَأَرْضَكَ حَتَّى ظَهَرَ أَنْ لا إلهَ إلّا أَنْتَ) مصباح المتهجد ص٨٠٣ في أدعية شهر رجب. إقبال الأعمال ج٣ ص٢١٤. بحار الأنوار ج٥٩ ص٣٩٢ الدعاء الذي خرج من الناحية المقدسة.

مسألة [٣]:

هل التجدد والخلق الجديد بالنسبة لما سوى أهل العصمة عليهم السلام مطلق، أو هو جارٍ أيضاً بالنسبة لمقام بشريّتهم دون سائر مقاماتهم؟ وما المقصود والمراد من كون الإمام عليه السلام هو المشيّئة؟

جواب:

لأن الممكن لا يمكن أن يكون إلا مركباً، كما أشار إلى ذلك مولانا الإمام الرضا عليه السلام بقوله: **(إن الله لم يخلق شيئاً فرداً قائماً بذاته دون غيره، للذي أراد من الدلالة عليه، وإثبات وجوده)**[1]

إذاً .. فلما لم يخلق الله تعالى شيئاً مستقلاً بذاته، قائماً بنفسه، فلا يمكن أن يكون الشيء إلا قائماً بغيره، حتى يكون العلة الدالة على إيجاده، وهي عبارة عن دلالة الموجود على وجود موجده.

إلا أنه في الشيء جهتان: جهة أنه شيء من الأشياء وهو إنيته وماهيته وهويته. وجهة الوجود؛ وهي دلالة الإيجاد، ودليل الفاعل الموجد، وهذه الجهة هي دليل قيامه بغيره الذي هو المقوّم والموجد له، فهو ليس له قيام بذاته.

---

[1]) التوحيد ص٤٣٩، عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ٢ ص١٥٦.

إذاً؛ فالممكن دائماً فقيرٌ ومحتاجٌ يستمد العون من موجده ويظهر الفقر والفاقة إليه، وإن الموجِد -دائماً- يمدّه ويغنيه بغنائه وعطائه، وإن دوام طلب الاستمداد من قبل الممكن لموجِدِه باعث على التجدد في كل ممكن من المجردات، والماديات، والذوات، والصفات، والجواهر، والأعراض، كل بحسب قدره ووصول الإمداد إليه.

فمن وصل المدد إليه أسرع، كان كماله وقربه إلى الوحدانية أكثر من سواه، وكلما كان أبطأ كانت رطوبة كثافته أكثر وبان عليه عدم الاعتدال -غالباً- وهذه الحالة وسم الرقيّة والعبودية، المثبت على جبين الممكن، لا يمكن التخلص منه بأي وجه من الوجوه.

وكيف لا يمكن تصور هذا المعنى في الأئمة عليهم السلام علماً بأنهم العلة الغائية[1] للإيجاد، والدليل الواضح إلى معرفة رب العباد، في جميع

[1] يقول مولانا الشيخ محمد آل أبي خمسين الأحسائي قدس سره: (اعلم يا أخي أن كون محمد وآل محمد علة غائية للموجودات له معنيان: أحدهما: أن الموجودات بأسرها خُلِقت لأجلهم ولمنافعهم كما أفصحت به الروايات المستفيضة عن صفوة البرية منها الحديث القدسي: (خلقتك لأجلي وخلقت الخلق لأجلك)، وحديث آخر مثله في الدلالة وهو: (لولاك لما خلقت الأفلاك) ... وثانيهما: أن مرجع الخلائق إليهم وحسابهم عليهم كما أشار إليه تأويل قوله تعالى: (إنا إلينا إيابهم، ثم إنا علينا حسابهم) ... أما الزيارات فمنها قول الهادي عليه السلام في الجامعة: (إياب الخلق إليكم وحسابهم عليكم وفصل الخطاب عندكم) نجاة الهالكين، ص١٠٥- ١٠٦ . وبالإمكان المراجعة لكتب علماء مدرسة الشيخ الأوحد في شرح مسألة العلل الأربع.

مقاماتهم ، وهم المقصودون بالذات من الخلقة حيث كانت غاية الخلقة منهم وإليهم وبدونهم لم تحصل الخلقة . وعليك بالتأمل في هذا المقام فإنه دقيق.

[معنى كون الإمام عليه السلام مشيئة الله]

أما معنى كون الإمام عليه السلام مشيئة الله، كما في حديث طارق: (**الإمام سر الله وكلمته)** إلى قوله عليه السلام: **(وقدرة الرب ومشيّته)**[١]، فهو على وجهين، وكلاهما المراد:

الوجه الأول: أن المشيئة هي الحركة الإيجادية، وهي فعل يلزم المتعلق وينفعل المتعلق به، وهذا الفعل مع متعلقه وبحسب تعلقه يظهر ويتجلى، والإيجاد والتكوين والإحداث -وهي أفعال متعددة- يكون ظهورها في الوجود والكون والحدوث، وبدونها لا يمكن لها الظهور أبداً **(الحمد لله الذي**

---

[١]) من حديث طارق بن شهاب عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام قال: (فالإمام هو السراج الوهاج، والسبيل والمنهاج، والماء الثجاج،...والسحاب الهاطل والغيث الهامل والبدر الكامل والدليل الفاضل ...فهم الجنب العلي والوجه الرضي والمنهل الروي والصراط السوي الوسيلة الى الله والوصلة الى عفوه ورضاه سر الواحد والأحد فلا يقاس بهم من الخلق أحد فهم خاصة الله وخالصته وسر الديان وكلمته وباب الايمان وكعبته وحجة الله ومحجته ...وقدرة الرب ومشيئته وأم الكتاب وخاتمته وفصل الخطاب ودلالته) إلى آخر الرواية الشريفة، راجع كتاب مشارق أنوار اليقين للشيخ البرسي، ص ٢٠٤-٢٠٩.

لا من شيء كان، ولا من شيء كوَّن ما كان)[١]، وهذا في أول المقام متعلق بهذا الظهور ذاته، والمتعلق الذي هو حقيقة المتعلَق، ومع قبوله ذلك يتم الظهور المطلق بوساطة أن المظهر له غاية الإطلاق والشمول.

ولهذا السبب كان حاوياً لجميع الظهورات والشؤونات المطلقة، وكان لجميع المعاني الفعلية مظهراً ومخرجاً، وهذا متعلق الجمال، والجلال، والكمال، والبهاء، والعظمة، والعزة، والحكمة، والرحمة، والسلطنة، والقوة، والقدرة، وسائر الصفات الفعلية الإلهية، التي هي للمعاني أفعال ومظهر بحيث لم يكن لأي من المعاني الشريفة المذكورة أي مخرج منه.

كما جاء في الحديث القدسي قوله سبحانه: **(ما وسعني أرضي ولا سمائي بل وسعني قلب عبدي المؤمن)**[٢]. ولما لم يكن لهذا الوجود الشريف مجال أو مظهر، لذلك سُمّي ذلك بالمشيئة، ولم يمكن بدونها أي ظهور له.

---

[١]) قال أمير المؤمنين عليه السلام: (الحمد لله الواحد الأحد الصمد المتفرد الذي لا من شيء كان ولا من شيء خلق ما كان) الكافي ج١ ص ١٥٥.

[٢]) بحار الأنوار، ج٥٥ ص٣٩.

والوجه الثاني: إن الله جعلهم أبواباً[1] وسبلاً وصراطاً[2]، فلم يظهر أي شأن من الشؤون الفعلية في الأيام الشأنية إلا من تلك الأبواب، ولا ينزل معنى من المعاني الشريفة المذكورة، ولا يترشح من تلكم الرشحات الإلهية رشح على أحد إلا من ذلك السبيل، وهم الواسطة والأساس في جميع ذرات الكائنات للأصول الأربعة التي هي عبارة عن: الخلق، والرزق، والموت، والحياة، فهم واسطة الصدور وهم في هذا المقام العلة الفاعلية[3]، بمعنى كونهم عللاً لأفعال الله تعالى في تلك الأمور الأربعة حسب ورودها ووجودها في الأكوان، حيث إن المشيئة لا يمكن أن تتعلق بشيء من الأشياء، أو بطور من

[1] عن أسود بن سعيد قال: كنت عند أبي جعفر عليه السلام فأنشأ يقول ابتداء منه من غير أن أسأله: (نحن حجة الله، ونحن باب الله، ونحن لسان الله، ونحن وجه الله، ونحن عين الله في خلقه، ونحن ولاة أمر الله في عباده) الكافي ج١ ص١٤٥.

[2] وردت الكثير من الروايات الشريفة في هذا المعنى ومنها ما في الزيارة الجامعة الكبيرة: (أنتم السبيل الأعظم والصراط الأقوم) من لا يحضره الفقيه، ج٢ ص٦١١.

[3] يقول الميرزا موسى الحائري الإحقاقي قدس سره: (فظهر أن مراده [أي الشيخ الأوحد] من العلة الفاعلية في أي محل أطلقها عليهم عليهم السلام هو كونهم محال المشيئة التي هي العلة حقيقة لا غيرها، وعلاقة التجوز، وهي علاقة الحال والمحل موجودة، لا أنهم حقيقةً هم العلة الفاعلية كما توهم من لم يُحِط خبراً بمقاصده وكلماته قدس سره؛ إذ هو صرَّح بكفر من قال بذلك في شرح التبصرة في مبحث نجاسة سؤر الكفار وإلحاق الغلاة بهم، وحمل الأخبار الدالة على عدم جواز إطلاق العلة الفاعلية عليهم عليهم السلام على ذلك ، أي إطلاقها حقيقة) إحقاق الحق، المقالة الخامسة، الفصل الرابع، ص٢٥٨.

الأطوار إلا عن هذا السبيل، مثلها مثل الحديدة المحماة التي هي محل ومورد تأثير النار المحرقة، وقد اتصفت بصفاتها وبعد ذلك أصبحت مظهراً تاماً لأفعالها. وبهذا الاعتبار أُطلقت عليهم (عليهم السلام) المشيئة، فهم مشيئة الله سبحانه[١]. والسلام.

[لمحرره العبد الأسير الفاني محمد باقر بن سليم الأسكوئي عفى عنهم][٢].

تم بعون الله الملك الوهاب عام ١٣٢٣هـ ألف وثلاثمائة وثلاثة وعشرين للهجرة.

---

[١] يقول الشيخ الأوحد أحمد بن زين الدين الأحسائي قدس سره: (إنما يقال الحقيقة المحمدية هي المشيئة بأحد وجهين: الأول: إن الحقيقة المحمدية عبارة عن عالم الأمر، وآدم الأول، والمحبة الحقيقة، ولا يعني بالمشيئة إلا ذاك لأن ذلك المقام يسمى بأسماء هذان منها. الثاني إن نسبة الحقيقة المحمدية إلى المشيئة كنسبة الإنكسار إلى الكسر لأنها انفعال الفعل حين فعله الفاعل بنفسه، نعم يكون الإطلاق على سبيل الحقيقة إن المشيئة المخلوقة بنفسها هي الحقيقة المحمدية وتلك النفس هي المشيئة، فيكون قوله عليه السلام: (ثم خلق الخلق بالمشيئة) معناه إن الله خلق بشعاع الحقيقة المحمدية أو بنفسها باعتبار أنها محل المشيئة التي قلنا إنها نفس الحقيقة كما قال سبحانه: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ۝ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ أو بالعكس بأن تكون الحقيقة نفس المشيئة فتكون المشيئة مخلوقة بها بمعنى أنها القابل والقابل هو فاعل فعل الفعل له، كما قال تعالى: ﴿ كُنْ فَيَكُونُ﴾) مسائل حول الحقيقة المحمدية، ص٤٨.

[٢] هذه العبارة وردت في النسخة المطبوعة بتبريز.

كما تم ترجمة ذلك وكتابته بقلم المحتاج إلى عفوه والراجي غفرانه محمد علي داعي الحق، وذلك في سلخ ذي الحجة الحرام عام ١٤١١ هـ ألف وأربعمائة وأحد عشر من الهجرة النبوية الشريفة على مهاجرها الآف الثناء والتحية نقلتها من الفارسية إلى اللغة العربية لتعم الفائدة لمن يروم الاستفادة والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً.

(١١)

الرسالة الحادية عشرة

رسالة في جواب السيد زين العابدين بن السيد يوسف الأسكوئي

في شرح قول الإمام الصادق عليه السلام: (إن أعمال العباد تُعرض كل خميس على رسول الله صلى الله عليه وآله، فإذا كان يوم عرفة، هبط الرب تبارك وتعالى وهو قوله سبحانه: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾.

فقلت: جعلت فداك أعمال من هذه؟

فقال: أعمال مبغضينا ومبغضي شيعتنا).

[تمهيد]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على مظهر لطفه وخير خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين.

أما بعد؛ فيقول العبد الأثيم، [الحقير الفقير][1] محمد باقر بن محمد سليم التبريزي -عفى الله عنهما-: أنه كتب جناب الأمجد والولي الموفق المسدد السيد الأنجد السيد زين العابدين بن يوسف الحسيني[2]، - وفقه الله لما يحب ويرضى، وبلغه ما يتمناه في دنياه والعقبى-، إلى داعيه حديثاً مشكلاً يسأل عن

---

[1]) لا توجد في المخطوطة.

[2]) هكذا ورد اسم السائل في المخطوطة التي حصلت عليها، ولكن ذكره آية الله المقدس الميرزا موسى الإحقاقي في تعداده لمؤلفات والده باسم (الشيخ عيسى) [الإجازة بين الاجتهاد والسيرة، ص٧٠]، وكذلك ذكره آية الله المعظم الميرزا علي الإحقاقي كذلك في تعداده لمؤلفات جده باسم (الشيخ عيسى) [المصباح المنير، ص٥]، وعليه النسخة المطبوعة في الكويت عام ١٤٢٥هـ. أما السيد زين العابدين بن السيد يوسف الحسيني الأسكوئي قدس سره فهو شارح ومفسر القصائد الإثنا عشرية للشيخ الأوحد قدس سره، والقصائد الإثني عشرية للسيد مهدي بحر العلوم، عده آية الله المولى الميرزا عبد الرسول الإحقاقي قدس سره من تلامذة الميرزا محمد سليم [قرنان من الاجتهاد والمرجعية، ص٣٠]، و الظاهر أنه تتلمذ على يد ابنه الميرزا محمد باقر أيضاً، و يحتمل أنه هاجر مع الميرزا محمد باقر إلى النجف وكربلاء للدراسة، كما استنسخ العديد من رسائل أستاذه الميرزا محمد باقر، وكان خطه غاية في الروعة والوضوح.

كشف خافيه، وبيان ما استشكل فيه، وإظهار محكمه وصافيه، ولعمري لقد ظنَّ السراب ماء، والتراب سماء، ولكنه سبحانه قال: (**أنا عند ظن عبدي**)[1]، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: (**أحسنوا الظن بإخوانكم تغنموا**)[2].

فسارعت في الجواب واثقاً بوعده سبحانه أنه عند ظن عبده؛ آتياً بما هو الميسور من الصواب، إذ هو لا يسقط بالمعسور في كل باب، مستعيناً بالله وهو المرجع والمآب.

---

[1] عن الإمام الرضا عليه السلام قال: (أحسن الظن بالله فإن الله عز وجل يقول أنا عند ظن عبدي بي إن خيراً فخيراً وإن شراً فشراً) الكافي، ج٢ ص٢٧ باب حسن الظن بالله عز وجل.

[2] روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: (أحسنوا ظنونكم باخوانكم تغتنموا بها صفاء القلب ونماء الطبع) بحار الأنوار، ج٧٢ ص١٩٦.

[نص السؤال]

قال سلّمه الله تعالى: **في بصائر الدرجات بالإسناد عن الصادق عليه السلام قال: (إن أعمال العباد تُعرض كل خميس على رسول الله صلى الله عليه وآله، فإذا كان يوم عرفة، هبط الرب تبارك وتعالى وهو قوله سبحانه: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾.**

فقلت: جعلت فداك أعمال من هذه؟

فقال: أعمال مبغضينا ومبغضي شيعتنا)[1].

في هذا الحديث الشريف من الاعتراضات ما لا يخفى، وفي ذا الخبر المنيف من [الإيرادات ما لا يحصى][2]، فالمأمول من الحبر المسؤول بيان ما فيه وإظهار خافيه، بحيث لا يبقى للكلام مجال، ولا لأحد فيه إشكال، على وجه الإجمال دون التفصيل، والاختصار المفيد لا التطويل، بشرط التعجيل، والإسراع إلى كشف هذا اللثام والقناع.

انتهى كلامه سلمه الله تعالى.

---

[1]) بصائر الدرجات، ص٤٤٦ ب٤ ح١٥.

[2]) في النسخة المطبوعة: الإيراد ما لا يخفى.

[الوصف الرباني]

أقـــول ولا حول ولا قوة إلا بالله، وما توفيقي إلا بالله:

إن الله سبحانه ما خلق خلقه إلا لعبادته، وهو قوله تعالى: **﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾**[١]، والعبادة لا تكون إلا بعد معرفة المعبود، وما أراد من العباد من كيفية العبادة، وذلك لا يكون إلا بوصفه وبيانه، لأن السبيل مسدود، والطلب مردود[٢]، وما هذا البيان إلا محمد وآله عليهم السلام وبهم؛ لأنهم معانيه وأبوابه، وهو قولهم عليهم السلام: **(بنا عرف الله، [وبنا عبد الله)**[٣]، و**(لولانا ما عرف الله)**[٤]][١]، و**(لولانا ما عبد الله)**[٢]، و**(نحن الأعراف الذين لا يُعرف الله إلا بسبيل معرفتنا)**[٣].

١) الذاريات، ٥٦.

٢) قال أمير المؤمنين عليه السلام: (رجع معنى الوصف في الوصف وعمي القلب عن الفهم، والفهم عن الإدراك، والإدراك عن الاستنباط، ودوام الملك في الملك، وانتهى المخلوق إلى مثله، وألجأه الطلب إلى شكله، وهجم به الفحص إلى العجز، والبيان على الفقد، والجهد على اليأس، والبلاغ على القطع، فالسبيل مسدود، والطالب مردود) جزء من الخطبة المعروفة بالدرة اليتيمة، راجع كتاب ملحق نهج البلاغة لأحمد بن يحيى بن ناقة الكوفي، ص٣٨.

٣) التوحيد، ص١٥٢ باب١٢ ح٨.

٤) البحار، ج٢٥ ص٤ ح٧.

فوصف الله سبحانه نفسه لخلقه وما أراد منهم من معرفته وعبادته ليس إلا بهم وعنهم، ومعرفتهم الرب وعبادتهم لا تكون إلا بهم، فهم المبدأ والمعاد في التكليف والإيجاد نزولاً وصعوداً، وذلك قولهم عليهم السلام: (**إرادة الرب في مقادير أُموره تهبط إليكم، وتصدر من بيوتكم، والصادر عما فُصِّلَ من أحكام العباد**)(٤). انظر إلى قوله عليه السلام فإن (**الإرادة**) مصدر مضاف يفيد العموم، و (**مقادير**) جمع مضاف إلى (**أمور**)، وهو جمع مضاف إلى ضمير الرب، وذلك أيضاً للعموم، فيكون المعنى أن إرادة الرب مطلقاً في جميع مقادير أُموره كلها، وتأمل فيه تجده صريحاً في المطلوب من كونهم مبدأً للأشياء ومعاداً في الشرع والوجود، في الصدور والورود وهو قوله تعالى: **﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ۞ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾**(٥)، مع قوله عليه السلام في [الزيارة] الجامعة

---

(١) ما بين المعكوفتين لا يوجد في النسخة المطبوعة.

٢) الكافي، ج١ ص ٢١٦ باب أن الأئمة (ع) ولاة أمر الله وخزنة علمه، ح ٥.

(٣) بصائر الدرجات، ص٥١٧ ب ١٦.

(٤) الكافي، ج٤ ص٦٧٥.

(٥) الغاشية، ٢٥-٢٦. عن جميل بن دراج قال: قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام: أحدثهم بتفسير جابر؟ قال: (لا تحدث به السفلة فيذيعوه، أما تقرأ ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ۞ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ قلت: بلى. قال: إذا كان يوم القيامة وجمع الله الأولين والآخرين ولانا حساب شيعتنا، فما كان بينهم وبين الله حكمنا على الله فيه فأجاز حكومتنا، وما كان بينهم وبين الناس استوهبناه منهم فوهبوه لنا، وما كان بيننا وبينهم فنحن أحق من عفا وصفح) بحار الأنوار، ج٢٤ ص٢٦٧ باب ٦٣.

الكبيرة: (**وإياب الخلق إليكم، وحسابهم عليكم**)[١]، وذلك أن المآب هو المبدأ، والمحاسب هو الحاكم والآمر، وأن إياب الخلق إلى الله هو الرجوع إلى أمره وحكمه، وهم عليهم السلام أمره وحكمه، والآمر والناهي عنه.

١) الزيارة الجامعة الكبيرة، من لا يحضره الفقيه، ج٢ ص٦١١.

[أنواع الملائكة]

ثم إنه سبحانه خلق الملائكة أنواعاً:

منهم: روابط للإمدادات، وحملة للفيوضات لتوصلها إلى الموارد والمتعلقات من الجواهر، والأعراض، والصفات، والذوات.

ومنهم: الحفظة[١] والكاتبون للأعمال والأفعال والأقوال وما يصدر عنهم من البدوات والحركات والسكنات.

ومنهم: مدبّرات، ومقسّمات، ومعقّبات، وغير ذلك من شؤونات الخلق التي وكل لكل منها ملائكة مناسبة لرتبها[٢].

والملائكة خلقها الله أُولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع[٣] باعتبار تعدد نسبها وشغلها تتعدد أجنحتها، فمنها جزئي، وكلي، إضافي، وحقيقي، بعضها فوق بعض، حاكم وآمر لما تحته، إلى أن ينتهي إلى الملائكة الأربع المقربين الحاملين لأركان العرش؛ ميكائيل، و إسرافيل، و عزرائيل، و جبرائيل عليهم السلام، حملة الرزق، و الحياة، و الممات، و الخلق، ولكل واحد منهم أعوان من الملائكة

---

١) في النسخة المخطوطة: حفظة.

٢) في النسخة المطبوعة: لرتبتها.

٣) قال تبارك وتعالى: ﴿الْحَمْدُ للهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فاطر، ١.

ما شاء الله بعدد شؤونها وجهات تعلقها، وهؤلاء الملائكة الأربعة يرجعون إلى حكم ملائكة الحجب[١] و الروح من أمر الله[٢]، والكل تحت روح القدس الذي له وجوه ورؤوس بعدد الخلائق، وهو أول خلق ذاق من حدائقهم الباكورة[٣]، وأول خلق من الروحانيين[٤]، وأول غصن من شجرة الخلد[١].

---

١) ورد في دعاء إمامنا السجاد عليه السلام في الصلاة على حملة العرش: (والروح الذي هو على ملائكة الحجب) [بحار الأنوار، ج٥٦ ص٢١٧]، يقول الشيخ الأوحد أحمد بن زين الدين الأحسائي: (و المراد بملائكة الحجب الكروبيّون، و هم شيعة علي و أهل بيته عليهم السلام من الخلق الأول؛ أي من عالم الغيب جعلهم اللهّ خلف العرش) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة، ج٣ ص٣٦٠ (طبعة مكتبة العذراء)، ص٣٢٧ (مطبعة السعادة)، شرح فقرة: (وإلى جدكم بعث الروح الأمين).

٢) ورد في دعاء إمامنا السجاد عليه السلام في الصلاة على حملة العرش: (والروح الذي هو من أمرك) [بحار الأنوار، ج٥٦ ص٢١٧]، يقول الشيخ الأوحد الأحسائي قدس سره: (المراد بالروح من أمر الله هو العقل الكلي ... وهو عقله صلى الله عليه وآله في قوله صلى الله عليه وآله: (أول ما خلق الله العقل)، وقول الصادق عليه السلام: (وهو أول خلقٍ من الروحانيين عن يمين العرش)) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة، ج٣ ص٣٦٣ (طبعة مكتبة العذراء)، ص٣٣٠ (مطبعة السعادة)، شرح فقرة: (وإلى جدكم بعث الروح الأمين).

٣) ورد عن إمامنا الحسن العسكري عليه السلام قوله: (وروح القدس في جنان الصاقورة ذاق من حدائقنا الباكورة) بحار الأنوار، ج٢٦ ص ٢٦٤ باب جوامع مناقبهم وفضائلهم عليهم السلام.

٤) روى الشيخ الكليني بسنده عن سماعة بن مهران قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام وعنده جماعة من مواليه فجرى ذكر العقل والجهل، فقال أبو عبد الله عليه السلام: (اعرفوا العقل وجنده والجهل وجنده تهتدوا. قال سماعة: فقلتُ: جعلت فداك لا نعرف إلا ما عرفتنا، فقال أبو عبد الله عليه السلام: إن الله عز وجل خلق العقل وهو أول خلق من الروحانيين عن يمين العرش من نوره فقال له: أدبر،

وهو الذي ما نزل إلى أحد إلا إلى محمد وآل محمد صلى الله عليه وآله، وهو عندهم عليهم السلام واحد بعد واحد، يخدمهم لا يصعد إلى آخر الأبد[٢]، وهو الذي يأتي إليهم بأخبار العالم وما يحدث بالليل والنهار شيئاً بعد شيء، وأمراً بعد أمر، وهو العمود الذي يُنصب للإمام عليه السلام ويرى فيه أعمال العباد[٣]، وهو نور ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ﴾[١]، والذي ينزل في ليلة القدر لولي الأمر من كل

فأدبر، ثم قال له: أقبل فأقبل، فقال الله تبارك وتعالى: خلقتك خلقاً عظيماً وكرمتك على جميع خلقي...) الكافي، ج١ ص ٢١ كتاب العقل والجهل ح١٤.

١) يقول السيد كاظم الرشتي قدس سره: (فشجرة الخلد هي شجرة الوجود المطلق، وأول غصنٍ منها هو المشيئة، وهي القلم الأعلى والحجاب الأدنى، هذا بناءً على أن ما فوق العقل من المراتب كلها من الوجود المطلق، وأما إذا حُصِر الوجود المطلق بالمشيئة وأُجري على المراتب الأُخر حكم البرزخ فيكون هو المشيئة وأولادها من المشيئات الجزئية، فتكون المشيئة الكلية أول غصنٍ منها وباقي الأغصان كلها كليها وجزئيها غصنٌ لهذا الغصن الكلي) شرح الخطبة الطتنجية، ج١ ص٨٥ شرح فقرة: (وخرق الهواء).

٢) ورد في الكافي الشريف عن محمد بن يحيى عن محمد بن الحسين عن علي بن أسباط عن أسباط بن سالم قال: سأله رجل من أهل هيت وأنا حاضر- عن قول الله عز وجل ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾ فقال: (منذ أنزل الله عز وجل ذلك الروح على محمد صلى الله عليه وآله ما صعد إلى السماء، وإنه لفينا) الكافي، ج١ ص ٢٧٣، باب الروح التي يسدد بها الأئمة عليهم السلام، ر٢.

٣) حدثنا أحمد بن محمد عن محمد بن سنان عن خالد الجوائي عن أحدهما عليه السلام قال: (إن الإمام ليسمع الصوت في بطن أمه، فإذا فصل من أمه كتب على عضده الأيمن ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾، فإذا قضيت إليه الأمور رفع له عمود من نور يرى به أعمال الخلائق) بصائر الدرجات، ص ٤٥٤ ب٨ح ١١.

أمر، فما من ذرة في الأرض ولا في السماء إلا ولها ملك موكل بها وله أعوان بعدد شؤونها وجهاتها يصدرون عن أمر رئيسهم ويصيرون إليه.

وكذلك الرؤساء إلى من فوقهم في الجامعية والإحاطة، وهكذا إلى أن تنتهي إلى الأربع، وهم ينتهون إلى ما هو أعظم من كلهم وهو الروح الذي وصفناه ببعض أوصافه، وهو صادر عنهم عليهم السلام بما أمروا، وصائر إليهم عليهم السلام بما حمل وعمل، فهم (**مختلف الملائكة**)[٢] بهذا المعنى، والملائكة قد أُخذ عليهم العهد والميثاق، وكُلِّفوا بالاختلاف إليهم بجميع فيوضات الوجود في الصدور والورود.

ومنها: طائفة موكلة بضبط أعمال العباد وأحوالهم، مأمورة بعرض ما كتب وحفظ ما تأتي إليهم عليهم السلام بما عندها من الأعمال عارضة عليهم، عليهم السلام في كل وقت عُيّن لها.

---

[١]) القدر، ١.

[٢]) الزيارة الجامعة الكبيرة، تقدم تخريج المصدر.

[معنى عرض الأعمال على محمد والآل عليهم السلام]

فإذا عرفت ذلك فاعلم أن قوله عليه السلام: (**إن أعمال العباد تُعرض كل خميس على رسول الله صلى الله عليه وآله**) إن كان يُستشكل فيه من جهة أن عرض الأعمال يظهر منه أنها تخفى عليهم ولا يعلمونها قبل عرضها، فليس حيث يذهب، فإن الله سبحانه استعبد الملائكة وأخذ عليهم العهد والميثاق بالعجز والتذلل لهم والخضوع والخشوع عندهم، وجعل ذلك العرض والتردد إليهم عبادة له وطاعة، إظهاراً لجلالة شأنهم وعظم قدرهم وتشييداً لسلطانهم.

فاختلاف الملائكة إليهم بعرض ما عندها من الأعمال وإتيان ما لديها من الأخبار وفاءً لما عُهد إليها، وأداءً لما كُلّفت به، وخضوعاً منها لهم، وإقراراً بهم؛ أنهم المرجع والمآب، كما أنهم المصدر والباب.

وذلك لا ينافي أنهم يعلمون أعمال الخلق والعباد، ويرون آثارهم وأحوالهم، وما عليهم ولهم قبل العرض حين ما صدر عنهم و بعده، وكيف وقد ورد متضافراً بل متواتراً معنىً بعبارات مختلفة أن السموات والأرضين عند الإمام عليه السلام كيده من راحته يرى ظاهرها من باطنها، وبرها من

فاجرها، ورطبها ويابسها[1]، وفي بعضها كالدرهم في يد أحدكم[2]، [وفي آخر كفلقة جوز][3] يقلّبها[4] كيف يشاء وغيرها.

وروى عبد الله بن بكير في حديث طويل عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له جعلت فداك فهل يرى الإمام ما بين المشرق والمغرب؟

---

[1]) يقول الإمام الرضا عليه السلام: (علم الأنبياء في علمهم، وسر الأوصياء في سرهم، وعز الأولياء في عزهم، كالقطرة في البحر والذرة في القفر، والسماوات والأرض عند الإمام كيده من راحته، يعرف ظاهرها من باطنها، ويعلم برها من فاجرها، ورطبها ويابسها، لأن الله علم نبيه علم ما كان وما يكون، وورث ذلك السر المصون الأوصياء المنتجبون، ومن أنكر ذلك فهو شقي ملعون يلعنه الله ويلعنه اللاعنون) بحار الأنوار، ج ٢٥ ص١١٦.

[2]) وجدت رواية حول ملك الموت وهي: عن الصادق عليه السلام قال: (قيل لملك الموت كيف تقبض الأرواح وبعضها في المغرب وبعضها في المشرق في ساعة واحدة؟ فقال: أدعوها فتجيبني، قال: فقال ملك الموت إن الدنيا بين يدي كالقصعة بين يدي أحدكم يتناول منها ما شاء، والدنيا عندي كالدرهم في كف أحدكم يقلبه كيف يشاء) [من لا يحضره الفقيه، ج١ ص١٣٤] ولا شك أن ملك الموت خادم من خدام محمد وآله الطاهرين فما عنده من القدرة إنما هو فرع قدرتهم عليهم السلام.

[3]) ما بين المعكوفتين لم يرد في النسخة المطبوعة. عن حمزة بن عبد الله الجعفري، عن أبي الحسن قال: كتبت في ظهر قرطاس: أن الدنيا ممثلة للإمام كفلقة الجوزة فدفعته إلى أبي الحسن عليه السلام وقلت: جعلت فداك إن أصحابنا رووا حديثا ما أنكرته غير أني أحببت أن أسمعه منك، قال: (فنظر فيه ثم طواه حتى ظننت أنه قد شق عليه، ثم قال: هو حق فحوله في أديم) بصائر الدرجات، ص٤١.

[4]) في المخطوطة: يقلب.

قال: **(يا بن بكير فكيف يكون حجة على ما بين قطريها وهو لا يراهم ولا يحكم فيهم، وكيف يكون حجة على قوم غيب لا يقدر عليهم، [ولا يقدرون عليه]**[1]**، وكيف يكون مؤدياً عن الله تعالى وشاهداً على الخلق وهو لا يراهم، وكيف يكون حجة عليهم وهو محجوب عنهم، وقد حيل بينهم وبينه أن يقوم بأمر ربه فيهم، والله يقول: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ﴾ يعني به من على الأرض والحجة من بعد النبي صلى الله عليه وآله قائم مقامه وهو الدليل على ما تشاجرت فيه الأمة، والآخذ بحقوق الناس، والقيام بأمر الله، والمنصف لبعضهم من بعض، فإذا لم يكن معهم من ينفذ قوله وهو يقول: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ فأي آية في الآفاق غيرنا أراها الله أهل الآفاق، وقال: ﴿وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلاَّ هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ فأي آية أكبر منا)**[2] الحديث.

وقد قال عليه السلام في ذلك الحديث قبل هذا بيسير: **(وما من ليلة تأتي علينا إلا وأخبار كل أرض عندنا، وما يحدث فيها، وأخبار الجن، وأخبار أهل الهواء من الملائكة، وما من ملك يموت ويقوم غيره مقامه إلا أوتينا بخبره،**

---

[1]) لم ترد في المخطوطة، ووردت في النسخة المطبوعة وفي أصل الرواية كذلك.

[2]) بحار الأنوار، ج ٢٥ ص ٣٧٢ باب غرائب أفعالهم وأحوالهم عليهم السلام.

وكيف سيرته في الذين قبله، وما من أرض من ستة أرضين إلى السابعة إلا ونحن نؤتى بخبرهم)[1].

انظر إلى قوله وما قبله من قوله: **(كيف يكون حجة ... إلخ)**، من غير فاصلة بينهما، يظهر لك أنه لا ينافي كونهم عالمين بما عليه الخلق - يسمعون أخبارهم، ويرون آثارهم وأسرارهم- أن يأتي إليهم الملائكة بما عندهم من الأخبار والأحوال، ويعرضوا عليهم ما حفظوه وحملوه من الأعمال بإذن ربهم امتثالاً لأمره، وتذللاً على ما لهم عليهم السلام من عظمته وقهره.

ومثله معنى ما روي أن الملك يجيئهم بسلام من يُسلّم عليهم من العباد في أطراف البلاد، مع قوله في الزيارة: **(أشهد أنك ترى مقامي، وتسمع كلامي)**[2]، وما روي في عدة الداعي عن أمير المؤمنين عليه السلام: **(أُعطي السمع أربعة: النبي صلى الله عليه وآله، والجنة، والنار، والحور العين، فإذا فرغ العبد من صلاته فليصلِّ على النبي وآله، وليسأل الله الجنة، وليستجير بالله من النار، ويسأل الله أن يزوجه الحور العين، فإنه من صلى على النبي صلى الله عليه وآله رُفعت دعوته، ومن سأل الله الجنة قالت الجنة: يا رب أعطِ عبدك ما**

---

[1]) المصدر السابق.

[2]) روي عن الإمام الصادق عليه السلام: (من كانت له حاجة إلى الله عز وجل فليقف عند رأس الحسين عليه السلام وليقل: يا أبا عبد الله أشهد أنك تشهد مقامي وتسمع كلامي، وأنك حي عند ربك ترزق، فاسأل ربك وربي في قضاء حوائجي، فإنها تقضى إن شاء الله) مستدرك الوسائل، ج١٠ ص٣٤٦.

سأل، ومن استجار بالله من النار قالت النار: يا رب أجر عبدك مما استجارك منه، ومن سأل الله الحور العين قلن: يا رب أعطِ عبدك ما سأل)[1].

فلا يلزم من إتيان الملائكة إليهم وإخبارهم بما عندهم عدم علمهم بما أتوا، وعدم اطلاعهم بما أخبروا، كيف وهم عليهم السلام عين الله الناظرة، وأُذنه الواعية، ووجهه الذي يتقلب بين أظهركم[2].

---

[1]) عدة الداعي، ص١٦٥. وسائل الشيعة، ج٦ ص٤٦٧ ب ٢٣

[2]) عن أبي جعفر عليه السلام قال: (نحن المثاني الذي أعطاه الله نبينا محمداً صلى الله عليه وآله، ونحن وجه الله نتقلب في الأرض بين أظهركم، ونحن عين الله في خلقه، ويده المبسوطة بالرحمة على عباده، عرفنا من عرفنا، وجهلنا من جهلنا، وإمامة المتقين) الكافي ج١ ص١٤٣، باب النوادر من كتاب التوحيد، ر٣.

[أنواع علم الأئمة عليهم السلام]

ولا يخفى عليك أنهم عليهم السلام علمهم منه:

إشراقي؛ يعني أن الأشياء بموادها وصورها قائمة ومُحَدثة بإشراقهم وتجليهم وأثرهم، فهم في ذلك المقام تراجمة مشيئته سبحانه، ومحال إرادته[١].

ومنه **حضوري**؛ بمعنى أنهم يعلمون الأشياء علم إحاطة وعيان، لا علم إخبار وبيان، فجميع ما في الكون حاضرة عندهم، ولا يغيب عنهم شيء من أحوالهم وآثارهم وذواتهم وصفاتهم، والسموات والأرضون وما فيهما وما

---

١) وردت روايات كثيرة في هذا المعنى ومنها ما ورد في خطبة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام يوم الغدير حيث وصف الرسول الأعظم وآله الطاهرين عليهم صوات رب العالمين بقوله: (وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، استخلصه في القدم على سائر الأمم على علم منه، انفرد عن التشاكل والتماثل من أبناء الجنس، وانتجبه آمراً وناهياً عنه، أقامه في سائر عالمه في الأداء مقامه؛ إذ كان لا تدركه الأبصار ولا تحويه خواطر الأفكار، ولا تمثله غوامض الظن -[في بعض النسخ الظنن وفي بعضها الظنون]- في الأسرار لا إله إلا هو الملك الجبار قرن الاعتراف بنبوته بالاعتراف بلاهوتيته واختصه من تكرمته بما لم يلحقه فيه أحد من بريته) إلى أن يقول عليه السلام: (وإن الله تعالى اختص لنفسه بعد نبيه صلى الله عليه وآله من بريته خاصة علاهم بتعليته وسما بهم إلى رتبته وجعلهم الدعاة بالحق إليه والأدلاء بالإرشاد عليه لقرن قرن وزمن زمن، أنشأهم في القدم قبل كل مذروء ومبروء أنواراً أنطقها بتحميده، وألهمها شكره وتمجيده، وجعلها الحجج على كل معترف له بملكة الربوبية وسلطان العبودية، واستنطق بها الخرسات بأنواع اللغات، بخوعاً له فإنه فاطر الأرضين والسماوات، وأشهدهم خلقه، وولاهم ما شاء من أمره، جعلهم تراجم مشيته وألسن إرادته) مصباح المتهجد ص٥٢٤، بحار الأنوار ج٩٤ ص١١٣ ح٨.

بينهما عندهم كالخاتم، أو الدرهم، أو فلقة جوز في يد أحدكم يراه من جميع جهاته، ويقلبه كيف يشاء[١]، فهم هناك اللوح المحفوظ، بل هو صدرهم ونفسهم.

ومنه **حصولي**؛ بمعنى أنهم يعلمونها بالسماع والإخبار من الملائكة الجزئية، أو جبرائيل، أو روح القدس، وهو خلق أعظم من جبرائيل وميكائيل وغيرهما[٢]. وبالرؤيا، وبالاستنباط من القرآن[٣]، وهو قوله تعالى: **﴿لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ﴾**[٤]، أو من مصحف فاطمة عليها السلام، أو من الجفر الأبيض، و الأحمر[٥]، أو من الرمل، أو من النجوم والأوضاع الفلكية، ومن

---

[١]) تقدم ما يشير إلى ذلك فراجع.

[٢]) في تفسير علي بن إبراهيم قال: حدثني أبي عن ابن أبي عمير عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال: (هو ملك أعظم من جبرئيل وميكائيل، كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله وهو مع الأئمة عليهم السلام) تفسير القمي، ج٢ ص٢٦ تفسير سورة الإسراء. بحار الأنوار، ج٢٥ ص ٤٧ ح١ باب الأرواح التي فيهم وأنهم مؤيدون بروح القدس.

[٣]) ورد عن إمامنا الرضا عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ قال: (يعني آل محمد، وهم الذين يستنبطون من القرآن، ويعرفون الحلال والحرام، وهم الحجة لله على الخلق) تفسير البرهان، ج٣ ص١٠٧، تفسير سورة النساء.

[٤]) النساء، ٨٣.

[٥]) عن أبي بصير قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقلت له: جعلت فداك إني أسألك عن مسألة، هاهنا أحد يسمع كلامي؟ قال: فرفع أبو عبد عليه السلام ستراً بينه وبين بيت آخر فأطلع فيه ثم قال: (يا

أبا محمد سل عما بدا لك، قال: قلت: جعلت فداك إن شيعتك يتحدثون أن رسول الله صلى الله عليه وآله علم علياً عليه السلام باباً يفتح له منه ألف باب؟ قال: فقال: يا أبا محمد علم رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام ألف باب يفتح من كل باب ألف باب. قال: قلت: هذا والله العلم قال: فنكت ساعة في الأرض ثم قال: إنه لعلم وما هو بذاك. قال: ثم قال: يا أبا محمد وإن عندنا الجامعة وما يدريهم ما الجامعة؟ قال: قلت: جعلت فداك وما الجامعة؟ قال: صحيفة طولها سبعون ذراعاً بذراع رسول الله صلى الله عليه وآله وإملائه من فلق فيه وخط علي بيمينه، فيها كل حلال وحرام وكل شيء يحتاج الناس إليه حتى الأرش في الخدش، وضرب بيده إلي فقال: تأذن لي يا أبا محمد؟ قال: قلت: جعلت فداك إنما أنا لك فاصنع ما شئت، قال: فغمزني بيده وقال: حتى أرش هذا – كأنه مغضب – قال: قلت: هذا والله العلم، قال إنه لعلم وليس بذاك. ثم سكت ساعة، ثم قال: وإن عندنا الجفر وما يدريهم ما الجفر؟ قال قلت: وما الجفر؟ قال: وعاء من أدم فيه علم النبيين والوصيين، وعلم العلماء الذين مضوا من بني إسرائيل، قال قلت: إن هذا هو العلم، قال: إنه لعلم وليس بذاك. ثم سكت ساعة ثم قال: وإن عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام وما يدريهم ما مصحف فاطمة عليها السلام؟ قال: قلت: وما مصحف فاطمة عليها السلام؟ قال: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد، قال: قلت: هذا والله العلم قال: إنه لعلم وما هو بذاك. ثم سكت ساعة ثم قال: إن عندنا علم ما كان وعلم ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة قال: قلت: جعلت فداك هذا والله هو العلم، قال: إنه لعلم وليس بذاك. قلت: جعلت فداك فأي شيء العلم؟ قال: ما يحدث بالليل والنهار، الأمر من بعد الأمر، والشيء بعد الشيء، إلى يوم القيامة) الكافي، ج١ ص٨٣٢، باب فيه ذكر الصحيفة والجفر والجامعة ومصحف فاطمة عليها السلام، ح١.

ذلك العلوم الخمسة المحتجبة؛ الكيمياء[١]، والهيمياء[٢]، والليمياء[٣]، والسيمياء[٤]، والريمياء[٥]، وغيرها من العلوم [التي] لا تحصى، وهذا مقام **﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾**[٦] وأنهم الثقل الأصغر[٧].

---

١) علم الكيمياء: زراعة الذهب والفضة والجواهر النفيسة من الألماس والياقوت واللعل والزمرد والفيروزج واللؤلؤ وغير ذلك على وجه أعلى من المعدن وأصح. [شرح الزيارة الجامعة الكبيرة، ج١ ص٣٣٢ (كرمان)، ص٣٨٤ (العذراء). شرح فقرة: (المكرمون المقربون)].

٢) علم الهيمياء: علم التسخيرات. [شرح الزيارة الجامعة الكبيرة، ج١ ص٣٣٢ (كرمان)، ص٣٨٤ (العذراء). شرح فقرة: (المكرمون المقربون)].

٣) علم الليمياء: علم الطلسمات، ومنه ما يعمل بطبائع العقاقير. [شرح الزيارة الجامعة الكبيرة، ج١ ص٣٣٢ (كرمان)، ص٣٨٤ (العذراء). شرح فقرة: (المكرمون المقربون)].

٤) علم السيمياء: علم التخيلات وهو من التسخيرات ومن الطلسمات والعقاقير. [شرح الزيارة الجامعة الكبيرة، ج١ ص٣٣٢ (كرمان)، ص٣٨٤ (العذراء). شرح فقرة: (المكرمون المقربون)].

٥) علم الريمياء: علم الشعبذات. [شرح الزيارة الجامعة الكبيرة، ج١ ص٣٣٢ (كرمان)، ص٣٨٤ (العذراء). شرح فقرة: (المكرمون المقربون)].

٦) الأنعام، ٩.

٧) عن جابر بن عبدالله الأنصاري عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: (إني تارك فيكم الثقلين الثقل الأكبر والثقل الأصغر إن تمسكتم بهما لا تضلوا ولا تبدلوا وإني سألت اللطيف الخبير أن لا يفترقا حتى يردا علي الحوض فأعطيت ذلك. قالوا: وما الثقل الأكبر وما الثقل الأصغر؟ قال: الثقل الأكبر كتاب الله

وعلى هذا العِلْم يجرون في أكثر حالاتهم وأوضاعهم مع الخلق وفيهم ولهم، أما سمعت أنه لما قبضت فاطمة عليها السلام كان أمير المؤمنين عليه السلام في المسجد، فإذا بالحسنين عليهما السلام دخلا المسجد وهما يندبان واجداه وأماه، فلما سمع ذلك وقع مغشياً عليه(١)، مع أنه كان عالماً بموتها قبل ذلك، وكيف لا يعلم ولا يموت أحد في شرق الأرض وغربها إلا وهو يحضر عنده(٢)، فكيف بموتى أنفسهم! وهو عليه السلام ما طرأ عليه شيء من الغشوة والبكاء والتأوه إلا بعد سماعه بالحس الظاهر، وغيره من أفعالهم وأحوالهم ومعاملاتهم في الناس معهم وبينهم.

وعرض الملائكة عليهم عليهم السلام أعمال العباد وإتيانها إليهم بأخبار البلاد من هذا القبيل، واقتصرنا عن التفصيل بأدنى تمثيل وأيسر إشارة، بأخصر عبارة، خوفاً من الإطالة في المقالة، إن رزقنا الله اللقاء بسطنا إن شاء الله تعالى في المدعى بما يزيل الغطاء ويكشف الخفاء.

سبب طرفه بيد الله وسبب طرفه بأيديكم، والثقل الأصغر عترتي وأهل بيتي) بصائر الدرجات، ص٤٣٤ ب١٨ ر٥.

(١) راجع بحار الأنوار، ج٤٣ ص١٨٧.

(٢) وردت روايات عديدة في هذا الباب وخير ما كتب وألف في هذه المسألة هو كتاب المحتضر للعالم الجليل الحسن بن سليمان الحلي أعلى الله مقامه، فراجع.

[سر اختصاص يوم الخميس بعرض الأعمال]

ثم اعلم أن اختصاص الخميس بعرض الأعمال دون سائر الأيام فلما فيه من المناسبة، فإنه يوم فيه تقضى الحوائج، وهو ما رواه بن أبي عمير عن الصادق عليه السلام قال: (**السبت لنا، والأحد لشيعتنا، والأثنين لأعدائنا، والثلاثاء لبني أمية، والأربعاء يوم شرب الدواء، والخميس تقضى فيه الحوائج**)[1] الحديث. وقول أمير المؤمنين: (**وفي يوم الخميس قضاء حاج...**)[2]. وكذلك

---

[1] في المخطوطة الحديث إلى هنا فقط، وكذلك في النسخة المصفوفة التي زودني بها الشيخ رياض طاهر، ولكن في النسخة المطبوعة توجد الرواية كاملة، وكذلك يوجد بها شعر ملحق، ونذكر هنا الرواية كاملة للتبرك والفائدة، وهي: (السبت لنا، والأحد لشيعتنا، والأثنين لأعدائنا، والثلاثاء لبني أمية، والأربعاء يوم شرب الدواء، والخميس تقضى فيه الحوائج، والجمعة للتنظيف والتطيب، وهو عيد للمسلمين، وهو أفضل من الفطر والأضحى، ويوم غدير خم أفضل الأعياد وهو الثامن عشر من ذي الحجة، ويخرج قائمنا أهل البيت يوم الجمعة، وتقوم القيامة يوم الجمعة، وما من عمل أفضل يوم الجمعة من الصلاة على محمد وآله) وسائل الشيعة، ج٧ ص٣٨٠ باب ٤٠.

[2] هذا مقطع من أبيات منسوبة لأمير المؤمنين عليه السلام وهي:

لنعم اليوم يوم السبت حقاً	لصيد إن أردت بلا امتراء
وفي الأحد البناء لأن فيه	تبدى الله في خلق السماء
وفي الأثنين إن سافرت فيه	ستظفر بالنجاح وبالثراء

يوم الجمعة، إذ الأيام والساعات والأوقات تختلف بالنسبة إلى الأعمال والأشغال، وتتفاوت بالمناسبات، وأعمال العباد الغرض من عرضها قبولها أو ردها، والجزاء عليها مما لها أو عليها، وذلك يناسبه الخميس الذي فيه تقضى الحاجات، وهو يوم إكساء اللحم للعظم المستلزم لإنشاء خلق آخر في خلق الإنسان؛ يعني يوم تمام الأجساد والأشباح الجاذبة للأرواح؛ الأشباح مغناطيس الأرواح، وهو أول يومين خُلقت فيهما الأرض بعد خلق السموات؛ **﴿خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾**[1]، وهو الخامس من الستة الأيام التي

ومن يرد الحجامة فالثلاثاء	ففي ساعاته هرق الدماء
وإن شرب امرؤ يوماً دواء	فنعم اليوم يوم الأربعاء
وفي يوم الخميس قضاء حاج	ففيه الله يأذن بالدعاء
وفي الجمعات تزويج وعرس	ولذات الرجال مع النساء
وهذا العلم لم يعلمه إلا	نبي أو وصي الأنبياء

[1] فصلت، ٩

خلقت فيها السموات والأرض، والخامس من مقامات الفعل إظهار الشيء مشروح العلل مبين الأسباب.

وبالجملة إن يوم الخميس وقت تمام القابلية والاستعداد وزمان الاستمداد وعرض الحاجات وإظهار الفقر والسؤالات، ويوم الجمعة زمان الإفاضة والإمداد، وإيصال المقبولات إلى القابليات وقضاء المهمات ولذلك تؤخر إليه استجابة الدعوات كما رواه أبو بصير عن أحدهما عليهما السلام قال: **(إن العبد المؤمن ليسأل الله عز وجل الحاجة فيؤخر الله قضاء حاجته إلى يوم الجمعة ليخصه بفضل يوم الجمعة)**[1]. سبحانه من حكيم أتقن صنعه **﴿صُنْعَ اللهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾**[2].

واعلم أنه يبدأ بالعرض أولاً على رسول الله صلى الله عليه وآله ثم على الأئمة عليهم السلام واحداً بعد واحد على ترتب مراتبهم، وينتهي إلى الزهراء عليها السلام، وكذلك في النزول بلا تفاوت، وذلك ما رواه زرارة قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: **(لولا أنا نزداد لأنفدنا. قال: قلت:**

---

[1]) من لا يحضره الفقيه، ج١ ص٤٢٢.

[2]) النمل، ٨٨.

تزدادون شيئاً لا يعلمه رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: أما إنه إذا كان ذلك عرض على رسول الله صلى الله عليه وآله ثم على الأئمة ثم انتهى إلينا)[1].

[1]) الكافي، ج١ ص٢٥٥.

[تأويل هبوط الرب]

أما قوله عليه السلام: (**فإذا كان يوم عرفة هبط الرب تبارك وتعالى وهو قوله سبحانه: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾**).

فالاستشكال فيه ظاهراً، في معنى هبوط الرب أولاً وهو صفة الحادث- تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً-، وكونه في يوم عرفة دون غيرها ثانياً، وجهة الارتباط بينه وبين الآية الشريفة التي استشهد بها عليه ثالثاً.

أما الأول: فله نظائر كثيرة، في الآيات والأخبار كل يسقى بماء واحد، وذلك قوله تعالى: **﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً﴾**[1] و **﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ۝ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾**[2] **﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾**[3] و **﴿إِلَى اللهِ تَصِيرُ الأُمُورُ﴾**[4] **﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ﴾**[5] **﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِيَهُمْ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنْ الْغَمَامِ﴾**[6] وغيرها مما نسب إليه سبحانه من صفات الحوادث.

---

[1]) الفجر، ٢٢.

[2]) القيامة، ٢٢-٢٣.

[3]) النجم، ٤٢.

[4]) الشورى، ٥٣.

[5]) هود، ١٢٣.

[6]) البقرة، ٢١٠.

وإزالة ذلك الإشكال وأمثاله على طريق الإجمال اكتفينا فيها بقول أمير المؤمنين عليه السلام قاله في جواب زنديق، قال له عليه السلام: **(لولا ما في القرآن من الاختلاف والتناقض لدخلت في دينكم)** فعدَّ بعضاً من الآيات المتشابهة الظاهرة التناقض منها قوله تعالى: **﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَنْ تَأْتِيَهُمْ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾**، وقوله: **﴿بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ﴾**، وقوله: **﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ﴾**، وقوله: **﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً﴾** وغيرها.

فأجابه عليه السلام: **(ذلك كله حق وليست جيئته جلّ ذكره كجيئة خلقه فإنه رب كل شيء، ومن كتاب الله عز وجل ما يكون تأويله على غير تنزيله ولا يشبه تأويله كلام البشر ولا فعل البشر، وسأنبئك بمثال لذلك تكتفي به إن شاء الله تعالى وهو حكاية الله عز وجل عن إبراهيم عليه السلام حيث قال: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي﴾ فذهابه إلى ربه توجهه إليه في عبادته واجتهاده، ألا ترى أن تأويله غير تنزيله، وقال: ﴿أَنْزَلَ لَكُمْ مِنْ الأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾، وقال: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ فإنزاله ذلك خلقه إياه، وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ أي الجاحدين، فالتأويل في هذا القول باطنه مضاد لظاهره، ومعنى قوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَنْ تَأْتِيَهُمْ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ الآية، فإنما خاطب نبينا صلى الله عليه وآله هل ينتظرون المنافقون والمشركون إلا أن تأتيهم الملائكة فيعاينوهم، أو**

يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك يعني بذلك أمر ربك، والآيات هي العذاب في دار الدنيا كما عذّب الأمم السالفة والقرون الخالية.

وقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾، يعني بذلك ما يهلك من القرون فسماه إتياناً.

وقال: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى﴾ فسمى فعل النبي صلى الله عليه وآله فعلاً له)[1]. انتهى ما أردنا نقله.

فقوله عليه السلام كافٍ في الجواب وبيان ما هو الصواب، وتوضيح الإجمال ورفع الإشكال عن محل السؤال وغيره، حيث بيَّن عليه السلام أن الله سبحانه أجل وأعظم من الذهاب والمجيء والهبوط والنزول وما يلزمه [من] الانتقال والأفول، وإنما اصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس، فجعل فعلهم فعله، لأنهم يصدرون عن أمره لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون، في الظاهر لا يريدون إلا ما أراد كما قال تعالى: **﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللهُ﴾**[2]، وفي الباطن ليس لهم إرادة غير إرادة الله، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصف الملائكة: (**صور عالية عن المواد، عارية عن القوة والاستعداد، تجلى لها**

---

[1]) راجع الرواية كاملة في بحار الأنوار، ج٩٠ ص٩٨ ب ٢٩.

[2]) الإنسان، ٣٠.

فأشرقت، وطالعها فتلألأت، فألقى في هويتها مثاله، وأظهر عنها أفعاله)[1]، فما ذكر من الهبوط والنزول والإتيان والجيئة وغيرها مرجعها إلى أمره وفعله الجاري على أيدي سفرته ورسله[2].

ومن الأخبار الواردة بألفاظ متشابهة مثله لا بأس أن نذكر بعضاً منها إيضاحاً للمرام وإن كان يطول به الكلام في المقام، وهو ما روي في الكافي عن أبان بن تغلب عن الصادق عليه السلام في وصف حق الجمعة: **(إلى سماء**

---

[1]) غرر الحكم، ٢٣١.

[2]) يشير إلى هذه المسألة عدة روايات منها ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: (في قول الله عز وجل: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ فقال: إن الله عز وجل لا يأسف كأسفنا، ولكنه خلق أولياء لنفسه يأسفون ويرضون وهم مخلوقون مربوبون، فجعل رضاهم رضا نفسه، وسخطهم سخط نفسه، لأنه جعلهم الدعاة إليه والأدلاء عليه، فلذلك صاروا كذلك، وليس أن ذلك يصل إلى خلقه، لكن هذا معنى ما قال من ذلك وقد قال: (من أهان لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة ودعاني إليها)، وقال: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ﴾ وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾، فكل هذا وشبهه على ما ذكرت لك وهكذا الرضا والغضب وغيرهما من الأشياء مما يشاكل ذلك، ولو كان يصل إلى الله الاسف والضجر، وهو الذي خلقهما وأنشأهما لجاز لقائل هذا أن يقول: إن الخالق يبيد يوما ما، لأنه إذا دخله الغضب والضجر دخله التغيير، وإذا دخله التغيير لم يؤمن عليه الابادة، ثم لم يعرف المكون من المكون ولا القادر من المقدور عليه، ولا الخالق من المخلوق، تعالى الله عن هذا القول علواً كبيراً، بل هو الخالق للأشياء لا لحاجة، فإذا كان لا لحاجة استحال الحد والكيف فيه، فافهم إن شاء الله تعالى) الكافي، ج١ ص ١٤٤، كتاب التوحيد، باب النوادر، ر٦.

الدنيا فيضاعف فيه الحسنات ويمحو فيه السيئات ويرفع فيه الدرجات وإن الله واسع عليم)[١].

وما في الفقيه عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (**إن الله تبارك وتعالى ينادي كل ليلة جمعة من فوق عرشه من أول الليل إلى آخره ألا عبد مؤمن يدعوني لآخرته ودنياه فأجيبه)**[٢] الحديث.

وفيه عن إبراهيم بن أبي محمود قال: قلت للرضا عليه السلام ما تقول في الحديث الذي يرويه الناس عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: **(إن الله تبارك وتعالى ينزل في كل ليلة جمعة إلى السماء الدنيا)؟**

فقال عليه السلام: **(لعن الله المحرفين الكلم عن مواضعه، والله ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله كذلك، إنما قال: إن الله تبارك وتعالى ينزل ملكاً**

---

١) الرواية في النسخة المخطوطة وفي النسخة المصفوفة التي حصلت عليها من الشيخ رياض طاهر تنتهي إلى هنا، ولكن في النسخة المطبوعة أدرجت كاملة ضمن النص الأصلي للرسالة، وحفاظاً على نص الرسالة ندرج الرواية هنا كاملة وهي: روي في الكافي عن أبان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (إن للجمعة حقاً وحرمة فإياك أن تضيع أو تقصر في شيء من عبادة الله والتقرب إليه بالعمل الصالح وترك المحارم كلها، فإن الله يضاعف فيه الحسنات ويمحو فيه السيئات ويرفع فيه الدرجات. قال: وذكر أن يومه مثل ليلته فإن استطعت أن تحييها بالصلاة والدعاء فافعل فإن ربك ينزل في أول ليلة الجمعة إلى سماء الدنيا فيضاعف فيه الحسنات ويمحو فيه السيئات وإن الله واسع كريم) الكافي، ج٣ ص٤١٤، باب فضل الجمعة وليلته، ر٦ .

٢) من لا يحضره الفقيه، ج١ ص ٤٢٠.

إلى السماء الدنيا كل ليلة في الثلث الأخير، وليلة الجمعة في أول الليل فيأمره فينادي هل من سائل فأعطيه، هل من تائب فأتوب عليه، هل من مستغفر فاغفر له، يا طالب الخير أقبل، يا طالب الشر أقصر، فلا يزال ينادي بهذا حتى يطلع الفجر، فإذا طلع الفجر عاد إلى محله من ملكوت السموات، حدثني بذلك أبي عن جدي عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله)[1].

عليك بالتأمل في تلك الأحاديث حتى يتبين لك ما هو الحق والصواب فإن الأخير منها كاشف عما في الأولين من الشبهة والنقاب؛ بأن النازل والمنادي والآتي [هو] أمره، أو رسله بأمره، فإن الأخبار فيها محكم ومتشابه كالقرآن، ويُفسر بعضها بعضاً، ويرد المتشابه منها إلى المحكم[2]، والذي نتكلم فيه من قبيل الثاني.

فقوله عليه السلام: **(هبط الرب)** يعني أن الملائكة يهبطون عن أمره بسخط منه وغضب إلى من يشاء من عباده، وهم مبغضوا آل محمد وشيعتهم عليهم السلام فيجعلون عملهم بأمره هباءً منثوراً أي كالذر الداخلة من الكوة كما قال تعالى: **﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ**

---

(1) من لا يحضره الفقيه، ج١ ص٤٢١.

(2) راجع في ذلك رواية أمير المؤمنين عليه السلام في علة اختلاف الحديث، الكافي ج١ ص٦٢ باب اختلاف الحديث.

سِجِّيلٍ﴾[1]، والذي جاء بأمره سبحانه الملائكة الأربع جبرائيل وإخوته، جاؤوا عن أمره بأمره أي سخطه إلى قوم لوط وجعل جبرائيل قراهم عاليها سافلها، وخسف بها الأرض، وهو سبحانه نسبه إلى نفسه؛ لأنهم لا يريدون إلا ما أراد، ولا يفعلون إلا بأمره بحيث لا يرى فيهم إلا أمره وحكمه الظاهر.

وإنما قرنهم بنفسه تنويهاً لشأنهم وأنهم عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون، ومن هنا تزول الشبهة الثالثة من وجه ارتباط آية **﴿وَقَدِمْنَا﴾** بقوله: (**هبط الرب**).

في الأمالي للشيخ، و العلل عن أبي إسحاق الليثي عن الباقر عليه السلام إلى أن قال: (**قد سألتني عن المؤمنين من شيعة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام وعن زهّاد الناصبة وعُبّادهم، ومن هنا قال الله عز وجل: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾، ومن هنا قال الله عز وجل: ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ۝ تَصْلَى نَاراً حَامِيَةً ۝ تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ﴾**.

ثم ساق الكلام إلى أن قال: (**قال الله تعالى: ﴿إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾ ما رضى الله لهم أن يشبهم بالحمير والبغال حتى زادهم فقال: ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾. وقال الله عز وجل في أعدائنا الناصبة: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾، وقال عز وجل: ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى**

---

[1] هود، ٨٢.

شَيْءٍ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾، وقال عز وجل: ﴿أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً﴾[1] الحديث.

[1]) علل الشرائع، ج٢ ص٦٠٦. بحار الأنوار، ج٦٤ ص١٠٢.

[سر اختصاص الهبوط بيوم عرفة]

أما الثاني وهو سر اختصاص هبوطه بيوم عرفة؛ فقد مر أن الأوقات تختلف وتتفاوت بالنسبة إلى الأعمال فبعضها يناسب لعمل دون عمل، والآخر للآخر. فيوم عرفة يوم مجموع له الناس، وذلك يوم مشهود تشهده الناس والملائكة، كما ورد في تفسير قوله تعالى: **﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾**[١] أنه يوم عرفة[٢]، وهكذا ورد أنه يوم القيامة[٣]، ثم ذكر فيه ما ذكر في عرفة من أنه تشهده الناس والملائكة فيظهر من ذلك أن عرفة مثال يوم القيامة وحكايته.

فأهل عرفات كل منهم مشغول بشأنه عن غيره ولا يلتفت إلى ما سواه، وكل متلفع بثوبه، وكلهم وقوف بين يدي الله خاضعين كمثل ما يكون الناس يوم القيامة، وفي هذا الحديث تمنع الملائكة أولاد الزنا والسفاح وتردهم عن زيارة سيد الشهداء عليه السلام، وتستفز الشياطين أولياءهم من النصاب والمنافقين على الإفاضة من عرفات قبل إدراك الوقوف وتمامه وتشغلهم

---

[١]) البروج، ٣.

[٢]) روي عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله عز وجل: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ قال: (الشاهد يوم الجمعة، والمشهود يوم عرفة) تفسير البرهان، ج١٠ ص ١٣٥ تفسير سورة البروج.

[٣]) ورد في تفسير علي بن إبراهيم القمي رحمه الله قال: (﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ قال: الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم القيامة) تفسير القمي، ج٢ ص٤١٣ .

وتلهيهم عن ذكر الله والتضرع بين يديه فتجعل عملهم هباءً منثوراً. هذا في الظاهر.

وأما في الباطن فيوم عرفة مقام معرفة الإمام من آل محمد عليهم السلام وولايتهم، والتسليم لهم، والرد إليهم، فمن عرفهم ثم أنكرهم ولم يُسلّم لهم في كل ما صدر عنهم، ولم يرد إليهم فيما تنازع فيه بنفسه أو بغيره تهبط إليه الملائكة بأمر ربهم فيجعلون **﴿أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ﴾**[١].

وأما من لم يعرفهم إما لقصوره وضعفه وعدم قابليته، وإما لعدم وصول الحق إليه، فأعماله معلقة إلى أن يبلغ ويقوى و يكمل ويستعد[٢]، أو يبلغه الحق ويبين له، فعند ذلك إما يعذبهم بإنكارهم ومخالفتهم، أو يتوب عليهم بإقرارهم وقبولهم، وذلك لقوله سبحانه: **﴿لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا﴾**[٣] و **﴿لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلاَّ مَا آتَاهَا﴾**[٤].

---

[١] إبراهيم، ٨١.

[٢] في المخطوطة: وكمل واستعد.

[٣] البقرة، ٢٨٦.

[٤] الطلاق، ٧.

وكذلك الأمر في مبغضي[١] شيعتهم عليهم السلام بعد ما عرف أنه من شيعتهم فيبغضه لأنه يواليهم ويعادي أعدائهم فهذا في الحقيقة بغض لآل محمد عليهم السلام ولا فرق بينه وبينه.

وأما من يبغض واحداً من الشيعة لا لكونه يحبهم، بل لعمل قبيح رأى[٢] منه مخالف لأمرهم عليهم السلام، ولكنه يحبه لذاته لكونه من الشيعة فهو مؤمن، وذلك البغض محض محبتهم وموالاتهم عليهم السلام.

ولو أبغضه لغرض آخر من أغراض الدنيا خاصة ويخاصمه ويؤذيه باطلاً ويظلمه بغير حق فذلك وإن كان لا يخرجه عن الإيمان لكنه عند الله عظيم يغضب لغضب المؤمن المظلوم على الظالم ويأخذه منه له، وإن تمادى في ظلمه ولم يرجع عن تعديه سلك به ذلك سبل المهالك ويخرجه عن سواء الطريق فتخطّفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق، إلا أن يتوب أو يعفو المظلوم أو وليه ومالك أمره وهو قوله تعالى: **﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوآى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُون﴾**[٣].

---

١) في المخطوطة: بعض.

٢) في النسخة المطبوعة: يراه.

٣) الروم، ١٠.

وقول العسكري عليه السلام عن علي بن الحسين عليهما السلام أنه قال: **(يغفر الله للمؤمن كل ذنب ويُطّهره منه في الدنيا والآخرة ما خلا ذنبين؛ ترك التقية، وتضييع حقوق الإخوان)**[1] .

---

[1]) تفسير الإمام العسكري عليه السلام، ص٣٢١.

[ختام فيه تنبيه]

قوله سلمه الله [تعالى][1]: **في هذا الحديث الشريف من الاعتراضات ما لا يخفى، وفي ذا الخبر المنيف من الإيرادات ما لا يحصى.**

لو عبّر بلفظ الإشكالات والاشتباهات بدلهما لكان أولى؛ لأن الأولين لا يستعملان إلا فيما يمكن تطرق النقص والخطأ إليه فكيف ذلك في كلام المعصوم وهو معصوم الكلام، والأخيرين يستعملان في مقام يكون النقص والقصور في الناظر وذلك أنسب لقواعد الأدب.

تم بالخير مصلياً مستغفراً، والسلام عليك، والله خليفتي عليك فيما لك وعليك ورحمة الله وبركاته.

[تمت بعون الله تعالى يوم الثلاثاء في شهر جمادى الثاني من الهجرة النبوية سنة ١٣٢٣.

كاتب الحروف أضعف الضعفاء وخادم الفقراء أقل الخليقة محمد سليل مرحوم عباس علي تركي التبريزي.

استنسخه من النسخة في الكويت في الحسينية الجعفرية يوم ٢٦/ ٣ / ١٩٧١م رياض طاهر البستاني.

---

(1) لا توجد في النسخة المخطوطة.

راجعه وعنى بتدقيقه وتصحيحه أقل الناس علماً وعملاً وأكثرهم جرماً وذنباً وزللاً كثير الجرائم والمآثم الملقب من قبل مولاه بأبي المكارم حسين بن علي المطوع تجاوز الله عن سيئاته وغفر له ولوالديه ولجميع أهله وإخوانه وأخواته المؤمنين والمؤمنات في الرابع من شهر ربيع الولادة سنة ١٤٢٥ للهجرة النبوية على مهجرها وآله آلاف الثناء والسلام والتحية حامداً مستغفراً مصلياً وصلى الله على محمد وآله الطاهرين][١].

---

[١] لا توجد في النسخة المخطوطة.

(١٢)

الرسالة الثانية عشرة

أجوبة مسائل الشيخ جعفر بن الشيخ حسين الحرز

المعروفة بالمسائل السوقية

مسائل سوقية[١] من شيخ جعفر بن شيخ حسين [آل] حرز[٢]

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين

[المسألة الأولى: الفرق بين الفعل القولي والتكويني]

مسألة: ما التوفيق بين قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾[٣]، وبين قول الإمام عليه السلام: (فهي بمشيئتك دون قولك مؤتمرة، وبإرادتك دون نهيك منزجرة)[٤]؟

---

[١] إشارة إلى منطقة سوق الشيوخ وهي مدينة عراقية تقع ضمن حدود محافظة ذي قار جنوب العراق.

[٢] الشيخ جعفر بن الشيخ حسين الحرز. وصف في منتظم الدرين بـ(العالم الفاضل، الأديب الأفخر). ولد في سوق الشيوخ بالعراق، ولم تحدد المصادر تاريخ ولادته. تلقى دروسه أولاً عند والده الشيخ حسين الحرز، ثم هاجر إلى النجف الأشرف وكربلاء المقدسة وحضر عند علمائها، والتحق بحوزة الميرزا محمد باقر الأسكوئي الحائري. بعد فراغه من الدراسة الدينية عاد إلى منطقة سوق الشيوخ قائماً بالمهام الدينية هناك وله مراسلات مع أستاذه الميرزا محمد باقر، ومنها هذه الرسالة التي بين يديك، وهي موجود ضمن مكتبة العلامة الحائري بكربلاء المقدسة. منتظم الدرين، ج١ ص٣١١، أعلام الحرز، ص٣١.

[٣] يس، ٨٢.

[٤] الصحيفة السجادية الكاملة، من دعاء للإمام زين العابدين عليه السلام إذا عرضت له مهمة أو نزلت به ملمة وعند الكرب، ص٥٤.

أقول: ظاهر سؤاله في إثبات القول لأمره سبحانه في كلامه المجيد ونفيه عنه في كلام الإمام عليه السلام، إذ حصر أمره [تعالى] في إيجاد الأشياء بقوله: (كُنْ)، إذ ليس له [سبحانه] أمر في إيجاده إلا كلمته (كُنْ)، فتنزجر لها الأشياء بالقبول، وفي كلام الإمام عليه السلام أن الأشياء في أكوانها وأعيانها منفعلة بإحداثه سبحانه من غير لفظ ولا نطق بأمر أو نهي، فيتراءى بينهما التنافي في بادئ النظر، وهو يعتقد أن الإمام عليه السلام لا يخالف كلامه كلامه سبحانه، بل هو بيان له وتوضيح لما فيه، فأراد وجه التوفيق فيما بينهما والتطبيق والخروج عن المضيق.

ولا يخفى على أحد أن الفعل من الله سبحانه هو إيجاده وإحداثه لا غير، وأنه لا كيف له كما أنه سبحانه لا كيف له، وإطلاق القول له في الآية والكلمة في قوله: **(وبكلمتك التي انزجر لها العمق الأكبر)**[1] وغيره إنما يراد بها الفعل والإيجاد والاختراع والإبداع.

[1] ورد في دعاء السمات المستحب قراءته يوم الجمعة: (وبكلمتك التي خلقت بها السماوات والأرض، وبحكمتك التي صنعت بها العجائب ... وبعلمك وجلالك وكبريائك وعزتك وجبروتك التي لم تستقلها الأرض وانخفضت لها السماوات وانزجر لها العمق الأكبر) راجع كتب الأدعية ومنها المصباح للكفعمي، ص ٤٢٥.

روى صفوان بن يحيى قال: قلت لأبي الحسن عليه السلام: أخبرني عن الإرادة من الله ومن الخلق[١]؟ قال فقال: **(الإرادة من الخلق[٢] الضمير وما يبدو لهم بعد ذلك من الفعل، وأما من الله تعالى فإرادته إحداثه لا غير ذلك، لأنه لا يروي ولا يهم ولا يتفكر، وهذه الصفات منفية عنه وهي صفات الخلق، فإرادة الله الفعل لا غير ذلك، يقول له: كن فيكون، بلا لفظ ولا نطق بلسان ولا همة ولا تفكر ولا كيف لذلك، كما أنه لا كيف له)**[٣]. هي

ونظائرها كثيرة يدل على أن المراد من القول والكلمة في هذا المقام هو التكويني الفعلي لا غير، كيف لا والألفاظ مخلوقة بالمشيئة مركبة مكيفة ولا كيف للفعل، وليس في الإمكان شيء أبسط منه، نعم، والأمر اللفظي وهو قوله: (كُنْ) حامل ومظهر للأمر [التكويني] الفعلي ومحل تأثيراته وأسراره.

ثم فيه إشارة إلى أنه لا يصدر عنه شيء إلا وهو زوج ليس بفرد، وهو قول الرضا عليه السلام: **(إن الله لم يخلق شيئاً فرداً قائماً بذاته دون غيره للذي أراد من الدلالة عليه وإثبات وجوده)**[٤]، وما اتفق عليه الحكماء من قولهم كل

---

١) هكذا في أصل الرواية، وفي المخطوطة: المخلوق .

٢) هكذا في أصل الرواية، وفي المخطوطة: المخلوق.

٣) الكافي، ج١ ص ١٣١ ح٣، باب الإرادة وأنها من صفات الفعل وسائر صفات الفعل.

٤) قال الإمام الرضا عليه السلام: (ولم يخلق شيئاً فرداً قائماً بنفسه دون غيره للذي أراد من الدلالة على نفسه وإثبات وجوده) التوحيد، ص٣٤٥ ب٦٥.

ممكن زوج تركيبي[١]، وإليه الإشارة أيضاً بقوله سبحانه: ﴿**وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾[٢]، والمراد من الزوجين الذكر والأنثى، وكل منهما زوج بمادته وصورته؛ أي كونه وعينه، فكاف (كُنْ) إشارة إلى إيجاد كونه، ونونها يشير إلى إحداث عينه، فيصدر الحكم بنفسه متوجهاً إلى الشيء المفعول، حدث كونه فانفعل بفعله وتأثيره، وتعين بحدود[٣] تحديده فكان شيئاً من الأشياء بمشيئته وأمره[٤] التكويني بلا لفظ ولا نطق، وجدت بوجوداتها وبإرادته المعينة المحددة لها [و] بقبولها انزجرت وتعينت بحد دون حد بغير نهي بلفظ وقول يزجرها، بل بفعل منه وإيجاد لا غير.

فإذاً لا مخالفة بين كلام الله وكلام وليه السجاد عليه السلام بل [هما] متوافقان، وهو بيان لإجمال الآية من حيث القول والأمر أنهما فعل وتكوين بغير لفظ وتشريع، وتوضيح لإشاراته من أن المتعلق لا يكون إلا زوجاً وهو وجود وماهية، وكون وعين، ومادة وصورة، وفعل وانفعال، ومقبول وقابل، وكل من جهتين يكون جهة من ربه وجهة من نفسه، يقوم بفعل الله قيام

---

١) الأسفار للملا صدرا ج٢ ص١٨٦ الفصل العاشر. شرح العرشية للشيخ الأوحد ج١ ص ٥٩ .

٢) الذاريات، ٤٩.

٣) في المخطوطة: بحدوده.

٤) في المخطوطة: وأمر.

صدور[١] ويتعلق بكل منهما وجه منه يختص به، ويسمى كل منهما باسم، وما تعلق منهما بالجهة العليا فمشيئة، وبالسفلى فإرادة، وغيرها من الإشارات والأسرار التي لا يبلغها مداركنا وعقولنا، وأعرضنا عن ذكر بعض ما في المقام من طرائف الكلام لخروجه عن المرام.

١) يقول الشيخ الأوحد قدس سره: (قيام الصدور: كقيام نور الشمس بالشمس، و معناه قيام الشي ء بإيجاد موجدِه بحيث لا يتحقق في مدة أكثر من مدة إيجاده، و ذلك كنور الشمس و كالصورة في المرآة) شرح العرشية، ج١ ص٣١٣.

[المسألة الثانية: إشكالية حمل الأوزار]

قال: ما التوفيق بين قوله تعالى: ﴿وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾[١]، ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَعَ أَثْقَالِهِمْ﴾[٢]؟

أقول: القرآن بعضه يفسر بعضاً **﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً﴾**[٣]، لو ذكر ما في سابقة [الآية] الثانية رأيت بين الآيتين تمام التوافق وهو قوله سبحانه: **﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ۞ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾**[٤]، [و] قوله سبحانه: **﴿وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾** تصديق لقوله تعالى: **﴿وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾**، وحكم محكم بأن الله لا يضيع عمل عامل منكم من حسنته أو سيئته، من متبوع أو تابع **﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَه ۞ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَه﴾**[٥]، وتكذيب لهم في دعواهم ذلك حمل خطايا غيرهم، بل خطيئة كلٍّ راجعة إليه **﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ**

---

١) الأنعام، ١٦٤.

٢) العنكبوت، ١٣.

٣) النساء، ٨٢.

٤) العنكبوت، ١٢-١٣.

٥) الزلزلة، ٧-٨.

بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[1].

إلا أن المتبوع والتابع لا يستويان، وإن كان كل منهما يحمل أثقاله، والمتبوع يحمل أثقال إضلاله وافترائه وما يترتب عليه.

يالها أثقالاً ما أعظمها، وخطيئةً ما أفضعها مع أثقالهم اللازمة على أنفسهم من قبائح أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم وعقائدهم، فلا تزر وازرة وزر أخرى، بل كل يحملون أوزارهم يوم القيامة ألا ساء ما يزرون، فافهم راشداً.

---

[1] البقرة، ٨١.

[المسألة الثالثة: إشكالية صدور الذنب من المعصومين عليهم السلام]

قال: ما تقول في قول أمير المؤمنين: (وغرني بما أهوى وأسعده على ذلك القضاء)[1] ؟

أقول: هذا كلام الخضر على نبينا وآله وعليه السلام علمه أمير المؤمنين عليه السلام لكميل بن زياد النخعي رحمه الله[2].

وهذا المعنى وأمثاله صدوره[3] من أهل العصمة في مناجاتهم مع ربهم مما لا خفاء فيه، وهو ظاهراً لا يناسب العصمة، إذ ساحة رتبتهم أجل من أن يُدَنس أذيال نفوسهم باتباع الهوى والاغترار بتزيين العدو الغوي (ما أهوى)[4]، وتعرض بعض العارفين في حله بوجوه شتى:

---

[1]) مقطع من دعاء كميل، مصباح المتهجد، ص٨٤٦.

[2]) يقول آية الله المعظم السيد الخوئي قدس سره في معجمه: (كميل بن زياد النخعي عده الشيخ في أصحاب علي عليه السلام وفي أصحاب الحسن وعده البرقي من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام من اليمن وعده الشيخ المفيد في الاختصاص من السابقين المقربين من أمير المؤمنين عليه السلام عند ذكر السابقين المقربين) معجم رجال الحديث،ج١٥ ص١٣٢ ت٩٧٧٦ .

[3]) في المخطوط: صدورها.

[4]) هكذا ورد في المخطوطة.

[الوجه الأول:]

فمنهم من قال أن سيئات أهل العصمة على حسب شأنهم، إذ حسنات الأبرار سيئات المقربين، قال الصادق عليه السلام: **(ولا بد للعبد من مداومة التوبة على كل حال، وكل فرقة من العباد لهم توبة؛ فتوبة الأنبياء من اضطراب السر، وتوبة الأولياء من تلوين الخطرات، وتوبة الأصفياء من التنفس، وتوبة الخاصون من الاشتغال بغير الله، وتوبة العام من الذنوب، ولكل واحد منهم معرفة وعلم في أصل توبته ومنتهى أمره)**[1]. انتهى.

وذلك لا بأس فيه بالنسبة إلى سائر الأنبياء والأولياء عليهم السلام إذ قد يصدر منهم ترك الأولى كل بحسبه، و للشيطان فيهم طمع، قد وقع منهم في الولاية ما صار سبباً لابتلائهم بما ابتلوا به، ثم أدركتهم السعادة والنجاة بالاعتراف بتقصيرهم أو التوبة عما صدر عنهم من اضطراب السر أو تلون الخطرات في شأن من شؤون حملة الولاية الكبرى سلام الله عليهم أجمعين[2].

---

[1]) ذكر المصنف الرواية بتقديم وتأخير، راجع نصها في بحار الأنوار، ج٦ ص٣١ ح٣٨ ب٢٠.

[2]) نقل من خط الشيخ أبي جعفر الطوسي قدس الله روحه من كتاب مسائل البلدان رواه بإسناده عن أبي محمد الفضل بن شاذان يرفعه إلى جابر بن يزيد الجعفي عن رجل من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام قال: (دخل سلمان رضي الله عنه على أمير المؤمنين فسأله عن نفسه. فقال : يا سلمان أنا الذي دعيت الأمم كلها إلى طاعتي فكفرت فعذبت بالنار، وأنا خازنها عليهم حقاً، أقول يا سلمان: إنه لا يعرفني أحد حق معرفتي إلا كان معي في الملأ الأعلى.

ولا يقع ذلك في الأربعة عشر المعصومين إذ هم التامون في محبة الله، والمخلصون في توحيد الله حيث لا يلحقه لاحق ولا يطمع في إدراكه طامع[1]، فكيف بالغوي الرجيم أن يطمع فيهم بالغرور والتزيين، حاشاهم ثم حاشاهم.

قال: ثم دخل الحسن والحسين عليهما السلام فقال: يا سلمان هذان شنفا عرش رب العالمين، وبهما تشرق الجنان، وأمهما خيرة النسوان، أخذ الله على الناس الميثاق بي فصدق من صدق وكذب من كذب فهو في النار، وأنا الحجة البالغة، و الكلمة الباقية، وأنا سفير السفراء. قال سلمان: يا أمير المؤمنين لقد وجدتك في التوراة كذلك وفي الإنجيل كذلك بأبي أنت وأمي يا قتيل كوفان، والله لولا أن يقول الناس: واشوقاه رحم الله قاتل سلمان لقلت فيك مقالاً تشمئز منه النفوس، لأنك حجة الله الذي به تاب على آدم، وبك انجي يوسف من الجب، وأنت قصة أيوب وسبب تغير نعمة الله عليه. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أتدري ما قصة أيوب وسبب تغير نعمة الله عليه؟ قال: الله أعلم وأنت يا أمير المؤمنين ، قال: لما كان عند الانبعاث للنطق شك أيوب في ملكي فقال: هذا خطب جليل وأمر جسيم ، قال الله عز وجل: يا أيوب أتشك في صورة أقمته أنا ؟ إني ابتليت آدم بالبلاء فوهبته له وصفحت عنه بالتسليم عليه بإمرة المؤمنين وأنت تقول: خطب جليل وأمر جسيم ؟ فوعزتي لأذيقنك من عذابي أو تتوب إلي بالطاعة لأمير المؤمنين ثم أدركته السعادة بي، يعني أنه تاب وأذعن بالطاعة لأمير المؤمنين عليه السلام وعلى ذريته الطيبين عليهم السلام) بحار الأنوار، ج٢٦ ص٢٩٣ باب تفضيلهم عليهم السلام.

[1]) يشير أعلى الله مقامه إلى ما ورد في الزيارة الجامعة الكبيرة عن الإمام الهادي عليه السلام حيث يقول: (السلام على الدعاة إلى الله، والأدلاء على مرضات الله، والمستقرين في أمر الله، والتامين في محبة الله، ... فبلغ الله بكم أشرف محل المكرمين، وأعلى منازل المقربين، وأرفع درجات المرسلين، حيث لا يلحقه لاحق، ولا يسبقه سابق، ولا يطمع في إدراكه طامع) من لا يحضره الفقيه، ج٢ص٦١١ .

[الوجه] الثاني:

أن ما ظهر منهم من أمثال ذلك في مناجاتهم ودعواتهم كثيرة جداً كدعاء أبي حمزة الثمالي[1] من قول سيد الساجدين عليه السلام: **(أنا الذي عصيت جبار السماء، أنا صاحب الدواهي العظمى، أنا الذي أعطيت على معاصي الجليل الرشا، أنا الذي حين بشرت بها خرجت إليها أسعى)**[2]، ونظائرها مما لا تحصى، ولا شك أنهم مطهرون من كل رجس ودنس[3] وعيب ونقص فكيف التوفيق؟

وقالوا: إنما صدرت أمثال هذه الكلمات تعليماً منهم لشيعتهم بأنه كيف ينبغي أن يكون كلامهم وخطابهم إذا وقفوا للمناجاة بين يدي خالق البريات، إذ لن تجد حقاً بيد أحد إلا بتعليمهم وإرشادهم[4].

---

[1]) (ثابت بن دينار أبو حمزة الثمالي، ودينار أبوه يكنى بأبي صفية ،كوفي ثقة، لقي علي بن الحسين وأبا جعفر وأبا عبد الله وأبا الحسن عليهم السلام وروى عنهم، وكان من خيار أصحابنا وثقاتهم ومعتمديهم في الرواية والحديث، وروي عن الصادق عليه السلام أنه قال: أبو حمزة في زمانه مثل سلمان في زمانه) نقد الرجال، ج١ص٣١١ ت٨٤٠/ ١٤.

[2]) راجع دعاء أبي حمزة الثمالي، مصباح المتهجد، ص٥٤٠.

[3]) قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ الأحزاب، ٣٣.

[4]) ورد في الرواية عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله أنه قال: (وكل شيء سبح الله وكبره وهلله بتعليمي وتعليم علي) [إرشاد القلوب، ج٢ ص٢٩٧]. وكذلك ورد عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال

وذلك حق؛ إلا أن التعليم المحض لا يلزمه ما يقربهم من شدة القلق والخشية والبكاء والغشوة من مخافة الله، حتى يغشى على أحدهم في [كل] يوم وليلة مرات، كما رواه أبو الدرداء من حال أمير المؤمنين في مناجاة الله وغشوته حتى توهم أنه مات فأخبر فاطمة صلوات الله عليها فقالت بعد الاستفادة عن بدو الأمر وكيفية نزوله: **(هذه والله هي الغشوة التي تنزل إليه في كل يوم وليلة من خشية الله)**[1]، ولا يخفى أمرهم في ذلك والإرشاد والتعليم من لوازم أفعالهم مطلقاً .

لسلمة بن كهيل والحكم بن عتيبة: (شرقا وغربا لن تجدا علماً صحيحاً إلا شيئاً يخرج من عندنا أهل البيت) بصائر الدرجات، ص٣٠ باب نادر من الباب ٦.

[1] أورد الشيخ الصدوق في أماليه: (كنا جلوساً في مجلسٍ في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، فتذاكرنا أعمال أهل بدر وبيعة الرضوان، فقال أبو الدرداء: يا قوم ألا أخبركم بأقل القوم مالاً وأكثرهم ورعاً وأشدهم اجتهاداً في العبادة ؟ قالوا: من؟ قال: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: فو الله إن كان في جماعة أهل المجلس إلا معرضٌ عنه بوجهه، ثم انتدب له رجلٌ من الأنصار فقال له: يا عويمر لقد تكلّمت بكلمة ما وافقك عليها أحدٌ منذ أتيت بها فقال أبو الدرداء: يا قوم إني قائلٌ ما رأيتُ وليقل كل قوم منكم ما رأوا، شهدت علي بن أبي طالب بشويحطات (أي شجر يُتّخذ منه القسّي) النجار، وقد اعتزل عن مواليه واختفى ممن يليه، واستتر بمغيلات (الشجر الكثير) النخل، فافتقدته وبَعُد عليّ مكانه، فقلت: لحِقَ بمنزله، فإذا أنا بصوت حزين، ونغمة شجيّ وهو يقول: إلهي كم من موبقة حلمتَ عن مقابلتها بنقمتك، وكم من جريرة تكرّمت عن كشفها بكرمك، إلهي إن طال في عصيانك عمري، وعظم في الصحف ذنبي، فما أنا مؤمل غير غفرانك، ولا أنا براجٍ غير رضوانك. فشغلني الصوتُ واقتفيت الأثر، فإذا هو علي بن أبي طالب عليه السلام بعينه، فاستترت له وأخملت الحركة، فركع ركعات

[الوجه] الثالث:

أنهم عليهم السلام أولياء الله، وشيعتهم منهم وإليهم، عجنوا بماء ولايتهم، وخلقوا من فاضل طينتهم(١)، وشيعتهم أشد اتصالاً بهم من شعاع

في جوف الليل الغابر، ثم فرغ إلى الدعاء والبكاء والبث والشكوى، فكان مما به الله ناجاه أن قال: إلهي أفكر في عفوك فتهون عليّ خطيئتي، ثم أذكر العظيم من أخْذك فتعظم عليّ بليّتي، ثم قال: آه إن أنا قرأت في الصحف سيئة أنا ناسيها وأنت محصيها، فتقول: خذوه، فيا له من مأخوذ لا تنجيه عشيرته، ولا تنفعه قبيلته، يرحمه الملأ إذا أذن فيه بالنداء .ثم قال: آه من نارٍ تُنضج الأكباد والكلى، آه من نارٍ نزّاعة للشوى، آهٍ من غمرة من ملهبات لظى، ثم أنعم في البكاء فلم أسمع له حسّاً ولا حركةً، فقلت: غلب عليه النوم لطول السهر، أُوقظه لصلاة الفجر، قال أبو الدرداء: فأتيته فإذا هو كالخشبة الملقاة، فحرّكته فلم يتحرك، وزويته فلم ينزوِ، فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون مات والله علي بن أبي طالب، فأتيت منزله مبادراً أنعاه إليهم، فقالت فاطمة عليها السلام: يا أبا الدرداء ما كان من شأنه ومن قصته؟ فأخبرتُها الخبر، فقالت: هي والله يا أبا الدرداء الغشية التي تأخذه من خشية الله ثم أتوه بماء فنضحوه على وجهه فأفاق، ونظر إليّ وأنا أبكي، فقال: مما بكاؤك يا أبا الدرداء ؟! فقلت: مما أراه تُنزله بنفسك، فقال يا أبا الدرداء فكيف ولو رأيتني ودُعي بي إلى الحساب، وأيقن أهل الجرائم بالعذاب، واحتوشتني ملائكة غلاظ وزبانية فظاظ، فوقفتُ بين يدي الملك الجبار، قد أسلمني الأحباء ورحمني أهل الدنيا، لكنتَ أشدّ رحمةً لي بين يدي من لا تخفى عليه خافية، فقال أبو الدرداء: فو الله ما رأيت ذلك لأحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله) الأمالي للشيخ الصدوق، ص١٣٨ المجلس ١٨

(١) روي عن مولانا الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنه قال: (رحم الله شيعتنا إنهم أوذوا فينا ولم نؤذ فيهم، شيعتنا منا قد خلقوا من فاضل طينتنا، وعجنوا بنور ولايتنا، رضوا بنا أئمة ورضينا بهم شيعة، يصيبهم مصابنا، وتبكيهم أوصابنا، ويحزنهم حزننا، ويسرهم سررونا، ونحن أيضاً نتألم لتألمهم، ونطلع على أحوالهم، فهم معنا لا يفارقونا ولا نفارقهم؛ لأن مرجع العبد إلى سيده، ومعوله على مولاه،

الشمس بالشمس(١)؛ فلأجل ذلك جعلوا ذنوبهم ومعاصيهم ذنوباً لأنفسهم واستغفروا الله لها، وقوله سبحانه مخاطباً لنبيه صلى الله عليه وآله: **﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾**(٢)، سئل الإمام عليه السلام عنها أي ذنب لرسول الله حتى يغفر له؟ قال: **(والله لا ذنب له مقدماً ولا متأخراً، وإنما حمله الله ذنوب شيعة علي عليه السلام من مضى منهم ومن بقي ثم غفرها الله)**(٣)، وفي هذا المعنى روايات [كثيرة]، وذلك في رسول الله عام بالنسبة إلى كل شيعة

فهم يهجرون من عادانا، ويجهرون بمدح من والانا، ويباعدون من آذانا، اللهم أحي شيعتنا في دولتنا، وأبقهم في ملكنا، اللهم ملكتنا، اللهم إن شيعتنا منا مضافين إلينا فمن ذكر مصابنا وبكى لأجلنا أو تباكى استحى الله أن يعذبه بالنار) الشيعة في أحاديث الفريقين، ص٥١٥ .

(١) نقل السيد كاظم الحسيني الرشتي قدس سره عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: (وإنا لأشد اتصالاً بالله من شعاع الشمس بالشمس، وإن شيعتنا لأشد اتصالاً بنا من شعاع الشمس بالشمس) [تفسير آية الكرسي، ج٣ ص ١٨٢]. وروي عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: (المؤمن أخو المؤمن كالجسد الواحد... وإن روح المؤمن لأشد اتصالاً بروح الله من اتصال شعاع الشمس بها) الكافي، ج٢ ص١٦٦ باب إخوة المؤمنين بعضهم لبعض ح٤.

(٢) الفتح، ٢.

(٣) ورد في الرواية عن المفضل بن عمر عن الإمام الصادق عليه السلام قال: سأله رجل عن هذه الآية فقال: (والله ما كان له ذنب ولكن الله ضمن له أن يغفر ذنوب شيعة علي عليه السلام ما تقدم من ذنبهم وما تأخر)، وروى عمر بن يزيد قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: قول الله عز وجل (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر)، قال: (ما كان له ذنب، ولا هم بذنب، ولكن الله حمله ذنوب شيعته ثم غفرها له) بحار الأنوار، ج١٧ ص٧٦ ب١٥.

في كل عصر، وفي إمام كل زمان خاص بذنوب شيعة عصره كما كان كل إمام يتحمل بلاء شيعته[1]، وفي رواية أن الإمام الصادق عليه السلام قد ابتلى بحمى شديدة ستة أشهر وكان يأمر بقطفتين تتبلان بالماء البارد ويتغطى بهما بالتناول ليدفع ببرودة بلتهما حرارتها، وكان يقول عليه السلام في ندبته: يا فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله، ينادي ويندب أمه صلوات الله عليها من شدة الحمى[2]، وقد سمعتَ أن: **(الحمى نصيب كل مؤمن ومؤمنة من النار)**[3]، و **(أن حرارتها من فيح جهنم)**[4]، وما روي أن عبد الله بن شداد الليثي عرضته الحمى، فعاده الحسين عليه السلام فأفاق وقال: بأبي أنتم وأمي إن الحمى

---

[1]) عن الإمام موسى الكاظم عليه السلام قال: (إن الله عز وجل غضب على الشيعة فخيرني نفسي أو هم فوقيتهم والله بنفسي) أصول الكافي، ج١ص٢٦٠ح٥ باب أن الأئمة يعلمون متى يموتون.

[2]) عن علي بن أبي حمزة عن أبي إبراهيم عليه السلام قال: قال لي: (إني لموعوك منذ سبعة أشهر ولقد وعك ابني اثني عشر شهراً وهي تضاعف علينا أشعرت أنها لا تأخذ في الجسد كله وربما أخذت في أعلى الجسد ولم تأخذ في أسفله وربما أخذت في أسفله ولم تأخذ في أعلى الجسد كله. قلت: جعلت فداك إن أذنت لي حدثتك بحديث عن أبي بصير عن جدك أنه كان إذا وعك استعان بالماء البارد فيكون له ثوبان ثوب في الماء البارد وثوب على جسده يراوح بينهما ثم ينادي حتى يسمع صوته على باب الدار: يا فاطمة بنت محمد. فقال: صدقت) الكافي، ج٨ ص١٠٩ح٨٧، بحار الأنوار، ج٥٩ص١٠٢ح٣١.

[3]) قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (الحمى نصيب كل مؤمن من النار) بحار الأنوار، ج٥٩ ص٣٠١.

[4]) عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: (الحمى من فيح جهنم، فأطفئوها بالماء البارد) وسائل الشيعة، ج٢ص٤٣٢ح٢٥٦٠.

لتهرب منكم، وقال الحسين عليه السلام: **(يا كباسة، قالت: لبيك. سمعنا الصوت وما رأينا الشخص، قال ألم يأمرك أمير المؤمنين عليه السلام ألا تقربي إلا عدواً أو مذنباً لكي تكوني كفارة لذنوبه فما بال هذا)**[1].

فتبين لك مما ذكر أن ابتلاءه عليه السلام بها إنما كان لتكون كفارة لما تحمل من ذنوب شيعته، كما كان الأمر في جميع الأئمة عليهم السلام كذلك كان في ابتلائهم إنقاذ من كان يواليهم ويتبرأ من أعدائهم، انظر إلى الميثاق الذي بين الله وبين رسوله وأوصيائه عليهم السلام في ملأ من الأنبياء والملائكة والناس أجمعين في عالم الذر في شأن الأمة المرحومة أمة محمد صلى الله عليه وآله إذ النداء من قبل الله عز وجل مخاطباً لأهل الموقف من جملته: (أنه[2] يصدر من كهول الأمة ذنوب ومعاصي من يشتريها منكم؟ فلم يجبه أحد.

---

[1]) عن زرارة بن أعين قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يحدث عن آبائه: (أن مريضاً شديد الحمى عاده الحسين عليه السلام فلما دخل من باب الدار طارت الحمى عن الرجل فقال له: رضيت بما أوتيتم به حقاً حقاً والحمى تهرب عنكم. فقال له الحسين عليه السلام: والله ما خلق شيئاً إلا وقد أمره بالطاعة لنا، قال: فإذا نحن نسمع الصوت ولا نرى الشخص يقول لبيك، قال أليس أمير المؤمنين أمرك أن لا تقربي إلا عدواً أو مذنباً لكي تكوني كفارة لذنوبه فما بال هذا؟ وكان المريض عبد الله بن شداد بن الهادي الليثي) مناقب آل أبي طالب، ج٣ ص٢١٠، بحار الأنوار، ج٤٤ ص١٨٣ح٨.

[2]) في المخطوطة: أن.

فينادي ثانياً وثالثاً وفي رواية إلى السبعة، فعندها قام الحسين عليه السلام فقال: أنا يا رب. فقال الرب عز وجل: بما تشتريها يا حسين؟ قال: بروحي ومهجتي. قال الله تعالى: قد قبلت ذلك. ثم قال سبحانه: وتصدر من شبان هذه الأمة ذنوب ومعاصي بم تشتريها يا حسين؟ قال: بقتل شباني يا رب. قال: قد قبلت ذلك. وقال: تصدر من نساء الأمة ذنوب ومعاصي فبم تشتريها؟ [قال]: بسبي أخواتي وبناتي. قال الله سبحانه: قد قبلت ذلك. وأثبت ذلك في الصك... الخ) نقلته بالمعنى.

إذا تأملت في أخبارهم وآثارهم في هذا المقام رأيت أن الوجوه المذكورة قاصرة عن توضيح المرام، غير كافية في رفع الشبهة عن الأوهام، والذي يظهر منها في تحقيق الحال- مع قصور فهمي وفتور في البال- أن أهل العصمة هم من عنده عز وجل لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون[1]، وكانوا يعبدونه لا خوفاً من نار ولا طمعاً في جنة بل وجدوه أهلاً للعبادة فعبدوه[2]، وكانوا يقولون: **(ما عبدناك حق**

[1]) قال تعالى: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ ۝ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ﴾ الأنبياء،١٩-٢٠.

[2]) ورد في الرواية عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه كان يقول: (ما عبدتك خوفاً من نارك، ولا طمعاً في جنتك، لكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك) بحار الأنوار، ج ٦٧ص١٨٦، تفسير الصافي، ج٣ ص٣٥٣ تفسير سورة الأنبياء آية ٩٠.

عبادتك)[١]، معترفين بتقصيرهم، وتشهد لهم الكتب الإلهية والسنة وسائر الأمم السالفة أنهم لا ذنب لهم، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يبكي في عبادته حتى يغشى عليه وقال له قائل: إن الله قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال: **(نعم، أفلا أكون عبداً شكوراً)**[٢]، وكذلك في علي بن الحسين عليه السلام، فكانت عبادتهم جميعاً لأجل الشكر لا لذنوب عليهم، حيث جعلهم خاصته وخالصته، عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم من خشيته مشفقون، أما ترى أنه سبحانه كيف مدحهم وشكر سعيهم بقوله: ﴿**وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ۞ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنْ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ**﴾[٣] [حيث] أنهم عليهم السلام لا يعملون شيئاً إلا بأمره فيما بينهم وبين الله وما بينهم وبين الخلق، ومن جملة عملهم شفاعتهم؛ شفعوا لمن ارتضى دينه بأمره وتركوا في غيرهم بأمره، ألا ترى إشفاقهم

---

١) ورد في الصحيفة السجادية في الصلاة على حملة العرش: (الذين يقولون إذا نظروا إلى جهنم تزفر على أهل معصيتك: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك). الصحيفة السجادية، ص٣٥.

٢) ورد في الرواية: (ولقد قام صلى الله عليه وآله عشر سنين على أطراف أصابعه حتى تورمت قدماه واصفر وجهه، يقوم الليل أجمع حتى عوتب في ذلك فقال الله عز وجل: ﴿طه ۞ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ بل لتسعد به، ولقد كان يبكي حتى يغشى عليه، فقيل له: يا رسول الله أليس الله غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: بلى أفلا أكون عبداً شكوراً) الاحتجاج، ج١ص٣٢٦.

٣) الأنبياء، ٢٧-٢٨

وخوفهم فيما أتوا في شفاعتهم حيث تحملوا ذنوب شيعتهم وأقروا بجميع أفعالهم ونسبوها لأنفسهم خاضعين خاشعين متضرعين متذللين فما ترى في مناجاتهم مما ينسبونه لأنفسهم من هوى النفس الأمارة بالسوء ومن تزيين الغوي اللعين وغروره وإغوائه وأمثال ذلك مما لا يناسب عصمتهم ولا يلائم طهارتهم من كل دنس ورجس كلها من أعمال شيعتهم التي حملوها ولايةً طلباً للمغفرة لهم والعفو عنهم، وغفرها سبحانه لهم كما أخبر ووعد وإنه لا يخلف الميعاد، فيكون كل ذلك شكراً منهم له سبحانه وإظهاراً للعبودية، ويلزمه الإرشاد والتعليم للعباد [و] أنه يستحسن البث والشكوى منهم دائماً مع رب العباد .

[المسألة الرابعة: ليلة القدر والروح ظاهراً وباطناً]

قال: ما تقول في ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾[١]؟ ما ليلة القدر؟ وما هذا التكرار في ليلة القدر؟ وما الروح ؟

[ليلة القدر ظاهراً وباطناً]

أقول: في الكافي عن علي بن راشد قال: قلت لأبي الحسن عليه السلام: جعلت فداك إنك كتبت إلى محمد بن الفرج تعلمه أن أفضل ما يقرأ في الفرائض إنا أنزلناه، وقل هو الله أحد، وإن صدري ليضيق بقراءتها في الفجر، فقال عليه السلام: **(لا يضيق صدرك بهما، فإن الفضل والله فيهما)**[٢].

فسؤالك عن إنا أنزلناه إن كان عن السورة فهي أفضل السور، تقارب سورة التوحيد في الفضل، وهي نسبة أهل البيت عليهم السلام، كما أن التوحيد نسبة الرب عز وجل[٣]، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يحبها أكثر من سائر السور ويكرر قراءتها بتخشع وبكاء.

---

[١] القدر، ١.

[٢] الكافي، ج٣ ص ٣١٥ باب قراءة القرآن ح١٩. وسائل الشيعة، ج٦ ص٧٨ ح٧٣٩٥.

[٣] عن أبي عبد الله عليه السلام في صلاة النبي صلى الله عليه وآله في السماء في حديث الإسراء قال عليه السلام: (ثم أوحى الله عز وجل إليه اقرأ يا محمد نسبة ربك تبارك وتعالى ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ وهذا في الركعة الأولى، ثم أوحى الله عز وجل إليه إقرأ بالحمد لله فقرأها مثل ما قرأ أولاً ثم

في الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: **(كان علي عليه السلام كثيراً ما يقول: اجتمع التيمي و العدوي عند رسول الله وهو يقرأ ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ﴾ بتخشع ويبكي فيقولان: ما أشد رقتك لهذه السورة.**

فيقول رسول الله صلى الله عليه وآله: لما رأت عيني، ووعى قلبي، ولما يرى قلب هذا من بعدي.

فيقولان: وما الذي رأيت وما الذي يرى؟

قال: فيكتب لهما في التراب ﴿تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾

قال: ثم يقول هل بقي شيء بعد قوله عز وجل: ﴿كُلِّ أَمْرٍ﴾

فيقولان: لا.

فيقول: هل تعلمان من المنزل إليه بذلك؟

فيقولان: أنت يا رسول الله.

فيقول: نعم.

فيقول: هل تكون ليلة القدر من بعدي؟

فيقولان: نعم.

أوحى الله عز وجل إليه اقرأ (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ) فإنها نسبتك ونسبة أهل بيتك إلى يوم القيامة) تفسير البرهان، ج١٠ ص ٢٠٣ تفسير سورة القدر، رواية ٢٥.

قال فيقول: هل ينزل ذلك الأمر فيها؟

فيقولان: نعم.

قال: فيقول إلى من؟

فيقولان: لا ندري!

فيأخذ برأسي فيقول: إن لم تدريا فادريا هذا من بعدي.

قال: فإن كانا ليعرفان تلك الليلة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله من شدة ما تداخلهما من الرعب)[1].

فهذه هي التي احتج بها رسول الله في أهل بيته صلوات الله عليهم بالولاية العامة التامة على كل من أنكر، و أمر الصادق عليه السلام بالاحتجاج بها على من جحد حقهم[2]، وذلك أنها تثبت وجود ليلة عظيمة القدر جليلة الشأن والأمر، وهي محل عناية الله بنزول القرآن وفيه تبيان كل شيء شأنها الاختصاص بخاصته خصاً من رب العالمين، ونصاً من الرسول الأمين حيث

---

[1]) يوجد اختلاف بسيط في بعض ألفاظ الرواية، راجع بصائر الدرجات ص ٢٤٤، الكافي ج١ ص ٢٤٩ ح٥ باب في شأن إنا أنزلناه في ليلة القدر وتفسيرها.

[2]) في المخطوطة: (حقنا). ورد في الرواية عن أبي جعفر عليه السلام: (يا معشر الشيعة خاصموا بسورة إنا أنزلناه في ليلة القدر تفلجوا، فو الله إنها لحجة الله تبارك وتعالى على الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وإنه لسيدة دينكم، وإنها لغاية علمنا) بحار الأنوار، ج٢٥ ص٧١ ح٦٢ باب الأرواح التي فيهم وأنهم مؤيدون بروح القدس .

أراد سبحانه أولاً أن يقرره على الإقرار بالعلم والدراية وأنه لا علم له إلا ما علمه ربه .

فأقر صلى الله عليه وآله بقوله أدرانيها ربي فدريتها كما في الرواية، وأنه لا يدريها أحد وما نزل فيها ولا من أنزل إليه إلا بتعليم من الله برسوله لمن أراد من خلقه، وهو قوله صلى الله عليه وآله مخاطباً للتيمي والعدوي بعدما أخذ برأس أمير المؤمنين عليه السلام: **(إن لم تدريا فأدريا هو هذا من بعدي)**. وأنه سبحانه عرفنيها بقوله: ﴿**لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ**﴾ إلى آخر السورة .

فذكر ليلة القدر أولاً بأنها وقت نزول القرآن، وثانياً أن لها شأناً عنده وأي شأن ليس ينبغي لها أن تخفى، فأدراها بنبيه صلى الله عليه وآله ما نزل بها على نبيه: ﴿**لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ**﴾ السورة، فبلغت حجته وتمت كلمته صدقاً وعدلاً.

فمن ذلك تبين الجواب لجهات السؤال من السورة، وليلة القدر، وتكررها ثلاثاً، بأن السورة بيان من الله لنسبة أوليائه وشأنهم عنده، وبالنسبة إلى ما سواه وحجته على من أنكرهم وأنكر حقهم، إذ هي نزلت في ذكر ليلة القدر خاصة، وشأنها عنده خصوصية إذ خصت دون سائر الأوقات بإنزال الكتاب فيها لما لها من عظم خطر وجلالة منزلة وقدر عنده، وبتقدير

المحتومات وتفريقها من المشروطات من الأمور الكائنة طول السنة، وبتنزيل الملائكة والروح فيها من كل أمر.

ويشير إلى جميعها قوله عز وجل: ﴿حم ۞ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۞ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۞ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۞ أَمْراً مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۞﴾[1]

فإنها ليلة مباركة بما نزل فيها، وبما يفرق فيها من أمر حكيم، حكم عليه بالوقوع حتماً لا يتغير ولا يتبدل، وأنذر العباد من سوء الحتم والقضاء، وأمرهم أن يتضرعوا إلى الله بالمسألة والدعاء؛ أن يجعلهم من السعداء أو يمحو اسمهم من الأشقياء -قبل أن يحتم عليه ذلك-ويكتبهم في السعداء.

وفي باطن التفسير أن ليلة القدر التي بوركت هي فاطمة صلوات الله عليها[2]، إذ فيها نزل الكتاب المبين أمير المؤمنين عليه السلام، وفيها يفرق كل أمر حكيم أي إمام بعد إمام[3].

---

[1]) الدخان، ١-٥.

[2]) روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: (﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ الليلة فاطمة والقدر الله، فمن عرف فاطمة حق معرفتها فقد أدرك ليلة القدر، وإنما سميت فاطمة لأن الخلق فطموا عن معرفتها) تفسير فرات الكوفي، ص٥٨١.

[3]) توجد روايات عديدة في هذا المعنى ننقل هنا هذا المقطع من رواية عن إمامنا الكاظم عليه السلام في حديثه مع النصراني: (فقال: ﴿حم ۞ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۞ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۞ فِيهَا

فهم البركات النازلة فيها بنزول الكتاب المبين العلي الحكيم فيها، فعمت بركاتها للموجودات وكثرت بوجودها الخيرات لجميع البريات، إذ هي الكوثر فيها أعطي النبي من العطيات، خذها مختصرة كم في خلالها من رموز إلى كنوز.

[الروح ظاهراً وباطناً]

أما قولك: **ما الروح؟** فما أعظمها مسألة وأرفعها منزلة.

اعلم أن الروح في السورة هو روح القدس؛ وهو أول خلق من الروحانيين عن يمين العرش له رؤوس بعدد رؤوس الخلائق[1]، يقوم في

يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ ما تفسيرها في الباطن؟ فقال: أما حم فهو محمد صلى الله عليه وآله وهو في كتاب هود الذي أنزل عليه وهو منقوص الحروف، وأما الكتاب المبين فهو أمير المؤمنين عليه السلام، وأما الليلة ففاطمة، وأما قوله: فيها يفرق كل أمر حكيم يقول يخرج منها خير كثير فرجل حكيم ورجل حكيم) الكافي، ج١ ص٤٧٩ باب مولد أبي الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام.

(١) روى الشيخ الكليني قدس سره في الكافي: عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن علي بن حديد، عن سماعة بن مهران قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام وعنده جماعة من مواليه فجرى ذكر العقل والجهل، فقال أبو عبد الله عليه السلام: (اعرفوا العقل وجنده والجهل وجنده تهتدوا. قال سماعة: فقلتُ: جعلت فداك لا نعرف إلا ما عرفتنا، فقال أبو عبد الله عليه السلام: إن الله عز وجل خلق العقل وهو أول خلق من الروحانيين عن يمين العرش من نوره فقال له: أدبر، فأدبر، ثم قال له: أقبل فأقبل، فقال الله تبارك وتعالى: خلقتك خلقاً عظيماً وكرمتك على جميع خلقي...) الكافي، ج١ ص ٢١ كتاب العقل والجهل ح١٤.

الحشر وحده صفاً والملائكة كلها صفاً، وذلك قوله سبحانه: ﴿**يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفّاً لا يَتَكَلَّمُونَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ**﴾(١)، وهو أحد الأربعة العالين الذين لم يؤمروا للسجود لآدم وقال تعالى مخاطباً لإبليس: ﴿**أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنْ الْعَالِينَ**﴾(٢).

وهو الذي يسدد كل نبي ووصي بوجه من وجوهه، وما نزل لأحد بتمامه إلا إلى نبينا صلى الله عليه وآله، وهو مع الأئمة واحداً بعد واحد وهو عند الحجة عليه السلام وعجل الله فرجه.

ونفخ لآدم منه بوجه من وجوهه فأمرت الملائكة بالسجود له وهو قوله سبحانه: ﴿**فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ**﴾(٣). قال

---

(١) النبأ، ٣٨. في تفسير علي بن إبراهيم قال: حدثني أبي عن ابن أبي عمير عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال: (هو ملك أعظم من جبرئيل وميكائيل، كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله وهو مع الأئمة عليهم السلام) تفسير القمي، ج٢ ص٢٦ تفسير سورة الإسراء. بحار الأنوار، ج٢٥ ص ٤٧ ح١ باب الأرواح التي فيهم وأنهم مؤيدون بروح القدس .

(٢) ص، ٧٥ .

(٣) الحجر، ٢٩. في الرواية عن الإمام الرضا عليه السلام عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: (... ثم إن الله تبارك وتعالى خلق آدم فأودعنا في صلبه وأمر الملائكة بالسجود له تعظيماً لنا وإكراماً وكان سجودهم لله عز وجل عبودية ولآدم إكراماً وطاعة لكوننا في صلبه فكيف لا نكون أفضل من الملائكة وقد سجدوا لآدم كلهم أجمعون) العلل ج١ ص ١٥- ١٦، تأويل الآيات ج٢ ص٨٧٦-٨٧٧.

الله تعالى في شأنه: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنْ الرُّوحِ قُلْ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي**﴾[١]، وقال سبحانه: ﴿**وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ**﴾[٢]، الآية.

والأمر في بيان ذلك الروح أعظم وأرفع وأعلى من أن يصفه الواصفون، إذ كان يتعالى عن مداركنا أن تحيط به، ومشاعرنا أن تحويه، فلا يُعرف إلا بتعريف من بدأ منه ونزل إليه، فإن مبدءه الموجود منه أمر الله المفعولي[٣] لقوله: ﴿**أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾[٤] إذ خلقه قام بأمره كما في الدعاء: **(كل شيء سواك قام بأمرك)**[٥]، وذلك الأمر المفعولي الذي قام به كل شيء تحققاً وركناً[٦] بنفسه أو بشعاعه هو الحقيقة المحمدية صلى الله

---

[١]) الإسراء، ٨٥.

[٢]) الشورى، ٥٢.

[٣]) قال الشيخ الأوحد الأحسائي أعلى الله مقامه: (أمر الله المفعولي الذي هو الماء المسمى بالحقيقة المحمدية) [شرح الفوائد، ج٢ ص ٤٠٧ الفائدة الثانية عشر]. وقال: (أمر الله المفعولي هو الحقيقة المحمدية) [راجع شرح العرشية، ج١ ص٨٦].

[٤]) الأعراف، ٥٤.

[٥]) من أدعية يوم السبت، بحار الأنوار، ج٨٧ص١٤٨.

[٦]) يقول الشيخ الأوحد قدس سره: (قيام التحقق كقيام الانكسار بالكسر؛ بمعنى أنه لا يتحقق لا في الخارج و لا في الذهن إلا مسبوقاً بالكسر لأنه انفعال الكسر لفعل الفاعِل، إذ لا تعقل الصفة قبل الموصوف، و قد نطلق على هذا اَعْنِي القيامَ الثالث القِيام الركني بمعنى أن الانكسار في الحقيقة مادته من

عليه وآله[١] وبها تحقق الأربعة عشر المعصومون عليهم السلام بنفسها، إذ هي حقيقتهم ووجودهم، وتحقق جميع من سواهم بشعاع تلك الحقيقة بواسطة أو وسائط. فكانت قبل الأشياء بألف ألف دهر تعبد الله وتسبحه وتقدسه ليس هناك أحد غيرهم[٢]، فأراد سبحانه أن يخلق الخلق فخلق منه العقل، وخلق الروح من العقل وكلاهما روحان من أمر الله[٣]، وقال صلى الله عليه وآله فيهما:

نفس الكسر من حَيْثُ هُوَ هو لا من حيث فعل الكاسر، و ذلك كقيام السرير بالخشب قياماً ركنيّاً لأن الخشب هو ركنه الأعظم الذي تقوم به، و الركن الثاني الأسفل الأيسر هو الصورة فلَكَ أن تقول أنه تَقوم بالخشب التقومَ الركني و أن تقول أنه تقوّم بالخشب تَقَوّمَ التحقق) شرح العرشية، ج١ ص٣١٤.

١) يقول الشيخ الأوحد أحمد بن زين الدين الأحسائي قدس سره: (الحقيقة المحمدية لها عندنا إطلاقان: وقد نطلقها ونريد بها المقامات التي هم اسم الفاعل، كـ(القائم) الذي هو اسم فاعل القيام، والقائم مركب في الحقيقة من فعل متقوِّم بفاعله تقوُّم صدور من أثر فعله، وهو القيام الذي هو الحدث، وهذا المقام أعلى ما يحصل في الإمكان الراجح ... وقد نطلقها ونريد بها أثر المشيئة الكونية، وهو أول صادر من مشيئة الله، وهو الوجود، وهو الماء الذي جعل منه كل شيء حي، وهو العنصر الأول لكل محدث، وهو نور الأنوار، والمادة الأولى التي خلق الله كل شيء من شعاعها ، وهي بمنزلة القيام) شرح الفوائد ج١ ص٢٨٥-٢٨٦.

٢) ورد في الرواية: (إن الله لم يزل فرداً متفرداً في وحدانيته ثم خلق محمداً وعلياً وفاطمة فمكثوا ألف ألف دهر ثم خلق الأشياء) بحار الأنوار، ج٢٥ص٢٥ر٤٤.

٣) ورد في دعاء إمامنا السجاد عليه السلام في الصلاة على حملة العرش: (والروح الذي هو من أمرك) [بحار الأنوار، ج٥٦ ص٢١٧]، يقول الشيخ الأوحد الأحسائي قدس سره: (المراد بالروح من أمر الله هو العقل الكلي ... وهو عقله صلى الله عليه وآله في قوله صلى الله عليه وآله: (أول ما خلق الله العقل)، وقول الصادق عليه السلام: (وهو أول خلقٍ من الروحانيين عن يمين العرش)) شرح الزيارة الجامعة

(أول ما خلق الله عقلي)[1]، **(أول ما خلق الله روحي)**[2]، فلما أوجده سبحانه بأمره من أمره جعله علة لما تحته من سائر الأشياء، وهو قول أمير المؤمنين عليه السلام في جواب الأعرابي لما سأله عن النفس: **(العقل جوهر بسيط دراك محيط، يعرف الشيء من جميع جهاته، ويعرف الشيء قبل كونه، وهو علة الموجودات ونهاية المطالب)**[3].

ثم بعدهما روحان آخران خلقا منهما يقال لهما روحان على ملائكة الحجب[4] وهم الكروبيون؛ وهم طائفة من شيعة آل محمد صلوات الله عليهم أجمعين خلف العرش لو قسم نور واحد منهم على أهل الأرض لكفاهم، ولما

الكبيرة، ج٣ ص٣٦٣ (طبعة مكتبة العذراء)، ص٣٣٠ (مطبعة السعادة)، شرح فقرة: (وإلى جدكم بعث الروح الأمين).

[1]) ورد في عوالي اللئالي للشيخ ابن أبي جمهور الأحسائي، ج٤ص٩٩: (أول ما خلق الله العقل).

[2]) قال صلى الله عليه وآله: (أول ما خلق الله عز وجل خلق أرواحنا فأنطقنا بتوحيده وتحميده) علل الشرائع، ج١ ص٥ ب٧، العلة التي من أجلها صارت الأنبياء والرسل والحجج أفضل من الملائكة.

[3]) العقل والجهل في الكتاب والسنة، ص٢١.

[4]) ورد في دعاء إمامنا السجاد عليه السلام في الصلاة على حملة العرش: (والروح الذي هو على ملائكة الحجب) [بحار الأنوار، ج٥٦ ص٢١٧] ويعرفه الشيخ الأوحد أحمد بن زين الدين الأحسائي: (و المراد بملائكة الحجب الكروبيّون، و هم شيعة علي و أهل بيته عليهم السلام من الخلق الأول؛ أي من عالم الغيب جعلهم اللهّ خلف العرش) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة، ج٣ ص٣٦٠ (طبعة مكتبة العذراء)، ص٣٢٧ (مطبعة السعادة)، شرح فقرة: (وإلى جدكم بعث الروح الأمين).

سأل موسى ربه ما سأل أمر واحداً منهم فتجلى للجبل فاندك وخر موسى صعقاً[1]، وهم حقائق الأنبياء عليهم السلام، يستمدون من الروحانيين الأخيرين وهما النفس الكلية والطبيعة الكلية اللتان منهما بدأت الأشياء وإليهما تعود بالكمال، خذها وكن من الشاكرين، والسلام.

كتب أقل الخليقة، بل لا شيء في الحقيقة، أضعف الضعفاء، وخادم الفقراء، الواثق برب الولي محمد سليل المرحوم عباس علي. تمت يوم الأحد في سنة ١٣٥٣

تمت بعون الله الملك الوهاب.

---

١) عن الإمام الصادق عليه السلام قال: (إن الكروبيين قوم من شيعتنا من الخلق الأول جعلهم الله خلف العرش لو قسم نور واحد منهم على أهل الأرض لكفاهم. ثم قال: إن موسى عليه السلام لما سأل ربه ما سأل أمر رجلاً من الكروبيين فتجلى للجبل فجعله دكاً) بحار الأنوار، ج١٣ ص٢٢٤ ب٧.

(١٣)

الرسالة الثالثة عشر

أجوبة مسائل الشيخ علي بن خليقة

[تمهيد]

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين حمداً يوافي شكر نعمه، ويكافي مزيد كرمه، والصلاة على خير خلقه ومظهر لطفه محمد وآله الذين هم معادن نعمه ومفاتح كرمه.

أما بعد؛ فإنه قد ورد عليَّ من ناحية سوق شيوخ[1] مسائل صعبة شريفة، وعن نيل الأفهام مستصعبة منيفة، سألها جناب العالم الزكي، الفطن الذكي اللوذعي، والأخ الصفي الشيخ علي بن خليفة -وفقه الله لمحبته ورضاه، وسلك به مسلك الصالحين في دنياه وعقباه- [وأراد] الجواب بكشف النقاب، وتقريب المرام بتبديل الصعاب، فبادرت إليه مع ما أنا عليه من فتور القوى وقصور العدة، ومستعيناً بالله وعليه التكلان في كل رجاء وشدة، مفرقاً بين الأجوبة والسؤال بقول: قال وأقول تقريباً للأفهام عن درك المأمول.

---

(١) سوق الشيوخ مدينة عراقية تقع ضمن حدود محافظة ذي قار جنوب العراق.

[الفرق بين أولية المشيئة وأولية الحقيقة المحمدية]

قال سلمه الله: **الحقيقة المحمدية سلام الله عليهم أجمعين أول صادر عن فعل الله -ذكره السيد المرحوم أعلى الله [مقامه][1] في سلوكيته[2]- ما هذا الفعل؟ وما هذا الصدور؟ ثم إن كان الفعل أولاً فلا يُقال للحقيقة أولاً، وإن كان العكس فلا يُقال للعقل أول؟**

أقول: كون الحقيقة المحمدية صلى الله عليه وآله أول صادر عن فعل الله مما لا ريب فيه، وكتب المشائخ مشحونة، والروايات فيه صريحة وبالمعنى متواترة؛ وفي رواية: **(أوّل ما خلق الله نوري)**[3]، وفي أخرى: **(نور نبيك يا جابر)**[4]، وفي أخرى: **(كنا بكينونيته قبل الخلق والتمكين وقبل مواقع صفات**

---

[1] المقصود هو آية الله المقدس السيد كاظم بن السيد قاسم الرشتي. تقدمت ترجمته.

[2] ذكر هذا المطلب في الكثير من رسائل وكتب السيد الرشتي قدس سره، للزيادة راجع مسائل عبد الله بيك للسيد كاظم الرشتي، المسألة العاشرة، وقد طبعت الرسالة في مجموعة الرسائل م١، وطبعت مؤخراً بعنوان (بدائع الحكمة) بتحقيق الشيخ صالح الدباب.

[3] عوالي اللئالي، ج٤ ص٩٩.

[4] روى جابر بن عبدالله قال: قلت لرسول الله صلى الله عليه وآله: أول شيء خلق الله تعالى ما هو؟ فقال: نور نبيك يا جابر خلقه الله ثم خلق منه كل خير، ثم أقامه بين يديه في مقام القرب ما شاء الله، ثم جعله أقساماً، فخلق العرش من قسم، والكرسي من قسم، وحملة العرش وخزنة الكرسي من قسم، وأقام

التمكين والكون كائنين غير مُكونين أزليين أبديين منه بدءُنا وإليه نعود، لأن الدهر فينا قُسمت حدوده، وعلينا أُخذت عهوده، وإلينا برزت شهوده)[١] الخطبة.

وفي أخرى: **(استخلصه في القِدَم على سائر الأمم، على علمٍ منه، انفرد عن التشاكل والتماثل من أبناء الجنس)**، إلى أن قال في وصف العترة الطاهرة: **(ثم اختص لنفسه بعد نبيه صلى الله عليه وآله من بريته خاصّة علاهم بتعليته وسما بهم إلى رتبته)**، إلى أن قال: **(فجعلهم الدعاة إليه في كل قرن قرن وزمن زمن،**

القسم الرابع في مقام الحب ما شاء الله، ثم جعله أقساماً فخلق القلم من قسم، واللوح من قسم، والجنة من قسم، وأقام القسم الرابع في مقام الخوف ما شاء الله ثم جعله أجزاءً، فخلق الملائكة من جزء، والشمس من جزء، والقمر والكواكب من جزء، وأقام القسم الرابع في مقام الرجاء ما شاء الله، ثم جعله أجزاءً فخلق العقل من جزء، والعلم والحلم من جزء، والعصمة والتوفيق من جزء، وأقام القسم الرابع في مقام الحياء ما شاء الله، ثم نظر إليه بعين الهيبة فرشح ذلك النور وقطرت منه مائة ألف وأربعة وعشرون ألف قطرة فخلق الله من كل قطرة روح نبي ورسول، ثم تنفست أرواح الأنبياء فخلق الله من أنفاسها أرواح الأولياء والشهداء والصالحين) بحار الأنوار، ج٢٥ ص٢١ ب١.

[١]) من خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام: (الحمد لله مدهر الدهور، وقاضي الأمور، ومالك نواصي ختم المقادير، الذي كنا بكينونيته قبل الحلول في التمكين، وقبل مواقع صفات التمكين في التكوين، كائنين غير مكونين، ناسبين غير متناسبين، أزليين لا موجودين ولا محدودين، منه بدؤنا وإليه نعود، لأن الدهر فينا قسمت حدوده، ولنا أخذت عهوده، وإلينا نرد شهوده) الهداية الكبرى، ص٤٣٣ ب١٤.

وجعلهم تراجمة مشيئته، وألسنة إرادته، وجعلهم الحجج على كل معترف له بملكة الربوبية وسلطان العبودية)[1] ونظائرها في ذلك كثيرة لا تحصى.

والمراد من فعل الله إيجاده وإحداثه **(الحمد لله الذي لا من شيء كان، ولا من شيء كوّن ما كان)**[2]، فتكوينه لا من شيء فعله سبحانه، ووجود الشيء المكون بها صدر عن الفعل، وصدوره [عبارة عن] قبوله وانفعاله بالتكوين لا من شيء، لا أنه أخرجه من الفعل، ولا نزل إليه شيء من الفعل، بل الفعل فعل ليس فيه شيء من المفعول، والمفعول مفعول ليس فيه شيء من الفعل.

قوله: ثم الفعل إن كان أولاً ...إلخ. نشأ من عدم الفرق بين أولية الفعل وأولية الحقيقة المحمدية صلى الله عليه وآله فتوهم[3] بينهما التنافي والتدافع، نعم الفعل عبارة عن الإيجاد؛ أي إحداث الوجود، وهو علة فاعلية، والوجود معلوله المجعول به، والعلة سابقة على المعلول سبقاً لا كيف له ولا نهاية، إذ هما جاريان في المعلول بإجرائه، ولا يجري عليه ما هو أجراه ولا يسري عليه ما هو أنشأه وأبداه.

---

[1] بحار الأنوار، ج٩٤ ص١١٣، الخطبة التي خطبها أمير المؤمنين عليه السلام يوم الغدير.

[2] قال أمير المؤمنين عليه السلام: (الحمد لله الواحد الأحد الصمد المتفرد الذي لا من شيء كان، ولا من شيء خلق ما كان) الكافي، ج١ ص١٣٤.

[3] في المخطوطة: فيوهم.

فأولية الإيجاد أحدثت الوجود بما يكون به الوجود وجوداً[1] من إمكانه، وكونه، وبطونه، وظهوره، وأوله، وآخره، وقوته، وفعله، إذ كلها بالإيجاد محدثة ليس لها ذكر قبله أصلاً.

فبإحداث الوجود وُجد أولية الوجود كما ظهر به أولية الإيجاد، فليستا من صقع واحد حتى يحصل بينهما التزاحم والتدافع.

فالفعل أول ذكر للإمكان والكون، ليس قبله إلا الفاعل، بلا قبل ولا ذكر هناك للأشياء إلا بالامتناع، وفي الإمكان بفعله، والإمكان والحقيقة المحمدية أول ذكر لأول مفعول، قبله الإمكان، ووراءه الفعل، أوجده الفاعل بنفسه وأقامه بنفسه لا لشيء غيره.

---

(1) في المخطوطة: ووجود.

[معنى الواسطة والفرق بين الوسائط]

قال: **ثم إن كان الفعل هو الواسطة بطل وساطة الحقيقة [المحمدية]، وإن كان العكس بطل وساطة الفعل.**

ثم ما معنى الوساطة؟ هل هي في كل شيء، أو شيء دون شيء؟ فعلى القولين هل هي متصلة بالذات أم منفصلة؟ وعلى الاتصال تلزم وحدة الوجود، وعلى الانفصال لا فرق بين الحقيقة [المحمدية] والملائكة في الوساطة؟

أقول: قد عرفت الفرق في الأولية بين الفعل والحقيقة المحمدية بأن الأول في الفعل إيجاد وإبداع، وفي الحقيقة أول موجد ومخترع، وبه تتمكن أن تعرف فيهما [معنى] الوساطة، إذ الإيجاد واسطة وسبب لوجود الحقيقة [المحمدية]، والوجود مسبب له ومعلوله به يظهر الإيجاد، وجعل هذا الوجود واسطة لوجود جميع الأشياء وإيجاداته يتعلق به إحداثاً وإمداداً وإبقاءً بلا وساطة شيء.

وله ظهورات ذاتية في مظاهر أربعة عشر لا يتعداها بذاته، وظهور بأثره بلا واسطة وهو حقيقة الكروبيين[١]؛ الأنبياء والمرسلين، وظهور بأثر أثره وهو حقيقة الإنسان، وهكذا إلى آخر مراتب النزول في الطول[٢].

---

١) يقول السيد كاظم الرشتي قدس سره في تعريفهم: (حقائق الأنبياء؛ أي وجههم إلى ربهم في تلقياتهم الفيوضات، وهؤلاء مئة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، سموا ملكاً لتمحضهم في ذكر الله والوقوف بباب إرادته تعالى، وليسوا من سنخ الملائكة المعروفين، وكل واحد منهم لمعة من آل محمد عليهم السلام مستودعة في حقيقة الأنبياء ليعرفوا بها ربهم ويبصروا بها أمر معادهم ومعاشهم ويأخذوا منها أنحاء التلقيات من الوحي والإلهامات والقذوفات) شرح دعاء السمات، ص٢٣٩-٢٤٠ .

٢) السلسلة الطولية والعرضية من اصطلاحات الحكمة في مدرسة الشيخ الأوحد الأحسائي قدس سره، وننقل هنا شرح السيد كاظم الرشتي قدس سره لها: (اعلم أن السلسلة الطولية هي مراتب الموجودات في العليّة والمعلوليّة، ومعنى ذلك أن السافل شعاع للعالي كالنور للسراج أي الشعاع المنفصل لا المتصل، وتنحصر هذه المراتب في مقام الظهور بالآثار والأحكام في ثمان مراتب:

الأولى: الحقيقة المحمدية صلى الله عليه وآله، وهي شجرة الخلد وعليٌ أمير المؤمنين عليه السلام أصلها وفاطمة فرعها والأئمة عليهم السلام أغصانها.

الثانية: حجاب الكروبين وهم قوم من شيعة آل محمد صلى الله عليه وآله من الخلق الأول جعلهم الله خلف العرش لو قُسِم نور واحد منهم على أهل الأرض لكفاهم ولما سأل موسى ربه ما سأل أمر رجلاً منهم فتجلى له بقدر سَم الإبرة فَدُكَّ الجبل وخرَّ موسى صَعِقاً، وعدد هؤلاء الملائكة مئة ألف وأربعة وعشرون ألف لأن كل ملك مُربي نبي من الأنبياء.

الثالثة: الإنسان أي الرعايا وهؤلاء إنما خلقوا من شعاع الأنبياء عليهم السلام وهم باب فيضهم وإمدادهم من الله عز وجل.

الرابعة: الجان المخلقون من نار الشجر الأخضر الذي خلقت من فاضل طينة الإنسان كما عن الصادق عليه السلام.
الخامسة: الملائكة الغير العالين والكروبيين وهم إنما خلقوا من شعاع نور مولانا أمير المؤمنين عليه السلام كما عن النبي صلى الله عليه وآله، وهو نور الولاية الظاهرة في رتبة الإنسان والظاهرة في رتبة الجان، وهم حملة التدابير المتعلقة بجزئيات العالم، وهم الروابط الجزئية والمعاني الحرفية الواقفون في مقام معلوم، وهم الخدام للجن والإنس في الجنة وهم ضعيفوا الاختيار .
السادسة: البهائم وحشرات الأرض من الحيوانات .
والسابعة: النباتات كأنواع الأشجار البريّة والبحرية والبرازخ.
والثامنة: الجمادات من العناصر والمعادن وسائر المُركبات.
وهذه المراتب إنما يقال لها الطولية لوقوع كل واحدة منها تحت رتبة الأخرى بحيث لا ذكر لها عند من هو أعلى منها كالشعاع بالنسبة إلى السراج، فلا يلحق السافل العالي وإن صعد وترقى إلى مالا نهاية له لأن له مقام معلوم لا يتعداه ولا يتجاوز عنه، ولذا ورد في الزيارة الجامعة: (فبلغ الله بكم أشرف محل المكرمين، وأعلى منازل المقربين، وأرفع درجات المرسلين، حيث لا يلحقه لاحق، ولا يفوقه فائق، ولا يسبقه سابق، ولا يطمع في إدراكه طامع)، ولذا حرم على الرعية تمني مرتبة الأنبياء وعلى الأنبياء تمني مرتبة الأئمة عليهم السلام) إلى أن قال رحمه الله: (وأما السلسلة العرضية: فهي ما تجمع الكثيرين حقيقة واحدة ظاهرة في الأطوار والتعينات، فإذا نظرت إلى الحقيقة ترى شيئاً واحداً وإذا نظرت إلى الأطوار والتعينات والأفراد ترى أموراً كثيرة وظهور تلك الحقيقة في تلك الأفراد على السواء وإنما يختلف الأفراد في القوة والضعف والرقة والغلظة بالقابليات، فيصح للكثيف تمني رتبة الشريف وللضعيف تمني رتبة القوي ... كالأنبياء فإن لهم حقيقة واحدة قد ظهرت في الأفراد الغير المتناهية بدواً وعوداً وكذلك الحيوانات والنباتات والجمادات، وهذه الأفراد تترقى وتصعد وتزيد نمواً وقوة وصفاء وجدة وشباباً لكنها في مقامها لا يتعداه) جواهر الحكم، ج١٣ ص١٨٦-١٨٧ أجوبة مسائل الشيخ محمد حسين بن خلف البحراني.

وكل حقيقة منها لها ظهور نزولاً وصعوداً في طول العرض؛ تنزل إلى عقل، وروح، ونفس، وطبيعة، إلى آخر النزول، وتصعد إلى الجامع في كل مرتبة بحسبها، ولا نزول لموجود في الطول المحض، ولا في طول العرض، ولا صعود إلا بفعل الله وإرادته سبحانه، فلا التباس بين الوساطتين ولا منافاة حتى تلزم من إثبات أحدهما بطلان الأخرى، بل إثبات كل منهما لا يكون إلا بإثبات الأخرى.

والإيجاد لا يظهر إلا بالوجود، كما أن الوجود لا يتحقق إلا بالإيجاد، ولا يختص ذلك بشيء دون شيء، إذ لا شيء إلا بوجود، ولا وجود إلا بإيجاد الله سبحانه، وليس بين الذات والإيجاد فصل ولا وصل؛ إذ هما موجودان جاريان، ولا يجري عليه ولا يسبقه ما هو أجراه، وإن كان جريانهما بغير فعل من الله يلزمه تعدد القدماء، وهو باطل بأدلة التوحيد وضرورة العقل، وهو قول الرضا عليه السلام: **(حق وخلق لا ثالث بينهما ولا ثالث غيرهما)**[1]، ولأن الفصل لا يكون إلا بفاصل بائن بينهما يحددهما، كما أن الوصل لا يكون

---

[1]) قال الإمام الرضا عليه السلام: (إنما هو الله عز وجل وخلقه لا ثالث بينهما ولا ثالث غيرهما) عيون أخبار الرضا عليه السلام،ج٢، ص١٥٦.

إلا إذا اتحدا، قال أمير المؤمنين عليه السلام: **(ليس بينه وبين خلقه فصل، ولا له عليه فضل، فيستوي الصانع والمصنوع، ويتكافأ البديع والمبتدع)**[١].

إذ الفصل لا يكون إلا فيما يحتمل الوصل، وما يحتمل الوصل يحتمل الزيادة والفضل، وذلك لا يتصور إلا فيما يتساوى في الرتبة ويتكافأ في النسبة، وهو لازم للحدث؛ الممتنع من الأزل، الممتنع من الحدوث.

ولا شك أن الفعل والإحداث لا يكون إلا بإحداث من الله، وكذلك صفات الحدوث ولوازمه، فلا يكون بين الإحداث وما أحدث به فصل ولا وصل لامتناع التكافؤ بينهما والمساواة، وذلك جار فيما بين كل مؤثر وأثره من غير تفاوت، فلا اتصال بينهما إذ هو شأن الرتبة، ولا انفصال إذ لا يصح الاتصال.

نعم بينهما بينونة صفة لا بينونة عزلة[٢]، والصفة صفة استدلال عليه لا صفة كاشفة عنه[٣].

---

١) في الاحتجاج، ج١ ص٣٠٣: (ولا يقال له كان بعد أن لم يكن فتجري عليه صفات المحدثات ولا يكون بينه وبينها فصل ولا له عليها فضل فيستوي الصانع والمصنوع ويتكافأ المبتدع والبديع).

٢) عن أمير المؤمنين عليه السلام: (توحيده تمييزه عن خلقه، وحكم التمييز بينونة صفة لا بينونة عزلة) بحار الأنوار،ج٤ ص٢٥٣ ب٤ ح٧.

٣) قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته اليتيمية: (صفة استدلال عليه لا صفة تكشف عنه) ملحق نهج البلاغة، ص٣٧.

فإذا تبيّن أنه ليس بين الله وإحداثه والمحدثات وصل ولا فصل لم يلزم محذور أصلاً من وحدة الوجود والموجود وغيرهما.

وظهر الفرق بين الحقيقة المحمدية صلى الله عليه وآله وأشعته وآثاره الأولية أو بواسطة واحدة أو كثيرة إلى الملائكة وما تحتها، إذ كل مرتبة منها وإن كانت واسطة لما تحتها في جريان تأثير فعل الله، لكنها ليست إلا لكونها نوراً لما فوقها وشعاعاً له، فلذا صارت واسطة لإيجاد ما تحتها، وما تملك شيئاً لنفسها إلا مما فوقها من المراتب إلى أن تنتهي إلى الحقيقة التي بها قامت الأشياء أو بشعاعها وتحققت وتكونت بإيجاد الله وإبداعه، كيف لا وهي أمر الله[1] الذي قام كل ما سواه به وبها ظهر فيه، فظهر الحق وبطل ما كانوا يصنعون، فافهم.

---

[1] يقول الشيخ الأوحد قدست روحه: (واعلم أنا قد أشرنا أنَّ أمر الله الذي به تقوّمت الأشياء يُطلق على شيئين:

أحدهما: فعل الله، وهو المُشار إليه بقوله تعالى: (أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ)، وهذا تتقوّم به الأشياء تقوّم صدور، فكل شيء من فعل الله في حال صدوره وبقائه طريّ أبداً، فأول آناته كآخره، إذ وجوده إنما هو شيءٌ بفعل الله، فلا تحقق له في البروز في عالم الأكوان إلا بالفعل، فهو منه كالنهر الجاري من الينبوع .

والآخر: أول مفعول صدر عن الفعل، وهذا تتقوّم به الأشياء تقوّماً ركنياً، كتقوّم السرير وأبناء نوعه بالخشب، والمراد بهذا الوجود: هو الماء الذي جعل منه كل شيء حي، وهو الحقيقة المحمدية صلى الله عليه وآله فإنّ الأشياء كلها موادّها التي تتقوّم بها من أشعتها أو أشعة أشعتها) شرح الفوائد ج٢ ص٣٥٠-٣٥١ الفائدة الحادية عشرة.

[في تحقيق الوصل والفصل]

قال: **وما معنى الاتصال والانفصال كما حقق الشيخ[١] المرحوم من عرف الاتصال والانفصال فعرف التوحيد، فعلى[٢] الاتصال يلزم الاستعانة والتشريك، وعلى الانفصال لا زيادة على الملائكة إذ هم وسائط.**

فالمرجو من عميم إحسانكم تحقيق المقام حتى نفرق بين الواسطة.

وأما حديث: (وخلق المشيئة بنفسها...إلخ)[٣] فيحتاج إلى بيان وكشف وعيان، والظن أنكم علينا مشفقون، وفوائدكم علينا لا تمنعون.

أقول: في الرواية: **(من عرف الوصل من الفصل، والحركة من السكون فقد وقع على القرار في التوحيد)**[٤]، ولا يخفى عليك أن الحركة والسكون والفصل والوصل -أي الافتراق والاقتران- هي الأكوان الأربعة التي تلزم كل حادث، ولا حادث إلا وفيه اثنان منهما يلمحان إلى الآخَرَين بالمضادة والمغايرة.

---

[١]) المقصود هو آية الله المعظم الشيخ أحمد بن الشيخ زين الدين الأحسائي. تقدمت ترجمته

[٢]) في المخطوطة: على.

[٣]) الكافي، ج١ ص١١٠، باب الإرادة.

[٤]) الأنوار النعمانية، ج٤ ص٣٧، نور في بعض التراكيب المشكلة والأخبار الدقيقة والمسائل الفقهية وغيرها.

والأزل عز وجل تعالى عن صفات الحوادث بكل فرض واعتبار، فمن عرف الحادث بما هو عليه من الاتصال بالأسباب والشرائط والأجزاء، والانفصال عن الموانع والمفسرات، والحركة إلى سابقه بالاستمداد وإلى سافله بالإمداد، وإلى أهل رتبته بالتعارف والتناكر والائتلاف والاختلاف، ومن السكون بقبوله ما يرد عليه من المبادئ و أوائل جواهر العلل بعدم الإقبال إلى ما لا يعتبر، ونحو ذلك بما يعرف به الحادث، فإذا عرفه بذلك وأنه لا شيء وجوداً وبقاءً إلا بإحداث الغير وإبقائه فقد وقع على القرار في التوحيد؛ **(إذ توحيده تمييزه عن خلقه وحكم التمييز بينونة صفة لا بينونة عزلة)**[1]، و **(كنهه تفريق بينه وبين خلقه)**[2]، فلا وصل، **(وغيوره تحديد لما سواه)**[3] فلا فصل ولا عزلة، بل هو في قربه أبعد من كل بعيد بعداً لا كبعد شيء[4] عن شيء، وفي بعده أقرب من كل قريب لا كقرب شيء من شيء، قرباً وبعداً لا نهاية لهما في الإمكان ولا غاية، وهذا أحد المعاني للرواية.

ولها معانٍ فمنها؛ ما هو أقرب للفهم: أن القرار في التوحيد على التوصيف والتنزيه كما في الرواية: **(التوحيد حاجز بين البحرين بحر**

---

[1]) الاحتجاج، ج١ ص٢٩٩. بحار الأنوار، ج٤ ص٢٥٣ ب٤ ح٧.

[2]) عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج٢ ص١٣٦ خطبة الرضا عليه السلام في التوحيد.

[3]) المصدر السابق

[4]) في المخطوطة: الشيء

التوصيف وبحر التنزيه، ولكل منهما ساحلان؛ أما التنزيه فساحله الغربي هو التعطيل وقد هلك فيه عالم كثير، وساحله الشرقي هو الحاجز.

وأما التوصيف فساحله الشرقي هو التشبيه وقد هلك فيه عالم كثير، أما ساحله الغربي فهو الحاجز) نقلته بالمعنى.

وقرار التوصيف والتنزيه على نفي الحدين التعطيل والتشبيه كما في روايات كثيرة مما ذكر وغيره، وذلك لا يكون إلا ببيان من الله وتوصيفه بما يليق بشأنه[١] وعز جلاله **﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُون ۝ وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ۝ ﴾**[٢] إذ كانوا يصفونه بما وصف به نفسه في تعريفه تجلياً ومنعاً، فرقاً وجمعاً، وهذا قول أمير المؤمنين عليه السلام: **(لا تحيط به الأوهام كما لا تحيط به العقول، بل تجلى لها بها، وبها امتنع منها، وإليها حاكمها)**[٣]، وقول الحجة عليه السلام وعجل الله فرجه: **(وَآيَاتِكَ وَمَقَامَاتِكَ، الَّتِي لا تَعْطِيلَ لَهَا فِي كُلِّ مَكَانٍ، يَعْرِفُكَ بِهَا مَنْ عَرَفَكَ، لا فَرْقَ بَيْنَكَ وبَيْنَهَا إِلّا أَنَّهُم عِبادُكَ وَخَلْقُكَ، فَتْقُهَا وَرَتْقُهَا بِيَدِكَ، بَدْؤهَا مِنْكَ وَعَوْدُهَا إِلَيْكَ)**[٤] الدعاء.

---

١) في المخطوطة: شأنه.

٢) الصافات، ١٨٠-١٨١.

٣) الاحتجاج، ج١ ص ٣٠٥.

٤) مصباح المتهجد ص٨٠٣ في أدعية شهر رجب. إقبال الأعمال ج٣ ص٢١٤.

فتجليه سبحانه للأوهام إنما [هو] إيجاد لها، فوصف نفسه لها بخلقها بأنه خالقها، ومبدعها، وموجدها، ومبقيها، ومقيمها، ومحركها، ومركبها وأمثال ذلك من أسمائه وصفاته الفعلية التي بها يعرف الله، فذلك الوصف دائم باق لا يخلو منه شيء، إذ لا شيء إلا من مشيئته، وبها تجلى ما تجلى ووصف وهو الوصل، ولا فرق الذي في الدعاء، وليس فيه تعطيل أبداً، إلا أن الأشياء مصنوعات خلقت بصفة المصنوعية من الفقر والفاقة والحاجة دائماً، لا تملك لأنفسها ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً، فبذلك امتنع سبحانه منها ونزه نفسه عما سواه، إذ كل ما سواه محدود بحدود الإمكان الخلق بتحديده، وذلك هو الفصل والفرق والامتناع والتنزيه وهو عين التعطيل والإهمال إلا أن ينقسم به التوصيف الذي هو الوصل والتجلي، وهذا هو المراد مما روي: **(الجمع بلا تفرقة زندقة، والتفرقة بلا جمع تعطيل، والجمع بينهما هو التوحيد)** يعني توصيفه من غير تنزيه قول بالتشبيه بين الواجب والممكن، وقول بحدوث الواجب ووجوب الحادث، وتنزيهه بغير توصيف قول بالتعطيل والعزلة والإهمال، وكل قد هلك فيهما عالم كثير وجم غفير، فافهم.

أما قوله سلمه الله: **فعلى الاتصال يلزم الاستعانة والتشريك وعلى الانفصال لا زيادة على الملائكة إذ هم وسائط .**

فبعد أن أحطت به خُبراً عرفت ما فيه من الغفلات والإيراد من غير تمييز للموارد ومعرفة للمراد.

أما الأول: فلما قلنا ليس بين الذات تعالى وتقدس وبين فعله والحقيقة فصل إذ لا شيء بينهما وغيرهما، ولا وصل لاختلاف الرتبتين فإن الأزل أزل دائماً، والحادث حادث أبداً لا يخرج عن حد الفقر والحاجة حتى يصل الأزل، وكذلك أمر الله الفعلي الذي هو الإيجاد، والمفعولي الذي هو الوجود؛ أول موجود بالإيجاد، فإنه لا فصل بينهما ولا وصل لما ذكر، وكذلك بين كل عالٍ وسافلٍ في الطول.

وثانياً: قوله: **وعلى الاتصال يلزم الاستعانة والتشريك؟**

ما يريد من الاتصال؟ إن كان مراده أن لا يكون بين الفعل والحقيقة شيء بينهما تمنع الملازمة إذ هما كذلك لأن الحقيقة أول صادر وموجود بالفعل لا من شيء بينهما ولا غيرهما وللفعل امتنان عليها وعزة إذ لم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيراً.

وإن كان يريد منه اتصال شيئين معتزلين كاتصال زيد وعمرو في إنجاز أمر أو تمام عمل؛ نعم ذلك يستلزم الاستعانة والتشريك لكل منهما، ولا كذلك الأمر بينهما فإن الحقيقة بائنة عن الفعل بينونة صفة لا عزلة، فالحقيقة تفعل بالفعل، وهو يفعل لها بها وفيها ولها وعنها فافهم واغتنم.

وثالثاً: قوله: **وعلى الانفصال لا زيادة على الملائكة إذ هم وسائط؟**

إنما نشأ من معنى عنده متوهم للانفصال كما مر للاتصال كأنه يتوهم أن زيداً إذا كان لكل من يعطي بعمرو ولا يغيره فذاك اتصال يستلزم الاستعانة منه بعمرو والتشريك، وإذا كان يعطي مرة بعمرو وتارة بخالد وأخرى ببكر، فإذاً كلهم مشتركون في الوساطة لا ترجيح لأحدهم على الآخر فهذا انفصال في الأمر في مراتب النزول، [و] في الوساطة ليس كذلك كما تقدم منا فيه الكلام غير مرة فراجع.

[حديث: (خلق الله المشيئة بنفسها)]

قوله: **وأما حديث: (خلق الله المشيئة بنفسها ...إلخ) فيحتاج إلى بيان وكشف وعيان... إلى آخره.**

فقد مَرَّ فيه بعض بيان يفي إجمالاً في معناه للفقرتين، وكشف خافيه تفصيلاً لا يأتي عليه التبيان بفهم، ولا الإحصاء بالقلم، نعم لو أتينا بها يفرق بينه وبين القدم ويطرد من آثار فهو في المقام غاية المسؤول ونهاية المأمول.

اعلم أن المشيئة أولٌ في الإمكان بلا أول قبله، وآخر بلا آخر بعده، وهو أول لا ثاني له، إذ كل ما سواه من إمكان وكون مصنوع به ومحدث ومعلوله وهو علة العلل لا علة له، وهو قول أمير المؤمنين عليه السلام: **(علة ما صنع صنعه وهو لا علة له)**[١].

والمعلول لا يعد مع من هو فوق النسب والإضافات، وعليته صفة تعليقه من حيث التعلق وذاته لا نسبة هناك إذ هو محدث النسب لا يجري عليه ما هو أجراه يقال له إمكان[٢].

تمت بعون الله الملك الوهاب في ١٣٢٣هـ.

---

[١] جزء من الخطبة اليتيمية لأمير المؤمنين عليه السلام، تقدم تخريج المصدر.

[٢] إلى هنا تنتهي المخطوطة التي حصلت عليها، والظاهر أنها ناقصة، والله أعلم.

مصادر التحقيق:

١. القرآن الكريم.

٢. الاثنا عشرية في الرد على الصوفية، الحر العاملي، دار الكتب العلمية، قم، ١٤٠٠هـ.

٣. الإجازة بين الاجتهاد والسيرة، الميرزا موسى الاحقاقي، لجنة إحياء تراث مدرسة الشيخ الأوحد، بيروت، ١٤٢٢هـ.

٤. الاحتجاج، الشيخ الطبرسي، مطابع النعمان، النجف الأشرف، ١٣٨٦هـ

٥. إحقاق الحق، الميرزا موسى الإحقاقي، مطبعة النعمان، النجف، ١٣٨٥هـ

٦. الاختصاص، الشيخ المفيد، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم.

٧. أسرار الإمامة، عماد الدين الطبرسي، الاستانة الرضوية، مشهد، ١٤٢٢هـ.

٨. الأسفار، الملا صدرا الشيرازي، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ١٩٨١م.

٩. الأصول الستة عشر، عدة من المحدثين، دار الشبستري، قم، ١٤٠٥.

١٠. أعلام الحرز، الشيخ محمد الحرز، طبعة محلية، ١٤١٩هـ.

١١. أعلام هجر من الماضين والمعاصرين، السيد الشخص، مؤسسةأم القرى، إيران، ١٤١٦هـ.

١٢. إقبال الأعمال، السيد ابن طاووس، مكتب الاعلام الاسلامي، قم، ١٤١٤هـ.

١٣. الأمالي، الشيخ الصدوق، مؤسسة البعثة، قم، ١٤١٧هـ.

١٤. الأنوار النعمانية، السيد الجزائري، الأعلمي، لبنان، ١٤٣١هـ.

١٥. بحار الأنوار، الشيخ المجلسي، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ١٤٠٣هـ.

١٦. بصائر الدرجات، الشيخ أبو جعفر الصفار، مؤسسة الأعلمي، طهران، ١٤٠٤هـ.

١٧. تأويل الآيات، السيد الاسترابادي النجفي، مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، إيران، ١٤٠٧هـ

١٨. جواهر الحكم، السيد كاظم الرشتي، شركة الغدير، العراق، ١٤٣٢هـ.

١٩. الجواهر السنية، الحر العاملي، مكتبة المفيد، قم، ١٣٨٤هـ.

٢٠. حق اليقين، الميرزا محمد باقر الأسكوئي، مطبعة أهل البيت، كربلاء.

٢١. حياة النفس، الشيخ الأوحد، مؤسسة الإحقاقي، ١٤٢٦هـ.

٢٢. دليل المتحيرين، السيد كاظم الرشتي، لجنة السيد الأمجد، الكويت، ١٤٢٣هـ

٢٣. الذريعة، آغا بزرك الطهراني، دار الأضواء، بيروت، ١٤٠٣هـ.

٢٤. رسالة الشاه زاده، الشيخ محمد تقي الاحسائي، مؤسسة المصطفى، ١٤٢٤هـ.

٢٥. الرسالة الوعائية، الشيخ الأوحد، مؤسسة شمس هجر، بيروت، ١٤٢٨هـ.

٢٦. رسائل الشيخ، الشيخ الأوحد، جامع الإمام الصادق، ١٤٢١هـ.

٢٧. رسائل المحقق الكركي، الشيخ علي الكركي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١٠هـ.

٢٨. رسائل المرتضى، الشريف المرتضى، دار القرآن الكريم، قم، ١٤٠٥هـ.

٢٩. شرح دعاء السمات، السيد كاظم الرشتي، مؤسسة فكر الأوحد، بيروت، ١٤٢٣هـ.

٣٠. شرح إحقاق الحق، السيد شهاب الدين المرعشي، مكتبة المرعشي، قم.

٣١. شرح أصول الكافي، لمولى محمد صالح المازندراني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢١هـ.

٣٢. شرح الخطبة الطتنجية، السيد كاظم الرشتي، لجنة السيد الأمجد، الكويت ١٤٢١هـ.

٣٣. شرح الزيارة الجامعة الكبيرة، الشيخ الأوحد الأحسائي، مطبعة السعادة، كرمان.

٣٤. شرح الزيارة الجامعة الكبيرة، الشيخ الأوحد الأحسائي، مكتبة العذراء، ١٤٢٤هـ.

٣٥. شرح العرشية، الشيخ الأوحد الأحسائي، مؤسسة شمس هجر، لبنان، ١٤٢٦هـ.

٣٦. شرح الفوائد، الشيخ الأوحد الأحسائي، مؤسسة فكر الأوحد، لبنان، ١٤٢٦هـ.

٣٧. شرح المشاعر، الشيخ الأوحد، مؤسسة الإحقاقي، لبنان، ١٤٢٨هـ.

٣٨. شرح فصوص الحكم، داود القيصري، مؤسسة بوستان، قم، ١٤٢٨هـ.

٣٩. شمس هجر، الشيخ الأوحد الأحسائي، لجنة إحياء تراث مدرسة الشيخ الأوحد، لبنان، ١٤٢٣هـ.

٤٠. الشيعة في أحاديث الفريقين، السيد مرتضى الأبطحي، مطبعة أمير، ١٤١٦هـ.

٤١. الصحيفة السجادية، إشراف السيد الأبطحي، مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام، قم، ١٤١١هـ.

٤٢. طبقات أعلام الشيعة، آغا بزرك الطهراني، دار إحياء التراث العربي، ١٤٣٠هـ.

٤٣. عرض الأعمال، الميرزا محمد باقر الأسكوئي، مكتبة العذراء، الكويت.

٤٤. العقل والجهل في الكتاب والسنة، محمد الريشهري، دار الحديث، ١٤٢١هـ.

٤٥. علل الشرائع، الشيخ الصدوق، المكتبة الحيدرية، النجف، ١٣٨٦هـ.

٤٦. عوالي اللئالي، ابن أبي جمهور الأحسائي، مطبعة سيد الشهداء، قم، ١٤٠٣هـ.

٤٧. عيون أخبار الرضا، الشيخ الصدوق، الأعلمي، لبنان، ١٤٠٤هـ.

٤٨. عيون الحكم والمواعظ، الشيخ علي بن محمد الواسطي، دار الحديث، قم.

٤٩. الفصول المهمة في معرفة الأئمة

٥٠. قرنان من الاجتهاد والمرجعية، الميرزا عبد الرسول الاحقاقي، منشورات مكتبة الإمام الصادق العامة، الكويت.

٥١. الكافي، الشيخ الكليني، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٨٨هـ.

٥٢. كشف الغطاء، الشيخ جعفر كاشف الغطاء، انتشارات مهدوي، اصفهان.

٥٣. كشف المراد، العلامة الحلي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١٥هـ.

٥٤. الكلمات المحكمات، الميرزا علي الإحقاقي، دار النخيل، بيروت، ١٤١٥هـ.

٥٥. الكلمات المكنونة، الملا محسن الفيض، مؤسسة التاريخ العربي، ١٤٢٦هـ.

٥٦. كلمة الله، السيد حسن الشيرازي، دار جلال الدين، قم، ١٤٢٤هـ.

٥٧. اللوامع الحسينية، السيد كاظم الرشتي، طبعة حجرية.

٥٨. متشابه القرآن، عبد الجبار الهمداني، دار التراث، القاهرة، ١٩٦٩م.

٥٩. مجمع البحرين، الشيخ فخر الدين الطريحي.

٦٠. مجمع البيان، الشيخ الطبرسي، الأعلمي، بيروت، ١٤١٥هـ.

٦١. المحصل، الفخر الرازي، مكتبة الكليات الأزهرية.

٦٢. المخازن، الميرزا حسن كوهر، مؤسسة الإحقاقي، بيروت، ١٤٣٤هـ.

٦٣. مختار الصحاح، محمد الرازي، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٤١٥هـ.

٦٤. مختصر بصائر الدرجات، الحسن بن سليمان الحلي، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٧٠هـ.

٦٥. المزار، الشيخ محمد المشهدي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١٩هـ.

٦٦. مسائل حول الحقيقة المحمدية، الشيخ الأوحد، دار المحجة البيضاء، لبنان، ١٤٢٧هـ.

٦٧. مستدرك الوسائل، المحدث النوري، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ١٤٠٨هـ.

٦٨. مستدرك سفينة البحار، الشيخ النمازي، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٠٨هـ.

٦٩. مسند الإمام علي عليه السلام، السيد حسن القبانجي، الأعلمي، لبنان، ١٤٢١هـ.

٧٠. مشارق أنوار اليقين، الحافظ رجب البرسي، الأعلمي، لبنان، ١٤١٩هـ.

٧١. مصباح الشريعة، الإمام الصادق عليه السلام.

٧٢. مصباح المتهجد، الشيخ الطوسي، مؤسسة فقه الشيعة، لبنان، ١٤١١هـ.

٧٣. المصباح المنير، الميرزا محمد باقر الأسكوئي، مطبعة أهل البيت، كربلاء.

٧٤. المصباح، الشيخ الكفعمي، الأعلمي، لبنان، ١٤٠٣هـ.

٧٥. المعجم الأصولي، الشيخ محمد صنقور، منشورات الطيار، ١٤٢٨هـ.

٧٦. معجم رجال الحديث، السيد أبو القاسم الخوئي، ١٤١٣هـ.

٧٧. مفاتيح الأنوار، الشيخ محمد بو خمسين، مؤسسة المصطفى، بيروت، ١٤٢٤هـ.

٧٨. المقرر في شرح منطق المظفر، السيد رائد الحيدري، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ١٤٢٥هـ.

٧٩. ملحق نهج البلاغة، أحمد بن يحيى بن ناقة الكوفي، مكتبة ومتحف مركز وثائق مجلس الشورى الإسلامي، طهران، ١٤٣٤هـ.

٨٠. الملل والنحل، محمد الشهرستاني، دار المعرفة، بيروت.

٨١. من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق، جماعة المدرسين، إيران.

٨٢. منتظم الدرين، الشيخ محمد التاجر البحراني، مؤسسة طيبة لإحياء التراث، لبنان، ١٤٣٠هـ.

٨٣. المنهاج بدرة الابتهاج في بيان معرفة المنهاج، الشيخ محمد بو خمسين، مخطوط.

٨٤. المواقف، الايجي.

٨٥. نجاة الهالكين، الشيخ محمد بو خمسين، الكويت.

٨٦. نقد الرجال، السيد مصطفى التفرشي، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم، ١٤١٨هـ .

٨٧. نهج البلاغة، الشريف الرضي، دار المعرفة، بيروت، .

٨٨. نهج الحق وكشف الصدق، العلامة الحلي، دار الهجرة، قم، ١٤١٤هـ.

٨٩. نور البراهين، السيد نعمة الله الجزائري، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١٧هـ.

٩٠. الهداية الكبرى، الحسين الخصيبي، مؤسسة البلاغ، لبنان، ١٤١١هـ.

٩١. وسائل الشيعة، الحر العاملي، مؤسسة آل البيت لآحياء التراث، قم، ١٤١٤هـ..

المحتويات

تقديم: ٥

منهج التحقيق: ١١

مختصر سيرة ١٣

الــبـوارق ٢٥

بارقة [١ - (في أن الأصل في الاشتقاق الفعل لا المصدر)]

[كيفية الاشتقاق]

[تحقيق في كون المشتق حقيقة في خصوص ما تلبس بالمبدأ أم أنه أعم]

بارقة [٢- (في أن الجسم مركب من هيولى وصورة)] ٣٨

بارقة [٣- (في الخلاف بين أصالة المادة وأصالة الماهية)] ٤١

بارقة [٤-(في تحقيق مسألة المعاد)]: ٤٤

[معنى الجسم والجسد لغة و اصطلاحاً]

[معنى المعاد]

[الرأي الأول: المنكرون للمعاد وأدلتهم]

[الرأي الثاني: القائلون بالمعاد الروحاني وأدلتهم]

[الرأي الثالث: القول بأن المعاد الجسماني ثابت شرعاً لا عقلاً]

[الدليل العقلي الإجمالي على المعاد الجسماني]

بارقة [٥- (في تقسيم الأشياء إلى خمسة أقسام وإبطاله)] ٥٣

بارقة [٦- (في رد شبهة ابن كمونة)] ٥٩

بارقة [٧- (في رد قول الفخر الرازي ٦٣

بارقة [٨- (في أن ذات الله ليست مادة للأشياء)] **٦٦**

بارقــة: [٩- (في قاعدة أن الواحد لا يصدر عنه إلا الواحد)]. **٧١**

[بارقة١٠ - (في مسألة الوجود)] **٧٥**

[إطلاقات الوجود]

[التنازع في مسألة الوجود ومنشأه]

[الأدلة في القول بأن الوجود أمر كلي مشترك بين الحق والخلق]

[الميزان في معرفة الحق من الباطل]

[الجواب الإجمالي على القائلين بالاشتراك المعنوي بين الحق والخلق]

[الجواب التفصيلي على القائلين باشتراك الوجود بين الحق والخلق]

(٢) **٩٩**

الرسالة الثانية **٩٩**

رسالة في الجمع والتوفيق بين بعض الآيات **٩٩**

[تمهيد]

[نص الأسئلة]

[لا تعارض بين الآيات الكريمة]

[جواب المسألة الأولى]

[جواب المسألة الثانية]

[جواب المسألة الثالثة]

[جواب المسألة الرابعة]

(٣) **١٢٩**

الرسالة الثالثة **١٢٩**
رسالة في جواب السيد مُحَّد بن السيد ماجد الأحسائي **١٢٩**
[تمهيد]

[مراتب الربوبية]

[معنى العبودية]

[مراتب العبودية]

[المرتبة الأولى: عبودية الحقيقة المحمدية لله تعالى]

[المرتبة الثانية: عبودية الأنبياء لله تعالى]

[المرتبة الثالثة: عبودية سائر الخلق لله تعالى]

[معنى قول الإمام عليه السلام: (جوهرة)]

[معنى قول الإمام عليه السلام: (كنهها الربوبية)]

[كيفية الخلق، وترتب المخلوقات]

[معنى قول الإمام عليه السلام: (فما فقد في العبودية وجد في الربوبية)]

[معنى قوله عليه السلام: (وما خفي في الربوبية أُصيب في العبودية)]

[ختام فيه إشارة و تنبيه]

(٤) **١٩١**
الرسالة الرابعة **١٩١**
رسالة في جواب الشيخ علي بن الشيخ صالح آل قرين **١٩١**
[تمهيد]

فصل [١]

فصـــل [٢]

فصـــل [٣]

(٥) ٢١٩

الرسالة الخامسة ٢١٩

رسالة في جواب السيد أحمد بن السيد مُحَمَّد الحلي ٢١٩

[تمهيد]

[الفاعل الحقيقي والفاعل المجازي]

[خلق الخير والشر، واختيار العبد في أفعاله]

[آية القتال وحل الإشكال الوارد عليها]

[آية الرمي وحل الإشكال الوارد عليها]

[المشيئة الحتمية والعزمية]

[الاستدلال بالآيات الآفاقية]

[سر عقوبة القتل وتفاوت العقاب]

[التماس واعتذار]

[أسباب الاختلاف الظاهري في الآيات الكريمة]

[أسباب الاختلاف الظاهري في الروايات الشريفة]

[بيان معنى الأمر بين الأمرين]

(٦) ٣١١

الرسالة السادسة ٣١١

رسالة في الحقيقة المحمدية ٣١١

[تمهيد]

[إشكاليات في أولية الحقيقة المحمدية]

[مناقشة الأمثلة المضروبة للحقيقة المحمدية]

(٧) ٣٣١
الرسالة السابعة ٣٣١
رسالة في جواب السيد خليل بن علوي آل عبد الرؤوف البحراني ٣٣١
[تمهيد]

[المسألة الأولى: الإجماع أقسامه وحجيته]

[المسألة الثانية: الواجب التخييري والكفائي]

[المسألة الثالثة: سر طهارة ابن الزنا بعد سبعة آباء]

[المسألة الرابعة: شرح الرواية الشريفة: (لا تحيط به الأوهام كما لا تحيط به العقول، بل تجلى لها بها، وبها امتنع عنها، وإليها حاكمها)]

[المسألة الخامسة: محاذير كلام السيد المرتضى قدس سره]

[المسألة السادسة: حكم افتضاض البكر]

[المسألة السابعة: الشبق في الحج]

[المسألة الثامنة: عدة الممسوخ زوجها]

(٨) ٣٥٥
الرسالة الثامنة ٣٥٥
رسالة في جواب السيد مُحَمَّد بن السيد ناصر ٣٥٥
[تمهيد]

[الفرق بين المقامات والمعاني]

[معاني الله تبارك وتعالى]

[معنى نطق المشيئة في محمد وآله عليهم السلام]

[الفرق بين الآيات والمقامات]

[العبادة والمعرفة]

(الَّتِي لا تَعْطِيلَ لَهَا فِي كُلِّ مَكَانٍ)]

(لا فَرْقَ بَيْنَكَ وبَيْنَهَا)]

[مثال الصورة المرآتية]

تـــنـــبـــيــــــه :

[قبس من مقاماتهم عليهم السلام]

(٩) **٣٩٩**

الرسالة التاسعة **٣٩٩**

رسالة في جواب الشيخ مُحَمَّد العيثان الأحسائي **٣٩٩**

حول معنى (جف القلم) **٣٩٩**

[تمهيد]

[جفاف القلم في نص السيد الرشتي قدس سره]

[بين رواية: (جف القلم)، و رواية: (لم يكن الله خلواً من الملك)]

[الاحتمالات الواردة في معنى الملك القديم]

[الوجوه الواردة في معنى جفاف القلم]

[مناقشة فروض الشيخ العيثان أعلى الله مقامه]

[مناقشة الردود على الفرض الثالث من فروض الشيخ العيثان]

[معنى وقوف محمد وآله على باب الوجود، وزيادة العلم]

[خاتمة الرسالة]

(١٠) **٤٥١**

الرسالة العاشرة **٤٥١**

أجوبة مسائل أهالي قره باغ **٤٥١**

مسألة [١]:

جواب:

مسألة [٢]:

جواب: **٤٥٨**

مسألة [٣]:

جواب:

[معنى كون الإمام عليه السلام مشيئة الله]

(١١) **٤٧١**

الرسالة الحادية عشرة **٤٧١**

رسالة في جواب السيد زين العابدين بن السيد يوسف الأسكوئي **٤٧١**

[تمهيد]

[نص السؤال]

[الوصف الرباني]

[أنواع الملائكة]

[معنى عرض الأعمال على محمد والآل عليهم السلام]

[أنواع علم الأئمة عليهم السلام]

[سر اختصاص يوم الخميس بعرض الأعمال]

[تأويل هبوط الرب]

[سر اختصاص الهبوط بيوم عرفة]

[ختام فيه تنبيه]

(١٢) ٥١١

الرسالة الثانية عشرة ٥١١

أجوبة مسائل الشيخ جعفر بن الشيخ حسين الحرز ٥١١

[المسألة الأولى: الفرق بين الفعل القولي والتكويني]

[المسألة الثانية: إشكالية حمل الأوزار]

[المسألة الثالثة: إشكالية صدور الذنب من المعصومين عليهم السلام]

[الوجه الأول:]

[الوجه] الثاني:

[الوجه] الثالث:

[المسألة الرابعة: ليلة القدر والروح ظاهراً وباطناً]

[ليلة القدر ظاهراً وباطناً]

[الروح ظاهراً وباطناً]

(١٣) ٥٤٣

الرسالة الثالثة عشر ٥٤٣

أجوبة مسائل الشيخ علي بن خليقة **٥٤٣**

[تمهيد]

[الفرق بين أولية المشيئة وأولية الحقيقة المحمدية]

[معنى الواسطة والفرق بين الوسائط]

[في تحقيق الوصل والفصل]

[حديث: (خلق الله المشيئة بنفسها)]

مصادر التحقيق: **٥٦٤**

المحتويات **٥٧٣**